

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي و البحث العلمي



جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة

قسم اللغة و الأدب العربي

كلية الآداب و اللغات

رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث

الأبعاد التداولية في الأمثال العربية القديمة

" مجمع الأمثال للميداني " أنموذجا

تخصص : نقد و تحليل الخطاب

مديرة الأطروحة : أ.د نسيمة علوي

إعداد الطالبة

أستاذة التعليم العالي

حنان بوكرمة

المؤسسة : جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة

لجنة المناقشة

| المؤسسة | الرتبة | الصفة | الاسم و اللقب |
|----------------------------------|---------------|---------------|---------------------|
| جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة - | أستاذ محاضر أ | رئيسا | د/ عبد السلام جغدير |
| جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة - | أستاذ محاضر ب | مشرفا و مقررا | أ.د/ نسيمة علوي |
| جامعة باجي مختار - عنابة - | أستاذ محاضر أ | ممتحنا | د/ عبد الحميد شكيل |
| جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة - | أستاذ محاضر أ | ممتحنا | د/ هشام صويلح |
| جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة - | أستاذ محاضر أ | ممتحنا | د/ حسين بوللوطة |
| جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف - | أستاذ محاضر أ | ممتحنا | د/ محمد رضا بركاني |

السنة الجامعية: 2022 / 2023

République Algérienne Démocratique Populaire
Ministère De L'enseignement Supérieure et Recherche Scientifique
Université 20 Aout 1955 – Skikda–

Faculté Des Lettres et Langues



Département de Langue
Et littérature Arabe

Thèse Présenté Pour Obtenir Le Diplôme Doctorat Troisième Cycle
Spécialité : Critique et analyse de discours

**Les Dimensions Pragmatiques Dans les Proverbes
Arabes Anciens « Majmeaa Elaamthal d'El-
Maidani » comme modèle**

Présenté par :

Hanane Boukerma

Encadré Par Pr :

Nassima ALOUI

Membres De Jury :

| Nom et Prénom | | Grade | Université |
|--------------------------|------------|------------|-----------------------------|
| Dr. Abd Essalem DJARDIR | Président | M C A | 20 août 1955 Skikda |
| Pr/ Dr. Nassima ALOUI | Rapporteur | Professeur | 20 août 1955 Skikda |
| Dr. Abdelhamid CHEKAIL | Examineur | M C A | Badji Mokhtar Annaba |
| Dr. Hicham SOULEH | Examineur | M C A | 20 août 1955 Skikda |
| Dr. Houcine BOUBALOUTA | Examineur | M C A | 20 août 1955 Skikda |
| Dr. Mohamed Reda BARKANI | Examineur | M C A | Echadli ben Djdid Etaref |

Année Universitaire : 2022 / 2023

كلمة شكر

أتقدم بفائق الشكر و الامتنان إلى
الأستاذة المشرقة أ. د. نسيمه علوي

على ما بذلته من جهد و إخلاص

في توجيهاتها الثمينة التي أفضت

إلى ميلاد هذا العمل المتواضع في

شكله النهائي

و إلى كل من ساعدني من قريب أو من

بعيد في انجاز هذا البحث العلمي

تحياتي

طالبة دكتوراه

حنان بوكرمه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا

لِلنَّاسِ وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ



سورة العنكبوت الآية (43)

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تُعَدُّ التداولية من المباحث الفلسفية التي شغلت اهتمام العديد من الدارسين و الباحثين، بوصفها درسًا توأسيًا فَعَالًا ، إذ تهتمُّ اهتمامًا بالغًا باللُّغة في جانبها الاستعمالي التخاطبي، بمعنى أن خاصيتها الاستعمالية وتحسين شروط التواصل بين المتخاطبين ورفع مستوى التلقي الناجع يعزز قيمتها في النظر إلى الطبقات المقامية المختلفة التي يُنجز ضمنها الخطاب نحو يضع المتلقي في مواجهة مع المتكلم الذي يتحمّل مسؤولية أقواله و أفعاله ، من هذا المنظور تبرز نجاعة الدرس التداولي فيما يُقدّمه من إجراءات عملية سواء على مستوى الاستعمال اللغوي الطبيعي أو على مستوى الخطاب الأدبي بشكل عام من خلال علاقاتها بمعالم شتى : كعلم النفس ، و علم الاجتماع ، و الدلالة ... و غيرها من المعارف الإنسانية هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تقوم التداولية في فضائل القول ومحاسن الاستعمال على أبعاد مختصة، وزوايا جديدة بالمقاربة في النصوص والخطابات، إيمانًا بأن الخطاب حمّال أوجه، ومادام يحمل هذه الوجوه فهو قابل للتأمل من جوانب متعددة، اصطلاحنا عليها بالأبعاد، وهي التي انطلقت منها دراستنا في سياقات النجاعة، ومؤثرات القصدية، وأهمها: (الأفعال الكلامية، تداولية الحجاج، القصدية وما تؤول إليه في تداولية الخطاب) إذ شكلت هذه الأبعاد نواة مركزية في حقل الدراسات فالأولى ونقصد بذلك - أفعال الكلام - جسدت لنا مقولة وظيفية اللغة لا تنحصر في نقل خبر ما فحسب ، و إنما تتعدّى ذلك إلى أفعال تُنجز و كلام يحقق مجموعة من الأهداف بمجرد النطق بها، يترتب عليها التغيير في العالم الخارجي من جهة المتكلم أو من جهة المتلقي، وكلها منوطة بمقاصد إنجازية، لها وجاهتها في الاستعمال القصدي والحجاج البلاغي.

إن هذا التصور الأولي في هذه التوطئة يجعلنا معنيين بهذه الأبعاد، ويجعل اختبارها إجرائيًا على المكتسبات التراثية الأصيلة من أهم المكاسب في هذه الدراسة، ذلك أن اختيارنا كتاب مجمع الأمثال للميداني، والوقوف على خزائن المثل العربي القديم طبقًا لهذا المنظور يوسع من دائرة الاهتمام ويزيد من حظ المقاربة، ويرفع من شأن البحث، والقيمة حاصلة من وراء ذلك كله، فقد تناقلتها الأجيال عبر العصور جيلًا بعد جيل . فضلًا أن مجمع الأمثال للميداني يكاد يكون أوسع خزانة للأمثال العربية و أشهرها لأنّه حظي بالقبول و الذبوع من قبل العديد من القراء و الباحثين لذلك ارتأينا أن نجسّد فعالية هذه الأبعاد، و استثمار مختلف الأفعال المؤثرة، و الآليات اللغوية

الحجاجية التي تُسهّم في نجاح العملية التواصلية بصياغة العنوان الآتي: (الأبعاد التداولية في الأمثال العربية القديمة " مجمع الأمثال للميداني " أُمُودجًا).

ولاشك أن لكل بحث سؤاله المعرفي الذي يسنده، والإشكالية التي يسعى لمعالجتها، وألفيناها في سياقات بحثنا موجهة نحو الأسئلة الآتية:

- ما مفهوم الأبعاد التداولية في الدرس اللساني الحديث؟ وكيف تشكلت العلاقة التواصلية بين المتكلم والسماع في ضوء هذه الأبعاد؟

ويتفرع عن هذا السؤال المعرفي تساؤلات الظاهرة التداولية، وأبعادها على النحو الآتي:

- ما مدى نجاح تطبيق الدرس التداولي في أبعاده التداولية التي ارتسمت ملامحها في الأفعال الكلامية والحجاج والقصدية؟ وهل كلّ متكلم قادر على إنجاز فعل كلامي بإستراتيجية قصدية بهدف إفهام السامع و إقناعه؟

- هل يدرك المتكلم الإستراتيجية القصدية التي تنشأ في سياقات الإقناع بصورها التضامنية أو التلميحية أو التوجيهية مع المتلقي؟

- ما المسافة الزمنية التي تنشأ بين المتكلم و تصور المتلقي في سياقات الافتراضات المسبقة للكلام؟

- كيف بنى المثل العربي إستراتيجيته القصدية الإقناعية في سياق التواصل؟ بمعنى هل يتجاوب في ذخيرته اللغوية وظروف تشكله الصياغي مع الأبعاد التداولية؟

- ما الأبعاد التداولية المهيمنة على الأمثال العربية القديمة في مجمع الأمثال للميداني؟

إن هذه الأسئلة ومضمراتها التداولية من أهم الأسباب التي اختصت هذا الموضوع بالمقاربة، وحددت موجهات الأهداف وأسباب الاختيار. وأهمها:

- يعد المثل خلاصة التجارب الإنسانية ، فهو وثيقة اجتماعية ، أخلاقية ، أدبية ، و تاريخية يُعبّر بكل مصداقية عن أحوال الشّعوب ، موضوعه الإنسان في كونه جزء لا يتجزأ من المجتمع ، و موضوع التداولية أيضاً الإنسان نفسه الذي يُباشر أدواره الاجتماعية .

- إنّ لغة المثل العربي تُمثّل قَمّة الاقتصاد اللّغوي ،الذي هو جزء من الموروث الثقافي و الاجتماعي ، يحمل دلالات عديدة للتأثير في المتلقي أو المستمع الذي ينال بؤرة اهتمام التداولية .

- حاجة اللّسانيات التداولية بوصفها خطأً تواصلياً ناجحاً لمزيد من الإجراء والتطبيقات القادرة على كشف خفايا الخطابات والنصوص التواصلية

- محاولة الكشف عن قدرة الأبعاد التداولية المنوطة بـ (الأفعال الكلامية، الحجاج، الافتراض المسبق، والقصدية) و الدور الذي تُسهم به في تحقيق التواصل الإنساني

وقد اعتمدنا في تحليلنا لهذا الموضوع على المنهج التداولي، باعتباره أداة العصر و آلية اللحظة الراهنة في اختبار النصوص و الخطابات العربية برؤية لها قوامها المنهجي في مقارنة الأمثال و غيرها ، و هو المنهج الذي ارتبط بالتداولية و بسطه النقاد ضمن تصوّر النظرية الجديدة التي شغلت المختصين و نالت عنايتهم . و بمقتضى ما نصت عليه الأسئلة فإن أهداف البحث و غايته ارتبطت عضوياً بأسئلته، إذ سعينا لتقديم إجابات مُرضية تلي تحقيق الأهداف، وهي على النحو الآتي:

1. الكشف عن العلاقة بين المثل العربي وخصائصه التداولية.

2. الوقوف على آليات الحجاج في مجمع الأمثال للميداني.

3. معرفة الكفايات اللغوية التداولية في الأمثال العربية.

4. الكشف عن طرق بناء مجمع الأمثال و حجاجية ترتيبه المعرفي.

5. بلورة المعطى القصدى و صورته المنجزة في مجمع الأمثال للميداني.

6. معرفة مدى استجابة المثل العربي القديم للقيم العربية المعاصرة.

وبناءً على ما تقدم في الأسئلة و الأهداف أخذ البحث في هذه الأطروحة مساره المنهجي و تقسيماته التي فرضتها أسئلته وأهدافه، وتمثيلها في أربعة فصول، لكل فصل مباحثه المعلومة، و مطالبه التي استلزمها.

فقد استهللنا البحث بمقدمة باعتبارها بوابة الولوج في الموضوع ثم انتقلنا إلى المدخل المعنون بـ (المثل قراءة في الماهية والخصائص)، و نقصد بالماهية الصورة الحقيقية للمثل و مفهومه، و علاقته بالأشكال الأدبية الأخرى كالحكمة وغيرها، و قد اشتمل على العناصر التالية : مفهوم المثل، أنواع المثل، أهمية المثل، والفرق بين المثل و الحكمة. ثم تسلسل البحث في معماره المشيد إلى الفصل الأول المعنون بـ : التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية) و توزع في مبحثين هما: **التداولية مقارنة نظرية** تناولنا فيه النقاط الآتية :

مفهوم التداولية لغة و اصطلاحاً ؛ نشأة التداولية و تطورها ، التداولية و علاقتها بالعلوم الأخرى ، أهمّ المفاهيم التداولية ، عناصر الدرس التداولي ، أهمية التداولية .

المبحث الثاني عنوانه : **تطور نظرية الأفعال الكلامية (مفاهيم أولية)**، و اشتمل هذا المبحث على ما يلي :

ماهية الأفعال الكلامية ؛ نظرية الأفعال الكلامية حسب نموذج أوستن (Austin) ، الأفعال الكلامية حسب نموذج سيرل (Searl) ؛ الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي من خلال التركيز على ظاهرة الخبر و الإنشاء عند بعض العلماء العرب .

أما بخصوص الفصل الثاني ، عنوانه بـ " مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية " تناولنا فيه تقسيمات جون سيرل (John Searl) و هي كآآتي :

الإخباريات (Assertives) ؛ التوجيهيات (Priectives) ؛ التعبيرات (Expressives) ؛ الإعلانيات (Déclaratives) ؛ الإلزاميات (Commitives) .

في حين الفصل الثالث وسمناه بـ " آليات الحجاج في مجمع الأمثال " و قسّمناه إلى قسمين ، قسم نظري عنوانه بـ: مقارنة نظرية في مفهوم الحجاج، تناولنا فيه :

مفهوم الحجاج (لغة و اصطلاحًا) ، الحجاج في الفكر العربي ، الحجاج عند الغرب ، أنواع الحجاج ، تقنيات و وسائل الحجاج ، مراتب الحجاج ، و آليات الحجاج .

و آخر تطبيقي عنوانه بـ : تقنيات الحجاج في قصص الأمثال للميداني ، ضمّ العناصر الآتية :

الحجج شبه المنطقية ، الحجج المؤسّسة لبنية الواقع ، الحجج المؤسّسة على بنية الواقع ، الحجج التي تستدعي القيم ، الآليات البلاغية في مجمع الأمثال ، الآليات اللغوية في مجمع الأمثال .

و الفصل الرابع عنوانه بـ " تجلّيات القصدية في مجمع الأمثال " ، قسّمناه إلى مبحثين :

المبحث الأوّل كان نظريًا اشتمل على :

القصدية بين المفهوم اللّغوي و الاصطلاحي ؛ أنواع القصدية ؛ القصدية في تداولية أفعال الكلام ؛ علاقة الملفوظ بالقصد ؛ أهميّة المقاصد .

و المبحث الثّاني كان تطبيقيًا عنوانه : استراتيجية المقاصد الموضوعية ، عناصره هي :

الإستراتيجية التّلميحية ، إستراتيجية قصد الإقناع ، الإستراتيجية التضامنية ، السياق و علاقته بمقاصد الخطاب، تعالق السياقات و المقاصد الخارجية .

و أنهيّا البحث بخاتمة تضمنت ما توصلنا إليه من نتائج .

واعتمدنا في سياق البناء والتأسيس والإجراء على مجموعة رصينة من المصادر و المراجع المختصة في فصولها الأربعة، التي حفلت بها، استجابة للمنهج والظاهرة البحثية، والاهتداء بالطرائق والآليات التي اشتغلت عليها كتب

متنوعة مثل: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب (مقارنة لغوية تداولية) ، و آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر لمحمود أحمد نخلة ، و كتب مترجمة : أفعال الكلام ل " أوستن " و التداولية اليوم علم جديد في التواصل ل " آن روبول و جاك موشرلر " .

و رغم الجهود التي بذلناها لإنجاز هذا العمل إلا أننا ككل الباحثين واجهتنا بعض الصعوبات نذكر منها :
- قلة الدراسات السابقة التي تناولت الجوانب التطبيقية و إن كانت فهي قليلة ، و خاصة المتعلقة بالنشر العربي القديم ؛

- معظم المراجع تعتمد على معلومات واحدة ، إذ نجد بعض الكتب تأخذ من بعضها البعض ؛
كما اعتمد البحث على دراسات سابقة تمثلت في مجموعة من الأطاريح منها : الخصائص الفنية في الحكم و الأمثال العربية لأمين عبد الله محمد يزيد ، خطاب المفارقة في الأمثال العربية القديمة لنوال بن صالح ، آمنة لعور : الأفعال الكلامية في سورة الكهف ... و غيرها من الدراسات التي تناولت الأمثال العربية القديمة .

و أخيراً أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذة المشرفة : أ.د. نسيمه علوي ، التي قبلت مهمة الإشراف على هذا البحث و متابعتة من بدايته إلى نهايته ، و لا ننسى أن نتقدم بالشكر الخالص إلى أعضاء لجنة المناقشة على طول صبرهم و تحملهم قراءة هذا البحث المتواضع و على ما سيقولونه من ملاحظات قيمة و تصويبات لأجل إثراء هذا العمل و تقويمه .

و نرجو أن نكون قد وفقنا و لو بالقليل فيما سعينا إليه و ما التوفيق إلا بالله .

(و لله الحمد من قبل و من بعد)

مدخل : المثل (قراءة في الماهية و الخصائص)

توطئة

1- مفهوم المثل

2- أنواع المثل

3- أهمية المثل

4- الفرق بين المثل و الحكمة

توطئة :

يعتبر المثل العربي بصفة عامة من الفنون الأدبية التي امتدت جذوره منذ القديم إذ أخذ شكلا أدبيا خاصا به جعله قالبا متناقلا بين الأجيال بوصفه وسيلة تعبيرية متداولة يستخدمها أفراد المجتمع في التعبير عن مواقفهم و معتقداتهم و أساليبهم بل و حتى أفكارهم و أنشطتهم المختلفة .

و هذا ما يجعل الباحث الذي يريد التمعن في كنوز هذا التراث أن يقف حائرا أمام هذا الرّخم المعرني ، ولعلّ الأمثال كانت نموذجا أمثلا جسّد لنا الموروث بأدقّ التفاصيل ، إذ كانت - الأمثال - بمثابة النّص المقدّس لدى العرب يستشهدون بها كلّما اقتضت الحاجة ، فلاهميّتها ذاع انتشارها فاحتفظ النَّاسُ بها لجمال إيقاعها ، و خفة ألفاظها و سهولة حفظها ، هذا ما ضمن لها البقاء في الذاكرة الفرديّة و الجماعيّة لذلك يستحسن أن نقف وقفة متأنيّة و دقيقة لكشف أغوار و أعماق هذا الدّرس التّراثي القديم ، لذلك ارتأينا أن نفتح البحث بمفاهيم أولية عن المثل و دلالاته حتى تكون لنا مفتاحا للولوج إلى أغوار هذا الموروث و ربطه بالدّرس التداولي في ثلاثيته الهرميّة (أفعال الكلام- الحجاج - القصديّة).

1- مفهوم المثل :

1-1- لغة :

ترد لفظة (مثل) في المعاجم العربية بمعان كثيرة و مختلفة يرتبط أكثرها بالمشاهدة و المماثلة ، ففي لسان العرب تأتي لفظة مثل بمعنى الشبيه : مَثَلٌ ، مِثْلٌ ، مِثْلٌ : كلمة تسوية ، يقال : هذا مِثْلُهُ و مِثْلُهُ كَمَا يُقَالُ شِبْهُهُ و شَبَّهَهُ ... و المِثْلُ : الشبه ، يقالُ : مِثْلٌ و مِثْلٌ وَ شَبَّهَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ.¹

و جاء في أساس البلاغة : مَثَلٌ : لِي مِثْلُهُ و مِثْلُهُ وَ مُثِيلُهُ و مُمَائِلَةٌ ... و مِثْلٌ قَائِمًا انْتَصَبَ ، مُثُولًا وَ رَأَيْتُهُ مَائِلًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَ تَمَائِلٌ مِنْ مَرَضِهِ ، وَ مِثْلُهُ بِهِ : شَبَّهَهُ² .

1 - جمال الدين أبي فضل ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، ط 2 ، د.ت ، ص 4132

2 - جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، أساس البلاغة، علق عليه محمد احمد قاسم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 2005 ، د.ط ، ص 781

مدخل _____ المثل (قراءة في الماهية و الخصائص)

و نجد في القاموس المحيط للفيروز أبادي:

" و المثل محرّكة : الحجة و الحديث ... و تمثّل بالشّيء ، صرّبهُ مثلاً ، و المِثَالُ : المِقْدَارُ و القِصَاصُ " .¹

نستنتج من خلال هذه التعاريف المعجمية للفظ " المثل " أن المعنى اللغوي للمثل لا يخرج عن دائرة التشبيه، و المثل هو قول سائر على ألسنة الناس لتشبيه شيء بما سبقه من أشياء أو حوادث مماثلة له ، فهي لفظة تحمل في حوزتها العديد من الدلالات و الإيحاءات المتعلقة بالمشابهة.

1-2 - اصطلاحا :

لقد تضاربت الآراء حول المفهوم الاصطلاحي ، و ذلك بسبب اختلافات وجهات النظر ، فهناك من يعرفه على أنه قصة أو حكاية أو عبرة ... الخ ، لذلك سنرصد بعض التعاريف حول دلالة المثل حيث عرفه الحسن اليوسي بأنه : " قَوْلٌ يَرِدُ أَوَّلًا لِسَبَبٍ خَاصٍ ، ثُمَّ يَتَعَدَّاهُ إِلَى أَشْبَاهِهِ فَيُسْتَعْمَلُ فِيهَا شَائِعًا ذَائِعًا عَلَى وَجْهِ تَشْبِيهِهَا بِالْمَوْرِدِ الْأَوَّلِ " .² هنا يتضح أنّ المثل لا يأتي بصورة عشوائية اعتباطية و إنما يوجد سبب بيّن جعلنا نتلفظ به فالمثل له مورده ومضربه الخاص به .

إنّ المثل عبارة موجزة شائعة تتضمن فكرة حكيمة نحو : " مَنْ جَدَّ وَجَدَّ " قصة قصيرة بسيطة رمزية غالباً يكون لها مغزى أخلاقي و قد تكون على لسان الحيوانات كليلة و دمنة " .³

و يعرف المثل أيضاً على أنّه :

"عِبْرَةٌ كَثِيرَةُ الذَّبُوعِ وَ التَّدَاوُلِ وَ تَقُومُ بِتَكْثِيفِ مَلاحِظَاتٍ عَامَّةٍ غَالِبًا مَا تَكُونُ مَجَازِيَةً " .⁴

لقد تعددت تعاريف المثل فلا يوجد تعريف محدد استقر عليه الباحثون إذ يعرف أيضاً بأنه : " عبارة موجزة يستحسنها الناس شكلاً و مضموناً فنشر فيما بينهم و يتناقلها الخلف عن السلف دون تغيير متمثلين بها غالباً في حالات مشابهة لما صرّب لها المثل أصلاً و إنّ جهل هذا الأصل " .⁵

1 - مجد الدين بن يعقوب الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر ، 2008 ، ص1508

2 - الحسين اليوسي ، زهر الأكم في الأمثال والحكم ، تحقيق وشرح: قصي الحسين ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، ج1 ، 2003 ، ص23.

3 - أميل يعقوب وآخرون ، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية ، دار العالم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1987 ، ص342.

4 - سعيد علوش ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1985 ، ص202.

5 - إيميل بديع يعقوب ، موسوعة أمثال العرب ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، (د.ط) ، ج1 ، ص21.

مدخل _____ المثل (قراءة في الماهية و الخصائص)

نفهم من خلال هذا التعريف أنّ المثل يتّسم بالإيجاز و مرتبط ارتباطاً وثيقاً بمعتقدات النَّاس فيما بينهم دون أن يُصاحبه تغيير ما و يعتمد في أصله على المشابهة كما حللناها سابقاً .

و عرّفه شوقي ضيف أنّه :

" قَوْلٌ مُوجِزٌ سَائِرٌ ، صَائِبُ الْمَعْنَى ، تشبه به حالة حادثة بحالة سألفة" ، و هناك من يعرفه أيضا " أنّه عبارات تُضْرَبُ في حوادث مشبهة للحوادث الأصليّة التي جاءت فيها " ¹.

من خلال هذا التعريف نلاحظ جليا أنّ المثل لهُ مَوْرِدٌ و مضرب يتسم بالإيجاز لا الإطناب.

و عرّفه الباحثون أيضا : قولٌ سائر ، صائب المعنى يؤثر في النفوس كما تؤثر المطارق في المعدن وعادة تشبه به حالة حادثة بحالة سألفة ، مما يؤكد وراء كل مثل مضروب قصة حدثت و لها من الدلالات العامة و التأثيرات المباشرة و النتائج الفاعلة مما حولها إلى مرجع لأحداث لاحقة تجعل منها نافذة تطل منها لأخذ العبرة أو تحقيق القياس. ²

ينبني هذا المفهوم للمثل على قضية جوهرية ، و هي التأثير في نفوس المتلقين ، و تشبيه حالة جديدة بحالة قديمة ينبثق من قصّة معيّنة يأخذها الخلف عن السلف.

و عرفه الميداني بقوله :

" هو ذلك الفن من الكلام الذي يتميز بخصائص و مقومات تجعله جنسا من الأجناس الأدبية قائما بذاته و قسيما للشعر و الخطابة و القصة و المقالة و الرسالة و المقامة فالمثل إذن جنس أدبي و نشري له خصائصه التي تميزه عن الفنون الأدبية الأخرى " ³ .

من خلال التعاريف السابق ذكرها نستنتج أنّ:

- المثل هو : تشبيه حادثة جديدة بحادثة قديمة ، فالمثل يقومُ أساساً على المماثلة و المشابهة ، إذ نَصِلُ إلى أنّ المثل فنّ من الفنون الأدبية ذو أبعاد دلاليّة و معنويّة متعدّدة ، لهُ مَوْرِدٌ و مَضْرِبٌ ، و أنه ثابت لا يتغيّر ، أو بمعنى آخر ، هو ذلك الفن الأدبي مُحْكَمُ الصيّاغة بليغ التعبير ، يعبر عن تجربة إنسانية عميقة يحمل في حوزته القليل من الألفاظ في كثير من المعاني و الدلالات ينتج عن قصّة أو حادثة معيّنة قيل فيها المثل.

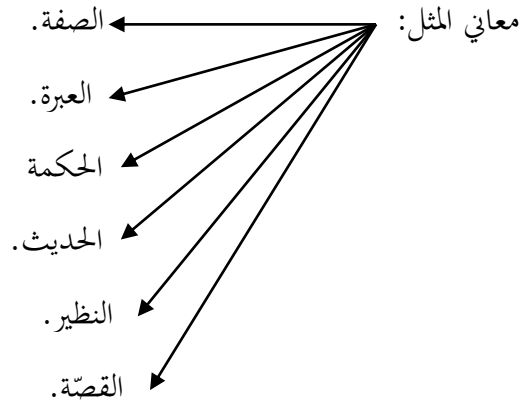
1 - شوقي ضيف ، الفن و مذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط9 ، (د.ت) ، ص 20 .

2 - محمد حسين العزة ، قصص الأمثال و روائع الأشعار العربية ، دار عالم الثقافة للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2011 ، ص 07

3 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج1 ، علق عليه : نعيم حسين زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ،

مدخل _____ المثل (قراءة في الماهية و الخصائص)

- إنّ مدلول المثل في المعاجم العربية يأتي بمعانٍ متعددة كالشّبه و النّظير و التسوية ، و الحديث و الحجّة و المماثلة و غيرها من المعاني ، و هذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أن المثل لا يتوقف عند حدود معنى واحد و إنّما يشمل معانٍ عديدة بطرائق مختلفات ، و يمكن تلخيص بعض معاني المثل كما يلي :



2- أنواع المثل :

يمكن تقسيم المثل بصورة عامة إلى ثلاثة أنواع هي :¹

2-1- المثل السائر :

و هو ما ينبثق عن تجربة شعبية بلا تكلف أو تصنع بحيث يُملّيه الواقع في الحياة ، فيستعمله كلّ من يمرّ بنفس التجربة تعبيراً عن موقفه في مناسبة معينة ، أو إبراز لفكرة أو شعور بتملّكاته ، و لا يقتصر ضرب المثل السائر على التجربة الشعبية بل قد يأتي به أهل العلم و المعرفة ... أو كما في قول أحدهم : " رُبَّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ " .

2-2- المثل القياسي :

و هو سرد وصفي أو قصصي أو صورة بيانية لتوضيح فكرة معيّنة عن طريق التشبيه و التمثيل ، و يسمّيه البلاغيون التمثيل المركّب ، أو التشبيه المتعدّد .

و يكون هذا النوع من أجل تشبيه شيء بشيء آخر لتقريب المعقول من المحسوس ، أو احد المحسوسين من الآخر ، و قد يكون من أجل التأديب و التهذيب ، أو للتوضيح و التصوير بحيث يكون فيه أطناب و يجمع ما بين عمق الفكرة و جمال التصوير ، و من قبيل هذا المثل القياسي ... القول القرآني : " وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً بَيْنَ عَمَقِ الْفِكْرَةِ وَ جَمَالِ التَّصْوِيرِ ، وَ مِنْ قَبِيلِ هَذَا الْمَثَلِ الْقِيَاسِيُّ ... الْقَوْلُ الْقُرْآنِيُّ : " وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً

¹ - سميح عاطف الزين ، الأمثال والمثل والتمثيل و المثلات في القرآن الكريم ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2000 م ، ص 27 .

مدخل _____ المثل (قراءة في الماهية و الخصائص)

كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَّرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ " فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ" ¹.

فقد ذكر الله تعالى هذه القرية في حالتين: إيمانها و كفرها...

و هو مثل يَصْلُحُ لِكُلِّ قَرْيَةٍ ، و يُقَاسُ عَلَى كُلِّ مَدِينَةٍ تَكُونُ حَالَهَا حَالَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ ، فَهِيَ عِنْدَمَا كَانَتْ تُؤْتَمَّرُ بِأوامر الله تعالى كانت آمنة مطمئنة يغدق سبحانه عليها كثيرا من رزقه الكريم ، فلما تولت عن أوامر ربها ، و كفرت بما أغناها به بالأمس من النعم ، أتاها عذاب الله و سخطه ، و نزل فيها الجوع و الخوف و النعمة ، و كل ذلك نتيجة لكفرها بالله عز وجل و جحودها بأنعمه ².

2-3- المثل الخرافي :

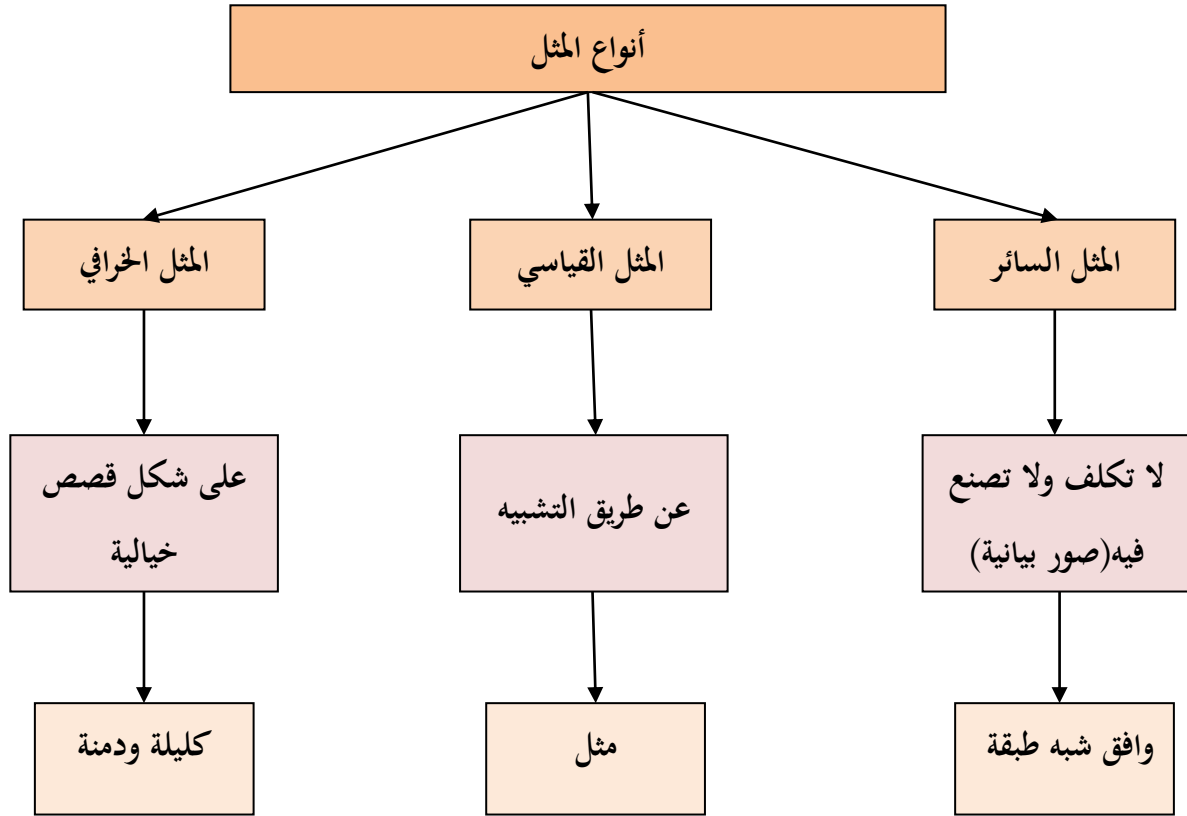
و هو ما تُنَسَّبُ فِيهِ أفعال البشر إلى الحيوان أو الطير أو الكائن الخارق ، و يكون هَدْفُهُ تعليميًا أو عِظَةً أو تَحْذِيرًا أو مَا شَابَهُ ... و لذلك يأتي على شكل قِصَصٍ خيالية أو فرضيات أو على شكل خرافات و أوهام كما هو الحال في كتاب " كليلة ودمنة " لابن المقفع و غيره من المؤلفات التي استُبدِلَتْ أشخاصها الأدميين بمخلوقات أخرى ، و لكنّها كانت تمثل بهذه المخلوقات للتدليل على ما قد يصادف الإنسان في حياته من قضايا و أحداث تهمّه و يعتقد أنّها مؤثرة على وجوده ³.

و لتوضيح الفكرة أكثر نبيّن ما سبق ذكره في المخطط الآتي :

1 - سورة النحل ، الآية 112 .

2 - سميح عاطف الزين ، الأمثال والمثل و التمثيل و المثالات في القرآن الكريم ، ص22.

3 - المرجع نفسه ، ص 29 .



من خلال تتبعنا لأنواع المثل نلاحظ أن المثل في العموم لا يخرج عن هذه التقسيمات التي رأيناها سابقا ، فالمثل السائر نُجدهُ سهلا واضحا لا صعوبة فيه و لا تعقيد يبيّن لنا حادثة معينة أصبحت مثلا مُتداولًا لكل من مرّ بنفس التجربة و مثال ذلك المثل المعروف " وَافَقَ شَنْ طَبَقَةَ " ، فهذا المثل معروف قصته و أضحى مثلا سائرا لكل من يمتلك الفطنة و الذكاء كَشَنُ إذ وجد في الأخير من يَتَوَافَقُ معه في ذكائه و فِطنته الخارقة .

أمّا المثل القياسي و هو يأتي على شكل سرد قصصي يتضمن صوراً بيانية عن طريق التشبيه و غيرها و مثال ذلك الآية القرآنية التي سبق ذكرها ، و المثل الخرافي يجري عادة على السنته الحيوانات و يرمي إلى هدف معين كما هو معروف في كليلة و دمنة لابن المقفع .

3- أهمية المثل :

للأمثال أهمية بالغة ، فلقد حظيت بمكانة رفيعة لا يمكن إنكارها باعتبارها نسيجاً ثقافياً بالغاً يعطي في النهاية دستوراً للناس ، هذا ما جعل " عبد المجيد قطامش " في مقدمة كتابه " الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية " يكشف عن أهمية المثل بقوله : " وجدت في الأمثال دلالات واضحة على حياة الأمة العربية ، و لاسيما في العصر الجاهلي ، فهي تكشف عن طبيعة هذه الحياة و تجلّي كثيرا من مظاهرها التي لم يهتم بها الشعر كثيرا ،

مدخل _____ المثل (قراءة في الماهية و الخصائص)

و أعني بذلك صور الحياة المعاشة اليومية التي يزاؤها الغني و الفقير ، و الرجل و المرأة ، من أعمال و حرف ...¹

يكشف هذا القول على أنّ المثل فيه العديد من صور الحياة ببساطتها ومصاعبها ، و لجميع الطبقات و المستويات (الغني ، الفقير ، الرجل ، المرأة ...) ، فهو يعبر عن روح الجماعة و الذّكرة الجماعية.

و رودولف زولهيم يعبر عن ذلك بقوله :

" الأمثال عند كل الشعوب مرآة صافية لحياتها ، تنعكس عليها عادات تلك الشعوب ، و تقاليدها و عقائدها ، و سلوك أفرادها و مجتمعاتها في ميزان دقيق لتلك الشعوب في رقيها و انحطاطها ، و بؤسها و نعيمها ، و آدابها و لغتها ... " ²

و يقول إيميل بديع يعقوب :

" إن موضوع الأمثال يكتسب أهمية من حيث ذبوع مادّته و انتشارها بين النّاس و امتزاجها الشديد بلغتهم و ارتباطها بمختلف جوانب حياتهم إذ أنّ الأمثال تمثّل رصيذا حضارياً هائلا لكلّ شعب من الشّعوب ، و من هنا كثر الإقبال على دراستها " ³

و يواصل حديثه عن أهمية المثل بقوله : " نرى أنّ للأمثال أهمية كبيرة في المجتمعات فهي من ناحية مرآة صادقة لحضارة الشّعب و ضروب تفكيره و من ناحية فلسفته و مثله الأخلاقية و الاجتماعية و الباحث يستطيع أن يدرس حضارة الشّعب و مثله و عاداته و تقاليد ، و أخلاقه من خلال أمثاله ، و للأمثال وظيفة تربوية إذ بما تتضمنه من حكم ، هي خلاصة للتجربة الإنسانية تسهم في تهذيب الأجيال و تقويم الأخلاق و إرشاد النّاس إلى الطّريق المستقيم ، و ربّ مثل يفعل في النّفس ما تعجز عنه مائة محاضرة في الأخلاق و المثل العليا ، و ما يقصّر دونه ألف كتاب في التّهذيب الاجتماعي و التوعّية الأخلاقية " ⁴

1 - عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية ، دراسة تاريخية تحليلية ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط1 ، 1988 ، ص 06.

2 - رودلف زيهام ، الأمثال العربية القديمة ، ترجمه وحققه وعلق عليه: د.رمضان عبد التواب ، دار الأمانة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1971 ، ص07.

3 - محمد جابر فياض العلواني ، الأمثال في الحديث النبوي الشريف، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، سلسلة الرسائل الجامعية ، ط3 ، 1990 ،

ص7

4 - إيميل بديع يعقوب ، موسوعة أمثال العرب ، ص68

مدخل _____ المثل (قراءة في الماهية و الخصائص)

و لا عَرَوْ ، فالأمثال لدى جميع الشعوب مرآة صافية لحياتها ... فالأمثال لها دلالة واضحة على حياة الأمة فما
بالنا بالأمثال العربيّة التي نمت بين أفياء أمتنا ، و تناهت إلى أسمع الناس جيلا بعد جيل ، إلا أنّها بلا شك
تُكشِفُ عن طبيعة حياة العرب و المسلمين ، و تجلّي كثيرا من مظاهر هذه الحياة البسيطة أو المعقدة ...¹

و هذا ما عبّر عنه الدكتور محمد توفيق أبو علي في قوله :

" نرى الأمثال ليست " متلقيا" فحسب بل تغدو قُطبا فاعلا في حياة النَّاس ، و في كثير من المجتمعات و
الحقبات التاريخيّة ، تُصَادِر الأمثال دور الايديولوجيا و تدخل في عمق الأنا الأعلى للفرد و الجماعة فتفعل فيهما
فعلها البليغ و توجهها كما تشاء".²

و لعل الحسن اليوسي كان واضحا كلّ الوضوح في تبيان أهميّة المثل في قوله :

" فَلَا يُخْفَى عَلَى ذِي مِيزٍ و لا يشتهبه على ذي لبّ ما جعل الله تعالى في المثل من الحكمة ، و أودع فيه
من الفائدة ، و ناط به من الحاجة فإنّ مَضْرِبَ المثل يُوضِّحُ الْمُبْهَمَ ، و يَفْتَحُ الْمُنْعَلِقَ و به يُصَوِّرُ الْمَعْنَى في
الدَّهْنِ".³

يتضح من خلال قول الحسن اليوسي ، أنّ المثل له فائدة عظيمة لا يمكن إنكارها ، و حاجة الناس الماسة إلى
الأمثال ، فالمثل يوضح كلّ القضايا المبهمة و المغلقة التي تخطر في بال الناس ، و لعل كتاب الله عز و جل كان
خير دليل لتبيان أهمية الأمثال في حياة الإنسان بصفة عامة .

و يقول العسكري : " و الأمثال نوع من العلم منفرد بنفسه و لا يقدر على التصرّف فيه إلا من اجتهد في طلبه
حتى أحكمه ، و بالغ في التماسه حتى أتقنه ، و قد عَلِمَ أنّ كلّ من لم يعني بها من الأدباء عناية تبلغه أفضى
غاياتها ، و أبعد نهاياتها ، كان منقوص الأدب ، غير تامّ الآلة فيه ، و لا موفور الحظ منه".⁴
و صفوة القول أنّ للمثل أهميّة بالغة على جميع الأصعدة (تاريخيا ، اجتماعيا ، ثقافيا الخ)

1 - المفضل الضبي ، أمثال العرب ، تحقيق وشرح وفهرسة د: قصي الحسين ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2003 ، ص 5-6 .

2 - محمد توفيق أبو علي ، الأمثال العربية و العصر الجاهلي (دراسة تحليلية) ، دار النقاش بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1988 ، ص 07 .

3 - الحسن اليوسي ، زهر الاكم في الأمثال و الحكم ، ص 34 .

4 - أبو هلال الحسين بن عبد الله العسكري ، جمهرة الأمثال ، ضبطه : احمد عبد السلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط1 ، 1988 ، ج1، ص 10.

مدخل _____ المثل (قراءة في الماهية و الخصائص)

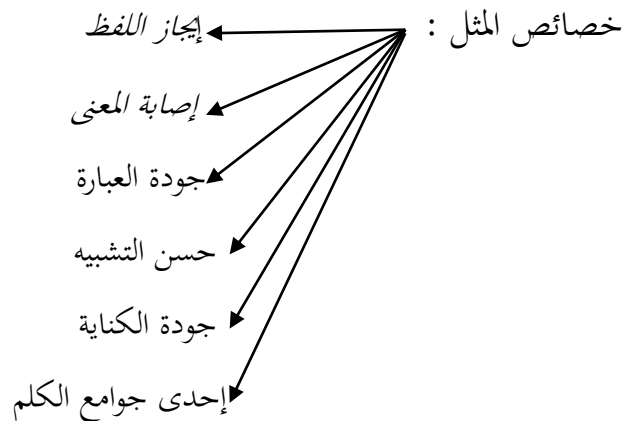
حيث نلاحظ أيضا اهتمام العديد من البلغاء و الفصحاء و الأدباء و علماء اللّغة و غيرهم بهذا الفن العريق ، و تكمن أهميته من خلال أوجه عديدة. يتضح ذلك من خلال اللّغة ، الأسلوب ، و التّصوير ، و الصياغة فهي تعبر عمّا هو موجود في الحياة الإنسانيّة أصدق تعبير من النّاحية الزّمانية و المكانيّة ، فعندما نأخذ هذا المثل الآتي: " إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعِ مَا شِئْتَ " فهو معروف قائله و عصره و بيئته و يمكن أن يتأثر الناس به في كل زمان و مكان ... لذلك يمكن القول بأنّ الأمثال هي فلسفة في الحياة بمختلف أوجهها (بأحزائها و أفراحها و مصاعبها...) هذا ما جعلها تشيع و تنتشر لأنّها لغة جميع المستويات و الطبقات نجدها عند الفقير ، الغني ، في المعاملات التجارية و الاقتصادية في شتى ضروب الحياة .

إذ نستشفّ من خلال تقديم المثل بصورة عامّة أنّه ينماز عن غيره من الفنون بالبلاغة و الفصاحة و الإيجاز في اللفظ ، و تضمّن العديد من الأساليب البديعيّة المختلفة كالطباق، الجناس، المحسنات وغيرها ... فهي من أشمل ميزات المثل.

فالمثل لا بدّ أن يكون موجز اللفظ ، و خفيف الألفاظ التي تحمل في طياتها العديد من المعاني و الأفكار ، و إصابة في المعنى. فهذه من أبرز سمات المثل العربي على حد قول إبراهيم النظام .

و معنى ذلك أن يكون المثل دقيق في معانيه ، فالمثل القائل : " في الصّيفِ ضيّعتِ اللّبن " من أبرز سماته الظاهرة إصابة المعنى و الدقّة في ذلك ، بالإضافة إلى حسن التشبيه مع جودة الكناية و تدخل هذه السمات الأربعة في صميم البلاغة العربية ، و هذا ما جعلهم يقولون بأنّ المثل هو نهاية البلاغة يحتوي على كلّ الرّكائز و المقومات البلاغيّة و الجماليّة التي تتميز بها بلاغتنا العربيّة.

و يمكن إجمالها في الترسمة الآتية :



4- الفرق بين المثل و الحكمة :

من الصعب التفريق بين المثل و الحكمة ، ذلك أنّ المثل قول موجز قيل في مناسبة ما و أصبح يُتمثل به للتعبير عن كل حالة تشبه المناسبة التي قيل فيها لأول مرة ، في حين أنّ الحكمة هي نتيجة أو رؤية تأملية تجريدية ، فهي نابعة من الخبرة و التجربة الإنسانية و تعبر عن رأي الفرد و عقله فرغم وجود نقاط الالتقاء بينهما إلا أنّه توجد العديد من الفروقات .

فالحكمة كلام يُوافق الحقّ ، و يدعو إلى السداد ، و يُعلّم الاستقامة المسلكية ، كما أنّه دعوة إلى تزيين النفس بالفضيلة ، و الاعتدال في السيرة و السريرة ، و الوفاء بالوعد ، و الصبر في الشدائد و العدل الاجتماعي ، و العفو عند المقدرة ...¹

فالحكم عبارات موجزة ، تمتاز بفكرة قويّة ، هي ثمرة التفكير أو الاختيار ، تُخرج مُقتضبة و رشيقة المبنى ، تُعلّق في الأذهان بسهولة ، لأنّها تردّ في صورة قوية و كلمات مصقولة ، و جمل مرصّعة² .
للحكمة في اللغة ... تعريفات مختلفة منها أنّها " كلام موافق للحق " و الكلام الذي يقلّ لفظه و يحلّ معناه أو العبارة التجريدية التي تُصيب المعنى الصّحيح و تُعبّر عن تجربة من تجارب الحياة أو خبرة من خبراتها و يكون هدفها عادة الموعدة و النصيحة³ .

و من خلال عرضنا لمفاهيم أولية عن الحكمة نأتي لرصد أهمّ الفروقات الموجودة بينهما .
يختلف المثل عن الحكمة في أمور أساسية منها⁴:

أ- الشبوع : فالحكمة لا تسيرُ سير المثل و لا تشيّعُ شيوعه و إلاّ أصبحت مثلاً فليست كلّ حكمة مثلاً و لكن كلّ حكمة شائعة مثل .

1 - حسن مغنية ، نخب الحكم و الأمثال ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، د ط ، 2005 م ، ص 09

2 - المرجع نفسه ، ص 09 / 10

3 - إميل بديع يعقوب ، موسوعة أمثال العرب ، ص 23

4 - المرجع نفسه ، ص 23 / 24

مدخل _____ المثل (قراءة في الماهية و الخصائص)

ب - صدق النظرة و صواب المضمون : فالحكمة وليدة تجربة و عقل مفكّر و هي تصدّق غالبًا في كلّ زمان و مكان أمّا المثل فربّما لا يتضمن فكرة ثابتة أو رأيًا سديدًا و إذا كانت كلّ حكمة شائعة مَثَلًا فليس كلّ مَثَل حكمة شائعة .

ج - المضمون الفكري : فالحكمة رأي سديد أو فكرة صادقة أثبتتها التجربة و صقلها العقل ، و غايتها النَّصح و الإرشاد أمّا المَثَل فلا يشترط اشتماله هذه الفكرة أو ذاك الرأي إذ قد يكون تعبيرًا مثليًا يتمثّل به شبيه شيء بشيء أو لتوضيح فكرة أو لوصف حالة .

- إنّ المثل أساسه التّشبيه أي تشبيهه مضربه بمورده ، أمّا الحكمة فأساسها إصابة المعنى .

- إنّ المَثَل موجز الأسلوب ، أمّا الحكمة فقد تكون موجزة الأسلوب و قد لا تكون ¹ .

- أنّ الهدف من المثل الاحتجاج ، و من الحكمة التنبية و الإعلام و الوعظ ² .

و لكن ألا توجد علاقة بين المثل و الحكمة ؟

في حقيقة الأمر أنّ المثل و الحكمة قد يلتقيان ، و ذلك حين تحسن الحكمة ، و تكون موجزة العبارة ، فيتهيأ لها بذلك أن تسيّر بين الناس ، و تتداولها ألسنتهم و أقلامهم ، فتدخل حظيرة الأمثال و إذًا فالحكمة نوعان : نوع يسير و يفشو فيصبح مَثَلًا ، و نوع لا يتهيأ له ذلك فلا يُسمّى مَثَلًا .

و قد حفلت كتب الأمثال بكثير من النوع الأوّل ، كقولهم : " السّرُّ أمانة ، العدة عطية ، أعذر من أنذر ... إذا رأيت الرّيح عاصفًا فتطامن ، إنّ الكذب قد يصدّق ، مُعاداة العاقل خير من مُصادقة الأحمق ... " ³ فهذه العبارات و أمثالها حكم في أصلها ، أُريد بها النَّصح و الإرشاد ، و لكنّها فشّت بها النَّاس ... و جرت على أقلامهم لما تتضمّن من إصابة المعنى ، و روعة التعبير ، فصارت أمثالاً ⁴ .

و فيما عدا هذا النوع من الحكم يفترق كلّ من المَثَل و الحكمة ، و يذهب كلّ منهما في طريق ، فهناك كثير من الأمثال لا يمتُّ إلى الحكم بسبب ، كقولهم : " رجع بخفي حنين ، الصّيف ضيّعت اللّبن ، دقّوا بينهم عطر

1 - اميل بديع يعقوب ، موسوعة أمثال العرب ، ص 23 / 24

2 - عبد المجيد قطامش ، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية ، ص 18

3 - المرجع نفسه ، ص 19

4 - المرجع نفسه ، ص 19

مدخل _____ المثل (قراءة في الماهية و الخصائص)

مُنشَم ... " ، و هناك كثير من الحكم ليست من الأمثال في شيء ، وهي لا تُحصى عدداً و منها الحكم الإنشائية التي تشتمل على أوامر و نواه ، يُقصد بها صلاح الدنيا و الآخرة ¹ .

و ما نلاحظه من خلال الفرق بين المثل و الحكمة أنّ :

- المثل تعبير تصويري إيحائي أكثر منه مُقننا ، يختلف عن الحكمة في شيعه و عمومه و غرضه و أدائه التصويري، و كلّ مَثَلٍ حكمة ، و ليس كلّ حكمة مَثَلًا ، و لعلّه أن يكون أقدم الفنون التعبيرية التي عرفها الإنسان ، فقد يكون البذرة الأولى للقصّ و الإنشاء كما أنّه قد يكون مُمهّداً لظهور الفنّ الشعري ² .

- و يتميز فنّ الأمثال عن غيره من الفنون باعتماده على المتلقي ، و بقدرته الاختزالية للتجارب و الأحوال ، و قد نُظر إليه في كتب البلاغة على أنّه فن مستقل ³ .

نستنتج ممّا تقدّم أنّ المَثَل و الحكمة قد يشتركان في بعض المميزات إلّا أنّ هناك أوجه عديدة للاختلاف بينهما، لذلك نحاول توضيح نقاط التقاطع و الاختلاف كما هو مبين في الجدول الآتي :

| نقاط الاختلاف | نقاط التقاطع |
|--|---|
| - المَثَل له مورد و مضرب بخلاف الحكمة | - قالب لغوي نثري |
| - تتوقف الحكمة عند خاصّة الناس و ليس العامة | - صدق التجربة الإنسانية |
| بخلاف المثل | - إيجاز العبارة |
| - الحكمة تُمثل صوت العقل و لا تصدر إلّا من رجل حكيم عاقل | - سهولة الحفظ |
| - الحكمة عامّة في الأقوال و الأفعال ، المثل خاص بالأقوال . | - إحدى جوامع الكلم |
| | - قمة في الاقتصاد اللغوي |
| | - دقّة التشبيه و جمال التعبير |
| | - ترابط الألفاظ عبر تناسق إيقاعي و تجاذب صوتي |
| | - مُكثّفة دلاليًا |

1 - عبد المجيد قطامش ، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية ، ص 20

2 - أمين عبد الله محمد يزيد ، الخصائص الفنية في الحكم و الأمثال العربية ، دراسة تحليلية تطبيقية على كتاب مجمع الأمثال للميداني ، بحث مقدّم لنيل درجة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية و آدابها ، كلية الآداب ، جامعة النيلين ، 2005 م ، ص 04

3 - المرجع نفسه ، ص 04

الفصل الأوّل : التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

المبحث الأول : التداولية (النشأة و التطور)

أولاً : التداولية

ثانيا : نشأة التداولية و تطورها

ثالثا : التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى

رابعا : أهم المفاهيم التداولية

خامسا : عناصر التداولية

سادسا : أهمية التداولية

المبحث الثاني : تطور نظرية الأفعال الكلامية (مفاهيم أولية)

أولاً : ماهية الفعل الكلامي

ثانيا : نظرية الأفعال الكلامية حسب نموذج أوستين (Austin)

ثالثا : الأفعال الكلامية حسب نموذج (Searle)

رابعا : الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي من خلال التركيز على ظاهرة الخبر و

الإنشاء عند بعض العلماء العرب

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

المبحث الأول : التداولية (النشأة و التطور) :

تُعَدُّ التداولية من أهم النظريات اللسانية الحديثة التي لاقت اهتمامًا و رواجًا من قِبل العديد من الدارسين و الباحثين ، و خاصة في السنوات الأخيرة ، فتضاربت الآراء حول تحديد هذا المصطلح ، فلا يوجد تعريف جامع مانع له ، و ذلك بسبب تداخلها مع العديد من العلوم و المعارف كعلم الدلالة ، النحو ، البلاغة ، علم الاجتماع و علم النفس ... الخ و هذا ما حددته فرانسواز أرمينكو **Françoise Armingaud** في قولها : " ليست التداولية درسًا مُنكفئًا على نفسه ، فهي تصدر مفاهيمها في اتجاهات متعدّدة ... بل تتدخّل في قضايا كلاسيكية داخلية للفلسفة ، فهي تُلهِمُ الفلاسفة ... و نكادُ نرى جيّدًا على العكس من ذلك إلى أيّ حدّ تكونُ التداولية مفتقر طرق غنية لتداخل اختصاصات اللسانيين ، المناطقة ، السيميائيين ، الفلاسفة ، السيكلوجيين ، فَنَظْمُ التقاطعات هو نَظْمُ الالتقاءات و الإفتراقات " ¹.

يَتَّضح مما سبق ذِكْرُهُ أَنَّ التّدَاوِلِيَّةَ عِلْمٌ شاسع ، يتداخل مع علوم شتى هذا ما يجعلها تتداخل و تتقاطع مع تلك العلوم و المعارف نظرا للأهمية التي حظيت بها.

و نظرا للأعراف المنهجية الراسخة في مضمار البحث العلمي أنه يلزم لتحديد أي مصطلح المرور بمحطتين اثنتين متكاملتين ، أولها تُعنى بالجانب اللغوي (المعجمي) ، و الثانية تهتم بالجانب المفاهيمي (الاصطلاحي) ، و عملا بهذا العرف سنتعامل مع مصطلح التداولية (**Pragmatique**) الذي يعتبر من أكثر المصطلحات تداولاً في الكتب اللسانية الحديثة لأنّ " التحكّم في المصطلح هو تحكّم في المعرفة المراد إبلاغها و القدرة على ضبط أنساقها " ².

أولاً : التداولية :

1- مفهوم التداولية :

1-1- لغة :

ما يقابل التداولية في اللغة الفرنسية (**Pragmatique**) و الإنجليزية (**Pragmatic**) ، و قد تمت ترجمته إلى عدة مصطلحات من بينها : الدّرَائِعِيَّة ، التداوليات ، التداولية ، البراغماتية ، النفعية ، المقامية ، علم الاستعمال ... و غيرها من المصطلحات التي لا تُعدّ و لا تُحصى ، و هذا يدخل ضمن إشكالية المصطلح النقدي ، و هذا راجع لا محالة إلى اختلاف في الترجمة و الخلفية التي ينطلق منها المترجمون .

¹ - فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية ، ترجمة : سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، لبنان ، (د.ط) ، 1986 ، ص 11 .

² - علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1 ، 2000 ، ص 11.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

يرجع مصطلح التداولية (**pragmatique**) في الدراسات الغربية إلى الكلمة اللاتينية (**pragmatics**) المبنية على الجذر (**pragma**) ، و يعني العمل أو الفعل (**action**).
أما في أصله العربي فلقد أجمعت جُلُّ المعاجم العربية على أنّ الجذر اللغوي لمصطلح التداولية (**pragmatique**) هو الفعل الثلاثي (دَوَّلَ) .

فقد وردت في لسان العرب في مادة (دَوَّلَ) و تَدَاوَلْنَا الأَمْرَ : أَخَذْنَاهُ بِالدُّوَلِ ، وَ قَالُوا : دَوَّالِيكَ أَيُّ مُدَاوَلَةٍ عَلَى الأَمْرِ وَ دَالَتِ الأَيَّامُ أَيُّ دَارَتْ ... وَ تَدَاوَلْتُهُ الأَيْدِي أَخَذْتُهُ هَذِهِ مَرَّةً وَ هَذِهِ مَرَّةً¹
و جاء في أساس البلاغة : دَالَتْ لَهُ الدُّوَلَةُ ، وَ دَالَتِ الأَيَّامُ بِكَذَا أَدَالَ اللهُ بَنِي فُلَانٍ مِنْ عَدُوِّهِمْ : جَعَلَ الكَرَّةَ لَهُمْ عَلَيْهِ².

و هذا ما نجده عند صاحب القاموس المحيط حيث يقول : " الدَّوَلَةُ إِتْقَابُ الرِّمَانِ وَ العُقْبَةُ فِي المَالِ وَ قَدْ أَدَالَهُ وَ تَدَاوَلُوهُ : أَخَذُوهُ بِالدُّوَلِ وَ دَوَّالِيكَ أَيُّ مُدَاوَلَةٍ عَلَى الأَمْرِ أَوْ تَدَاوُلٌ بَعْدَ تَدَوُّلٍ ... " ³ .

نَلْحِظُ جَلِيًّا من خلال هذه التعاريف المعجمية لمداولية أنها وردت بمعنى التحوُّل من حال إلى حال ، أو من مكان إلى مكان آخر و مجموع هذه المعاني : التحوُّل ، و التناقل الذي يقتضي وجود أكثر من حال ينتقل بينهما الشيء ، و تلك حال اللُّغة متحوِّلة من حال لدى المتكلِّم إلى حال أخرى لدى السامع⁴.

نفهم من خلال هذا التعريف أنّ التداولية (**pragmatique**) مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بين طرفين أساسيين هما المتكلِّم و السامع لوجود علاقة تفاعل و تواصل بين الاثنين " فيكون التداوُلُ جامعا بين جانبيين اثنين هما : التَّوَاصل و التَّفَاعُل فمقتضى التداوُلِ إِذْ أَنْ يَكُونَ القَوْلُ مَوْصُولًا بِالفِعْلِ " ⁵.

1 - أبو الفضل جمال الدين ابن منظور ، لسان العرب ، ص 1456

2 - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص 303

3 - محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، ص 577

4 - خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2009، ص1، ص148.

5 - طه عبد الرحمان ، تجديد المنهج في تقويم التراث ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط2 ، 2005 ، ص 244 .

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

فأساسُ الدرسِ التداولي هو التفاعل و التواصل بين المتكلم و المستمع. و حاصل النظر فيما عرضناه أنّ المعاني التي يدور فيها الجذر (دَوْل) لا تخرج عن إطار التحول الذي يعد قوام التفاعل و التواصل.

1-2- اصطلاحًا :

أمّا من الناحية الاصطلاحية فمن أبرز المفاهيم التي أُطلقت على التداولية المفهوم الذي قدّمه كلٌّ من جاك موشلر **J.Moechler** و آن ريبول **Anne Reboul** و يظهر ذلك في قولهما : " تُعرّف التداولية بأنّها دراسة استعمال اللغة مُقابل دراسة النظام اللساني الذي تُعنى به تحديدًا اللسانيات " ¹.
فالتداولية من خلال التعريف مرتبطة بمجال الاستعمال مقابل ما كانت تهتمُّ به اللسانيات السوسيرية - دراسة اللّغة لذاتها ومن أجل ذاتها .

و ما يؤكّد قول جاك موشلر وان ريبول ما ذهب إليه كلا من باتريك شارودو **Patrick Charoudeau** و دومنيك مانغونو **Dominique Mainguenu** في قولهما : " يمكن أن تُعيّن التداولية في استعمالها صفة مكوّنًا للغة بجانب المكون الدلالي و المكوّن التركيبي " ².
فالتداولية إذا تهتم باللّغة إلى جانب اهتمامها بالمكوّنات الدلالية و التركيبية.
كما اهتم الباحثون بالتداولية و أفردوا لها العديد من التعاريف و من بين هؤلاء نجد صلاح فضل حيث عرفها بقوله :

" فالتداولية إذ تُعنى بالشُّروط و القواعد اللاّزمة الملائمة بين أفعال القول و مقتضيات المواقف الخاصّ به ، أيّ العلاقة بين النص و السياق " ³.

فالنص يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالسياق ، و يقصد صلاح فضل هنا بالسياق الخارجي الذي تعنى به التداولية. فهي مرتبطة بأفعال القول والمواقف و هذا ما لم نلاحظه في اللسانيات السوسيرية التي كانت تقوم على مبدأ المحايثة أي تفسير اللغة باللغة أو شرح النص من داخله دون العودة إلى سياقات إنتاجه الخارجية ، فالتداولية تدخل ضمن المناهج المابعد البنيوية إذ تهتم باستعمالية النص وفق ظروف إنتاجه و تلقيه .

1 - جاك موشلر وان ريبول ، القاموس الموسوعي للتداولية ، تر: مجموعة من الأساتذة ، دار سيناترا ، تونس ، 2010 ، ص 21.

2 - باتريك شارودو ، دومنيك مانغونو ، معجم تحليل الخطاب ، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود ، دار سيناترا ، تونس ، 2008 ، ص 442.

3 - صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، الشركة المصرية العالمية للنشر لوجنمان ، مصر ، ط 1 ، 1997 ، ص 20.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

كذلك نجد طه عبد الرحمن اهتم بهذا العلم في مؤلفاته ، و كان أول من أدخله إلى الثقافة العربية إذ يعرف التداولية بأنها :

" الدراسات التي تختص بوصف - وإن أمكن بتفسير - العلاقات التي تجمع بين الدوال الطبيعية و مدلولاتها و بين الدالين بها " .¹

فالتداولية من منظوره هي العلم أو الدراسة التي تهتم بالعلاقة بين الدال و المدلول أي بين الصورة الصوتية و بين المفهوم أو التصور الذهني.

و يعرفها محمد محمد يونس (Pragmatic) بأنه : " دراسة كيف يكون للقولات معانٍ في المقامات التخاطبية " ²

و قول الشهري : " دراسة الاتصال اللغوي في السياق " ³ معنى ذلك أن التداولية تهتم بالملفوظ و علاقته بأحوال المتخاطبين و ظروفهم فهي في منظوره أيضا علم دلالي و ليست علما لغويا محضا ، يكتفي بدراسة المستويات اللغوية بعيدة عن السياق ، و لكنها تتجاوز ذلك إلى دراسة الظواهر اللغوية مرتبطة بالسياق ، أي دراسة اللغة في الاستعمال اليومي، و هذا ما أهملته الدراسات اللسانية السابقة ، و خاصة البنيوية التي جعلت من اللغة بنية مغلقة على ذاتها منقطعة عن التفاعل مع متلقي النص .

و يعرفها كذلك محمود أحمد نحلة بقوله : " تقوم على دراسة الاستعمال اللغوي أو هي لسانيات الاستعمال اللغوي ، و موضوع البحث فيها هو توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي من حيث هو صيغة مركبة من السلوك الذي يولد المعنى " .⁴

نلاحظ جليا من خلال هذا التعريف كيف أضحت التداولية جوهر اهتمامها هو الاستعمال الفعلي للغة و جوهر البحث فيها توظيف المعنى في مجال الاستعمال.

و يصرح صابر الحباشة بأنها : " العلم الذي يدرس علاقة العلامات بمؤوليها هذا هو التعريف الأولي للتداولية " .⁵

¹ - طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الرباط ، المغرب ، ط 2 ، 2000 ص 28
² - محمد محمد يونس علي ، مقدمة في علمي الدلالة و التخاطب ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2004 ، ص 13
³ - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب - مقارنة لغوية تداولية - ، دار الكتاب الجديد ، لبنان ، ط 1 ، 2004 ، ص 22
⁴ - محمود احمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر (د.ط) ، 2002 ، ص 14 .
⁵ - صابر الحباشة ، مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية ، قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني ، دار صفحات للنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا ، (د.ط) ، 2011 ، ص 32 .

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

يظهر تصريح صابر الحباشة مباشرةً و واضحًا كَوْن التداولية علم يدرس و يهتم بعلاقة العلامات بمستعملها ، هذا الرأي نجدُه أيضًا عند بهاء الدين محمد مزيد في قوله : " فالتداولية **pragmatics** هي دراسة اللّغة قيّد الاستعمال أو الاستخدام **language in use** بمعنى دراسة اللّغة في سياقاتها الواقعية لا في حدودها المعجمية أو تراكيبيها التّحوية...¹"

يظهر تصريح هذا الباحث مباشرةً أنّ التداولية لا تُخْرَج عن دائرة الاستعمال فهي مرتبطة بدراسة اللّغة في الواقع و تتجاوز الحدود اللّغوية ، و التركيبيّة ، و التّحوية إلى الحدود السياقية و المقاميّة .

1-3- التداولية في المعاجم الأجنبية :

ذُكر مصطلح التداولية في معجم تحليل الخطاب لباتريك شارودو (**Patrick Charoudeau**) و دومينيك مانغينو (**Dominique Maingueneau**) كما يلي :

البراغماتية : مفهوم يوظف سواء كاسم " مقارنة براغماتية " و كصفة " براغماتية " إنّ قيمته غير مستقرة : حيث أنّه يسمح لنا في نفس الوقت بوصف فرع من فروع اللسانيات ، أحد تيارات دراسة الخطاب أو البراغماتية بأكثر شمولية على أنّها نوع من تصميم اللغة ، توظف كنعته (صفة) ، يمكنها أن تحدد أحد مكونات اللغة إلى جانب المكون الدلالي و المكون النحوي . ظهر هذا المفهوم من التقسيم الثلاثي ل (ك. موريس 1938) الذي ميز بين ثلاث مجالات في فهم أي لغة سواء كانت لغات رسمية أو طبيعية :

1- النحو : الذي يختص بالربط بين العلامات اللغوية مع العلامات الأخرى .

2- الدلالة : و تختص بعلاقتها مع الواقع .

3- البراغماتية : تهتم بالروابط بين العلامات اللغوية و مستعملها ، و توظيفها و الأثر الذي تحدده.²

¹ - بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية - من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 2010، ص18.

² - Patrick Charoudeau , Dominique Maingueneau , dictionnaire d'analyse du discours du seuil , 2002 , p 454

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

يظهر من خلال التعريف أنّ التداولية فرع من فروع اللسانيات تهتمّ بدراسة العلامات بمستعملها ، فالتداولية انبثقت من التقسيم الثلاثي الذي حدده موريس و اعتبر أنّ هذه المستويات الثلاثة مرتبطة و متعاضدة فيما بينها. عُرِّفت التداولية كذلك في بعض المعاجم الأجنبية أنّها دراسة اللّغة أثناء استعمالها مع اهتمامها بالمعنى و السياق الذي وُردت فيه و يظهر ذلك معناها في معجم أكسفورد كالآتي :

* **التداولية** : (اسم اللسانيات) هو دراسة كيفية استخدام اللغة للتعبير عن المعنى المقصود في وضعية ما ، بالأخص عندما تبدي الكلمات المستعملة دلالة على معنى مختلف.

* **البراغماتية** : اسم (اصطلاحاً) هو التفكير في إيجاد حلول للمسائل بطريقة عملية و ملموسة بدلاً من ترسيخ أفكار و نظريات.¹

إذ نفهم جلياً أنّ التداولية هي دراسة اللّغة أثناء الاستعمال خلال سياق معيّن قصد إفهام و إيصال المعنى للمتّلق أو المتلقّي.

و لعلّ قاموس **جون ديوبوا (Jean Dubois)** خير مثال يجسد هذا المصطلح في قوله :
" و نجد تحت البراغماتية من حيث هي منهج توجهات مختلفة ففي البدء كانت تُعنى بخصائص استعمال اللّغة ، أيّ الدّوافع النفسية للمتكلّمين و ردود أفعال المستقبلين و النماذج الاجتماعية للخطاب و موضوعه و ذلك بمراعاة الخصائص التركيبية ، الدلالية ثم تحوّلت فيما بعد مع جون أوستين إلى دراسة أفعال اللّغة إلى أنّ امتدّت و اتّسعت لتشمل نماذج الاستعمال و التلفظ و شروطه الصّحة و التحليل الحوارية "².
فالدرس التداولي اهتمّ بدراسة : " المنجز اللغوي في إطار التواصل ، و ليس بمعزل عنه ، لأنّ اللّغة لا تؤدي وظائفها إلّا فيه ، فليست وظائف مجردة و بما أنّ الكلام يحدث في سياقات اجتماعية ، فمن المهم معرفة تأثير هذه السياقات على نظام الخطاب المنجز "³.

¹ - Michael Ashby : Oxford advanced learner's dictionary of current english , sixth edition : sally Wehmeier , oxford university press , 2000 , p 990

² - Jean Dubois et autres , Larousse , dictionnaire , dictionnaire de linguistique et des science de langue , paris , 1999 , p 375.

³ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقارنة لغوية تداولية) ، ص23.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

إن عزوف الدراسات اللغوية التقليدية عن المقاربات التي تضع نصب أعينها الجانب الوظيفي للغة و أبعادها التواصلية ، فقد أبرز عدّة مشكلات في التحليلات اللغوية (الشكلية) ، و لهذا السبب يرى الكثير من اللغويين أنّ في المنهج التداولي حلا للعديد من هذه المشكلات من خلال إثارة مجموعة من الأسئلة و محاولة للإجابة عنها و من بينها:¹

" ماذا نصنع حين نتكلّم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلّم؟ لماذا نطلب من جارنا حول المائدة أن يهدنا بكذا ، بينما في مقدوره أن يفعل؟ فمن يتكلم إذن؟ و إلى من يتكلم؟ من يتكلم و مع من؟ من يتكلم و لأجل من؟ ماذا علينا أن نعمل حتى يرتفع الإبهام عن جملة؟ ماذا يعني الوعد؟ كيف يمكننا قول شيء آخر ، غير ما كنا نريد قوله؟ هل يمكن أن نركن إلى المعنى الحرفي لقصد ما؟ ما هي استعمالات اللغة؟ أي مقياس يحد قدرة الواقع الإنساني اللغوية؟".²

إنّ هذه الأسئلة و غيرها أسهمت مساهمة كبيرة في خلق جو التفاعل و الحوار بين المرسل و المرسل إليه ، و تبسيط الجهاز المفاهيمي و الإجرائي للدرس التداولي أساسه التواصل و التفاعل عكس ما كان سائد في اللسانيات السابقة.

و بذلك كان المنهج التداولي كبديل حتمي فرض وجوده في المسار التاريخي للسانيات الذي كان فقيرا لمثل هذا التطور الشاسع.

ثانيا : نشأة التداولية و تطورها :

من المعروف لدينا أنّ التداولية مجال خصب و واسع ، و بعد تطرقنا إلى تعاريف التداولية عند أبرز العلماء و المفكرين ارتأينا أن يكون هذا العنصر إطلالة متميزة تومئ لنا عن تطور التداولية و كيف كانت بذورها الأولى.

أبرز حقل معرفي أثر في ظهور التداولية هو حقل الفلسفة التحليلية **La philosophie analytique** و التي تُعتبر لدى الكثير المنبع الأوّل الذي انبثقت منه أولى البوادر التداولية لاسيما ما تعلق منها بظاهرة الأفعال الكلامية (**Les actes de langage**) و لذلك فإنّ أكثر ما يشدّ الاهتمام في الفلسفة التحليلية هو ما

¹ - فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 07.

² - المرجع نفسه ، ص 07.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

انبثق من هذه الظاهرة التي انجر عنها ولادة التيار التداولي في البحث اللغوي لأن الفلسفة التحليلية هي السبب الرئيسي في نشوء اللسانيات التداولية.¹

من هنا يتضح أنّ التداولية لم تنشأ هكذا من فراغ و إنّما كانت الفلسفة التحليلية مصدرا رئيسياً في نشوئها ، إذ ظهرت بشكل واضح في الفكر اللساني الغربي الحديث ، بحيث أضحت تياراً موازياً لتيار البنيوية ، و تيار التوليدية التحويلية بزعامة تشومسكي ، إلاّ أنّه قد أعتُرف بها في العقد السابع من القرن العشرين بعدما أسهم في تطويرها عمالقة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى مدرسة أوكسفورد و في مقدمتهم أوستين (Austin) ، سيرل (Searl) و غرايس (Grice) ... وغيرهم .

و تُشير الجذور التاريخية لفكرة التداولية إلى تأثيرها بالمذهب الفلسفي **pragmatisme** و إن كانت جذورها الأولى ترجع إلى أبعد من ذلك بكثير ، إذ ترجع إلى ورائع تربطها بعمق تاريخ الفكر الغربي.² فالتداولية إذن مصدرها غربي لها علاقة عميقة بتاريخ الفكر الغربي ، فالسؤال الذي يطرح نفسه ، كيف انبثق التيار التداولي من رحم الفلسفة التحليلية ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه في هذه السطور .

انبثق تيار الفلسفة التحليلية (**philosophie analytique**) في الظهور بشكل واضح في النصف الثاني من القرن العشرين و تحديدا في فيينا الموجودة بالنمسا و من بين الفلاسفة الذين حملوا على عاتقهم لواء هذا التيار: لودفيغ فيتجنشتين **L.wittgenstein** برتو ندرسل **B.Russel** ، رودلف كارناب **R.carnap** و جلبرت رايل **G.Ryle** ، و تظهر معالم و أسس هذا الاتجاه الفلسفي بصورة شاملة في الفيلسوف الألماني " غوتلوب فريجه " **Gottlob Frege** ، " و قد اقتفى الفيلسوف النمساوي فيتجنشتين أثر فريجه فانتقد مبادئ الوضعانية المنطقية و أسس اتجاهها فلسفيا جديدا سمّاه فلسفة اللغة العادية و قوامها الحديث عن طبيعة اللغة و طبيعة المعنى في كلام الرجل ، أهم ما يميز فلسفة فيتجنشتين بحثه في المعنى و ذهابه إلى أنّ المعنى ليس ثابتا و لا محددًا " .³

¹ - عبد القادر عوّاد ، آليات التداولية في تحليل الخطاب (الخطاب الأدبي نموذجاً) ، البيان ، مجلة أدبية ثقافية ، العدد 491 ، تصدر عن رابطة الأدباء الكويت ، يونيو 2011 ، ص 26 .

² - عيد بلبع ، التداولية ، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس ، فصول ، مجلة النقد الأدبي ، العدد 63 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ربيع 2005 ، ص 6

³ - مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية ، دار التنوير للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 2008 ، ص 20

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

كما ميّز في كتابه بين اسمين : "اسم العلم" و "المحمول" ، إذ يقول فريجه في هذا الصدد الذي يميز فيه بين الاسمين: أن التصور كما افهمه يقوم بوظيفة المحمول أما اسم العلم فإنه عاجز تماما عن استخدامه كمحمول ، يبدوا أن ذلك محتاج لتوضيح و إلا كان التمييز باطلا¹ ، حيث يرى فريجه أن " اسم العلم يشير إلى شيء فردي معين فهو بذلك يؤدي معنى تاما و لا يحتاج إلى لفظ آخر ليتم معناه ، أما " المحمول" فهو يدل على تصور "concept".²

و من هنا ظهرت فكرة العاب اللّغة عند فيتجنشتين الذي يرى أنّه عندما يستعمل الفلاسفة كلمة " المعرفة " و "الوجود " و "الشيء " و "الأنا " و " القضية " و " الاسم " و يحاولون إدراك ماهية المسألة. فيجب على الواحد منهم أن يسأل نفسه دائما : هل يتم استعمال الكلمة بالفعل دائما بهذه الطريقة في لعبة اللّغة التي هي موضعها الأصلي ؟ إنّ ما تفعله هو إعادة الكلمات من استعمالها الميتافيزيقي إلى استعمالها في الحياة اليومية ؟ حيث ركّز هذا الباحث من خلال تحليلاته على البحث في طبيعة اللّغة وطبيعة المعنى ، بعيدا عن كلّ تفسير غيبي أو ما ورائي ، و من هنا أصبحت المهمة الأساسية للفلسفة التحليلية هي البحث في اللّغة و توضيحها وفق منهج تحليلي بعيدا عن كلّ تفسير ميتافيزيقي.³

و كانت هذه بداية لاتجاه فلسفي جديد عرف باسم " فلسفة اللّغة العادية " الذي يذهب إلى أنّ اللّغة هي الأداة الحقيقية التي تمكّنهم من فهم المعنى الذي تحمله في طياتها و بالتالي فهم الكون و حقيقة علاقتنا به فهما صحيحا إذ أنّ جميع الحالات الموضوعية لشؤوننا ، و جميع العلاقات الذاتية مع الأفراد و المجتمع و مع تاريخ الجنس البشري قائم على أساس لغوي إن أراد أن يكون له معنى ، فالطابع اللغوي مرتبط دائما و أبدا بالفهم ، مادام المعنى الذي تنقله لنا اللّغة لا يصير ملموسا إلا على هذا النحو فالوجود الذي يُمكن أن يكون مفهوما أولاً هو اللّغة.⁴ و نتيجة لهذا التضارب في الآراء و اختلاف وجهات النظر في اللّغة و طريقة تحليلها و دراستها انقسم تيار الفلسفة التحليلية إلى ثلاث اتجاهات كبرى و هي:⁵

¹-محمود فهمي زيدان ، في فلسفة اللّغة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان، د. ط ، 1984 ، ص 13 .

²- المرجع نفسه ، ص 13.

³- مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية ، ص 20.

⁴- المرجع نفسه ، ص 21.

⁵- المرجع نفسه ، ص 22.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

أ- الوضعانية المنطقية **positivisme logique** :

تزعم هذا الاتجاه " رودلف كارناب " حيث اهتم بدراسة اللغات الصورية و أهل أهمية و دور العملية التواصلية ، و ذلك بإقصاء اللغات الطبيعية من دراساته.

ب- الظاهرانية اللغوية **phénoménologie du langage** :

تزعم هذا الاتجاه الفيلسفي ادموند هوسرل **I. Husserl** الذي ابتعد بمنهجه الفيلسفي عن الكينونة اللغوية ، و كل ما له علاقة باللغة والتواصل ، إلا أنه انبثق من هذا الاتجاه أهم مبدأ اعتمده " أوستين **Austin** " و سيرل **J.searle** لدراسة الأفعال الكلامية و هو مبدأ القصدية « **intentionnalité** » .

ج- فلسفة اللغة العادية **philosophie du langage ordinaire** :

الذي تزعمه فيتجنشين حيث اهتم بدراسة و تحليل اللغة و عدّها محوراً لتحليلاته الفيلسفية ، حيث يرى أنّ جميع المشكلات تحلّ باللغة ، و أنّ هذه المشاكل إنّما ترجع في الأصل إلى سوء فهمنا للغة ، كما اهتم بالجانب الإستعمالي للغة حيث يقول في هذا الصدد : " فالاستعمال هوّ الذي يُكسب تعليم اللغة و استخدامها"¹ . و يعتمد فيتجنشين في دراسته للغات الطبيعية على ثلاث مفاهيم أساسية وهي: الدلالة ، القاعدة و ألعاب اللغة.²

– الدلالة :

يشير هذا الفيلسوف إلى ضرورة التمييز بين ما يسمى بالمعنى المحصل **sens** و المعنى المقدر « **signification** » و إلّا وقعنا في الخلط بين مفهومين مختلفين و هما الجملة و القول ، لأنّ الجملة لها معنى مقدر ماعدا تلك الجمل التي تكتسب معناها من خلال السياق الذي ترد فيه و يتحقّق المعنى من خلال الممارسة اليومية لألعاب اللغة.³

– القاعدة :

¹ - مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية ، ، ص 23 .

² - الجليلي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ، ترجمة: محمد مجباتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط1، 1992 ، ص 18

³ - آمنة لعور ، الأفعال الكلامية في سورة الكهف ، مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في الآداب ، شعبة الدّراسات اللغوية ، كلية الآداب و اللغات، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2010 - 2011 ، ص 38

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

التي يخضع استعمالها إلى شروط استبدالية **paradigmatique** و نحوية و اجتماعية تخضع إلى التوازن و الاصطلاح ، فالقاعدة عند " فيتجنشين " لعبة من ألعاب اللغة على المشارك فيها أن يكون ملماً بالقواعد الأساسية (الاصطلاحات الاجتماعية) ، دون أن يُهمل القواعد الثانوية (الاصطلاحات الفردية) لأنّ هذه القواعد هي التي تسمح فيما بعد بتنوع النشاط اللغوي بصفة غير محدودة.¹

– ألعاب اللغة :

هي المحور الأساسي الذي قامت عليه تحليلات فيتجنشين و اعتبره تكملة للمفهومين السابقين (الدلالة ، القاعدة).²

و يُشير هذا الفيلسوف إلى أنّه لا يجب أن يتسلل الشك في لعبة اللغة و الأهم من كلّ هذا أنّ لا تُثبت التجربة عكس ما نتوقّعه ، حيث يقول : " تصوّر اللعبة اللغوية التالية : عندما أناديك أدخل من الباب " ففي جميع أحوال الحياة العادية يبدو الإقدام على الشك بأنّ هناك باباً حقاً ضرب من المستحيلات.

إنّ اللسانيات التداولية اسم جديد لطريقة قديمة في التفكير بدأت على يد سُقراط ، ثم تبعه أرسطو و الرواقيون بعده ، بيد أنّها لم تظهر إلى الوجود باعتبارها نظرية للفلسفة إلّا على يد " باركلي " ، تغذيها طائفة من العلوم على رأسها : الفلسفة و اللسانيات و الأنثروبولوجيا و علم النفس ، و علم الاجتماع.³

و بالتالي ، فإنّ الدرس التداولي يدرس المنجز اللغوي في إطار التواصل ، و ليس بمعزل عنه لأنّ اللغة لا تؤدي وظائفها إلّا فيه ، فليست وظائف مجردة ، و بما أنّ الكلام يحدث في سياقات اجتماعية ، فمن المهم معرفة تأثير هذه السياقات على نظام الخطاب المنجز.⁴

نفهم من خلال ما قدّم حول مفاهيم و نشأة التداولية أنّها منحى قديم في التفكير لكنّه بدأ في النماء على يد الفلسفة التحليلية و بدأ في التطوّر شيئاً فشيئاً على يد علماء كبار ، هذا من جهة ، و من جهة أخرى فهو

1 – آمنة لعور ، الأفعال الكلامية في سورة الكهف ، ص 38

2 – المرجع نفسه ، ص 38

3 – نعمان بوقرة ، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة ، جدار للكتاب العالمي للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2009 ، ص 163.

4 – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، ص 23.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

مبحث أو اتجاه لساني جديد في دراسة اللُّغة متجاوزة الكينونة اللُّغوية المغلقة التي جاء بها سوسير فترة طويلة و استبدلت بدراسة اللُّغة في مجال الاستعمال ، والتواصل قصد التبليغ و التأثير في المتلقي أو السّامع .
إنّ التداولية لم تنشأ من فراغ أو عدم ، يمكن عدّها منهجًا يهتم بدراسة اللغة في الاستعمال، و يكشف عن معنى المتكلم و مقاصده المختلفة في السياق المحدد ، اشترك في تأسيسه في العصر الحديث تياران رئيسيان هما : تيار تشارلز موريس ، و تيار مدرسة أوكسفورد ، و قد أفاد تشارلز موريس في التأسيس للتداولية من خلال سيميائية ثلاثية الأبعاد ، و حاصل النظر من خلال هذا الطرح التداولي تجاوز التداولية حدود الخطاب إلى نظرية عامة جُلّ اهتمامها هو اللغة في الجانب المقامي فقد أولت لها أهمية كبيرة في حين أهملت اللسانيات السابقة و نقصد بذلك اللسانيات البنوية ، و تصير التداولية بذلك جديرة بأن نُطلق عليها علم الاستعمال اللغوي ، الذي يُراعى فيه طرق الاتصال بين المتكلم و المتلقي مع ظروف المقام أو المقال أو ما يُسمى بسياق الكلام الخارجي .

ثالثا : التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى :

على الرغم من أنّ التداولية علمٌ حديث النشأة ظهر سنة 1970 ، إلا أنّ هذا لا يمنع من وُجود صلة تجمعها مع علوم شتى كالبنوية ، و السيميائية ، و تحليل الخطاب و البلاغة ، و علم النفس ... و هذا ما حدّدته فرانسواز أرمينكو سابقا ، لذلك سنحاول إبراز بعض التخصصات و العلاقات القائمة بينها و بين تلك المعارف و العلوم ، و يظهر ذلك واضحا في قول الدكتور جمعة العربي : " و قد فتحت التداولية حقلاً ضخماً ضمّ تخصصات و نظريات و أفكار مختلفة ذات مشارب و مستويات متعددة ، من بين هذه التخصصات ، الفلسفة ، و علم النفس ، و علم الاجتماع ، و اللسانيات ، البلاغة و السيميائية " ¹

1- التداولية وعلاقتها بالبنوية: « Structuralisme » :

إنّ التداولية " اهتمت اهتمامًا كبيرا بالكلام الذي أبعده العالم اللساني " فردينان دوسوسير " من دراساته ، و اهتمّ باللُّغة وحدها ، باعتبار أنّ اللُّغة نظام مغلق تُدرّس لذاتها و من أجل ذاتها بعيدة كلّ البعد عن السياقات الخارجية و هذا ما عبر عنه بشكل واضح في قوله : " اللُّغة تختلف عن الكلام في أنّها شيء يُمكن دراسته بصورة مُستقلّة " ².

1- جمعة العربي ، التداولية (النشأة و التطور) ، مجلة كلية الآداب ، العدد 20 ، الزاوية ، ليبيا ، ديسمبر ، 2015 ، ص 59

2- فردينان دوسوسير ، علم اللغة العام ، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز ، دار الكتب للطباعة والنشر ، بيت الموصل ، بغداد ، العراق ، د ط ، 1988 ، ص 33 .

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

و ما يستوجب منا قوله من خلال هذا القول أنّ اللّغة في حقيقة الأمر لا تخرج عن دائرة الكلام فاللغة لا تتحقق إلاّ في وجود الكلام فالعلاقة بينهما إذا علاقة تعاضد و تشابك و لا يمكن الفصل بينهما.

"فالكلام - إذا- مظهر من مظاهر تحقق اللّغة واقعا ، و دراسته هي دراسة الواقع الفعلي للغة ، و التداخل واضح بينها "1.

يدلُّ هذا الرّأي على أنّ كلّ من اللّغة و الكلام بحاجة إلى الآخر ، و بخصوص العلاقة بين التداولية و البنويّة يُوجد اختلاف بينهما ، فالبنويّة مجالها الوصف (اللّغة) باعتبارها مجموعة من القوانين بمعزل عن ظروفها الخارجيّة و سياقاتها ، فهي بذلك تُلغي خاصيّة اللّغة التواصلية ، الحوارية ، في حين التداولية **La pragmatiques** فهي تتناول اللغة في مجال الاستعمال و التواصل ، و الحوار بهدف التبليغ و الإقناع و من ثمة يتحقق التفاعل و التأثير في السامع أو المتلقي ، و هذا ما أهملته الدراسات البنوية السوسيرية .

2 - التداولية وعلاقتها بعلم الدلالة « Sémantique » :

ما يُمكننا قوله أنّ التداولية و علم الدلالة مرتبطان ببعضهما البعض في جوانب ، و مختلفان أيضا في جوانب أخرى " كلّ من التداولية و علم الدلالة يبحث في دراسة المعنى في اللّغة ، و من الضروري بيان حدود الاهتمام بالمعنى في علم الدلالة ، و حدود الاهتمام به في التداولية ، مع أنّ هذه العلاقة يشوبها الكثير من الغموض "2 و سيتم التمييز بينهما من خلال مصطلح الكفاءة و الأداء.

حيثُ يُصنّف علماء اللغة باتفاق ، علم الدلالة ضمن القدرة (معرفة اللغة). أمّا التداولية فتصنّف ضمن الشقّ الثاني المتضمّن للأداء ، الإنجاز واستخدام اللّغة.

بناءً على هذا تقوم على التبعية لعلم الدلالة الذي يعرف شروط المعنى و حقيقتها ، و تهتم التداولية بعد ذلك بدراسة هذه الشروط حيث تربط المعنى بالاستخدام ، و تحدّد ما يسمح بنجاح الملفوظ أو إخفاقه ، و هذه أوّل نقطة تتفصل فيها التداولية عن علم الدلالة ، لأنّ استخدام المعنى مختلف عن المعنى.³

1- فرنسوا أرمينكو ، المقاربة التداولية ، ص 23

2- نوري سعودي أبو زيد ، في تداولية الخطاب الأدبي (المبادئ والإجراء) ، بيت الحكمة ، سطيف ، الجزائر ، ط 1 ، 2009 ، ص 127.

3- الرجوع نفسه ، ص 128.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

و لتقريب الصورة أكثر نوضحها بالمثل الآتي : نحو الجملة : في هذه الأرض حيّات سامة ، فالمعنى الحقيقي (هذه الأرض بما حيّات حقيقية سامة) أمّا استخدامه فمختلف قد يتجاوز مفهوم حيّات سامة الحقيقة إلى المجاز ، و قد يتجاوز استخدام هذا المعنى أيضا من الإبلاغ إلى التحذير مثلا "1. و لكن رغم هذا الانفصال لا يُمكننا العزم بانفصالهما عن بعضهما بشكل كليّ لأنّ الدلالة في حقيقة الأمر نتاج سياق مخصوص إلى جانب اهتمامها بالمعنى ، و التداولية أيضا تهتم بالسياقات و الظروف الخارجية التي تُساهم في التأثير على المتلقي أو السّامع. " و بتعبير آخر يمكن أن يكون موضوع التداولية هو نفس موضوع الدلالة الثابت ، مضافا إليه سياق الاستعمال " نلاحظ جليّا من خلال هذا الرأي أنّ موضوع كل من التداولية (و البلاغة واحد) و الدلالة واحد إلى جانب سياق الاستعمال ، فكليهما يهتمان بالسياق الذي هو جوهر الدرس التداولي ، فالدلالة تقوم بتفسير الملفوظات دون التطرق إلى المقام و دُونَ الاهتمام بمقاصد المتكلمين و نواياهم ثم تأتي التداولية لتواكب عمل الدلالة في الاهتمام بالمقاصد و المقام و مراعاة شروطه.

3 - التداولية وعلاقتها بالبلاغة العربية :

التداولية لها علاقة وطيدة بالبلاغة العربية ، و إذا كانت التداولية في أوجز تعريفاتها هي دراسة مناحي الكلام ، أو دراسة اللّغة حين الاستعمال فإنّ البلاغة هي المعرفة باللّغة أثناء استعمالها ، و بكلمة أخرى هي " فنّ القول " و أوّل ما اشتهرت به هذه العبارة في الكتاب الشهير **لأمين الخولي** و يشمل هذا التعريف الموجز مجالين واسعين من مجالات اللّسانيات التداولية.²

- الأوّل : **الفنّ** : و هو كلّ ما يرتبط بالقول بالدّوق ، و الاستخدام الشخصي للّغة أي أنّه يقابل آثار المتكلمين على كلامهم ، و كيف يُمكنُ للمتكلّم أن يُعدّل من موقف سامعه و هو مجال التداولية الأوسع الذي حدّده (بيرس) في دراسة العلامات ، و علاقتها بمستعملها.³

- الثاني : **القول** : و يشمل الأداء الفعلي للّغة أي اللّغة في واقع استعمالها و لذلك لم يفرّق بعض الدارسين المحدثين بين التداولية و البلاغة.

1- نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي (المبادئ والإجراء) ، ص 129.

2- خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، ص 154.

3- المرجع نفسه ، ص 155.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

يرى ليتش (Leitch) أنّ البلاغة تداولية في صميمها إذ أنّها ممارسة الاتصال بين المتكلم و السامع.¹ فالبلاغة كما هو معلوم في فنّ القول ، هي مُطابقة الكلام لمقتضي الحال مع فصاحته (إذ تهتم اهتمامًا كبيرًا بالسامع و ظروف و أحوال المتكلمين و مراعاة أيضا المتلقّين و أحوالهم و قضاياهم ، و هذا ما نجدّه عند الجاحظ في كتابه البيان و التبيين ، و السكاكي في مفتاح العلوم و غيرها ... و هذا أيضا ما ذهبت إليه التداولية من خلال اهتمامها بقطبيّ الدّراسة التداولية المتكلم و المستمع .

و لذلك فإنّ البلاغة و التداولية البراغماتية تتفقان في اعتمادهما على اللّغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقّي على أساس أن النّص اللّغوي في جملته إنّما هو " نص في موقف " ممّا يرتبط لا بالتّعديلات التي يفرضها أشخاص المرسل و المتلقّي و موقعهما على معناه فحسب و إنّما بالنظر إلى تلك التّعديلات التي تحدث في سلوكهما أيضا.²

4- التداولية وعلاقتها بعلم اللّغة الاجتماعي « sociolinguistiques » :

يتداخل علم اللّغة الاجتماعي مع التداولية في كونه يهتم بالعلاقات الاجتماعية و أثرها على المتكلمين و مقاصدهم و موضوع الحديث و على اختيار السّمات اللغوية و في تبيان مراتب المشاركين في الحديث و أجناسهم و غيرها.³

5- التداولية وعلاقتها بعلم اللّغة النفسي « psycholinguistique » :

تعتمد اللسانيات التداولية في دراستها على بعض المقولات النفسيّة نحو الاهتمام بقدرات المشاركين (المتكلم و السّامع) من خلال التّظر إلى شخصيّاتهم و درجة ذكائهم و قدراتهم على الانتباه و التّركيز . و كلّ هذه العناصر لها تأثير على أداء الأفراد و قدراتهم التبليغية في الموقف الكلامي.⁴

6- التداولية وعلاقتها بتعليمية اللّغة « La didactique »⁵ :

استفادت التّعليمية كثيرا من الدّرس التداولي في عمليّة التّعليم من حيث مناهجه و نماذج التمارين و التّطبيقات و الاختبارات حيث انتقل التّعليم من مجرّد الاهتمام بتلقين الكفاءات إلى التّركيز على أداء المتعلّم و تلقّيه كلّ ما

¹- صلاح فضل ، بلاغة الخطاب و علم النص ، ص 89 .

²- المرجع نفسه ، ص 89 .

³- محمود احمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص10.

⁴- المرجع نفسه ، ص11 .

⁵- الجليلي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص46.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

يحتاج إليه ، فالأمر لم يعد مُنَوَّطًا بتدريس قاعدة لغوية (بنية نحوية) مُعَيَّنَة بل تدريس اللّغة ضِمَّنَ سياقاتها و أطرها الاجتماعية التي تسمح للمتعلم باستعمال الكلام استعمالا يلائم المقام و المقاصد المراد تحقيقها ، فالتعليمية شأنها شأن التداولية تعنى بالنظر إلى الكلمة و التبليغ و المقام.

7- التداولية وعلاقتها بتحليل الخطاب « L'analyse du discours » :

يُعدُّ تحليل الخطاب أحد المسؤوليات المهمّة في الدّرس اللّغوي الحديث و لهُ علاقة وطيدة باللسانيات التداولية ، فله علاقة بالنّص ككلّ سواء أكان شفويا أو كان مكتوبًا فعُرفَ بأنّه : " التّحليل اللّغوي للخطاب سواء أكان محكيًا أو مكتوبًا ، و يهدف إلى دراسة البنية اللّغوية على مستوى يتعدّى مستوى الجملة إلى مستويات أكبر مثل الحوار أو النص مهما كان حجمه ، و يهتمّ هذا الميدان أيضا بدراسة اللغة في سياقها.¹

نفهم من خلال القول أنّ تحليل الخطاب تجاوز الأطروحة المصغّرة (مستوى الجملة) إلى أطروحة كبرى تتعلق بمسألة الحوار، والتواصل والسياق هذه الثلاثية نجدها بشكل واضح في الدراسة التداولية. من هنا يتّضح التّدخُلُ بين تحليل الخطاب و التداولية و تبدو العلاقة وثيقة بينهما ، فكلّ منهما يهتمُّ بدراسة النّصوص و تحليلها من خلال اهتمام المتكلمين (المخاطب) و (المخاطب) و مقاصدهم في السياق الذي يرد فيه الحوار (الخطاب) ، و العناصر الإشاريّة و المبادئ الحوارية.² فالتداولية لا تنحصر على هذه العلاقات فحسب ، فهناك علاقات و معارف مع علوم شتى كالألسلوية و غيرها جعلت الباحث شغوفًا و ولوعًا بدراسة هذه النظرية و التغلغل في مضامينها الماورائية .

رابعاً : أهم المفاهيم التداولية:

إنّ اللّسانيات التداولية تقوم أساسًا على عدّة مفاهيم يُمكنُ اعتبارها من أساسياتها فلا يمكن أن نتصوّر التداولية دون وجود هذه المفاهيم من أبرزها ما يلي : نظرية الملائمة - مبدأ القصدية - الاقتضاء ، الاستلزام الحوارية ، متضمّنات القول ، أفعال الكلام نقتصر على بعضها. إذ سنحاول الإلمام بهذه المفاهيم و نركّز الحديث على أفعال الكلام في الفصل الثاني.

¹ - جماعة من المؤلفين ، مقدمة في اللغويات المعاصرة ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط3 ، 2006 ، ص200.

² - محمود احمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص11.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

1- نظرية الملائمة « *théorie de la pertinence* » :

تعدّ نظرية الملائمة نظرية تداولية معرفية أرسى معالمها كل من اللساني الفرنسي " د.سبربر " *D.sperber* " و البريطاني " د.ولسن " *D.wilson* ¹.

فنظرية الملائمة تدمج إذن بين نزعتين كانتا متناقضتين ، فهي نظرية تفسّر الملفوظات و ظواهرها البنيوية في الطبقات المقامية المختلفة ، و تعدّ في نفس الوقت نظرية إدراكية ². و تُشيرُ هنا إلى أنّ كلّ من *ولسن* و *سبربر* قد اعتمدا في تأسيسهما لهذه النظرية على مبدأ التعاون الذي أسّسه *جرايس* أو مفهوم الاستلزام الحواري ، معتمدا فيه على مبدأ الملائمة.

2- مبدأ القصدية « *intentionnalité* » :

هو مبدأ أخذه من الفيلسوف *هوسرل Husserl* و الظاهراتيين و استثمره في تحليل العبارات اللغوية و تتجلى مقولة القصدية بالخصوص في الربط بين التراكيب اللغوية و مراعاة غرض المتكلم و المقصد العام من الخطاب ، في إطار مفاهيمي مستوف للأبعاد التحليلية للظاهرة اللغوية ³.

3- الاستلزام الحواري « *implication conversationnelle* » :

تعودُ نشأة هذا المفهوم التداولي إلى المحاضرات التي ألقاها *تول جرايس* سنة 1967 ، إذ لاحظ أنّ جمل اللغات الطبيعية ، في بعض المقامات ، تدل على معنى غير محتواها القضيوي ، و يتضح ذلك من خلال الحوار الآتي بين الأستاذين (أ) و (ب) :

- الأستاذ (أ) : هل الطالب (ج) مستعدّ لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة ؟

- الأستاذ (ب) : إنّ الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز

لاحظ الفيلسوف *جرايس* أننا إذا تأملنا الحمولة الدلالية لإجابة الأستاذ (ب) وجدنا أنّها تدلّ على معنيين اثنين في نفس الوقت ، أحدهما حربي و الآخر مستلزم . معناها الحربي أنّ الطالب (ج) من لاعبي الكرة الممتازين ، و المعنى الاستلزامي أنّ الطالب المذكور ليس مستعدّاً لمتابعة دراسته في قسم الفلسفة . ⁴

¹- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ، ص36.

²- المرجع نفسه، ص 36.

³- المرجع نفسه ، ص10.

⁴- المرجع نفسه ، ص 33 .

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

4- متضمنات القول « Les implicites »

مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية و خفية من قوانين الخطاب ، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال و غيره¹

4-1- الافتراض السابق أو المسبق « présupposition »² :

لقد أثار هذا المفهوم اهتمام الدارسين و الباحثين منذ مطلع العقد السابع من القرن العشرين حيث ظهر المصطلح لأول مرة من طرف الفيلسوف الألماني " فريجه " و هذا بوصفه مشكلة من مشكلات علم الدلالة المنطقي المؤسس على الصدق ، ثم أرسى مبادئ هذا المفهوم. فيما بعد- ستراوسن- و هو أحد فلاسفة أكسفورد و يشكل الافتراض السابق الخلفية الأساسية لإنجاح العملية التواصلية (التبليغية) حيث ينطلق المتخاطبون أثناء حواراتهم من معطيات و افتراضات تكون مشتركة و معلومة لديهم ، لا يصحح بها المتكلمون و إنما تكون محتواة في القول ،³ و على هذا الأساس يوجه المتكلم خطابا إلى السامع مفترضا أنّ جوانب من هذا الخطاب ستكون معلومة بالضرورة لديه.

4-2 - الأقوال المضمرة « Les sous-entendus » :

هي المعاني المتضمنة في الخطاب و التي تُحدّد وفقا للسياق الذي تردّ فيه. تقول " أوركويوني " : " القول المضمّر هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها ، و لكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث.⁴ و مثال ذلك : قول شخص في غرفة مع صديقه : " أشعر بالبرد " فالمتكلم قد يقصد من وراء عبارته : أنّ الجو بارد بالفعل (المعنى الحرفي للعبارة) و قد يُريد من خلال عبارته أن : - يثير انتباه صديقه لغلق النافذة أو الباب إذا كانا مفتوحين. - يلفت انتباهه إلى إشعال المدفأة. - إن يضع عليه غطاء آخر أو ما شابه ذلك.

1 - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ، ص 30

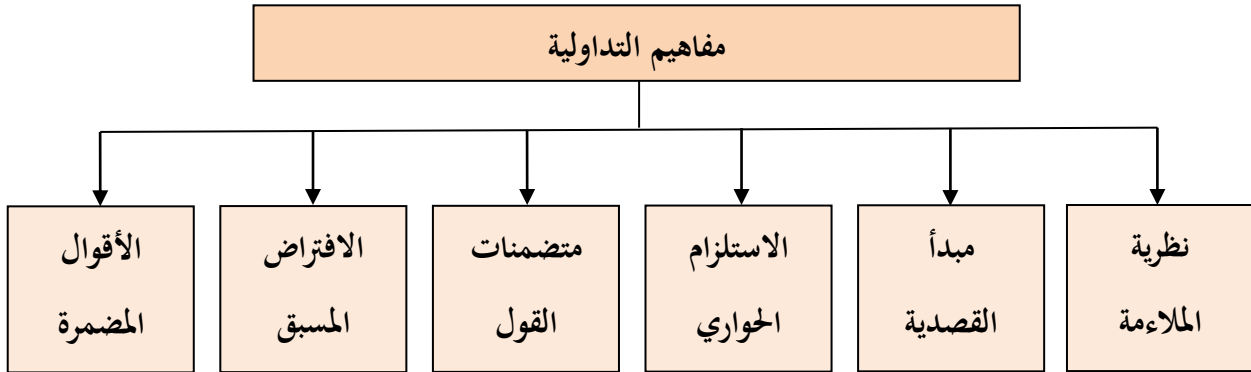
2- محمود أحمد نخلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص26.

3- الجيلاني دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص34.

4- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ، ص32.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

وتبقى قائمة التأويلات هذه العبارة مفتوحة و مختلفة باختلاف السياق الذي ترد فيه .
و يمكن تلخيص أهم مفاهيم التداولية (pragmatique) في الخطاطة الآتية :



خامسا : عناصر التّداولية:

1- المرسل :

و يعدّ من أهمّ عناصر الدراسة التداولية ، لأنه طرف الخطاب الأول الذي يوجه كلامه إلى الطرف الثاني ليكمل دائرة العملية التخاطبية قصد إفهامه أو التأثير فيه ، و لذلك يجتاز ما يتناسب مع منزلته و منزلة المرسل إليه ، وفق ما يقتضيه موقعه ، و نقصد هنا الموقع الاجتماعي أو الوظيفي أو السياسي ... الخ ، كما يتوخى ما يتناسب مع السياق العام ، فخطاب التاجر مع زبونه يختلف حتما مع آخر مثله ، كما يختلف خطاب ملك أو أمير مع أحد رعاياه عن خطابه مع آخر من أئداده ، و تتنوع مقاصده و أهدافه بتنوع بعض العناصر السياقية مما يفترض عليه أطرا معينة لا بد أن يستجيب لها ، فإن كان هدفه الإقناع يختار من الأدوات اللغوية و الآليات الخطابية ما يبلغه مراده ، و إن كان هدفه السيطرة فيعتمد على الأدوات التي تكفل تحقيقها.¹

2- المرسل إليه :

و هو طرف الخطاب الثاني ، و إليه تتجه لغة الخطاب التي تعبر عن مقاصد المرسل ، و عليه فانه يمارس بشكل غير مباشر دورا في توجيه المرسل من خلال صياغة خطابه ، و ذلك بحضوره العيني أو الذهني انطلاقا من علاقته بالمرسل ، و موقفه منه ، و من الموضوعات التي يتناولها الخطاب ، كل ذلك يترك أثره بوصفه هو الذي يمارس تفكيك الخطاب و يؤوله لمعرفة مقاصد المرسل و أهدافه.²

¹ - بن زروق سامية ، بين البلاغة العربية و التداولية ، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية و اللغوية ، العدد 17 ، الجزائر ، 2013 ، ص 258

² - المرجع نفسه ، ص 258

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

3- السياق :

هو الإطار العام الذي يسهم في ترجيح أدوات بعينها و اختيار آليات مناسبة لعملية الإفهام بين طرفي الخطاب من خلال جملة من العناصر ، من هذه العناصر نذكر العلاقة بين المتخاطبين سواء أكانت سلبية أم ايجابية ، بالإضافة إلى عنصري الزمان و المكان اللذين يتلفظ فيهما المرسل بخطابه ، فما يصلح لزمان قد لا يصلح لآخر ، و ما يناسب مكانا قد لا يناسب مكانا آخر ، و قد عرفه فيرث بأنه جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي ، و هذه العناصر عبارة عن مجموع الظروف التي تحيط بالكلام ، و تشمل شخصية كل من المتكلم و السامع و غيرها ممن يشهد الكلام.¹

4- الخطاب :

و هو ثمرة اجتماع العناصر الثلاثة السابقة الذكر ، ففيه تبرز الأدوات اللغوية و الآليات الخطابية المنتقاة ، و من خلال تتبع خصائصه التعبيرية يمكن معرفة الكيفية التي تعامل بها المرسل مع ذاته و مع المرسل إليه هل أجله و أحترمه ؟ أم أنه أهانه و احتقره ؟ هل حاول أن يقرّبه أم يبعدة ؟ هل حاول إقناعه أم فرض سلطته عليه ؟ هل تنازل عن موقعه الاجتماعي أو الوظيفي تقديرا للمرسل إليه ؟ أم أنه مكث في عليائه ؟ كل هذه الاعتبارات و غيرها تبين كيف يمكن للغة الخطاب أن تقود الفاحص إلى إجابات واضحة على هذه التساؤلات ، بل أنّها تعكس كل ذلك مباشرة بوصفها حقائق حاضرة.

إنّ الدراسة التداولية لا تغفل قط هذه العناصر الأربعة ، التي ترى أنّها أساسا تحليليا لأي خطاب مهما كان نوعه² ، إنّها (المخاطب ، المخاطب ، السياق ، الخطاب) و هي المنطلق الرئيس في البناء الهيكلي الذي يبني عليه الخطاب.

سادسا : أهمية التداولية :

بعد عرض مفهوم التداولية من الناحية اللغوية و الاصطلاحية ، و الحديث عن نشأة و تطوّر هذا المبحث اللساني العريق الذي لقي رواجاً كبيراً في العهود الأخيرة ، نحاول في هذه الصفحات تناول أهمية التداولية بوجه عام.

¹ - بن زروق سامية ، بين البلاغة العربية و التداولية ، ص 258 - 259

² - المرجع نفسه ، ص 259

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

" إنَّ الحديث عنْ أهميَّة الدَّرس التداولي ، يُفودناَ بطريقة مباشرة إلى استنباط حُصوصيَّاته و مُفارقاته التَّنظيرية و الإجرائية الَّتي لُزَّما كانت بمنابرة حُلُول مَعرفيَّة و إجابات حقيقيَّة عن كثير من الأسئلة و الإشكاليات الَّتي لم تُجِب عنها التَّنظريات و المدارس اللسانيَّة السَّابقة"¹.

و مرُدُّ ذلك أنَّ اللسانيَّات التقلديَّة في إطارها البنيوي ... على تطوير نظرية النَّص المنظور إليه بعدّه منجزاً أو عملاً مغلقاً close² بمعنى أنَّها انكبَّت على تحديد بنيته الدَّاخلية ، و مكوَّناته اللَّفظيَّة اعتماداً على رؤية شكلية خالصة مَفادُها أنَّ النَّص لا يُجِيلُ على شيء خارج بنيته الدَّاخلية ، و ابتعدت في تنظيراتها عن عنصر السِّياق و البعد الاستعمالي للغة في إطار عملها التَّواصلي...³

و في الحقيقة كلَّ خطاب يستلزم بالضرورة تركيباً خاصاً به ، فكلَّ خطاب لا يعني بالتركيب هو ليس خطاباً دلاليّاً و يُؤدِّي إلى زرع لغة لا معنى لها و لا يفهمها أيُّ مُتلقٍ ، فاللغة في الجانب الاستعمالي هي أكثر فعالية و حيويَّة . تتجلى أهمية التداولية بشكل كبير في محاولتها دراسة اللغة أثناء الاستعمال قصد التبليغ ، و التواصل ، و الحوار و هذا ما أهملته اللسانيَّات البنيوية . و بذلك " يغدو معنى الملفوظات هو القيمة الَّتي يكتسبها الخطاب في سياق التلطف " ⁴

فالتداوليَّة إذن مشروع شاسع في اللسانيَّات النَّصيَّة تهتمُّ بالخطاب و مناحي النَّصيَّة فيه ، نحو المحادثة ، المحاججة ، التَّضمين.

و لدراسة التَّواصل بشكل عام ، بدءاً من ظروف إنتاج الملفوظ إلى الحال الَّتي يكوُن فيها للأحداث الكلاميَّة قصد محدد إلى ما يُمكن أن تُنشأ من تأثيرات في السَّماع و عناصر السِّياق.⁵ و حاصل النظر فيما مضى ذكره نستنتج أنَّ :

- التداولية تهتم بدوائر الفعل الخاصة بالمتكلم و المتلقي و الوظائف الآتية : التبليغ ، التواصل ، الحوار ، السِّياق ، المتلقي .

¹ - واضح احمد، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيَّات، كلية الآداب، جامعة وهران، 2011-2012، ص102.

² -Jean Dubois : Dictionnaire de l'inguistique,p443-444.

³ - واضح احمد، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي، ص102 - 103 .

⁴ - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، ص 22 - 23

⁵ - خليفة بوجادي ، في اللسانيَّات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، ص135.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

- التداولية مجموعة من البحوث المنطقية و اللسانية تُعنى باستعمال اللغة ، و تهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية و السياقات المرجعية و المقامية و الحديثة و الاجتماعية .
- التداولية عمومًا ظاهرة تفاعلية ، تواصلية بين طرفين (المرسل و المرسل إليه) تنماز عن غيرها في التحليل التداولي بكل ما يصدر عن الإنسان من ملفوظات و أحاديث و أقوال ...
- لها علاقات مع علوم شتى فهي لا تنحصر على علم واحد فحسب و إنما تتجاوزها إلى علوم كثيرة في مجالات مختلفة سبق الحديث عنها بالتفصيل .

المبحث الثاني : تطور نظرية الأفعال الكلامية (مفاهيم أولية) :

أولا : ماهية الفعل الكلامي :

أصبح مفهوم الفعل الكلامي نواة مركزية في كثير من الأعمال التداولية **l'acte de parole** ، و المؤسس الأول لهذه النظرية الفيلسوف الانجليزي " أوستين " فهو يرى أنّ وظيفة اللغة الأساسية ليست إيصال المعلومات و التعبير عن الأفكار فحسب ، إنما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صيغة اجتماعية.¹

و فحوى الفعل الكلامي أنّه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري ، و فضلا عن ذلك يُعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازية و غايات تأثيرية تخصّ ردود فعل المتلقي.²

ينبغي هذا المفهوم إذن على أنّ الفعل الكلامي (**acte de parole**) هو نظام ، يتّسم بالدلالة الإنجازية التّأثيرية يستوجب بالضرورة متكلما يؤثر في شخص ثاني و هو المتلقي .

يقول فان ديك " Van Dick " :

" و ما نعينه عادةً بقولنا أننا نفعل شيء ما متى صُنغنا عبارة معينة هو أننا نقوم بإنجاز فعل اجتماعي كأن نعدّ وعدا ما، ونطلب، ونصح وغير ذلك مما شاع وذاع أنّه يطلق عليه أفعال الكلام".³

¹- عمر بلخير ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2003 ، ص155.

²- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص40

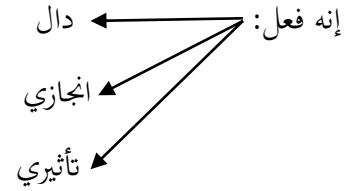
³- فان ديك ، النص والسياق - استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 2000 ، ص263.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

فالفعل هو كلام واقعي من جهة كونه توقيعا لمعنى يؤثر في المتلقي.¹

و عرفه دومينيك مانغونو : بأنه " الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللّغة فعلا بعينه (أمر ، طلب ، تصريح ، وعد ...) غايته تغيير المتخاطبين ، إنّ المتلفظ المشارك لا يمكنه تأويل هذا الفعل إلا إذا اعترف بالطّابع القصدي لفعل المتلفظ".²

يقوم الفعل الكلامي على خصائص ثلاثة:³



و كل فعل كلامي يقوم على القصدية ، التي تمثلها الفلاسفة و التداوليون حتى صارت قيمة تداولية نصية حوارية، تتأسس على شبكة من المفاهيم الترابطية ، و المرتبطة بغاية و ما تؤديه من وظيفة تأثيرية اجتماعية في الآخرين.⁴ يتضح من خلال القول أنّ الفعل الكلامي مرهون بالقصدية و الحوارية غايته دوما التأثير في الآخرين و إقناعهم ، فقد أسهمت نظرية الأفعال الكلامية باعتبارها مبحثا تداوليا في استكناه مقاصد المتكلم سبيلا لتحقيق السلطة التّأوية في المنظومة الخطابية.

و يعتبر الفعل اللغوي محور اهتمام الدراسات التداولية ، التي تركز على تأويل النصوص باعتبارها أفعال اللّغة ، أو مجموعة من المتتاليات لأفعال اللّغة ، كالوعد و التهديدات و الإستفهامات و الطلبات و الأوامر...⁵ و الفعل اللغوي يحمل في طياته العديد من المتتاليات اللامتناهية متمثلة في الوعد و التهديدات و الأوامر ... الخ

¹ - دفة بلقاسم ، إستراتيجية الخطاب الحجاجي ، دراسة تداولية في الإرسالية الإشهارية العربية ، مجلة المخبر، العدد 10 ، جامعة باتنة ، الجزائر ، 2014 ، ص490.

² - دومينيك مانغونو ، المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب ، ترجمة: محمد يجياتن ، الدار العربية للعلوم ، منشورات الاختلاف ، بيروت ، لبنان، ط1، 2008، ص07.

³ - ياسين سراحية ، إستراتيجية القراءة وتوليد الدلالة في الخطاب الشعري عند احمد عبد المعطي حجازي ، مجلة العلوم الإنسانية ، المركز الجامعي سوق اهراس ، جامعة الجزائر ، العدد 42 ، جويلية 2009 ، ص03.

⁴ - المرجع نفسه ، ص03.

⁵ - راضية بوبكري ، نظرية الأفعال اللغوية وتحليل الخطاب، التواصل الأدبي ، مجلة نصف سنوية تعني بقضايا الأدب والنقد، جامعة باجي مختار ، عنابة العدد03 ، ديسمبر 2008 ، ص47.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

فالأفعال الكلامية تهدف إلى صناعة مواقف مختلفة من أجل التأثير في المخاطب بناءً على كفاءة المتخاطبين طالما أنّ المخاطب يصبو إلى إحداث التأثير في المتلقين و استمالة عقولهم و تغيير وجهات نظرهم صوب الإقناع دوماً .

إنّ الفعل اللغوي يمثل التأكيد على أشياء أو إعطاء أوامر ، أو إشارة أسئلة أو القيام بوعود أو غير ذلك من الأفعال التداولية التي تتركز على تأويل النصوص باعتبارها أفعالاً للغة ، كالوعود و التهديدات و الاستفهام و الطلبات و من ثم فعبارة المتكلم عن قصده هي انجاز فعل و ترمي الأفعال إلى صناعة مواقف بالكلمات مع الميل إلى التأثير في المخاطب ، بحمله على فعل أو ترك أو تقرير حكم ، أو إبرام عقد أو إفصاح عن حالة نفسية.¹

تستعمل أفعال الكلام في مواقف تعبيرية معينة حسب سياق التلفظ مثلاً للاعتذار ، التمني ، الطلب ، الأمر و غيرها ، و قد يتكون فعل الكلام من كلمة واحدة أو أكثر ، مثلاً للتهاني " أهنيك " أو " أهنيك على النجاح " و هي لا تقتضي المعرفة اللغوية فحسب بل و كذلك الاستعمال المناسب للغة حسب الثقافة الخاصة بتلك اللغة ، و بالتالي يحقق الناس أفعال معينة من خلال استعمالهم للغة وفقاً لقواعد معينة.²

و لهذا فإن من أبرز سمات فعل الكلام : القصدية و الانجازية و بنية التأثير في المتلقي ، سواء أكان هذا المتلقي فرداً أو جماعة.³

ثانياً : نظرية الأفعال الكلامية حسب نموذج أوستين (Austin) :

نقطة البداية للبحث حول الأفعال الكلامية هي الملاحظة التي أبدتها أوستن بأنّ بعض البيانات لا تكتفي بوصف الحدث بل تدعي القيام بفعل (بعمل) بمعنى آخر التأثير على الواقع.

يسمى أوستن بيانات الحقائق بالبيانات من النوع الأول " قد أمطرت الليلة الماضية " على سبيل المثال و الثانية هي أدائية " أنا أعمدك " .

¹ - محمد مدور ، نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات المركز الجامعي ، غرداية ، الجزائر ، العدد 16 ، 2012 ، ص 50.

² - طاموس قاسمي ، ترجمة أفعال الكلام من الانجليزية إلى العربية في الخطاب السياسي دراسة تحليلية ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الترجمة ، فرع عربي - انجليزي ، كلية الآداب و اللغات ، قسم الترجمة ، جامعة الجزائر ، 2005 - 2006 ص 07.

³ - دفة بلقاسم ، إستراتيجية الخطاب الحجاجي دراسة تداولية في الإرسالية الإشهارية العربية ، ص 492.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

البيانات الأدائية هي التي ترجع إلى فعل الشيء بمجرد النطق به الكلمة مشتقة من الفعل الانجليزي to perform و الذي يعني أدى. و هكذا فإنّ الأفعال : أراهن ، أعد ، أشكر ، أعمد ، و أتزوج غالبا ما تكون عن طريق الكلام الذي يقدم للفعل و بالتالي الإنجاز فعندما تقول شكرا نشكر.

و قد نميل إلى محاولة ربط العبارة الأدائية ببعض التحولات النحوية المحددة للغاية (صيغة الأمر على سبيل المثال). و لكن سرعان ما نلاحظ أنّ هناك ببساطة تحولات تأكيدية للعبارة يمكن أن تكون لها قيمة أدائية. هذا ما دفع بأوستن في وقت ثان إلى مراجعة تمييز حقائق / أدائي من أجل دمج المزيد من المواقف و اقتراح نظرية عامة لأفعال الكلام.¹

و هي نظرية ذات خلفية فلسفية و منطقية ، ظهرت بجهود فتجنشتاين **wittgenstein** (1998-1951) ، ثم تبناها جون أوستين **Austin** (1911-1960) ، وعمقها جون سيرل **(J.Searle)**.² يتركب الفعل الكلامي عند أوستن من ثلاث أفعال تعد جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد و لا يفصل أحدهما عن الآخر و هي : فعل الكلام ، قوة فعل الكلام و لازم فعل الكلام ، كما يطلق عليها تسميات أخرى و هي : العمل القولي ، العمل اللاقولي و عمل التأثير بالقول . هذه الجوانب التي ركّز عليها أوستن في نظريته ، إلى جانب تمييزه للجمل التي تحمل الصيغة الخبرية و مدى تقبلها للصدق أو الكذب .

ثارت نظرية أفعال الكلام من خلال أوستين على مفهوم الوصف المسند في الغالب للغة ، و الذي أقصى كثيرا من العبارات المستخدمة بحجة عدم خضوعها لمعيار الصدق و الكذب ، ليؤكد أن هناك جملا لا يمكن الحكم عليها بأنها صادقة أو كاذبة ، كما لا تصف الحالة الراهنة أو السابقة ، و إنما تغييرها أو تسعى إلى تغييرها قياسا بتعدد وظائف اللغة.³

¹ – Gilles Siouffi et Dan van Raemdonck, 100 Fiches pour comprendre la linguistique, Bréal éditions, 1999, P146.

² – محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) ، دراسة تداولية ، قسم اللغة العربية وآدابها ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم جامعة الحاج لخضر، باتنة 2013 – 2014 ، ص05.

³ – سارة قطاف ، الخطاب السرد في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع- مقارنة تداولية، قسم اللغة العربية وآدابها، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة ، 2012 – 2013 ، ص113.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

جاءت نظرية أفعال الكلام للفيلسوف الإنجليزي "جون أوستين" لتجسيد موقفا مضادا للاتجاه السائد بين فلاسفة المنطق الوضعي... وتأتي أهمية هذه النظرية في كونها غيرت النظرة التقليدية للكلام التي كانت تنحاز بشدة للاستعمال المعرفي والوصفي له، ونظرت إلى اللغة في بعدها الدينامي أي باعتبارها قوة فاعلة في الواقع ومؤثرة فيه.¹ يرى أوستين أنّ الإنسان يتمتع بكم هائل من الرموز يسميها كلمات، وهناك في المقابل ما يخالفها وهي الأشياء، وهذه الأشياء تشكل في مجموعها ما نسمع العالم، أنّنا نستعمل الكلمات كأدوات وكوسائل لفهم الوضعية التي نكون أو نتواجد فيها.²

لقد بدأ أوستين إذن بدراسة " الملفوظات الإنجازية " أولا ، ثم عمل على توسيع مجالها لتشمل " الملفوظات التقريبية " ، بعدما تبين له أنّها تشكل بدورها " ملفوظات إنجازية " و عليه خلص إلى أنه لا فرق بين الإنجاز و التقرير.³

و خلافا لهذا الطرح فقد ميز أوستين في البداية بين الجمل الوصفية (**constative**) التي تخضع لمعيار الصدق و الكذب و الجمل الإنجازية (**performative**) التي تختلف عنها في أمرين هما : عدم خضوعها لمعيار الصدق و الكذب من جهة ، و أنّ مجرد التلفظ بها يشكل فعلا لغويا من جهة أخرى .

و يمكن توضيح ذلك بتأمل الأمثلة الموالية :

أ- إني أهبُ ثروتي لِزَوْجَتِي.

ب- أُعَلِّمُ رسمياً عن افتتاح الجلسة.

ت- أَعِدُّكُمْ بأنْ أزوركم الأسبوع القادم.⁴

إنّ هذه النظرية تعتبر أول محاولة جادة تتجاوز بالفعل الطرح الأرسطي في كتابه الخطابية للقول الخطابي و الدراسة البلاغية بإعادة تنظيم منطق اللغة الطبيعية في ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة.⁵

1- عبد الرحمن بشلاغم، تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي ، تفسير فخر الدين الرازي لسورة المؤمنين ا نموذجاً، قسم اللغة والأدب العربي ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات العامة بين النظرية والتطبيق ، جامعة ابي بكر بلقايد ، تلمسان 2013 - 2014 ، ص 45.

2- الزواوي بغورة ، الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2005، ص 105.

3- العياشي ادراوي، الاستنزام الحواري في التداول اللساني، دار الامان، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص 79.

4- يحيى بعبطيش ، الفعل اللغوي بين الفلاسفة والنحو ، عرض وتاصيل لمفهوم الفعل اللغوي لدى فلاسفة اللغة ونظرية النحو الوظيفي ، (التداوليات عالم استخدام اللغة) تقديم وتنسيق حافظ اسماعيلي علوي ، عالم الكتاب الحديث ، أريد، الأردن ، ط 2 ، 2011 ، ص 91.

5- جون لانكشو ، أوستين ، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام ، ترجمة: عبد القادر قبيني ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، ط 2، 2008 ، (مقدمة المترجم) ، ص 06.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

قال جون ليونز : " لقد كان هدف أوستين في البداية على الأقل أن يتحدّى ما كان يعتبر مغالطة وصفية ، و هي فكرة أن الوظيفة الوصفية الفلسفية المهمة الوحيدة للغة هي إنتاج عبارات خبرية صادقة أو كاذبة ، و على نحو أدقّ ، كان أوستين يتهجّم على رأي عالم التحقّق المرتبط بالفلسفة الوضعيّة المنطقيّة التي تفيد أن الجمل تكون ذات معنى فقط إذا كانت تعبّر عن قضايا يمكن التحقّق منها أو تفنيدها " ¹.

لقد وضع (ج أوستين) نواة التداولية في حقل فلسفة اللغة العادية ، متأثراً بجهود سابقة فينغنشتاين و تحليلاته موضحا إسهاماته من خلال تساؤله المشهور " **quand dire c'est faire** " ².
ميّز أوستين بين وحدات كلامية بيانية و أخرى أدائية في سياق تفرقة بين القول و الفعل ، فالوحدة الكلامية البيانية تستخدم لإصدار العبارات الخبرية ... أما الوحدة الكلامية الأدائية بالمقارنة فهي وحدات يؤدي المتحدث أو الكاتب بها عملا و فعلا و ليس مجرد كلام. ³

و قد أجرى أوستين تمييزا ثانيا داخل الأقوال الإنشائية بين الإنشائيات الأولية و الإنشائيات الصريحة ، إذ يمكن أن نجز مثلا عمل الوعد بطريقتين مختلفتين في العربية كما في الفرنسية و الانجليزية:

1- سأكون على الساعة الثانية.

2- أعدك بأنني سأكون هنا على الساعة الثانية .

فالقول (01) إنشائي أولي ، أمّا (02) الذي يحتوي فعلا إنشائيا (وعد) فهو إنشاء صريح ، فهنا تعرض ملاحظتان فيما يتعلق بهذا التمييز بين الإنشائيات الأولية و الإنشائيات الصريحة. ⁴

لعل تصنيف أوستين للأفعال الإنجازية هو أول تصنيف ، فقد صنّفها تصنيفا أوليا هو نفسه لم يكن راضيا عنه ⁵، و حسبنا من ذلك قوله :

¹- جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987، ص191.

²- رتيمي عمر، التيار التداولي في ظل المناهج النقدية المعاصرة (نشأته وأهم مفاهيمه)، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات ، جامعة عمار ثليجي، الاغواط، الجزائر ، العدد2 ، جوان 2011 ، ص89.

³- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب-دراسة معجمية-، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص89.

⁴- صابر الحباشة، التداولية والحجاج- مداخل ونصوص-، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا ، (د ط) ، 2008 ، ص78.

⁵- عبد الرحمن دهماني، أفعال الكلام في ديوان لزوم مالا يلزم لأبي العلاء المعري- دراسة تداولية-، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013-2014، ص62.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

" فإني أميز خمسة أصناف أو فئات عامة و إن كُنْتُ مع ذلك غير مسرور و لا راضٍ عن أية واحدة منها".¹
فأوستين (Austin) بالرغم من كونه غير راض على هذا التصنيف إلا أنه له دور كبير في تأسيس نظرية الأفعال الكلامية لا يمكن نكرانها.

و يمكن عد الأفعال الكلامية عالما ديناميا يتحرك في سلسلة من التداويات و الارتباطات و العلاقات في مستوياتها النظري و التطبيقي و لذلك حاولت نظرية أفعال الكلام لأوستين معالجة هذه الأبعاد حيث عدت اللجوء إلى اللغة يدخل في الإطار العام للفعل الإنساني ، إذ يتضمن أبعادا متعددة يكمن أحدها في القول، و يكمن الثاني فيما يتحقق في استعماله الخاص ، بينما يكمن بعد ثالث فيما يتحقق بفعل هذا القول.²

و قد ركّز أوستين على أنّ كثير من الجمل التصريحية (من قبيل أسمى هذه الباخرة الحرية) تستعمل في بعض السياقات النموذجية لا لوصف حالة للأشياء توجد بمعزل عن القول ، و لكنها جزء أساسي لعمل ما ينجزه المتكلم.³

فعندما أتوجه بسؤال معين لشخص أو تحذير ، أو تنبيه ، فما أقوم به (السؤال / التحذير) هو الفعل القولي ، و (السؤال ، التحذير ، التنبيه) ، هو الفعل المتضمن في القول ، ورد فعل المتلقي (الإجابة ، أو عدم الإجابة ، القبول أو الرفض) هو الفعل الناتج عن القول.

يبرز تحليل أوستين أنّ الفعل الإنشائي يمتاز بوضوحه في الكشف عن ثلاثة أشياء:⁴

أ- التصريح بالضمانيات التي تحدّد العمل اللغوي.

ب- الطابع الإنشائي للقول (مقابل الطابع الوصفي).

ج- نوع العمل المتحقق.

و قد ميّز أوستين نوعين من الأقوال :

¹ - جون لانكشو ، أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص174.

² - سليمة دالي، التحليل التداولي للخطاب، مجلة اللسانيات واللغة العربية ، جامعة عنابة، الجزائر ، العدد05 ، سبتمبر2008، ص168-169.

³ - جون لاينز، الصيغة والقوة الاقولية، (لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية)، جمع وإعداد: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، 2010، ص201.

⁴ - شكري المبخوت: دائرة الأعمال اللغوية-مراجعات ومقترحات- ، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان ، ط1، 2010، ص55.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

النوع الأول : هي تلك الأقوال التي تصف حالا معيناً لشيء أو شخص و يسميها الأقوال التقريبية.
النوع الثاني : فهي لا تصف و لا تُخبر و غير خاضعة لمعيار التصويب بل ميزتها الأساسية أن التلفظ بها يساوي تحقيق فعل في الواقع و يسميها الأقوال الإنشائية ، فهذه تعدّ أهمّ الأقوال الرئيسية التي انطلق منها أوستين.¹

يمكننا تلخيص فكر أوستين في نقطتين اثنتين:²

النقطة الأولى تتمثل في رفضه ثنائية : الصدق و الكذب.

النقطة الثانية : تتمثل في إقراره بأنّ كل قول (énoncé) عبارة عن عمل. يظل فعل الكلام منفتحاً على التأويل والقراءة لانفتاحه على أكثر من اتجاه و تعلقه بأكثر من بعد.³

و قد اقترح (أوستين) نظرية تدعى نظرية الأفعال اللغوية ، ينطلق أوستين من تحديد الفعل (أي النشاط) الذي يمكن أن تنجزه بتلفظنا بهذا النوع من الجمل ، و لفظ فعل هنا يقابل **act** و ليس **verb** و تعني به الحدث أو النشاط الذي ينجز ، و مفاد الفكرة المركزية التي دافع عنها أوستين ، إن تحديد الفعل اللغوي الذي نستعمل له بصورة معيارية ، جملة معينة هو الذي يعطينا معنى تلك الجملة.⁴

ينبني الفكر الأوستيني إذن على أفكار أساسية كانت منعرجاً أساساً لتطور نظرية الأفعال الكلامية فهو يعد الأب التأسيسي لهذه النظرية.

و يميز أوستين بين ثلاثة أنواع من الأفعال اللغوية:⁵

أ- **الفعل القولي (locutionary act)** : و هو فعل التلفظ بجملة تفيد معنى انطلاقاً من معاني ألفاظها أنه بعبارة أخرى ، فعل لقول شيء ما (الفعل هنا قول).

¹ - مؤيد ال صوبلت، التداولية قراءة في النشأة والمفهوم، (التداولية في البحث اللغوي والنقدي)، جمع وإعداد: بشرى البستاني، مؤسسة السياب للنشر والتوزيع، لندن ، ط1، 2012، ص43.

² - الجليلي دلاش، مدخل الى اللسانيات التداولية، ص22.

³ - لطيف حاتم عبد الصاحب الزامل، الكلام عملاً - مقارنة تداولية-، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد16، العدد1، جامعة القادسية، 2013، ص58.

⁴ - عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة ، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص29.

⁵ - المرجع نفسه ، ص30.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

ب- الفعل الإنجازي (illuctionary act) : و هو فعل أمر أو استفهام أو طلب أو عجب أو نداء... الخ إنّه فعل ينجز عندما نقول شيئا ما و هذا الفعل لا يكون متحققا سطحيا في الجملة (الفعل هنا إنجاز).

ج- فعل جعل الانجاز (perloctionary act) : و هو فعل إقناع شخص بشيء ، أو إزعاج شخص أو حمل شخص ما على كلامنا ، إنّه فعل ينجز بقول شيء ما (الفعل هنا انجاز وأثر).
إنّ كل فعل لغوي متضمن في سياق الفعل أو سياق الموقف و لذلك علينا أن نراعي أيضا مؤشرات السياق Kontextindika (مثل علاقة الأدوار المعينة و في الإطار المؤسسي ، و المعرفة الخلفية... الخ).¹

فتح أوستين آفاق المرحلة التداولية بعد أن دشّن مبحثا جديدا بدأه بانتقاد التداوليات الصورية التي لا تمثل في نظره التداوليات بالمفهوم الصحيح ، فهي لا تعدو أن تكون مجرد دلاليّات استفادت في بعض جوانبها من المقومات التداولية ... فاللغة ليست مجرد أداة للإخبار و الوصف ، بل وسيط لبناء الواقع و التأثير فيه و تحويله.² ارتباطها و تفاعلها مع الواقع و تغييره و التأثير فيه هي نقلة متميزة في تصورنا للغة بالانتقال من ذلك المفهوم. يتضح لنا من خلال هذا أن أوستين سلك مسلكا جديدا فهو يرى أنّ اللغة لا تقتصر وظيفتها على البعد التواصلية و الإخباري فحسب و إنما هي تتجاوز هذا المفهوم إلى مفهوم أوسع و أعمق من ذلك ، يتمثل في التداول و هو التواصل إلى أعلى و أسنى من ذلك هو التأثير.

فهو يرى أن وظيفة اللغة الأساسية ليست إيصال المعلومات و التعبير عن الأفكار و إنّما هي مؤسسة تكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية ، حينما يقول القاضي " فتحت الجلسة " يكون قد أنجز فعلا اجتماعيا و هو فتح الجلسة.³

قسّم " أوستين " الأفعال الكلامية من حيث معناها إلى مجموعات وظيفية ، لأنها كثيرة و يستحيل حصرها ثم إنّ إحصاؤها العددي لن يفيد شيئا في فهم وظائفها في الحديث ، و هو تقسيم غير مستفيض باعتراف أوستين ذاته.⁴

1- كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص - مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة: حسن بحري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2010، ص132.

2- حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (د.ط)، 2004، ص122.

3- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، ص155.

4- المرجع نفسه ، ص149

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

لقد شكلت محاضرات أوستين أساساً متيناً لتأسيس نظرية الأفعال اللغوية و التداولية ... حيث فتح عمله المجال أمام دراسات أخرى حاولت بناء هذه النظرية و تطويرها و نذكر هنا على الخصوص أعمال كل من بول غرايس و جون سيرل.¹

و نجد في هذه النظرية أنّ الفعل الإنجازي، يتعلق بالمرسل، أمّا الفعل التّأثيري فإنه يتعلق بالمرسل إليه لأنّه يتوجه إليه، وقد لا تكتمل دائرة التّأثير فيه إلّا عند حدوث ردة فعل من المرسل إليه مثل الاستجابة للأمر.²

1- تصنيف أوستين (Austin) :

1-1- الأفعال الدّالة على الحكم :

و هي الأفعال التي تبث في بعض القضايا بناء على سلطة معترف بها رسمياً ، أو سلطة أخلاقية ، و لا يشترط أن تكون دائماً إلزامية ، فهي قد تدل على التقييم أو التقويم أو الملاحظة ، و تشمل على سبيل المثال أفعال التبرئة ، الحكم ، التقدير ، التحليل ، إصدار مرسوم ... و قد شبه أوستين فعل الحكم بالفعل القانوني المختلف عن الفعل التشريعي و التنفيذي الذي يدخل ضمن مجموعة أفعال الممارسة.³

1-2- أفعال الممارسة :

و هي الأفعال التي تجلّى ممارسة الحق ، و لها القوة في فرض واقع جديد مثل : الانتخاب ، التعيين (الرسمي) ، الاستشارة ، الترشيح ... و هو تحكيم أكثر منه تقدير، و قرار أكثر منه حكم.⁴

1-3- أفعال الوعد :

و هي الأفعال التي تؤسس لدى المتكلم إلزامية القيام بعمل ما معترف به من قبل المخاطب ، إنّ المتكلم بتفوهه بالكلام يؤسس وجوب القيام بمحتوى قوله ، و يعمل المخاطب على الاعتراف بهذه الإلزامية ، مثال ذلك القسم، الرهان ، التعهد ، الضمان.⁵

1- حسن بدوح، المحاور- مقارنة تداولية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، أريد، الأردن، ط1، 2012، ص159.

2- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب- مقارنة لغوية تداولية ، ص75.

3- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، ص150.

4- المرجع نفسه ، ص150.

5- المرجع نفسه ، ص 150.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

1-4- أفعال السلوك :

و هي تشكّل مجموعة متباينة ترتبط بالسلوك الاجتماعي للمتكلم و هي التي تحمل المتكلم على اتخاذ الموقف المنصوص عليه في القول إزاء المخاطب مثل : الاعتذار، التهنة ، التعزية ، الشكر ...¹

1-5- أفعال العرض :

و هي تدخل في علاقة ما يقوله المتكلم عند الحديث عن طريق الحجاج مثل : الإثبات ، التأكيد ، التّفي ، الوصف ، التعريف ، التّأويل ، الشرح ، التّوضيح.²

و بهذا أقرّ أوستين بأنّ كل جملة بمجرد التلفظ بها على نحو جاد ألا و أنجز عمل و قول و عمل متضمن في القول و القيام بعمل تأثير بالقول.³

يبرز لنا من خلال ما تقدم أنّ أوستين كان المؤسس الأوّل لنظرية أفعال الكلام من خلال مجهوداته و تصنيفاته إلا أنّها لم تكن مفصلة بشكل مجمل ، هذا ما جعل سيرل (Searle) يتبنى ما قدمه أستاذه و لكن بشيء من التفصيل و التوضيح.

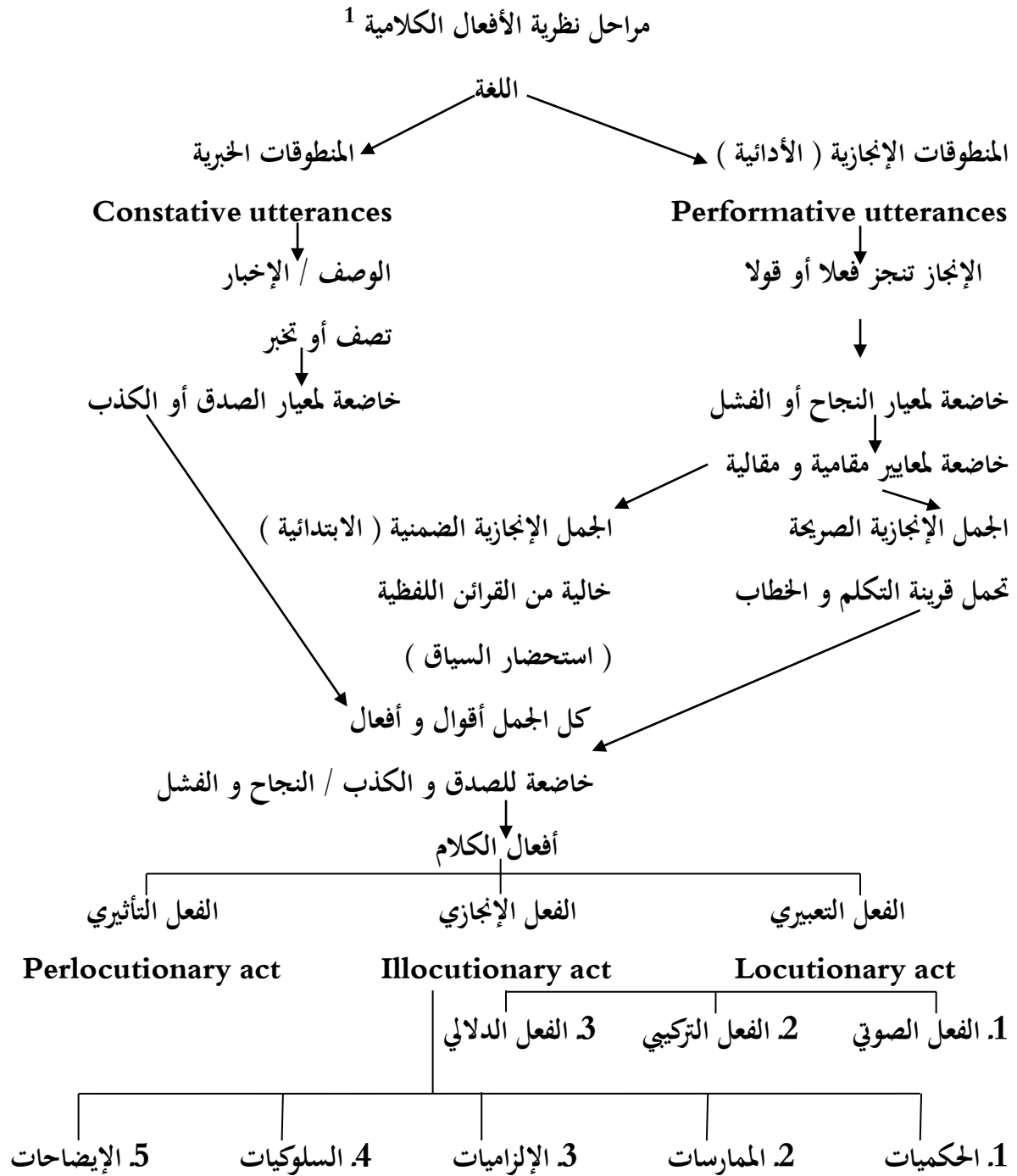
و سنوضح في الخطاطة الآتية مراحل تطور نظرية الأفعال الكلامية حسب نموذج أوستن :

¹ - عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، ص150.

² - المرجع نفسه ، ص151.

³ - أودينة سليم، فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند بورغن هابرماس، مذكرة لنيل درجة الماجستير في الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009، ص25.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)



ثالثاً : الأفعال الكلامية حسب نموذج (Searle) :

يُعدّ سيرل من بين الذين أسهموا في تطوير نظرية أفعال الكلام من خلال إسهاماته ، و قد وسّع جون سيرل نظرية أستاذه " أوستين" فطور نظرية الكلام وأضاف إلى ما جاء به أوستين أفكاراً هامة حيث أنه صنف الأفعال

¹ - حليلة بو الريش ، أفعال الكلام في الخطاب القرآني ، سورة البقرة أمودجا - دراسة تداولية - مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات العامة ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، 2011 - 2012 ، ص 84

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

الكلامية أو أفعال الكلام إلى أفعال مباشرة و أفعال غير مباشرة ، أما الأولى فهي التي تكون فيها علامات الفعل المقصود في الفعل نفسه ، في حين أن الأفعال غير المباشرة فتحتاج إلى تأويل لإظهار نيتها أو قصدتها الإنجازي.¹ قام سيرل بإعادة صياغة نظرية أفعال الكلام بغية تدعيم البعد التواصلية و تطويره ، ذلك إن تكلم لغة ما هو القيام بأفعال لغوية محددة مثل : إعطاء أوامر و طرح أسئلة و التعهد و الوفاء و الوعد و الوعيد ... الخ ، و من ثمة عمد إلى تحديد مفهوم الفعل الإنجازي في نظرية أفعال الكلام ضمن صياغة جديدة للنموذج الأصل عند أوستين.²

ألا نلاحظ من خلال هذه الرؤية أن سيرل ينطلق من مفاهيم و رؤى أوستين ثم يحاول التجديد ، أو بمعنى آخر تطوير ما قدمه أستاذه هذا من جهة ، و أما من جهة أخرى ألا نلمس أن نظرية الأفعال الكلامية هي نظرية غير ثابتة و مستقرة عند مبدع واحد ، و إنما هي تتميز بالتطور حسب ما يقدمه كل مبدع من إضافات و رؤى جديدة ، فهي تسلك مسلك أو مسارا واسعا غير مقيد برأي واحد بما أنّ البحث العلمي عبارة عن تراكمات لمعارف سابقة ، فإنّ نظريات و معارف أي عالم ما هي في الحقيقة إلا امتداد لأفكار و إنتاجات سابقه ، و هذا ما نجده عند جون سيرل فهو من تلامذة أوستين الذين انطلقوا من أفكاره المتعلقة بنظرية أفعال الكلام دراسة و شرحا و تعليقا و نقدا في النهاية ، و من بين الانتقادات أو الاعتراضات التي قدمها سيرل لأستاذه ما يلي:³

1- ليست كل الأفعال التي قدمها أوستين أفعالا **verbs** غرضية تماما ، تأمل على سبيل المثال " أتعاطف " "اعتبر" ، " أقصد " ، و هذا الأخير ليس فعلا أدائيا بصورة واضحة ، فقول أنا أقصد ليس قصدا ، و لا يسمّى في ضمير الغائب فعلا غرضيا فالفعل (قصد فلان كذا) لا يقرر فعلا كلاميا ، و بطبيعة الحال هناك فعل غرضي للتعبير عن القصد ، و لكن تعبير الفعل الغرضي هو " أعبر عن قصد " و ليس أقصد " فأقصد ليس فعلا كلاميا دائما.

2- لا يوجد مبدأ واضح أو متين أو مجموعة مبادئ قام على أساسها التصنيف ، استعمل أوستين بوضوح في حالة الأفعال الإلزامية فقط و بطريقة غير ملبسة الهدف الغرضي على أنه أساس لتعريف هذه الفئة.

1- خولة طالب الابراهيمية، مبادئ في اللسانيات، دار القصة ، حيدرة ، الجزائر، ط2، 2006، ص163.

2- حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، ص125.

3- صلاح اسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص230.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

3- يوجد قدر كبير من التداخل بين فئة وأخرى و قدر كبير من التباين داخل الفئات ، أي وجود مجموعة ضخمة جدا من الأفعال تجدها مباشرة وسط فئتين متباينتين لأنّ مبادئ التصنيف غير منهجية.

4- ليست كلّ الأفعال المدرجة داخل الفئات عند أوستين تفي حقا شروط التعريفات المعطاة لها حتى لو أخذنا التعريفات بطريقة فضفاضة إلى حدّ ما ، و من ثمّ فإنّ التسمية و التوظيف و الحرمان هي الأفعال التي أدرجها أوستين تحت قائمة الأفعال المتعلقة بالممارسة " ليست إصدار الحكم في صالح مسلك معين للفعل أو ضده و تأييد له " و هو تعريف أوستين لتلك الأفعال ، و إنّما هي إنجازات لتلك الأفعال.

و من خلال هذه الانتقادات التي قدمها سيرل لأستاذه بنى نظريته في الفعل الكلامي و اشترط لتأدية الفعل الكلامي شروط صيغت ضمن أربع أنواع من القواعد هي :¹

* قواعد المحتوى الإخباري : تحدد نوع المعنى الذي يعبر عنه بالقسم الإخباري من اللفظ (على سبيل المثال : على فعل " بعد " أن يشير إلى حدث مستقبلي بالنسبة للمتكلم).

* قواعد تحضيرية : تحدد الشروط المسبقة التي يجب أن تحقّق إن كان الفعل أن ينفذ بأمانة أو دقة (فعل على سبيل المثال ، كي يكون الاعتذار مخلصا يجب على المتكلم أن يتأسّف على ما فعل ويقول بعض المحلّلين أنّ فعل " اعتذر " هو فعل إنجازي يدل على صحته بنفسه و هو منسب دائما ، بغض النظر إن قيل بإخلاصه أم لا).

* قواعد أساسية : تحدد كيف يجب أن يحس الحدث الكلامي عادة على سبيل المثال أنّ الشرط الأساسي في " حدث التحذير " أن يحسب في عمل مستقبلي أنه لن يكون في صالح المخاطب. يرى سيرل بأننا من خلال هذه القواعد الأربعة يمكننا صياغة العديد من الأفعال أو الأحداث الكلامية المختلفة و بسهولة ، و كان تقسيمه للأفعال الكلامية كما يلي :²

أ- أعمال قولية (utrance acts) : و تتمثل في التلفظ بالكلمات و الجمل.

ب- أعمال قضوية (propositional acts) : تتمثل في عمل الإحالة و عمل الحمل ... ففي قولك " جاء زيد " عمل إحالة على " زيد " و عمل حمل يتمثل في " جاء ".

ج- أعمال في القول (illucutionary acts) : كالإثبات و الأمر و الوعد.

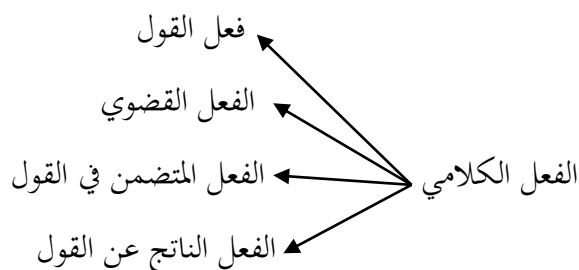
¹- كولنج وآخرون، الموسوعة اللغوية، ترجمة: محي الدين حميدي، عبد الله حميدات، النشر العلمي، 1999، ص177.

²- شكري المبخوت، نظرية الأعمال اللغوية، دار مسكيلياني للنشر والتوزيع، زغوان، تونس، ط1، ديسمبر 2008، ص79.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

د- عمل التأثير بالقول (perlocutionary acts) : و هو من تبعات العمل في القول وتأثيراته في الأفكار و الاعتقادات و الأفعال كالإقناع و الترهيب و الحمل على الفعل.

يختلف تقسيم سيرل للفعل الكلامي عن تقسيم أوستين في إضافته للمحتوى القضوي و لهذا جاء الفعل الكلامي يتكون من أربعة عناصر كما هو واضح في المخطط :



1- تصور سيرل للفعل المتضمن في القول :

انصبَّ اهتمام سيرل على الفعل المتضمن في القول و يرى بأنه جوهر هذه النظرية ، و من خلاله يمكن تصنيف الأفعال إلى مجموعات بحيث لا يهتم سيرل إلا بالأعمال المتضمنة في القول ، فلقد شك في وجود أعمال تأثير بالقول و لم يحفل بحق على سبيل المثال بالأعمال القولية ، يتمثل إسهابه الرئيسي في التمييز داخل الجملة بين ما يتصل بالعمل المتضمن في القول في حد ذاته و هو ما يسميه "واسم القوة المتضمنة في القول" و ما يتصل بمضمون العمل و هو ما يسميه "واسم المحتوى القضوي" ، و على هذا النحو فإننا في جملة " أعدك بأن أحضر غدا " نجد أنّ " أعدك " و هو اسم القوة المتضمنة في القول ، و " أن احضر غدا " هو اسم المحتوى القضوي ، و هكذا فإنّ القائل الذي يتلفظ بجملة " أعدك بأن أحضر غدا " يقصد في مقام أوّل الوعد بأن يحضر غدا ، و يحقق هذا المقصد بفضل قواعد لسانية واضحة تحدّد دلالة جملة " أعدك بأن أحضر غدا " ¹ ، إنّ أهم ما أضافه سيرل للفعل الكلامي المتضمّن في القول هو القوة الإنجازية للفعل ، و قد وضع سيرل لنجاح الفعل الكلامي و تحقّقه مجموعة من المعايير لا بد من توفّرها في الفعل الكلامي نذكر منها :²

1- الغاية من الفعل مثل الحصول على القيام بشيء ما.

2- اتجاه المطابقة بين العلامات اللغوية و العالم الواقعي.

¹ - آن روبرول و جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ، تر : سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني ، مراجعة : لطيف زيتوني ، دار الطليعة للنشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2003 ، ص 33.

² - فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين الى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، 2007، ص 63-64.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

- 3- الحالة النفسية المعبر عنها مثل اليقين ، الرغبة ، الحسرة ، و يلح الكاتب على وصف المعبر عنها فهذا المعيار يعمل حتى عند انعدام الصدق.
- 4- كثافة الاستثمار في تقديم الالقول ف "اقترح" أقل قوة من "أمر".
- 5- وضعية المتخاطبين من جهة كون ذلك يؤثر في القوة القولية (...). فقد يكون الملفوظ نفسه أمرا إذا كان من الأعلى إلى الأسفل و التماسا إذا كان من الأسفل إلى الأعلى.
- 6- الطريقة التي يرتبط بها القول بالمصالح الشخصية للمتخاطبين مثلا: التبجح (و يتعلق بالمتكلم) ، و التعزية و تتعلق بالمخاطب.
- 7- العلاقة ببقية الخطاب مثل أرد ، استنتج ، اعترض.
- 8- المحتوى القضوي المحدد بوسم صريح للقوة الالقولية و الاختلاف بين عرض و توقع يقوم على أساس و سمات تحدد الماضي و المستقبل.
- 9- إمكانية أو عدم إمكانية إنجاز العمل.
- 10- الحاجة أو عدم الحاجة إلى مؤسسة خارجة عن اللغة لإنجاز عمل لغوي.
- 11- وجود أو عدم وجود استعمال إنشائي للفعل الالقولي (فعل وعد) إنشائي بالضرورة أمّا فعل (هدّد) فلا يمكن أن يكون إنشائيا.
- 12- أسلوب إنجاز العمل اللغوي (إذ " أذاع" و"باح") لا يختلفان لا في الهدف و لا في المحتوى بل طريقة إنجاز العمل.

2- تصنيف سيرل للأفعال الكلامية :

أعاد سيرل تصنيف الأفعال الكلامية ، و بذلك أعاد تصنيف أستاذه و لم يبق على تصنيفه فكانت أفعال الكلام عنده كما يلي :

2-1- أفعال الإثبات أو التقريرات (assertives) :

و الغرض منها هو التقرير و نقطة الفعل الكلامي الإثباتي هو التعهد للمستمع بحقيقة الخبر فهي أن نقدّم الخبر بوصفه تمثيلا لحالة موجودة في العالم، و من أمثلة الأحكام التقريرية و الأوصاف الطيبة و التصنيفات و التفسيرات

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

مثل : الوصف ، التفسير ، التّحديد و التّأكيد و شرط الصّدق في الإثبات هو أن نسأل ما إذا كان المنطوق صادقا أم زائفا بالمعنى الحرفي (...) و الإثباتيات يمكن أن تكون صادقة أم زائفة مثال: المطرُ يتساقط¹.

2-2- الأفعال التوجيهية أو الأمرات (priectives) :

و غرضها هو الطلب ، فهي محالة لجعل المستمع يتصرف بطريقة تجعل من تصرفه متلائم مع المحتوى الخبري للتوجيه ، و تتوفر النماذج على التوجيهات في الأوامر و النواهي و الطلبات (...) و شرط الصدق النفسي المعبر عنه هو دائما الرغبة ، كل توجيه هو تعبير عن رغبة بأن يقوم المستمع بالفعل الموجه به ، و التوجيهات من طراز الأوامر و الطلبات ، لا يمكن أن تكون صادقة أم كاذبة.²

2-3- الأفعال الإلزامية أو الوعديات (commitives) :

الغرض منها هو الوعد و كل إلزامي هو تعهد من المتكلم لمباشرة مساق الفعل المتمثل في المحتوى الخبري ، و تتوفر نماذج على الإلزاميات في المواعيد و النذور و الرّهون ، و العقود و الضمانات و التّهديد إلزامي أيضا ، و لكنّه بخلاف بقية النماذج ضد مصلحة المستمع ، و لا يعود عليه بالنفع ، و شرط الصّدق المعبر عنه هو دائما القصد، على سبيل المثال كل وعد أو تهديد هو تعبير للقيام بشيء ما ، و لا يمكن أن تكون حقيقة أو زائفة.

2-4- الأفعال التعبيرية (expressives) :

غرضها التّعبير ، و هي التّعبير عن شرط الصدق للفعل الكلامي ، و النماذج على التعبيرات هي الاعتذارات و التّشكرات و التّهاني و التّرحيبات و التّعزيات و المحتوى الخبري في التعبيرات من الناحية النمطية ليس له اتجاه ملائمة ، لأنّ حقيقة المحتوى الخبري يسلم بها فحسب ، إذا قلت " اعتذر لضربك " أو " تهانينا على فوزك بالجائزة " فأنا أسلم تسليمًا بأنني ضربتك ، أو أنك فزت بالجائزة ، و شرط الصدق في التعبيرات يتغير مع تغير نمط التعبير ، و هكذا فالاعتذار صادق إذا كان المتكلم يشعر بالأسف فعلا عما يعتذر عنه ، و التّهاني صادقة إذا كان المتكلم يشعر بالبهجة حقا لما يُهنئ المستمع عليه.

¹ - جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع - الفلسفة في العالم الواقعي -، ترجمة: سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2006، ص 217 - 218 .

² - المرجع نفسه ، ص218.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

2-5- الأفعال التصريحية (Déclaratives) :

و غرضها هو التصريح ، و كون وظيفتها في إحداث تغيير في العالم بتمثيله ، و كأنه قد تغير فتخلق الأفعال الأدائية و كذلك التصريحات الأخرى ، حالة فقط من خلال تمثيله و كأنه قد تغير ، و أفضل الأمثلة على ذلك: " أعلن أنكما زوج وزوجة " ، " لذلك أعلن اندلاع الحرب " ، " أنت مطرودة " ، " أنا مستقيل " (...) و تَنقَرِدُ التصريحات بين الأفعال بكونها تحدث التغييرات في العالم فقط بفضل الأداء النَّاجح للفعل الكلامي إذا نجحت في إشهاركما زوج و زوجة ، أو أعلنت الحرب ، فإنَّ حالة فعلية توجد في العالم لم توجد من قبل.¹

و فيما يلي جدول يوضح تصنيف سيرل للأفعال الكلامية :²

| Déclaratives | expressives | commitives | assertives | Priectives |
|----------------|---|-----------------|--|---|
| الإعلانات | التعبيرات | الإلزاميات | الإخباريات | التوجيهات |
| إعلان حرب/هدنة | الشكر التهنئة الاعتذار المواساة الترحيب | الوعد الوصية | الوصف تقرير الواقعة كما هي (صدق أو كذب) | الأمر النصح التشجيع الاستعطاف الطلب بأنواعه |

و تجدرُّ الإشارة إلى أنَّ هذا التَّقسيم يتوقف على مجموعة من التَّباينات في الخصائص :³

1- التَّباينُ في غاية الفعل الكلامي : الغاية من الأمر هو حمل الآخر على الإذعان.

2- التباين في مُطابَقة العالم للأشياء.

3- التباين في الحالة النفسية المعبر عنها : إنَّ من يقسم يكون إحساسه مطابقا لذلك بالنسبة لأفعال

الإثبات، فإنَّ المطابقة موجودة ... أمَّا الحالة النفسية فهي الاعتقاد ، في حين أنَّ في أفعال التَّوجيه ، المطابقة

¹- جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع- الفلسفة في العالم الواقعي-، ص219.

²- نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 189.

³- عمر بلخير ونواره بو عياد، تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب باللغة العربية، مجلة الأثر، جامعة تيزي وزو، الجزائر، العدد13 ، مارس2013، ص49.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

موجودة ، و الحالة النفسية هي القصد ، أفعال الوعد : المطابقة موجودة ، و الحالة النفسية هي نفسها المعبر عنها في الغاية الكلامية.

أما الإعلانات : فمطابقة العالم للكلمات تتحقق من الاتجاهين بمجرد تحقيق الفعل ... و لعل تصنيف سيرل كان تصنيفا واضحا مرهون بالقصدية.

و يرى أنّ هناك تماثلا بين البنى العقلية و البنى اللغوية ، إذن فهناك تماثل بين بنية الأفعال الكلامية و حالات القصدية¹ ... و هذا الرأي أمر طبيعي لأن سيرل ينتمي إلى تيار فلسفة العقل.

و يعتبر سيرل أول من وضع فكرة " أوستين " بتقدمه شروط إنجاز كل فعل ، و تحوله من حال إلى حال ، ففي قول القائل " أظن الباب مفتوحا " لأحد أو لمجموعة طلبة مشوشين يخضع إلى جملة من الخطوات لإدراك الفعل المقصود إنجازها منها :

- هناك مجموعة من الطلبة يريدون الفهم ، فأنا أطلب منكم التزام الصمت أو الخروج.

- من الآداب أن نسمع لمن يتكلم ، فهو ينبههم إلى سوء السلوك.

- إنّ التحصيل العلمي يتطلب السكوت و التركيز ، فلا ينبغي الكلام.²

فالأفعال اللغوية من هذه الوجهة تعد مبحثا أساسيا لدراسة مقاصد المتكلم و نواياه ، فالقصد يحدد الغرض من أي فعل لغوي ، كما يحدد هدف المرسل من وراء سلسلة الأفعال اللغوية التي يتلفظ بها ، و هذا ما يساعد المتلقي على فهم ما أرسل إليه ، و من ثمّ يصبح توفر القصد و النية مطلباً أساسياً و شرطاً من شروط نجاح الفعل اللغوي الذي يجب أن يكون متحققاً و دالاً على معنى³ ... لذلك يمكننا القول :

إنّ النظرة الجديدة للغة التي أحدثتها الدراسات التداولية الحديثة غير مضمون أو مفهوم اللغة من كونها دلالات لغوية فقط ، إلى كونها إنجازات و أغراض فعلية تواصلية ترمي إلى صناعة أفعال و مواقف اجتماعية أو مؤسساتية بالكلمات ساعية للتأثير في متلقيها.⁴

¹- ذيب بلخير، تجليات الفعل الكلامي عند جلال الدين القزويني، مجلة مقاليد، العدد5، ديسمبر2013، ص55.

²- ياسة ظريفة، الوظائف التداولية في المسرح مسرحية" صاحب الجلالة" لتوفيق الحكيم نموذجاً، قسم اللغة العربية وأدائها، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010، ص22.

³- نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ط.) (د.ت.ط.)، ص190.

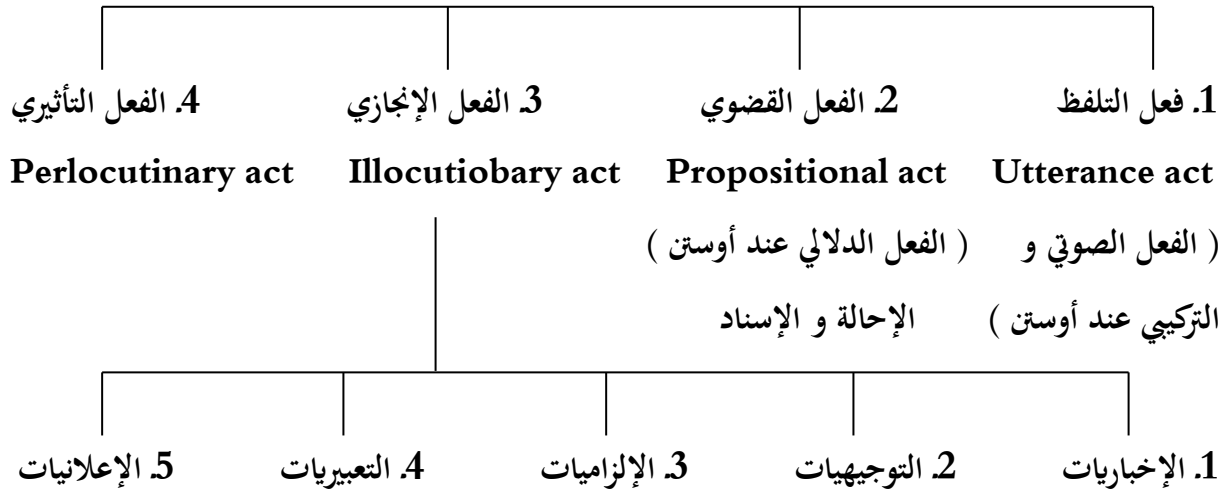
⁴- فريدة لعبيدي، لغة الخطاب الإداري-دراسة لسانية تداولية-، الوسام العربي للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، ط1، 2001، ص251.

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

و نوضح أفعال الكلام عند سيرل كآآتي :

أفعال الكلام عند سيرل¹

الفعل الكلامي



و من خلال عرض آراء كل من " أوستين " و " سيرل " نرى أنه بالرغم من الانتقادات التي وُجّهت إليهما ، إلا أننا لا يجب أن نضعهما في خانة الانتقادات المطلقة و السلبية ، فذلك لا يمنع من كونهما يُجسّدان بالفعل نقطة الانطلاق و الدعم لنظرية أفعال الكلام بصورة خاصة ، و التداولية بصورة عامة. أوستن كان بمثابة الأب الأوّل لنظرية الأفعال من خلال منطلقاته التأسيسية ، و سيرل كان بمثابة الابن الذي واصل بجدارة مشروع الأب ، من خلال الانطلاق من دعائم و أفكار أستاذه مع تطويرها و بنائها بشكل مفصّل . و ما جاء من بعدهما كأفكار غرايس و غيره كانت محاولات جادة تستحق التمييز . نجد أنّ أوستن و سيرل ركّزا بشكل كبير على الجانب المتعلق بأفعال الكلام المباشرة و غير المباشرة .

إذن فإنّ نظرية أفعال الكلام تقوم على أسس ، منها أنّ المقولات و الجمل لا تستعمل فقط للتعبير عن القضايا بل هي أيضا تستعمل في انجاز الأفعال²

¹ - حليلة بو الريش ، أفعال الكلام في الخطاب القرآني ، سورة البقرة أمودجا - دراسة تداولية - ، ص 95

² - هشام عبد الله خليفة ، نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث و المباحث اللغوية في التراث العربي الاسلامي ، مكتبة لبنان ناشرون ، لبنان ، ط1 ، 2007 ، ص 102

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

رابعاً : الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي من خلال التركيز على ظاهرة الخبر و الإنشاء عند بعض العلماء العرب :

نجد الأفعال الكلامية قد دُرست في التراث اللساني العربي ضمن مبحث علم المعاني مع طائفة من علمائنا العرب أمثال : عبد القادر الجرجاني ، أبو يعقوب السكاكي ، الخطيب القزويني ... هذا ما جعل السكاكي يقول : "عَلِمَ أَنَّ علم المعاني هو تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة و ما يتصل بها من الاستحسان و غيره ، ليحتزّز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره " ¹ .

و يوضّح ما يقصده بذلك قوله :

" و أعني بخاصية التركيب : ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب ، جارياً مجرى اللازم له لكونه صادراً عن البليغ ، لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو أو لازماً له هو هو حيناً " ² .

ثمّ يبين السكاكي ما المقصود بالفهم في قوله :

" و أعني بالفهم ، فهمّ ذي الفطرة السليمة ، مثل ما يسبق إلى فهمك من تركيب : إن زيد منطلق ، إذا سمعته عن العرف بصياغة الكلام ، من أن يكون مقصوداً به نفي الشك ، أو ردّ الإنكار أو من تركيب : زيد منطلق من أنّه يلزم مجرد القصد إلى الإخبار ، أو من نحو : منطلق بترك المسند إليه ، من أنّه يلزم أن يكون المطلوب به وجه الاختصار مع إفادة لطيفة مما يلوح بها مقامها " ³ .

و هذا ما نلاحظه عند الخطيب القزويني الذي ركز على مقولة مطابقة المقال *Forme* لـ " المقام " *Situation* و يظهر ذلك واضحاً في قوله عند تعريفه لعلم المعاني :

" و هو علم يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال "

¹ - أبو بكر محمد بن علي السكاكي ، مفتاح العلوم ، تعليق : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1987 ، ص 161 .

² - المرجع نفسه ، ص 161 .

³ - المرجع نفسه ، ص 162 .

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

1- التمييز بين الأسلوب الخبري و الأسلوب الإنشائي و آراء بعض العلماء العرب في ذلك :

و يشير إلى هذه الفكرة " مسعود صحراوي " و يُظهر ذلك جلياً في قوله :

" تتميز المرحلة التأسيسية الثانية من عمر علم المعاني العربي (حتى وفاة السكاكي سنة 629 هـ) بعدم اتفاق العلماء العرب على مصطلح - الإنشاء - الذي هو أحد القسمين الأسلوبيين الأساسيين فلا نجد له ذكراً عند الإمام عبد القادر الجرجاني أو لا عند خلفه أبي يعقوب السكاكي ، و لا عند الفلاسفة الذين ساهموا بقسط وافر في التّقسيمات البلاغية و لاسيّما في موضوع التمييز بين الخبر و الإنشاء كالفارابي و ابن سينا مما يشير إلى عدم شُيوع هذا المصطلح في تلك الفترة خصوصاً بين البلاغيين " .¹

و " ابن فارس " مثلاً يرى أنّ الكلام ينقسم إلى معاني كثيرة ، حصرها في عشرة و هي : خبر و استخبار ، و أمر ، و نهي ، و طلب و عرض ، و تحضيض ، و تمنٍ ، و تعجب .²

و الخبر حسبه هو : " ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه ، و هو إفادة المخاطب أمراً في ماضٍ من زمتن أو مستقبل دائم " .³

أمّا الاستخبار فهو يقابل الاستفهام عند " ابن فارس " فيرى أنّ الاستخبار هو " طلب خبر ما ليس عند المستخبر ، و هو الاستفهام و ذكر ناس أن بين الاستخبار و الاستفهام أدنى فرق ، قالوا : و ذلك أنّ أولى الحالين الاستخبار لأنّك تستخبر فتُجاب بشيءٍ فرمما فهمته و ربما لم تفهمه، فإذا سألت ثانية فأنت مستفهم " .⁴

أمّا عند " السكاكي " فنجدّه يقسّم الكلام إلى خبر و طلب ، و الخبر عنده هو ما يحتمل الصدق و الكذب و يرجع ذلك إلى :

" إمكانية تحقق ذلك الحكم مع كل واحد منهما من حيث إنّه حكم مخبر ، و مرجع كون الخبر مفيد للمخاطب منه ذلك الحكم و يُسمى هذا فائدة الخبر " .⁵

1 - مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 54

2 - أحمد بن فارس ، الصحاحي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها ، المكتبة السلفية ، مطبعة المؤيد ، القاهرة ، مصر ، (د،ط) ، 1910 ، ص

183

3 - المرجع نفسه ، ص 183

4 - المرجع نفسه ، ص 186

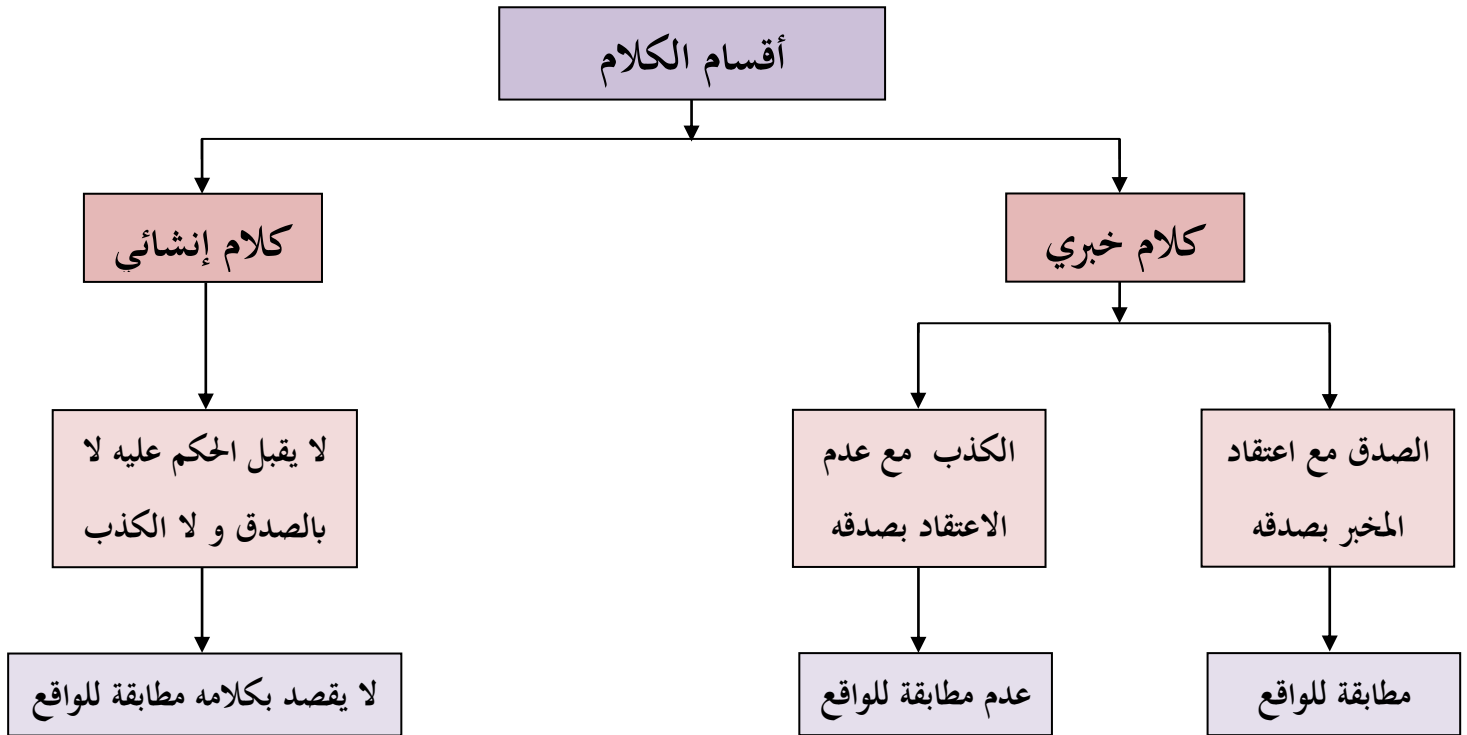
5 - أبو بكر محمد بن علي السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 166

الفصل الأول - التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

أما " جلال الدين السيوطي " فبرى أنّ الكلام يكون إما خيرا ، و إما إنشاء ، إذ يقول : " اعلم أنّ الخذاق من النجاة و غيرهم و أهل البيان قاطبة على انحصار الكلام فيهما و أنّه ليس له قسم ثالث " .¹ و يدعمه في موقفه هذا " الخطيب القزويني " في حصره للكلام بين ثنائية الخبر و الإنشاء فالكلام عنده " إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه ، أو لا تطابقه ، أو لا يكون لها خارج"²

2- الخبر :

اتفق العديد من الباحثين على مدلول الخبر و هو ما يحتمل الصدق أو الكذب مع مراعاة قصد و اعتقاد المخبر ، فإذا كان الخبر مطابق لنسبته الخارجية مع اعتقاد المخبر بمطابقتها فالكلام يكون صادقا ، و إذا كان الخبر نسبته الكلامية غير مطابقة لما هو خارج فهو كاذب. فالخبر يختلف عن الإنشاء ، و هذا ما جعل الخطيب القزويني يعرض لنا الفرق بين الأسلوبين " و الفارق بين الخبر و الإنشاء هو قصد المطابقة أو قصد عدمها في الخبر ، و الإنشاء ليس فيه قصد للمطابقة و لا لعدمها " .³ و يتم توضيح ما سبق ذكره بالمخطط التالي :



1 - جلال الدين عبد الرحمان السيوطي ، الإتيقان في علوم القرآن ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ج1 ، (د،ط) ، (د،ت،ط) ، ص 570

2 - الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني و البديع و البيان ، تحقيق : ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية [بيروت ، لبنان ، ط1 ،

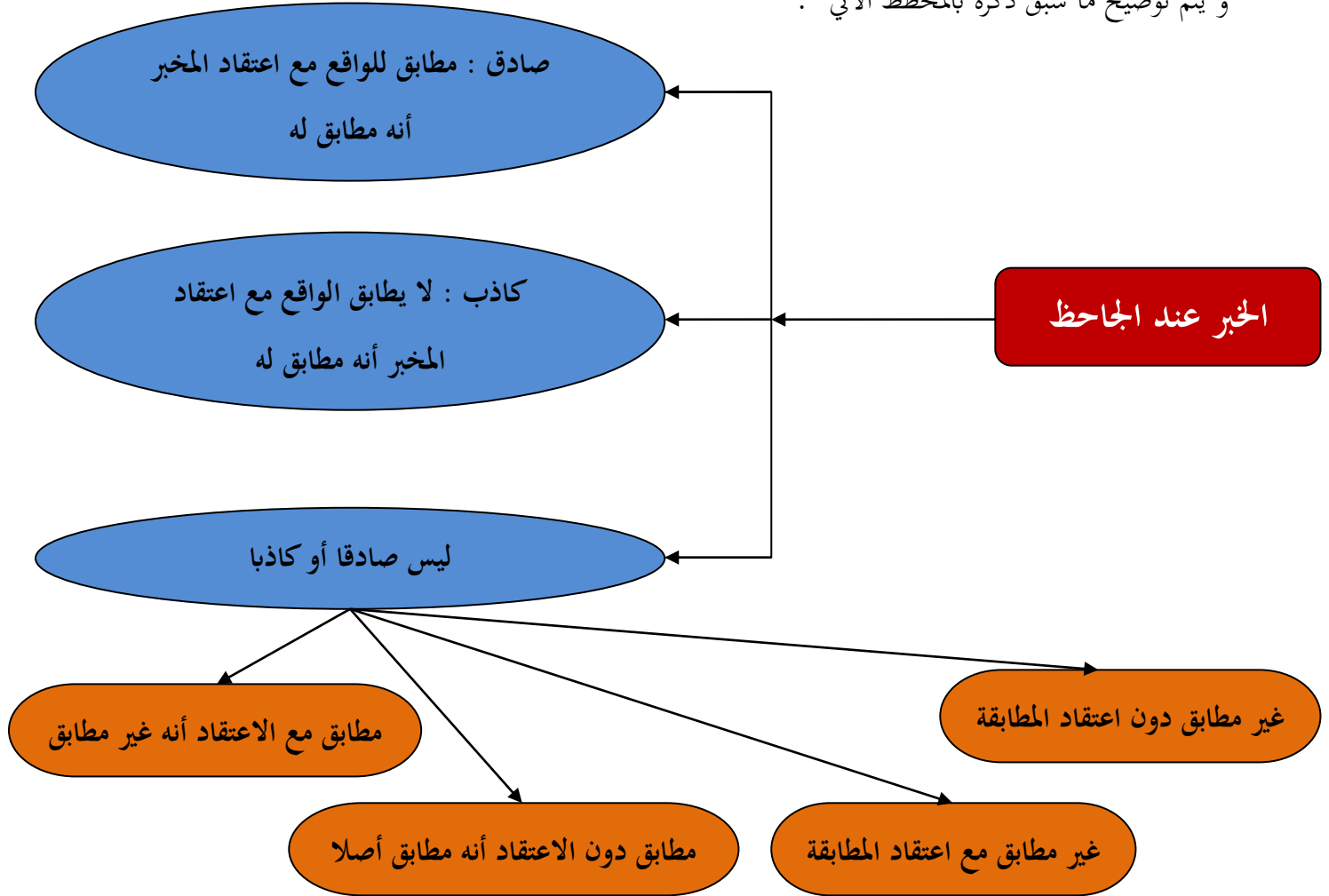
2003 ، ص 55 - 56

3 - المرجع نفسه ، ص 56

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

أما الاتجاه الثالث فيمثله " الجاحظ " الذي يُنكر انحصار الخبر في الصدق و الكذب فقط و يرى أنّ الخبر ينحصر في ثلاثة أقسام و هي :¹

- 1- أن يكون صادقا و بالتالي فهو مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر بأنّه مطابق له .
 - 2- إما أن يكون كاذبا و بالتالي فهو غير مطابق للواقع مع عدم اعتقاد المخبر بمطابقته له .
 - 3- إما أن لا يكون صادقا و لا كاذبا و فيه أربع حالات :
 - أ- مطابق للواقع مع اعتقاد المتكلم أنه غير مطابق .
 - ب- مطابق للواقع دون اعتقاد المتكلم أنه مطابق أصلا .
 - ج- غير مطابق للواقع مع اعتقاد المتكلم أنه مطابق .
 - د- غير مطابق للواقع دون اعتقاد المتكلم أنه مطابق أصلاً .
- و يتم توضيح ما سبق ذكره بالمخطط الآتي²:



1 - الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 61 - 62

2- آمنة لعور ، الأفعال الكلامية في سورة الكهف ، ص 66

3- أقسام الخبر :

يتفق العديد من الباحثين على أنّ الخبر ينقسم إلى ثلاثة أقسام هي :

- خبر ابتدائي .
- خبر طلبي .
- خبر إنكاري .

3-1- الخبر الابتدائي :

هو الخبر الذي لا يحتاج إلى تأكيد و يستغني فيه عن مؤكّدات الحكم لأنّ المتلقي يكون خالي الذهن تماما ، و يقول السكاكي في هذا النوع من الخبر : " فإذا اندفع في الكلام مُجبرا ، لزم أن يكون مقصده في حكمه بالمسند للمسند إليه في خبره ذاك ، إفادته للمخاطب متعاطيا مناطها بقدر الافتقار فإذا ألقى الجملة الخبرية إلى ما هو خالي الذهن عما يلقي إليه ، ليحضر طرفاه عنده ، و ينتقش في ذهنه استناد أحدهما إلى الآخر ثبوتا أو انتفاء ، كفى في ذلك الإنتقاش حكمه و يتمكن لمصادفته إياه خاليا فتستغني الجملة عن مؤكّدات الحكم ، و يُسمى هذا النوع من الخبر ابتدائيا .¹ و مثال هذا النوع قولك لشخص ما : " محمد طالبٌ مجتهدٌ " . فأنت هنا بصدد إخباره باجتهد " محمد " ، فالمتلقي خالي الذهن تماما لا يعلم أنّ " محمد " طالب مجتهد .

3-2- الخبر الطلبي :

يقول السكاكي في هذا النوع : " و إذا ألقاها إلى طالبها متحيرا طرفاها عنده دون الاستناد فهو منه بين لينقذه من ورطة الحيرة ، استحسن تقوية المنقذ بإدخال " اللام " في الجملة ، أو " إن " ... كنحو لزيدٌ عارف أو إنّ زيدا عارف ... و يسمى هذا النوع من الخبر طلبيا .² و مثال هذا النوع قولنا : إنّ محمد طالبٌ مجتهدٌ ، في تأكيدنا على اجتهاد " محمد " لِمَنْ يَشْكُ في اجتهاده .

1 - أبو بكر محمد بن علي السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 170

2 - المرجع نفسه ، ص 170

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

3-3- الخبر الإنكاري :

هو الخبر الذي يتطلب مقامه تأكيد الكلام نتيجة إنكار السامع له و يقول السكاكي في هذا الصدد " و إذا ألقاها إلى حاكم فيها بخلافه ، ليرده إلى حكم نفسه ، استوجب حكمه ليرجع تأكيدا بحسب ما أشرب المخالف الإنكار في اعتقاده " .¹

فلمنكر اجتهاد " محمد " نقول له " إنَّ محمد لطالب مجتهد " و هنا تأكيد الخبر بـ : " لام التأكيد " و " إنَّ " ، أما في حالة من يبالغ في إنكاره لصدق الخبر نقول له : " و الله إنَّ محمد لطالب مجتهد " باستخدام القسم بالله تعالى و أدوات التأكيد السابقة² .

4- المعاني التي يحملها لفظ الخبر :

يخرج الخبر إلى معاني و أغراض مختلفة باختلاف المقامات التي ترد فيها و منها :³

- التعجب : نحو قولك : " ما أجمل هذه الحديقة ! "

- التمني : مثل : " أحببتك رجلاً شهماً "

- النهي : نحو قولك : " لا تقرب الصلاة دون وضوء "

- النفي : مثل : " لا بأس عليك "

- الدعاء و الطلب : نحو : " سامحه الله و غفر له "

- الأمر : في مثل قوله عزّ وجل : " و المطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء "⁴

- التعظيم : مثل قولك : " سبحان الله العظيم " .

5- الإنشاء :

و الإنشاء هو الكلام الذي لا يحتل الحكم عليه ثبوتاً أو نفياً و قد يُطلق على الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه ،⁵ أي لا يقصد من نسبته الكلامية أن تطابق نسبته الخارجية و إنما يبحث عن مدلولات

1 - أبو بكر محمد بن علي السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 171

2- آمنة لعور ، الأفعال الكلامية في سورة الكهف ، ص 68

3 - أحمد بن فارس ، الصحاحي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها ، ص 183

4 - سورة البقرة ، الآية 228

5 - علي بن محمد الجرجاني ، التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1992 ، ص 56 .

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

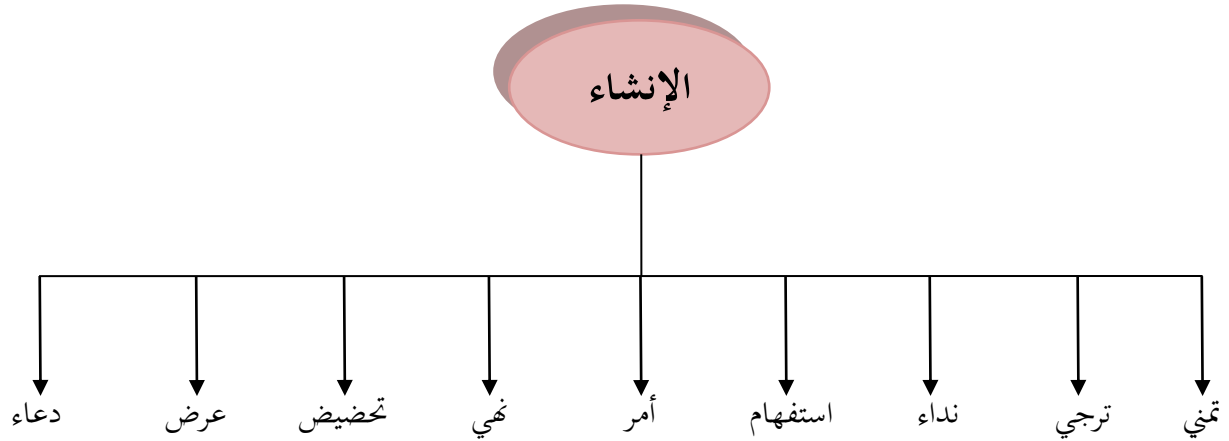
في الخارج تتلاءم مع لفظه. و قيل إنه الكلام الذي " لا يحتمل الصدق و الكذب لذاته ، و لا يصح أن يُقال لقائله إنه صادق أو كاذب ، لعدم تحقق مدلوله في الخارج و توقفه عن النطق به " .¹

الإنشاء قسمان : طلبي و غير طلبي .

5-1- الإنشاء الطلبي و غير الطلبي :

هو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب .² و الإنشاء غير الطلبي ما لا يستلزم مطلوباً ليس حاصلًا وقت الطلب. و من هذا القسم الثاني : أفعال المقاربة ، و أفعال التعجب و المدح و الذم ، و صيغ العقود و القسم ، و زُبٍّ ، و كمّ الخبرية ... و أمض القسم الأول - و هو الإنشاء الطلبي - فقد قسموه إلى تسعة أقسام: أمر ، نهي ، استفهام ، دعاء و عرض ، و تمنٍّ و ترجٍّ و نداء.³

و يمكن توضيح هذه الأقسام على النحو الآتي :



5-2- الأمر :

تعريفه : هو طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى ، حقيقة أو إبداعًا ، سواء أكان الطالب أعلى في واقع الأمر ، أم مدعيًا لذلك .⁴ و للأمر صيغ أربع :

أ- فعل الأمر : كقوله تعالى : " فاغسلوا وجوهكم و أيديكم إلى المرافق " .⁵

1- عبد السلام محمد هارون ، الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 5 ، 2001 ، ص 13 .

2- عبد العتيق عزيز ، علم المعاني ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، مصر ، (د،ط) ، 2004 ، ص 74

3- عبد السلام محمد هارون ، الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، ص 14

4- المرجع نفسه ، ص 14

5- سورة المائدة ، الآية 6

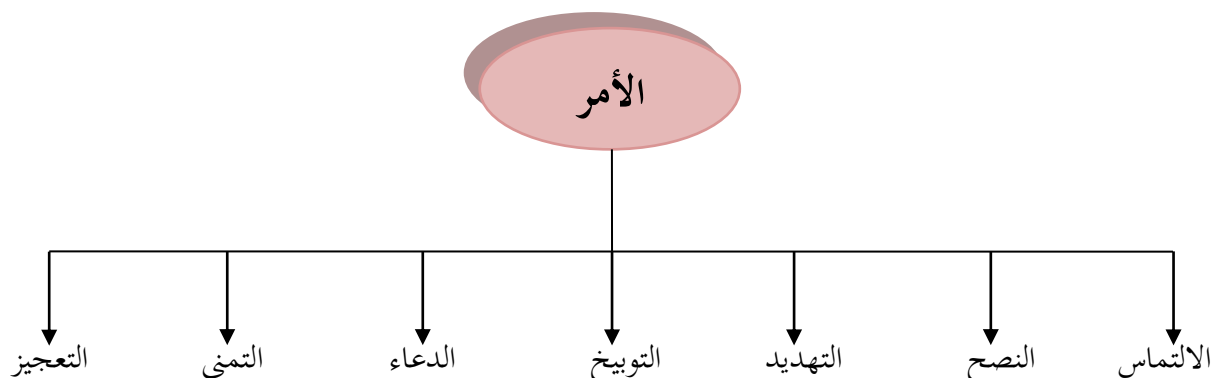
الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

ب- المضارع المقرون بلام الطلب : و هي التي تسمى بلام الأمر ، كقوله تعالى : " فليمددْ بسببِ إلى السماءِ
ثم لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ " .¹

ج- اسم فعل الأمر : كقوله تعالى : " عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ " .²

د- المصدر النائب عن فعل الأمر : نحو قوله تعالى : " فَضَرَبَ الرَّقَابِ " .³

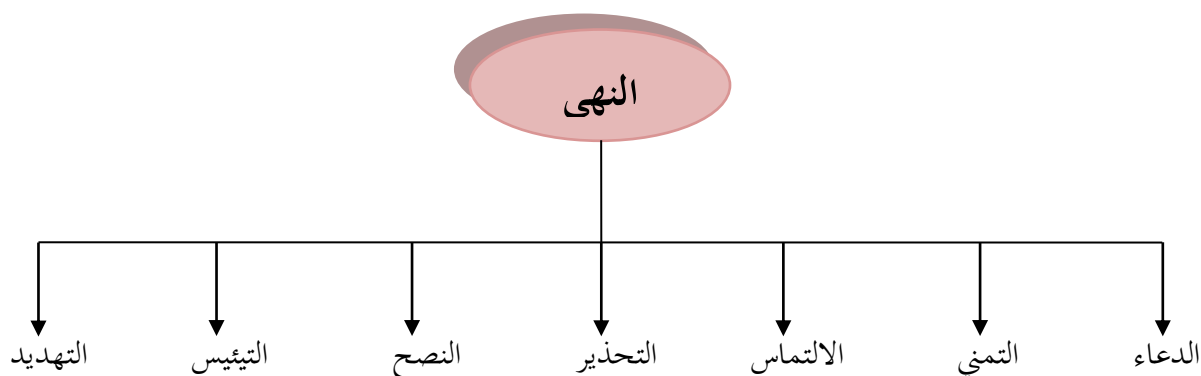
و قد يأتي الأمر ليفيد معاني بلاغية أخرى تُفهم من سياق الكلام نرصدها كما يلي :



5-3- النهي :

تعريفه : و هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء ، و صيغته واحدة ، و هي المضارع المقرون بلا
الناهية،⁴ كقوله تعالى : " و لا تَقْرُبُوا الزنا " .⁵

و قد يخرج النهي عن معناه الحقيقي لِيُفيد أغراض بلاغية أخرى نوضحها كما يلي :



1 - سورة الحج ، الآية 15 .

2 - سورة المائدة ، الآية 105 .

3 - سورة محمد ، الآية 4 .

4 - عبد السلام محمد هارون ، الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، ص 15 .

5 - سورة الإسراء ، الآية 32 .

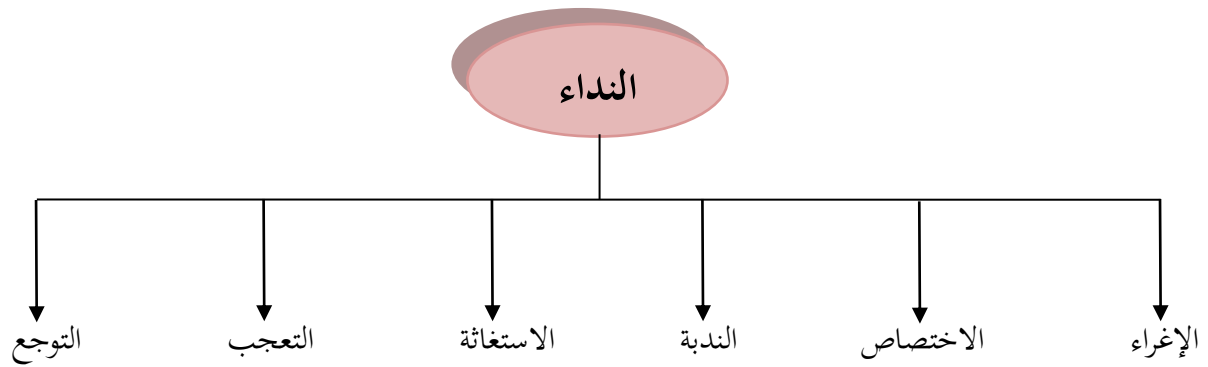
الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

5-4- التمني :

تعريفه : و هو طلب حصول أمر محبوب مستحيل الوقوع أو بعيده ، أو امتناع أمر مكروه كذلك ، و الأصل فيه أن يكون بلفظ (ليت) و قد يأتي ب : لو ، و هل ، و لعل ، و هلا ، و ألا ، و لولا ، و لوما¹ قال تعالى : " يا ليتني اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً " .²

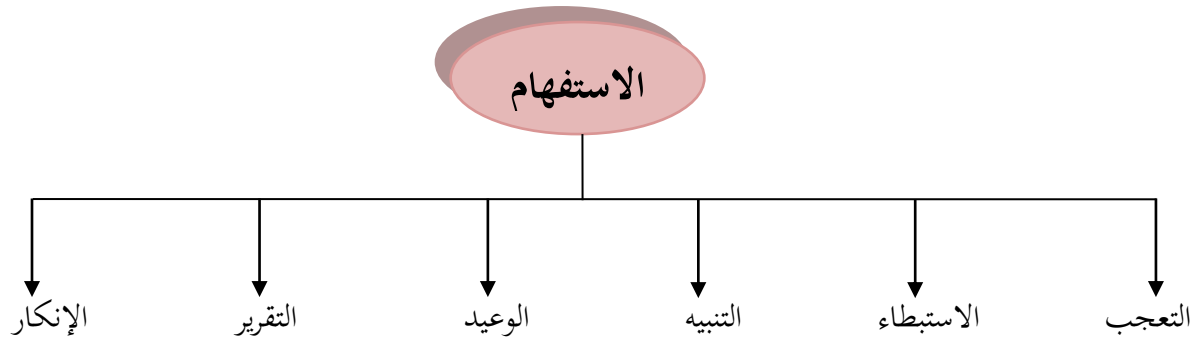
5-5- النداء :

تعريفه : و هو المنادى بحرف نائب عن أدعو ، و الأصل في مناداة القريب أن تكون بالهمزة أو أي ، و في نداء البعيد أن تكون بغيرهما ...³ و قد يأتي النداء لأغراض بلاغية أخرى تُفهم من سياق الكلام :



5-6- الاستفهام :

تعريفه : و هو طلب الفهم ، أي طلب العمل بشيء لم يكن معلومًا ، بواسطة أداة من أدواته ، و هي : الهمزة ، و هل ، و مَنْ ، و ما ، و متى ، و أين ، و أيان ، و أنى ، و كيف ، و كم ، و أيُّ.⁴ قد يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى منها :



1 - عبد السلام محمد هارون ، الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، ص 17 .

2 - سورة الفرقان ، الآية 27 .

3 - عبد السلام محمد هارون ، الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، ص 17 - 18 .

4 - المرجع نفسه ، ص 18

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

و غيرها من الأغراض البلاغية الأخرى.

و من خلال ما تم عرضه يتضح أنّ بذور الأفعال الكلامية كانت ضمن مباحث علم المعاني و بالتحديد الخبر و الإنشاء و يظهر جلياً أنّ العارف بصياغة الكلام ، كما يقول السكاكي ، يُدرك أنّ هذه الأمثلة : إنّ زيداً مُنطلقاً، تُعدّ تراكيب نحوية سليمة ، تدلّ على معانٍ معينة ، بحسب قصد المتكلم و المقام في كل منهما.¹ و إنّ هذه التراكيب بمعايير أوستن و سيرل تشكّل أفعالاً إنجازية مختلفة بحسب قصد المتكلم و المقام ، و لذلك تمّ استعمالها بصيغ مختلفة ، فالمثال الأوّل يحوي قوة إنجازية دالّة على ردّ الإنكار أو نفي الشك لمخاطب شك و مُنكرٍ للكلام ، و المثال الثاني / وردّ خالياً من أدوات التوكيد ، ليدلّ على مجرد القصد إلى الإخبار فقط ، فهو فعل إنجازي منوط به الإخبار عن انطلاق زيد و إثباته له. و المثال الثالث يُعدّ أيضاً فعلاً لغوياً يُفيد الإخبار عن انطلاق زيد ، لكن حذف فيه المسند إليه (زيد) مُراعاة للمقام ، و ما الفرق بين هذه الأفعال اللغوية سوى درجة الشدّة بحسب الغرض المتضمن في القول.²

لكن بالرغم من اندراجها ضمن مبحث " علم المعاني " إلا أنّها كانت عبارة عن مجرد آراء و أفكار أو بالأحرى بصمات أولى تأسيسية لم ترق بعد إلى التنظير للأفعال الكلامية فقد تطورت و برزت بشكل كبير عند الغرب – عند أوستن و سيرل – و غيرها .

¹ - باديس لوهيل ، الاستعمال اللغوي لأضرب الخبر في مفتاح العلوم للسكاكي (مقارنة تداولية) ، مخبر اللسانيات و اللغة العربية ، العدد 1 ،

جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، ديسمبر 2013 ، ص 116

² - المرجع نفسه ، ص 116

الفصل الثاني : مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال

الكلامية

توطئة

أولا : الإخباريات (Assertives)

ثانيا : التوجيهات (Directives)

ثالثا : التعبيرات (Expressives)

رابعا : الإعلانيات (Déclaratives)

خامسا : الإلزاميات (commissives)

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

توطئة :

لكل عمل نظري مقابله المتمثل في العمل الإجرائي، وموضوع بحثنا هو الدرس التداولي في جزئته الأولى " نظرية الأفعال الكلامية وذلك لكون النظرية التداولية يحتزها العديد من الباحثين في نظرية أفعال الكلام، لذلك نحاول تطبيقها على مدونة تراثية تحمل في حوزتها بذور الدرس التداولي، ووقع الاختيار على مجمع الأمثال للميداني* التي تعدّ من أهم النماذج لاحتوائها على كل المقومات البلاغية واللغوية والتأثيرية و القصدية وهذا هو مغزى الدرس التداولي بامتياز الذي ينصبّ على الإقناع والتأثير، ذلك أن الأمثال قريبة من حياة الإنسان اليومية بصورة خاصة والمجتمعات العربية بصورة عامة، لما تحمله أيضا من غاية إصلاحية إرشادية وتوجيهية، فحاولنا ربط هذا المنهج الجديد التداولي-ببذرة من بذور التراث العربي-الأمثال العربية القديمة-حتى نستشف نجاحه وآفاقه لكونه مازال إلى يومنا هذا محل اهتمام الدارسين والباحثين.

نحاول تطبيق نظرية أفعال الكلام على تصنيفات جون سيرل (j.searle) الأفعال التوجيهية - الأفعال الإخبارية - الأفعال التعبيرية - الأفعال الإعلانية - الأفعال الإلزامية من خلال نماذج منتقاة من المدونة التراثية.

أولا : الإخباريات (Assertives):

يشمل هذا القسم من أفعال الكلام كلّ الأفعال و العبارات التي تصف وقائع و أحداث في العالم الخارجي ، و غرضها الإنجازي هو أن تنقل هذه الوقائع بأمانة ، و لن يتأتى ذلك إلا بتوفّر شرط القصد في الإبلاغ.¹ لذلك نحاول في بحثنا هذا رصد بعض النماذج من الإخباريات الواردة في مجمع الأمثال للميداني ، و نقتصر على باب الألف ، التاء و الكاف .
جاء في باب الألف مجموعة من الأمثال التي تتضمّن الإخبار لذلك نحاول تبيان أهمّ الأفعال الإخبارية و كيفية تأثيرها على المستمعين .

* أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الفضل الميداني النيسابوري ... 25 رمضان 518 هـ / 6 نوفمبر 1124. ولد و نشأ و ترعرع في نيسابور حاضرة خراسان ، و الميدان محلة من محالها إلى ميدان زياد بن عبد الرحمان و إليها نسب . توفي الميداني في ما ذكره عبد الغفار بن اسماعيل الفارسي في نيسابور في يوم الأربعاء الخامس و العشرون من رمضان ليلة القدر سنة ثمان عشر و خمسمائة و صلى عليه الإمام شاهرور و دفن بالمقبرة بأعلى ميدان زياد بن عبد الرحمان (أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، ص 15 - 16)

¹ - خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، ص 147.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

| عددها | حضورها في مجمع الأمثال-باب الألف ا نموذجا | الإخباريات |
|-------|---|-----------------------------|
| 34 | <p> إِنَّ الْبُعَاثَ بَأْرَضِنَا يَسْتَنْسِرُ . -إِنَّ الْجَوَادَ قَدْ يَعْتُرُ . -إِنَّ الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ يُفْلَحُ . -إِنَّ الْكُدُوبَ قَدْ يَصْدُقُ . -إِنَّمَا يَجْرِي الْفَتَى لَيْسَ الْجَمَلُ . -إِنَّ الْهَزِيلَ إِذَا شَبِعَ مَاتَ . -إِنَّ أَخَا الْعَزَاءِ مَنْ يَسْعَى مَعَكَ . -إِنَّ كَثِيرَ النَّصِيحَةِ يَهْجُمُ عَلَى كَثِيرِ الظَّنَّةِ . -إِنَّ الْقَنُوصَ تَمْنَعُ أَهْلَهَا الْجَلَاءَ . -إِنَّ الْمَنْبِتَ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى . -إِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّيْعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلْمُ . -إِنَّ الرَّثِينَةَ تَفْتَأُ الْغَضَبَ . -إِنَّ الْمَعَاذِيرَ يَشْوِبُهَا الْكَذِبُ . -إِنَّ الْخِصَاصَ يُرَى فِي جَوْفِهَا الرَّقْمُ . -إِنَّ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْوَحْيَ أَحْمَقُ . -إِنَّ الْمَقْدِرَةَ تُدْهَبُ الْحَفِظَةُ . -إِنَّ الْعَوَانَ لَا تُعَلِّمُ الْخِمْرَةَ . -إِنِّي لِأَكُلُ الرَّأْسَ وَأَنَا أَعْلَمُ مَا فِيهِ . -إِنَّ السَّلَاءَ لَمَنْ أَقَامَ وَوَلَدَ . -إِنَّكَ لَا تَعْدُو بِغَيْرِ أُمَّكَ . -إِنَّ الدَّلِيلَ مِنْ دَلٍّ فِي سُلْطَانِهِ . -إِنَّكَ لَا تَدْرِي عِلَامَ يُنْزَأُ هَرْمُكَ . -إِنَّكَ لَا تَسْعَى بِرَجُلٍ مِنْ أَبِي . -إِنَّكَ لَا تَهْدِي الْمِتْضَالَ . </p> | <p>التأكيدية والتقريرية</p> |

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

| | |
|--|---|
| | <p>- إِنَّ أَحَاكَ لِيُسَّرَ بَأَن يُعْتَقَلَ.</p> <p>- إِنَّ الْهَوَى يَقَطَعُ الْعُقْبَةَ.</p> <p>- إِنَّهُ لِيَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تُؤْكَلُ الْكَتِفُ.</p> <p>- إِلَى أُمِّهِ يَلْهَفُ اللَّهْفَانُ.</p> <p>- أَتَتَكَ بِحَائِنٍ رِجَالُهُ.</p> <p>- أَتَتَكُمْ فَالِيَةُ الْأَفَاعِي.</p> <p>- إِنَّ كُنْتَ رِيحًا فَقَدْ لَأَقَيْتَ إِعْصَارًا.</p> <p>- إِنَّ ذَهَبَ عَيْرٍ فَعَيْرٌ فِي الرِّبَاطِ.</p> <p>- إِذَا تَرَضَّيْتَ أَحَاكَ فَلَا أَحَا لَكَ.</p> <p>- أَمْرٌ مَبْكِيَاتِكَ لَا أَمْرٌ مُضْحِكَاتِكَ</p> |
|--|---|

هذه الأمثال التي تم اختيارها من باب الألف يمكننا تصنيفها ضمن الإخباريات و الذي يعدّ من شروطها استحضار المتكلم لشواهد تبرهن لنا صدق ما يُقَرُّه. لهذا نجد الأمثال تحفل بالأفعال التي تجعلها تنبض بالحركة و الحيويّة و من خلالها يتحقّق الهدف التواصلي والمطلب التداوُّلي. فقد غلب على هذه الأفعال الفعل الماضي و المضارع و كلّ من هاذين الفعلين له أبعاد و غايات تداوُّلية فالفعل المضارع يفيد الحركة ، أمّا الماضي يفيد التقرير و التوضيح ، فتعاقب الأفعال التقريرية على هذا النحو جاء لغرض تداوُّلي يفيد أو يساعد على ربط الأحداث و تسلسلها ، أمّا على مستوى الجمل فقد جاءت في الغالب خبرية تقريرية بغرض إفادة السامع بما تضمّنته من قوة إنجازية ، وقد عدّ سيرل (searle) الخبر هو الغرض المتضمّن في القول ، و الغرض الإنجازي لأفعال هذه الأمثال باختصار هو تقريب الحقائق و ذلك باعتماد أسلوب التأكيد حيناً و أسلوب التمثيل حيناً آخر. لذلك نحاول الوقوف عند بعض هذه الأمثال و نرصد القوّة الإنجازيّة التي احتوتها.

إِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ.¹

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 36.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

دلالة المثل كما أورده الميداني : " قاله عليه الصلّاة والسّلام في صفة الدّنيا والحثّ على قلّة الأخذ منها "1، و أوضح الأزهري ذلك "... فأما قوله " و إنّ ممّا يُنبئ الرّبيع ما يقبل حبّطاً أو يلمّ " فهو مثل المفرط الذي يأخذها بغير حقّ ، و ذلك أنّ الرّبيع يُنبئ أحرار العُشب فتستكثر منها الماشية حتّى تنتفخ بطونها إذا جاوزت حدّ الاحتمال ، فتنشق أوعاؤها و تُهلك ، كذلك الذي يجمع الدّنيا من غير حلّها و يمنع ذا الحقّ حقّه يهلك في الآخرة بدخوله النّار "2.

ينطوي المثل ضمن صنف الإخباريات أو التّقريريات فالمتكلم بصدد الإخبار و التّأكيد على ترك الاهتمام بملذّات الدّنيا و يهتمّ بها هو شبيه ما ينبئ الرّبيع من أعشاب فتستكثر منها الماشية حتّى تهلك في آخر الأمر ، كذا الحال بالنّسبة للإنسان المفرط يستهلك بدخوله للنّار.

فالفعل الكلامي يبدو سليماً من النّاحية الصوتية ، التّركيبية و الدّالية.

و الفعل المتضمّن في القول عدم الإكثار من الإفراط في الدّنيا ، أمّا الفعل الناتج عن القول حمل المتلقّي و حتّهُ على ترك الملذّات و الشّهوات الّتي تؤدّي إلى التّهلكة و المضرة ، فالقوة الإنجازية الظّاهرة هي الإخبار و التّأكيد ، أمّا القوة الانجازية المستلزمة ضمناً أو مقامياً هي التّحذير ، التّخويف ، التّنبية و التّوجيه.

لقد استوفى الفعل الكلامي الإخباري شروطه (شروط الملائمة) فالمخاطبون قادرون على انجاز الفعل بمجرد الترك (ترك الإفراط في الدنيا) و المتكلم على يقين من قدرة المتلقّين على انجاز الفعل لأنّه يترتّب على فعل الإفراط الرّائد إلى عقوبة شديدة و بذلك يتحقّق الشرط الأساس المتمثّل في الإقناع و التأثير خاصّة إذا راعينا منزلة المتكلم و سلطته كيف لا و هو الرّسول الصّادق الأمين فإذا استجاب المتلقّي لما أمر حتّ الرّسول صلى الله عليه وسلم تكون قد حدثت المطابقة ، فالتّحذير و التّخويف و الإنذار يُرعب المتلقّي و يؤثّر في سلوكه ، و من ثمّ يكون الفعل الكلامي قد أحدث تغييراً و أنجز فعلاً بالقول و يتمثّل تبيان ذلك كالآتي :

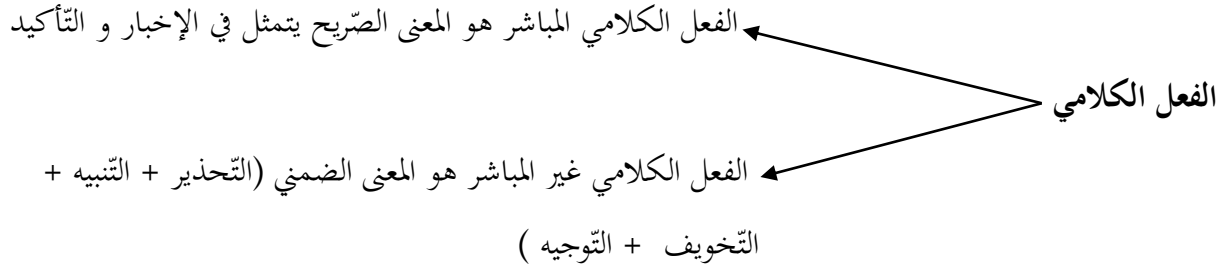
الرّسول صلواته عليه وسلم
المتلقّي (السّامع)

ويتّمّ توضيح بنية الفعل الكلامي :

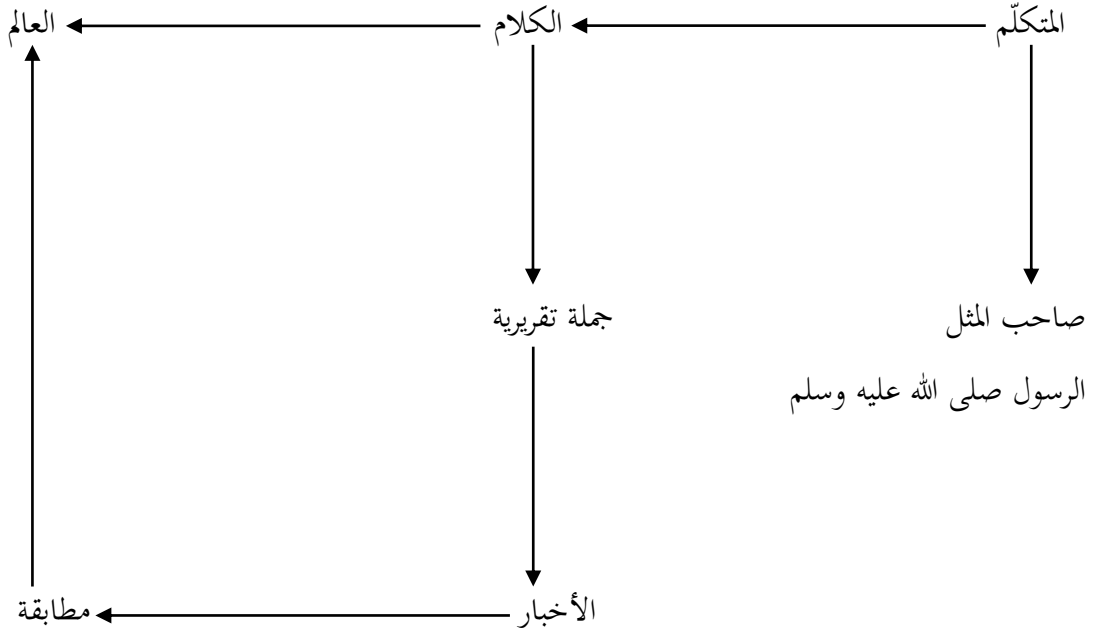
1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 36.

2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 36.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية



و اتّجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم في الشكل الآتي :



و في هذا المثل : **إِنَّ الْمُنْبِتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى**.¹

و دلالة هذا المثل كما أورده الميداني : " قاله عليه الصلّاة و السّلام لرجل اجتهد في العبادة حتّى هجمت عَيْنَاهُ : أَي غَارَتَا ، فَلَمَّا رَأَهُ قَالَ لَهُ : " إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغَلْ فِيهِ بِرَفِقٍ ، إِنَّ الْمُنْبِتَّ أَي الَّذِي يَجْدُ فِي سِيرِهِ حَتَّى يَنْبِتَ أَحْيَرًا ، سَمَاهُ بِمَا تَوَوَّلَ إِلَيْهِ عَاقِبَتَهُ ..."².

فلمتكلم هنا الرسول عليه الصلّاة و السّلام بصدد الإخبار و التأكيد على قضية جوهرية من قبيل عدم المبالغة في الشّيء و الإفراط فيه ممّا ينجّم عن ذلك حرمان النفس و جهدها بما لا تطيق و تكون نهايتها كحال هذا الرّجل تمامًا، فالقوة الإنجازية الظاهرة هي التأكيد و الإخبار ، أمّا القوة الإنجازية المستلزمة ضمنيًا أو مقاميًا هي التّصحّح ، التّوجيه ، التّحذير و التّنبية ، فلقد تضمّنت هذه القوى أفعالاً متضمّنة في القول (المعنى الخفي أو المسكوت عنه) فالإنسان عليه أن لا يجهد نفسه فيؤذيها كحال هذا الرّجل حتّى هجمت عيناه فلاحظ المتكلم

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمّد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 35.

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 35.

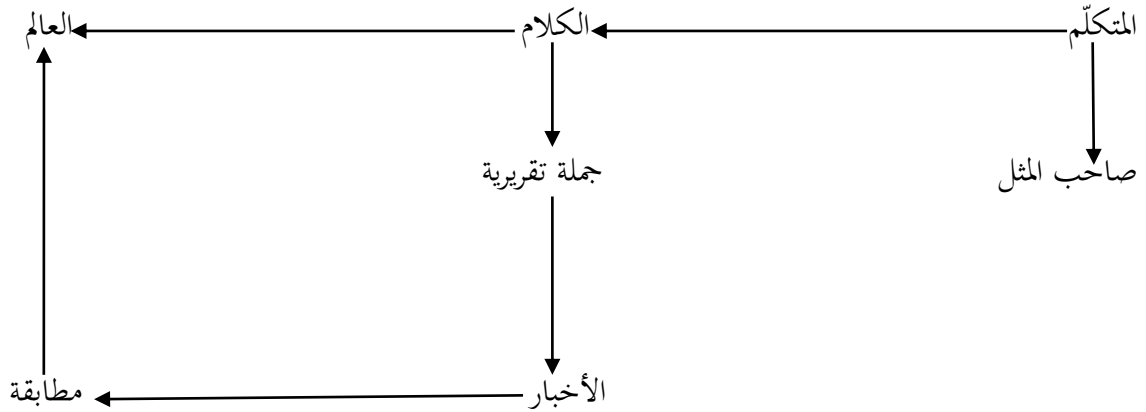
الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

ذلك فنبتّه و حَدَّرُهُ ، و استخدام الأداة " إِنَّ " الّتي أسهمت في تقويّة الدّلالة و تأكيدها حتّى يكون وقعها كبيراً لدى المتلقّي أو السّامع.

بما أنّ المثل ينضوي تحت الإخباريات فاتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم ، و قبل ذلك نوضّح بنية الفعل الكلامي :

الفعل الكلامي ← الفعل الكلامي المباشر أو القوّة الإنجازية الظّاهرة هي الإخبار+التّأكيد
 قَطَعَ...أَبْقَى ← الفعل الكلامي غير المباشر أو القوّة الإنجازية المستلزمة ضمناً أو سياقياً
 (التّنبية + التّحذير + النّصح + التّوجيه) مع انعدام القرائن الدّالة عليها.

أمّا عن اتجاه المطابقة كالاتي :



وفي هذا المثل : إِنَّكَ لَا تَسْعَى بِرَجُلٍ مِنْ أَبِي .¹

و دلالة المثل كما أوردها الميداني : يُضْرَبُ عِنْدَ امْتِنَاعِ أَخِيكَ مِنْ مُسَاعَدَتِكَ.²

بنية الفعل الكلامي يتم توضيحها كالاتي :

الفعل الكلامي ← القوّة الانجازية الظّاهرة أو المباشرة هي الإخبار+التّأكيد استدلالاً عليها
 بقرينة بنيوية دالة عليها(لا تسعى).
 (لا + تَسْعَى) ← القوّة الإنجازية المستلزمة ضمناً أو مقامياً هي النّصح ، التّأكيد ، التّوجيه
 مع انعدام القرائن الدّالة عليها.

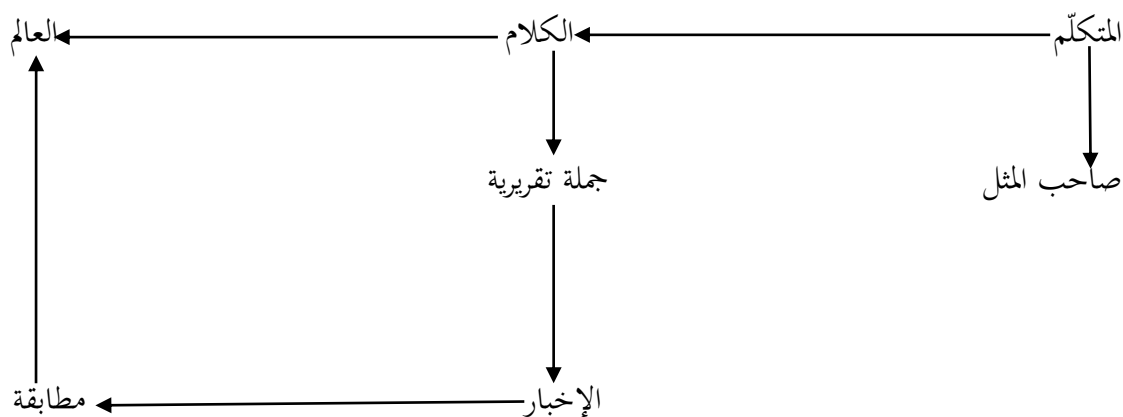
¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 95.

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 95.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

لقد أحدث صاحب المثل من خلال الفعل الكلامي قوّة إنجازية إخبارية تدعمت بصيغة المضارع قصد التأكيد على ضرورة أن يحافظ الإنسان على كرامته و عزّة نفسه و لا يتصرّع لأحد لا يرغب في تقديم المساعدة له ففعل القول جاء سليماً من التّاحية الصوتية ، التّركيبية و الدلالية ، أمّا الفعل المتضمّن في القول هو الحفاظ على كرامة الإنسان و مروءته .

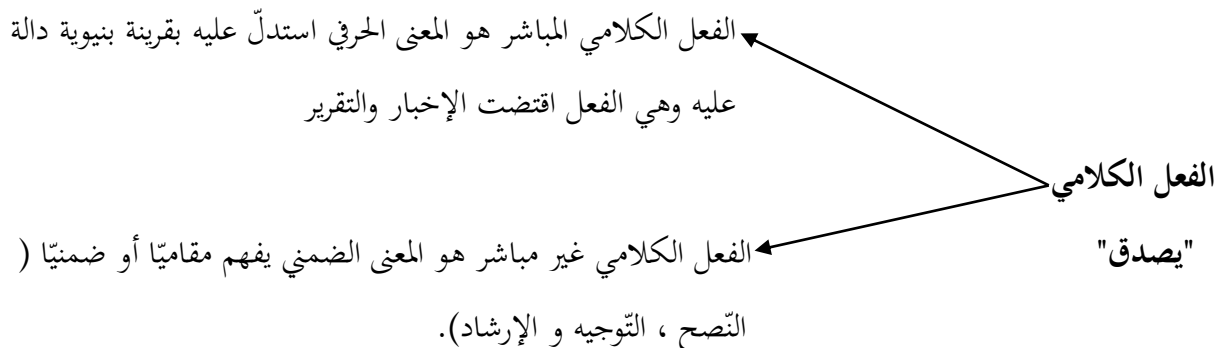
أمّا الفعل التّأثيري هو حثّ المتلقّي على ضرورة الاعتماد على النفس دون الخضوع إلى الغير ، فالقوّة الإنجازيّة الظّاهرة هي الإخبار والتّقرير ، أمّا القوّة الإنجازية الضمنيّة المستلزمة مقامياً هي النّصح ، التوجيه ، و التّأكيد ، و لعلّ الأداة " إنّ " (استخدمت كمؤشر لتقويّة الدّلالة و ترك أثر في نفسيّة السّامع . إنّ المثل يمكن تصنيفه ضمن الإخباريات فاتجاه المطابقة إذن من الكلمات إلى العالم كما يلي :



إِنَّ الْكَذُوبَ قَدْ يَصْدُقُ.¹

و دلالة المثل كما أوردها الميداني : " قال أبو عبيد : هذا المثل يُضْرَبُ للرجل تكون الإساءة الغالبة عليه ، ثم تكون منه الهنّة من الإحسان " .²

بنية الفعل الكلامي يتمّ توضيحها كما يلي :



1 - أبو الفضل أحمد بن محمّد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص46.

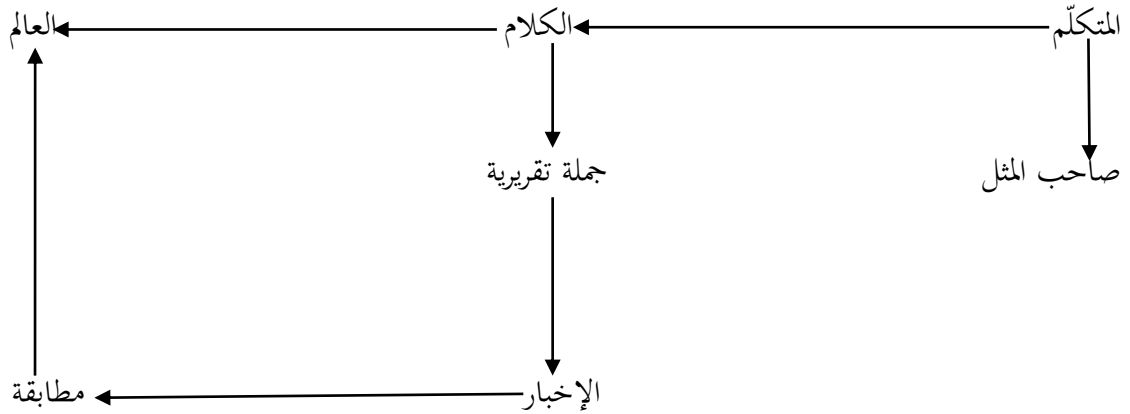
2 - المصدر نفسه، ص46.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

ينضوي المثل ضمن صنف الإخباريات أو التقريريات.

فالمتكلم هنا بصدد الإخبار على عدم الحكم على الإنسان حكماً نهائياً فالشخص الذي يكذب قد تغلب عليه الإساءة ولكن يأتي يوم ويصدق فتظهر بذلك حسناته . فالقوة الانجازية الظاهرة أو المباشرة هي : التقرير و الإخبار ، أما القوة الانجازية المستلزمة ضمناً أو سياقياً هي النصح الإرشاد و التوجيه .
فالفعل الكلامي جاء سليماً من الناحية الصوتية ، التركيبية والدلالية ، واستخدام الأداة " إن " لتقوية الدلالة و تأثيرها في ذهن المتلقي أو السامع .

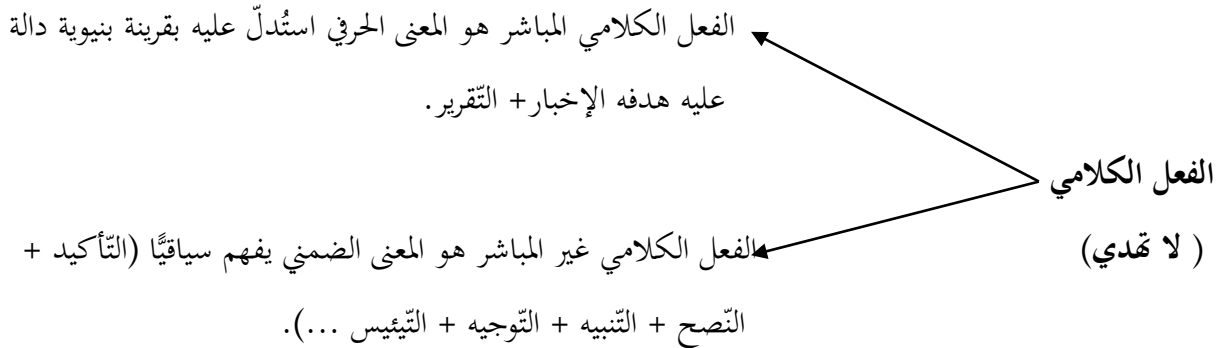
و الفعل التأثيري الناجم من وراء الفعل الكلامي هو حث المتلقي على عدم الحكم على الإنسان حكماً نهائياً ، بما أن المثل يندرج ضمن الإخباريات فإتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم كما هو موضح في هذا المخطط .



إِنَّكَ لَا تَهْدِي الْمُتَضَالَّ¹.

و دلالة المثل كما أوردها الميداني : " أي من ركب الضلال على عمدٍ لم تقدر على هدايته " .²

بنية الفعل الكلامي يتم تمثيلها كما يلي :



¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 102 .

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 102 .

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

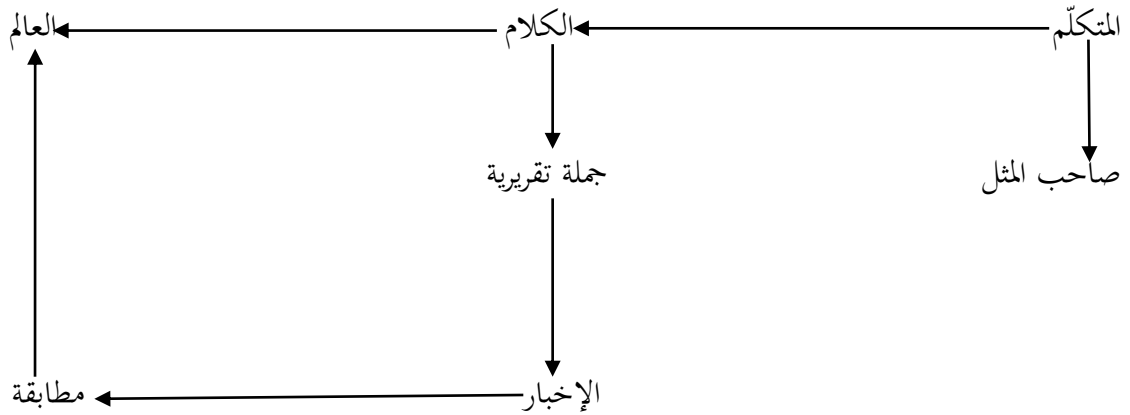
إنَّ إرسال المثل ليس أمراً متيسراً في كل لحظة ، فهو نتاج تراكمات قد تجد فسحة لها في لحظة ما فتنفجر كالينبوع الدافق الذي لا يكون وليد هنيهات أو سويغات ...¹

لقد بيّن المتكلم -صاحب المثل- من خلال الفعل الكلامي قوّة انجازية إخبارية مفادها أنّ الشّخص الضالّ لا يمكن هدايته و إصلاحه.

يظهر فعل القول سليماً من النّاحية الصوتية ، التركيبيّة و الدلالية ، أمّا الفعل المتضمّن في القول الضالّ لا تنتظر منه خيراً أو هداية ، و الفعل الناتج عن القول أو الفعل التأثيري إظهار التأسّف لحال الإنسان الذي يبقى في ضلال و ظلام.

فالقوّة الانجازية المستلزمة ضمناً تظهرت من خلال التأكيد ، النصّح ، التوجيه ، التّيسيس ... استنبطناها من سياق الكلام و مقامه.

بما أنّ المثل يندرج ضمن الإخباريات أو التّقويم فالمطابقة تكون من الكلمات إلى العالم.



إنَّ أَحَا الْعَزَاءِ مَنْ يَسْعَى مَعَكَ.²

دلالة هذا المثل كما أورده الميداني : "العزاء: السنة الشديدة أي أنّ أحاك من لا يحدّلك في الحالة الشديدة".³

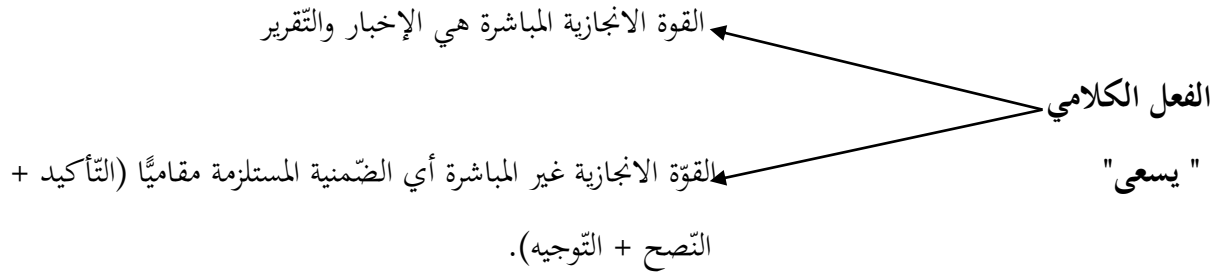
بنية الفعل الكلامي يتمّ توضيحها كما يلي :

¹ - محمد توفيق أبو علي، الأمثال العربية و العصر الجاهلي (دراسة تحليلية) ، دار النقاش ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1988 ، ص 63.

² - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 91 .

³ - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 91.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

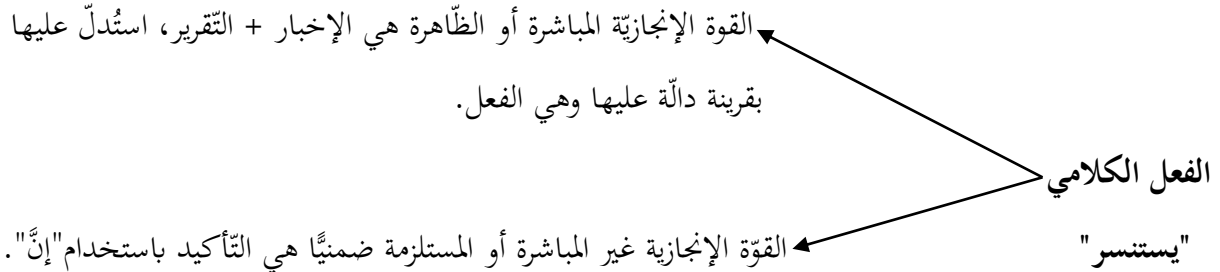


يتمُّ تصنيف هذا المثل ضمن الإخباريات ، فالمتكلم بصدد الإخبار عن كون الأخ الحقيقي هو الذي تجده في المواقف الصعبة ، ففعل القول يظهر لنا سليماً من الناحية الصوتية ، التركيبية و الدلالية ، أما الفعل المتضمن في القول هو التحذير من الشخص أو الصديق الذي لا تجده في المواقف المستعصية ، و الفعل التأثيري حثُّ المتلقي على معرفة الأخ أو الصديق الحقيقي من خلال اختياره في المواقف .

عندما نتمعن في هذا المثل : إِنَّ الْبُغَاثَ بَارِضْنَا يَسْتَنْسِرُ¹.

دلالة هذا المثل كما أورده الميداني : " يضربُ للضعيفِ يصيرُ قوياً ، و للدليلِ يعزُّ بعد الدلِّ " .²

و بنية الفعل الكلامي يتم توضيحها كالآتي :



نصنّف المثل ضمن الإخباريات. إنَّ الوظيفة الأساسية للخبر هي الحكاية ، فالكلام الذي يمكن الحكم عليه بموافقة النسبة الكلامية للنسبة الخارجية و هو كلام مُحكي.

لقد أحدث صاحب المثل من خلال الفعل الكلامي قوّة إنجازية إخبارية تدعّم بصيغة المضارع قصد التأكيد على كون الدليل الضعيف قد يصيرُ يوماً ما قوياً شأنه في ذلك شأن الطير الصّغير الذي يصيرُ يوماً ما قوياً شأنه في ذلك شأن الطير الصّغير الذي يصيرُ نسراً.

1 - أبو الفضل أحمد بن محمّد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 38.

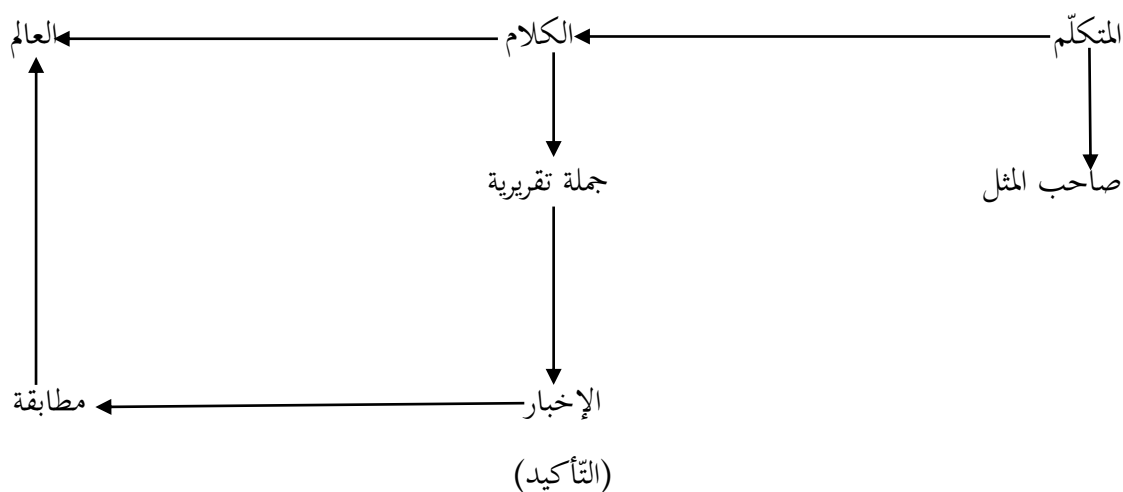
2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 38.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

جاء فعل القول سليماً من النَّاحية الصوتية، التركيبية و الدلالية أمّا الفعل المتضمن في القول (أي الجانب الضمّني) هو عدم الاستهزاء و التقليل من شأن الضعفاء.

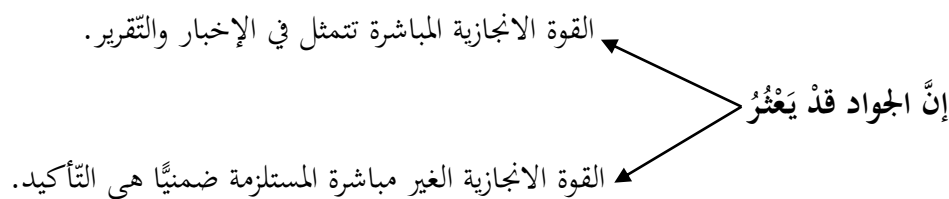
و الفعل الناتج عن القول أو الفعل التأثيري ما تركه الفعل الكلامي في نفسيّة المتلقّي بالشّعور بالتّضامن والتآزر مع الضّعفاء مهما كانت درجاتهم و مستوياتهم، فالقوّة الإنجازية تظهت من خلال التأكيد و ذلك باستخدام الأداة "إنّ" حتّى يكون أثر وقعها على السّامع كبير.

بما أنّ الفعل الكلامي يندرج ضمن الإخباريات فالمطابقة تكون من الكلمات إلى العالم، كما هو موضّح في هذا الشّكل:



و في قوله: **إنّ الجواد قد يعثر**¹.

ودلالة المثل كما أورده الميداني: "يضرب لمن يكون الغالب عليه فعل الجميل، ثمّ تكون منه الزلّة"².
بنية الفعل الكلامي كما يلي:



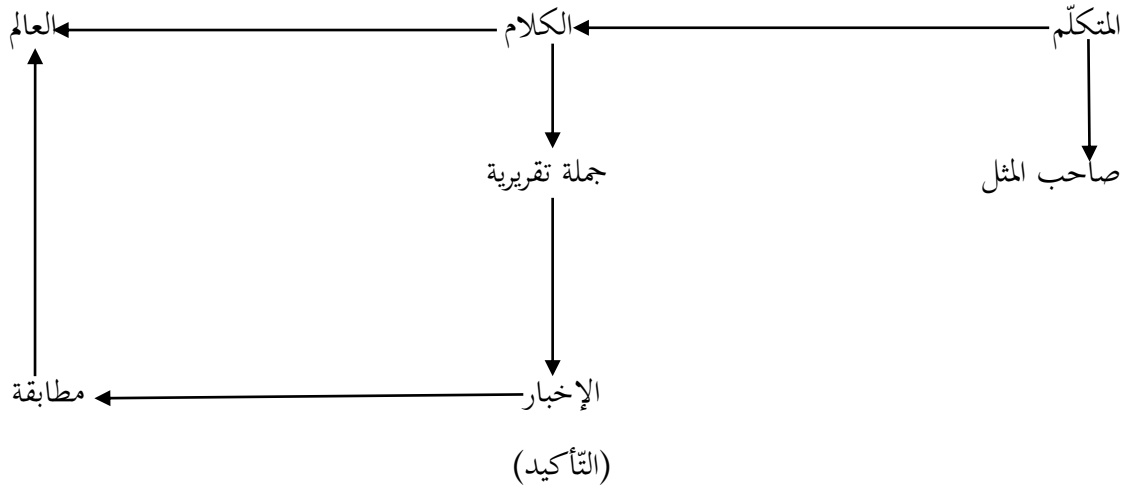
نصّف هذا المثل ضمن الإخباريات. فالمتكلم بصدد الإخبار عن الإنسان الكريم الذي رمز له بالجواد يأتي يوم و يسقط و ذلك نظراً لكون حياة الإنسان في صراع دائم فلا ننتظر منه دائماً الحسنات، و الايجابيات، فقد يخطئ

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمّد الميداني، مجمع الأمثال، مج 1، ص 41.

² - المصدر نفسه، مج 1، ص 41.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

أحيانا الإنسان و يقع في الهفوات والزلات. ففعل القول يظهر لنا سليما من حيث البنية الصوتية ، الدلالية و التركيبية أما الفعل المتضمن في القول يتمثل في تقبل الإنسان لحسناته وسلبياته. و الفعل الناتج عن القول ما تركه في نفسية المتلقي و هو التضامن و التآزر مع الآخرين في زلاتهم و هفواتهم ، فالقوة الإنجازية تتضح من خلال التأكيد و لعلّ الأداة " إنَّ " خير دليل على ذلك ، فالفعل الكلامي يحمل في طياته بعدا إقناعيا تربويًا هدفه الأساس هو الإقناع و التأثير ، و اتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم كما هو موضح في الشكل الآتي :



و عندما نأخذ هذا المثل : **إِنْ كُنْتَ رِيحًا فَقَدْ لَأَقَيْتَ إِعْصَارًا**.¹

و دلالة المثل كما أوردها الميداني " يضربُ مثلاً للمُدبِّلِ بنفسه إذا صُلِّي بمن هو أدهى و أشدّ".² فهذا المثل يصنف ضمن الإخباريات ، أراد صاحب المثل تقرير حقيقة معينة باستخدام أسلوب التمثيل ليقرب الحقائق و يؤثر في نفوس السامعين و عقولهم. ففعل القول يبدو سليماً من الناحية الصوتية ، التركيبية و الدلالية ، أما الفعل المتضمن القول يتمثل في عدم التّطاول على الآخرين فقد يجد الإنسان من هو أقوى منه ، أما الفعل الناتج عن القول هو الأثر الذي يتركه في نفسية المتلقي يتمثل في التواضع و ترك أذى الآخرين (إذ نلاحظ مقصدية المتكلم في النصح و التوجيه ... " فالقصد يحدّد الغرض من أيّ فعل لغوي ، كما يحدّد هدف المرسل من وراء سلسلة الأفعال اللغوية التي يتلفظ بها ، و هذا ما يساعد المتلقي على فهم ما أرسل إليه ، و من ثمّ يصبح توفّر القصد و النية مطلباً أساسياً و شرطاً من شروط نجاح الفعل اللغوي.³

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 62.

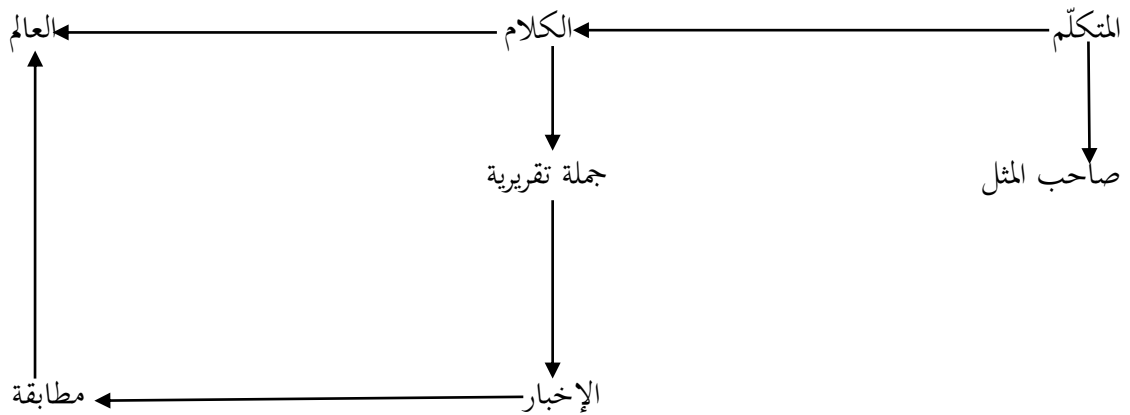
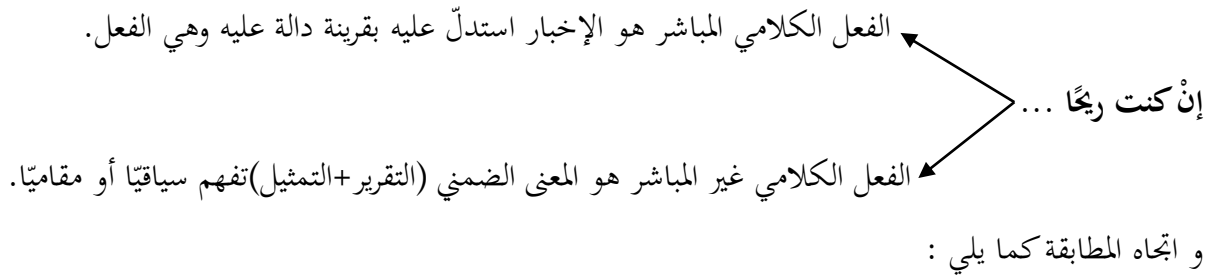
² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 62.

³ - نعمان بوقرة ، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، ص 190.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

لغرس الفكرة أكثر في ذهن المتلقي عمد المتكلم إلى وصف مظهرين طبيعيين ألا وهما الريح و الإعصار ، فكلّ منهما مميّزات و خصائص فالريح عادة لها مخاطرها و يأتي ما هو أخطر منها -الإعصار- ليوضح لنا كون الرجل عندما يكون صلبا شديدا سيصادف من هو أقوى منه الفرض الانجازي التحذير و التنبيه . أمّا القوّة الانجازية المستلزمة ضمنيا هي التقرير و التمثيل . و اتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم . و الذي أسهم في تقويّة الفعل الكلامي اعتماد أسلوب المغترب بالجواب الذي أدّى إلى تقويّة الدلالة و من ثمة تتحقّق المطابقة و شرط الإقناع و التأثير .

و بنية الفعل الكلامي كما يلي :



إنَّ المَقْدِرَةَ تُذْهِبُ الحَفِيظَةَ.¹

و دلالة المثل كما أوردها الميداني التي لا مناصّ من ذكرها :

قال أبو عبيد : بلغنا هذا المثل عن رجل عظيم من قريش في سالف الدهر كان يطلب رجلاً يذحلّ فلما ظفر به

قال ، لولا أنّ المَقْدِرَةَ تُذْهِبُ الحَفِيظَةَ لانتَقَمْتُ منك . ثم تركه".²

بنية الفعل الكلامي كالآتي :

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 43.

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 43.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

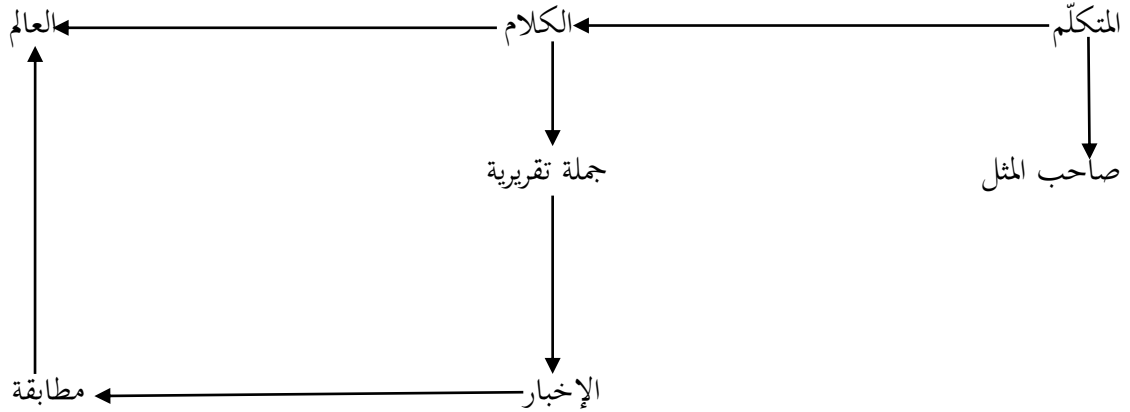
القوة الانجازية المباشرة هي المعنى الصريح تتمثل في الإخبار استدل عليه
بقريئة بنيوية دالة عليها

إِنَّ الْمَقْدِرَةَ تُذْهَبُ الْحَفِظَةَ

الفعل الكلامي غير المباشر أو القوة الإنجازية الضمنية (النصح ، التوجيه ،
التأكيد ، التأييد ، التهذيب ، الذم).

جاء المثل يحمل في طياته بذور الإخبار من خلال الفعل الكلامي الذي جاء على صيغة المضارع الذي يفيد الحركة و الحيوية ، ففعل القول يظهر جلياً سليماً من الناحية الصوتية ، التركيبية و الدلالية ، أما الفعل المتضمن في القول و هو السيطرة على النفس وقت الغضب ، و الفعل الناتج عن القول ما تركه في نفسيّة المتلقّي بضرورة الابتعاد عن الغضب للنتائج الوخيمة من وراء ذلك ، فلقد أخبرنا المتكلم على قضية هامة مرتبطة بالإنسان ارتباطاً وثيقاً و هي ضرورة التحكم في النفس حتى يضمن الإنسان حياته و ينجو من العواقب المنتظرة.

فالقوة الانجازية المستلزمة ضمناً جاءت على أشكال كثيرة منها : التأكيد ، التوبيخ ، النصح و التحذير ، و اتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم.



أَنْفُكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَدْنَى. 1

دلالة المثل كما أوردها الميداني : و هذا المثل مثل قولهم انفك منك و إن كان أجدع. 2

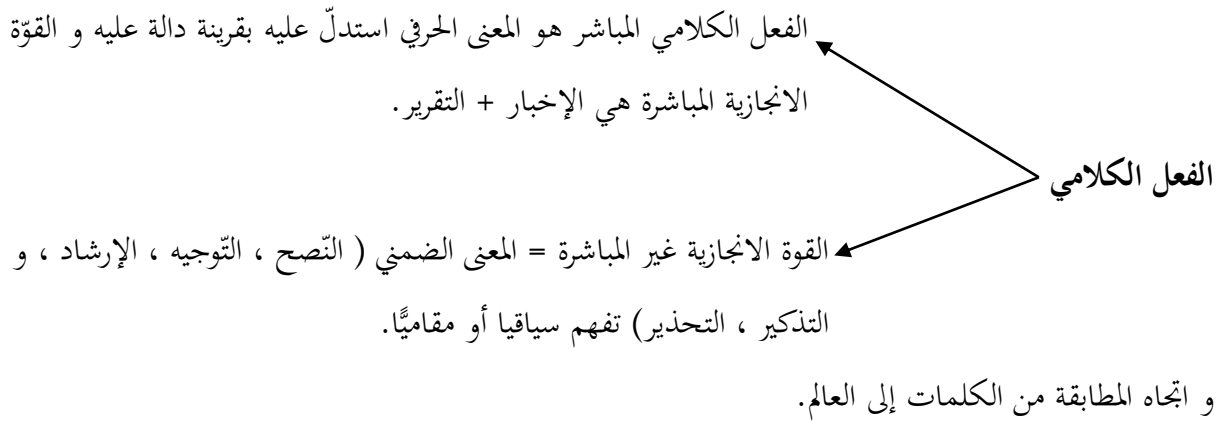
1- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 51.

2- المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 51.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

ينتمي هذا المثل إلى قسم الإخبارية بتعبير سيرل و أفعال هذا المجال الإنجازي هي الأفعال التي تقومُ بنقل أو وصف الواقع وصفًا أو نقلًا أمينًا " فإذا تحققت الأمانة في النقل أو الوصف فقد أنجزت أفعالًا لإنجاز أو ناجحًا.¹ فالمتكلم بصدد الإخبار عن واقع نتلمسه و نعايشه من خلال تقريب الصورة عن طريق التمثيل فالإنسان لا يستطيع أن يتملص من أنفه حتى و إن كان به عيبًا أو شيئًا يماثل ذلك عدم معاداة الأقارب و الحث على وصلهم مهما عملوا.

فالقوة الإنجازية الظاهرة المباشرة هي الإخبار و التقرير بما هو موجود في الواقع و نقله نقلًا أمينًا وصادقًا ، أمّا القوة الانجازية الضمنية الغير مباشرة هي النصح الإرشاد و التوجيه ، التذكير و كذلك التحذير و الفعل الناتج عن القول أو الفعل التأثيري هو حث المتلقين على ضرورة وصل أقاربكم و عدم قطيعتهم. صاغه المتكلم في أسلوب تربوي هادف و إقناعي. و بنية هذا الفعل الكلامي كالاتي :



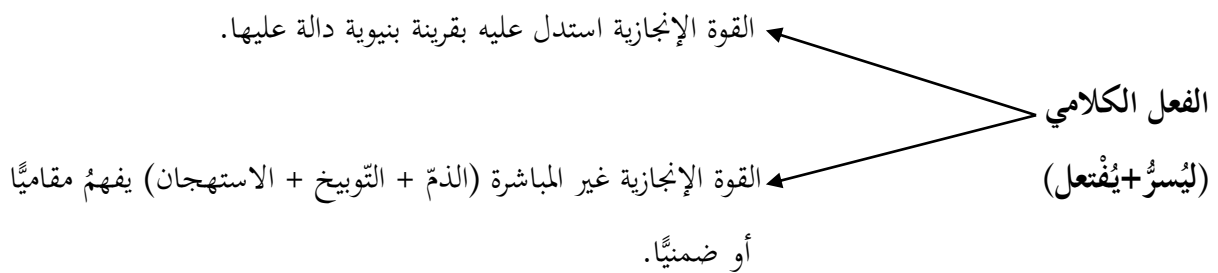
¹ - محمود أحمد نخلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 103.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

إِنَّ أَخَاكَ لَيْسَ بِأَنْ يُعْتَقَلَ.¹

و دلالة المثل كما أوردها الميداني : قاله رجل لرجل قتل له قتيل فَعَرَضَ عليه العقل فقال : لا آخُذُهُ ، فحدّثَ بذلك رَجُلًا فقال : بل و الله إنَّ أَخَاكَ لَيْسَ بِأَنْ يُعْتَقَلَ ، أَي يَأْخُذَ الْعَقْلَ ، يريد أَنَّهُ في امتناعه من أخذ الدية غير صَادِقٍ.²

يصنف المثل ضمن الإخباريات أو التقريريات فالمتكلم -صاحب المثل- بصدد الإخبار عن زيف سلوك الرجل إذ أنّ امتناعه عن أخذ الدية -في حقيقة الأمر- ألا مجرد قناعا يحتفي من ورائه. فهو في الحقيقة راغب في أخذ الدية و يظهر عكس ذلك تماما. فالقوة الانجازية الظاهرة أو المباشرة هي الإخبار و التقرير ، أما القوة الانجازية الغير مباشرة أو المستلزمة ضمناً أو مقامياً هي التوبيخ و الذمّ و الاستهجان لسلوك هذا الرجل الغير أخلاقي (بيدي ما لا يُحْفِي). أما الفعل التّأثيري وراء ذلك يتمثل في حثّ المتلقّي على أن يُطابق قوله فعله و لا يظهر عكس ما يبطن. و بنية الفعل الكلامي يتمّ توضيحها كما يلي :



و الجدول الآتي يوضّح لنا القوة الانجازية و الفعل التّأثيري للإخباريات المذكورة سالفاً

| الفعل التّأثيري | القوة الإنجازية | الفعل الكلامي في المثل |
|------------------------------------|------------------|---|
| الضعيف يصير قويا | التأكيد | "إِنَّ الْبَغَاثَ...يَسْتَنْسِرُ" |
| الجميل قد يقع في الزلاّت | التأكيد | "إِنَّ الْجَوَادَ قَدْ يَعْتُرُ" |
| القويّ قد يصادف من هو أقوى منه | التقرير+ التمثيل | إِنْ كُنْتَ رَجُلًا فَقَدْ لَاقَيْتَ إِعْصَارًا |
| أخذ النصيحة حتى وإن كان ذلك يؤلمنا | النصح، التوجيه | أَمْرٌ مُبْكِيَاتِكَ لَا أَمْرٌ مُضْحِكَاتِكَ |

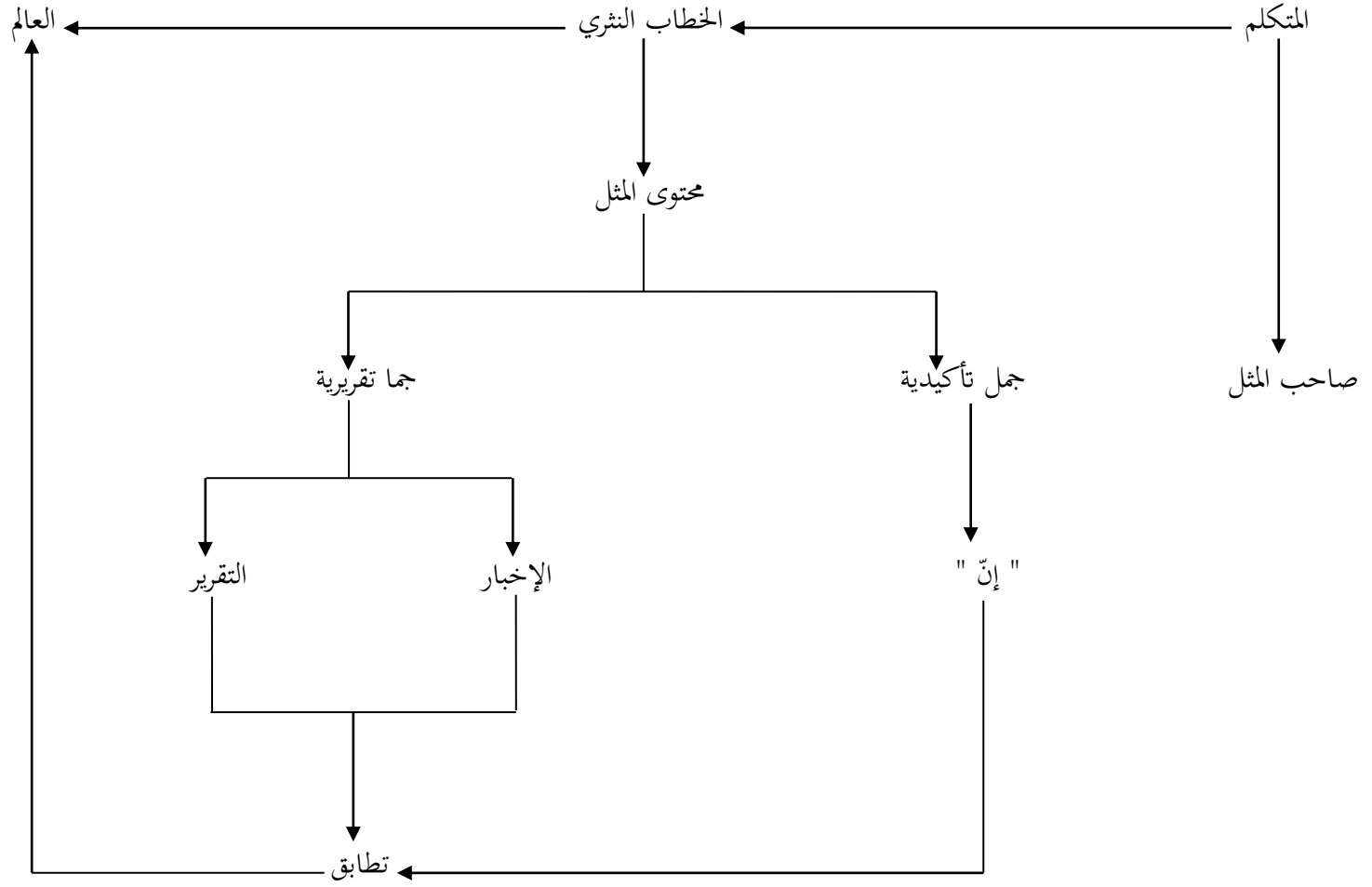
¹- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 54.

²- المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 54 .

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

| | | |
|---------------------------------------|--------------------------------|--|
| إلى أمه يلهفُ اللّهفان | النصح، التوجيه | الحثّ على الاستعانة بالأهل |
| إنّ المنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى | التحذير+التنبية | عدم المبالغة في إجهاد النفس بما لا تطيق |
| إنّ الرثينة تفثأ الغضب | التنبية، التحذير | الحثّ على تقديم الهدية حتى ولو كانت بسيطة |
| إنّ المقدرة تُذهب الحفيظة | التهديب، التأديب | الحثّ على ترك ظاهرة الغضب |
| إنّ الهزبل إذا شبع مات | الإخبار+التقرير+التأكيد | الحثّ على ترك صفة التجبر بعد الضعف والهوان |
| أنفك منك وإن كان أذنّ | النصح+الإرشاد+التوجيه | الحثّ على تفادي القطيعة مع ذوي الأرحام |
| إنّ كثير التصيحة يهجم على كثير الظنة | التأكيد+النصح+التوجيه | الحثّ على تقديم التصيحة لمن يستحقّ ذلك |
| تركته يصرفُ عليك نابه | الذمّ+التوبيخ+التحذير | الحثّ على عدم ترك الفرصة للتمادي والتناول |
| ترى من لا حريم له يهون | التذكير+النبية+التحذير+التنبية | الحثّ على أهمية الحريم في حياة الإنسان |
| تُفرّق بين المسلمين الدرهم | التحذير+التذكير | فصل الأمور الشخصية على الأمور المالية |
| أبي يغزو وأمي تُحدّث | التعجب+التهكم+السخرية | الحثّ على عدم التدخّل في شؤون الغير |
| إنّ أخاك ليسرُّ بأن يُعتقل | الذمّ+التوبيخ+الاستهجان | الحثّ على مطابقة القول الفعل |

و لعلّ المخطّط الآتي يلخّص لنا بالتفصيل محتوى الإخباريات في باب الألف:



نماذج عن الإخباريات في باب الألف

الفصل الثاني _____ مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

ثانيا : التوجيهات (Directives) :

إنَّ مهمّة الأفعال التوجيهية حمل الشّخص على القيام بفعل ما، و هي تأتي في أنواع شتى: كالأمر و التّهي و الاستفهام و التّداء....

إذ لم نعد نتعامل مع الفعل بصورة عشوائية ، بل أضحيّ يحمل في حوزته دلالات عميقة غايتها القصوى التأثير، والإبلاغ. لذلك نحاول من خلال هذه المدونة التراثية القديمة استخلاص أهمّ التوجيهات المرتبطة بين طرفين أساسيين (المتكلّم و المستمع) أو (المرسل و المرسل إليه) لكون المثل غير مرتبط بفتة معينة وإتّما هو موجه إلى عامّة النّاس، فالمتكلم عليه أن يحمل رغبة صادقة ونيّة مخلصّة في توجيه الثاني-المرسل إليه- فالأوّل يحمل ميزة التأثير والإقناع والثاني يقوم بفعل ما، لذلك قمنا بإحصاء الأفعال التوجيهية الواردة في باب الألف في جدول وعددها حتى نلمس فعالية الأفعال الكلامية كما هو موضح في الجدول الآتي :

النموذج الأول: الأفعال التوجيهية الواردة في باب الألف

| عددتها | حضورها في المثل - باب الألف أمودجا | الأفعال التوجيهية |
|--------|---|-------------------|
| 34 | <p>-إِذَا عَزَّ أَحْوَكُ فَهُنْ .</p> <p>-إِذَا ضَرَبْتَ فَأَوْجِعْ، وَ إِذَا زَجَرْتَ فَاسْمِعْ .</p> <p>-إِيَّاكَ وَ مَا يُعْتَدِرُ مِنْهُ .</p> <p>-إِذَا سَمِعْتَ بِسُرَى الْقَيْنِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُصْبِحٌ .</p> <p>-إِذَا نَزَا بِكَ الشَّرُّ فَاقْعُدْ بِهِ .</p> <p>-إِذَا أَحَدَتْ عَمَلًا فَفَعَّ فِيهِ فَإِنَّمَا حَبِيبُهُ تَوَقَّيْهِ .</p> <p>-إِيَّاكَ وَ قَتِيلَ الْعَصَا .</p> <p>-إِذَا قُلْتَ لَهُ زِنْ طَاطَأَ رَأْسَهُ وَ حَزِنْ .</p> <p>-إِنْ كُنْتَ كَذُوبًا فَكُنْ ذَكُورًا .</p> <p>-إِذَا لَمْ تُسْمَعْ فَالْمَع .</p> <p>-إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَاحْلُبْ فِي إِنْائِهِمْ .</p> <p>-أَمْرٌ فَانْكَ فَارْتَحِلْ شَاتَكَ .</p> <p>-إِذَا حَزَّ أَحْوَكُ فَكُلْ .</p> <p>-إِذَا إِشْتَرَيْتَ فَادْكُرْ السُّوقَ .</p> | الأمر |

الفصل الثاني _____ مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

| | | |
|----|--|-------|
| | <p>-إِسْتَاهِلِي إِهَالَتِي، وَ أَحْسِنِي إِيَالَتِي .</p> <p>-إِيَاكَ وَ أَنْ يَضْرِبَ لِسَانَكَ عَنْقَكَ .</p> <p>-إِنَّكَ بَعْدُ فِي الْعَزَاذِ فَعْمٌ .</p> <p>-إِذَا الْعَجُوزُ إِزْتَجَبَتْ فَارْجُبْهَا .</p> <p>-إِذَا أَعْيَاكَ جَارَاتِكَ فَعُوكِي عَلَى ذِي بَيْتِكَ .</p> <p>-إِذَا كَوَيْتَ فَاَنْضُجْ وَ إِذَا مَضَعْتَ فَأَدْفِقْ .</p> <p>-إِنْ كُنْتَ غَضِبِي فَعَلَى هِنِكَ فَاعْضِي .</p> <p>-إِيَاكُمْ وَ حَضْرَاءَ الدِّمَنِ .</p> <p>-إِخْدَى لِيَالِيكَ فَهَيْسِي هَيْسِي .</p> <p>-إِنْ كُنْتُ بِي تَشُدُّ أَرْكَ فَارْخِهِ .</p> <p>-إِذَا أَرْجَحَنْ شَاصِيًا فَارْفَعْ يَدًا .</p> <p>-إِذَا اخْتَذْتُمْ عِنْدَ رَجُلٍ يَدًا فَانْسُوهَا .</p> <p>-إِذَا تَكَلَّمْتَ بِلَيْلٍ فَاحْفِضْ وَ إِذَا تَكَلَّمْتَ نَهَارًا فَانْفُضْ .</p> <p>-إِيَاكَ يُسَاقُ الْحَدِيثُ .</p> <p>-إِيَاكَ أَنْزَلْتُ الْقَدْرَ بِأَحْنَائِهَا .</p> <p>-إِنْ ضَجَّ فَرْدُهُ وَفَرًا .</p> <p>-إِنْ عَلِيكَ جُرْشًا فَتَعَشِّه .</p> <p>-إِيَاكَ وَ أَهْلَبَ الْعَضْرِطِ .</p> <p>-أَنْتِ الْأَمِيرُ فَطَلِّقِي أَوْ رَاجِعِي .</p> <p>-إِيَاكَ وَ أَعْرَاضُ الرِّجَالِ .</p> | |
| 03 | <p>-إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ فِيكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَيْسَ فِيكَ فَلَا تَأْمَنْ أَنْ يَقُولَ فِيكَ مِنَ الشَّرِّ مَا لَيْسَ فِيكَ .</p> <p>-إِنَّكَ لَا تَجِي مِنَ الشُّوكِ الْعِنَبِ .</p> <p>-إِذَا ظَلَمْتَ مَنْ دُونَكَ فَلَا تَأْمَنْ عَذَابَ مَنْ فَوْقَكَ .</p> | النهي |
| | <p>-أَيُّ فَتَى قَتَلَهُ الدُّحَانُ ؟</p> | |

الفصل الثاني _____ مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

| | | |
|----|---|-----------|
| 06 | <p>-أَيْنَ يَضَعُ المِحْنُوقُ يَدَاهُ ؟</p> <p>-أَنْتَ تَفِقُّ وَ أَنَا مَعِقُّ فَمَتَى تَتَفَقُّ ؟</p> <p>-أَخُوكَ أَمْ الذُّئْبُ ؟</p> <p>-أَخُوكَ أَمْ اللَّيْلُ ؟</p> | الاستفهام |
|----|---|-----------|

المجموع: 45

عندما نتمعن في المثل: " إِذَا عَزَّ أَخُوكَ فَهَنْ " ¹.

يحتوي على الفعل الكلامي (فَهَنْ) الذي جاء على صيغة الأمر وبنية هذا الفعل الكلامي كما يلي:

الفعل الكلامي (فَهَنْ) ← عليها بقرائن بنيوية دالة عليها و هي (فعل الأمر)

الفعل الكلامي غير مباشر: المعنى الضمني (النصح، التوجيه، التحذير ...) مع انعدام القرائن البنيوية الدالة عليها .

جاء الفعل الكلامي التوجيهي على صيغة الأمر، يحمل قوة إنجازية متضمنة في القول غايتها النصح، التحذير والتوجيه... فحواها إذا كان أخوك عزيزا عندك فإذا اشتد أو تصعب فلا بد أن تلين وتخضع له حتى تسلم من شره، فالجانب الظاهر الأمر بلفظ صريح دال عليه (فهن) لكننا حين نتمعق في دلالات هذا المثل بحسب جون سيرل (j.searle) نجده يخفي جانبا مضمرا و هو التأديب، النصح و التحذير، و هذا ما يقابله عند سيرل (Searle) بالفعل المتضمن في القول أي الجانب المسكوت عنده ، فالأمور لا تفهم بظواهرها بقدر ما تفهم ببواطنها فالفعل اللغوي " فهن " هو حجة في حد ذاته يحمل نتيجة ضمنية من قبيل التهذيب و دلالة هذا المثل كما أورده الميداني : قال أبو عبيد معناه مياسرتك صديقك ليست بضمير يركبك منه فندخلك الحمية به، إنما هو حُسنُ خُلُقٍ و تفضّل، فإذا عَاسَرَكَ فَيَاسِرُهُ " ².

و التأديب ، نجد أنّ الغرض الإنجازي من وراء هذا الفعل الكلامي هو الحثّ على التسامح واللين مع الآخرين ، ممّا يؤدّي إلى تقليص دائرة المنازعات و الاشتباكات بين الأشخاص وتحمّل الصبر وتقبّل الأذى من الآخرين ،

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 53 .

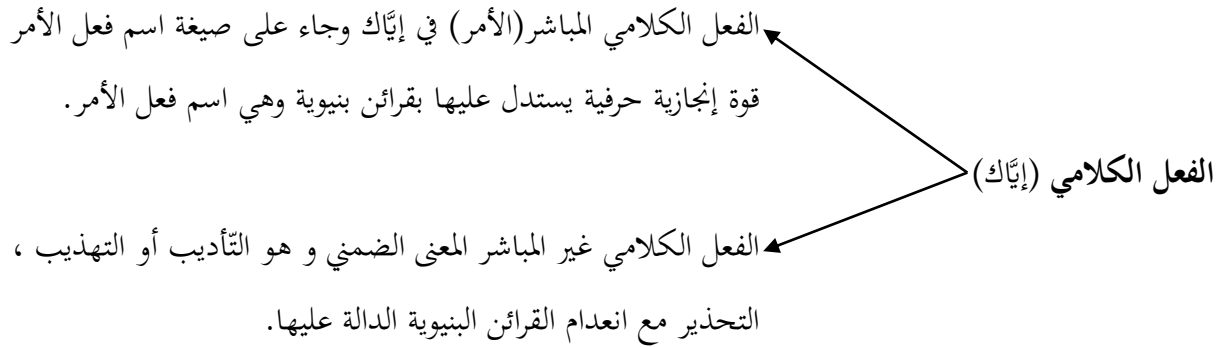
² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 53 .

الفصل الثاني _____ مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

أسهم المتكلم من وراء هذا الفعل الكلامي إلى إقناع السامع و التأثير فيه بل إلى أبعد من ذلك الدعوة الواضحة إلى نشر السلم و عنفوان الحياة. فلقد استوفى هذا الفعل الكلامي شروطه (أي شروط الملائمة) فالمطلوب هو فعل شيء ما في المستقبل ينجزه السامع و ذلك بالرفق و اللين مع الأصدقاء و الآخرين ، فالمتكلم على يقين من قدرة المخاطبين على انجاز هذا الفعل و الوقوف عند التوجيهات لأنه يترتب على عدم الخضوع و اللين مع الطرف الآخر إلى الخصامات و الاشتباكات التي لا نهاية لها. فإذا استجاب المتلقي لما طلبه المتكلم تكون قد حدثت المطابقة فالتحذير و الإنذار و التوجيه من طرف المتكلم يؤدي إلى التأثير في السامع و من ثمة يكون الفعل الكلامي قد أحدث تغييرا و أنجز فعلا بالقول .

و في هذا المثل: **إِيَّاكَ وَأَنْ يَضْرِبَ لِسَانُكَ عُقُوكَ**.¹

نوضح أولاً بنية هذا الفعل الكلامي كما يلي:



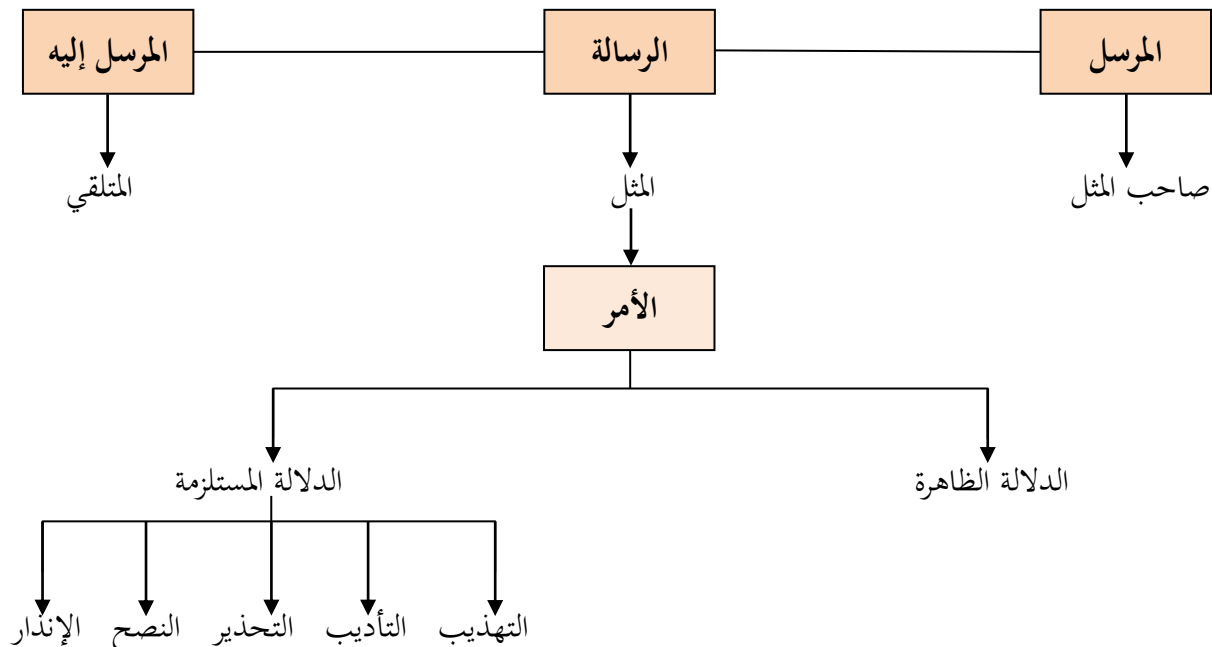
جاء الفعل الكلامي الذي يحمل قوة إنجازية متضمنة في القول و هي التأييد و التهذيب مفادها جعل المتلقي يعدل من سلوكه و حرسه عند تفوّهه بالكلام أن يجلب لنفسه المضرّة و الهلاك ، فالغرض الإنجازي من وراء هذا الفعل الكلامي التحذير و النصح و الذي أسهم في قوّة الفعل الكلامي هو اسم فعل الأمر (إِيَّاكَ) ، فالسياق يتضمّن معنى النصّ و التحذير هذا الأخير من أفعال التوجيه لدى سيرل (Searle) ، فلقد استوفى الفعل الكلامي شروطه أي (شروط الملائمة) فالمطلوب هو فعل شيء ما ينجزه المتلقي يتمثل في حفظ اللسان و هو قادر على انجاز هذا الفعل و يكون حريصا و رقبيا عند الكلام فصاحب المثل على يقين من قدرة المتلقين على انجاز هذا الفعل و الوقوف عند تلك التوجيهات لما يترتب على عدم حصن اللسان من عقوبة شديدة قد تؤدي بصاحبها إلى التهلكة فإذا استجاب المتلقي لطلب المتكلم فقد حدثت المطابقة للإنذار و التحذير و النتائج من

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 88 .

الفصل الثاني _____ مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

وراء ذلك السلوك يؤثر في السامع و يقنعه و من ثمة يكون الفعل الكلامي قد أحدث تغييرا و تعديلاً و أنجز فعلا بالقول يؤدي ذلك على حدّ قول سيرل (searle) إلى نجاح الفعل اللغوي .

و يمكننا تمثيل رسالة هذا المثل كالآتي :



و هذا المثل: **إِيَّاكُمْ وَحَضْرَاءُ الدِّمَنِ**.¹

بنية هذا الفعل الكلامي نرصدها كما يلي:

الفعل الكلامي المباشر (الأمر) في (إِيَّاكُمْ) قوة إنجازية حرفية يستدلُّ عليها بقرائن بنيوية وهي فعل الأمر الذي جاء على صيغة اسم فعل الأمر.

الفعل الكلامي (إِيَّاكُمْ)
بمعنى احذروا

الفعل الكلامي غير المباشر = المعنى الضمني (التحذير والتنبيه) مع انعدام القرائن البنيوية الدالة عليها.

جاء الفعل الكلامي على صيغة اسم فعل الأمر يحمل في ذاته قوة إنجازية ونتيجة ضمنية مفادها أخذ الحيطة والحذر من المرأة الحسنة وأصلها سيء.

الغرض الإنجازي الذي يهدف المتكلم من ورائه هو الحذر و التنبيه من الاهتمام بالشكل الخارجي و إهمال المضمون و يقصد بذلك الأخلاق و القيم العليا للإنسان من خلال أصله و منبته الأول الذي لا يقاس بالمظهر

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 64 .

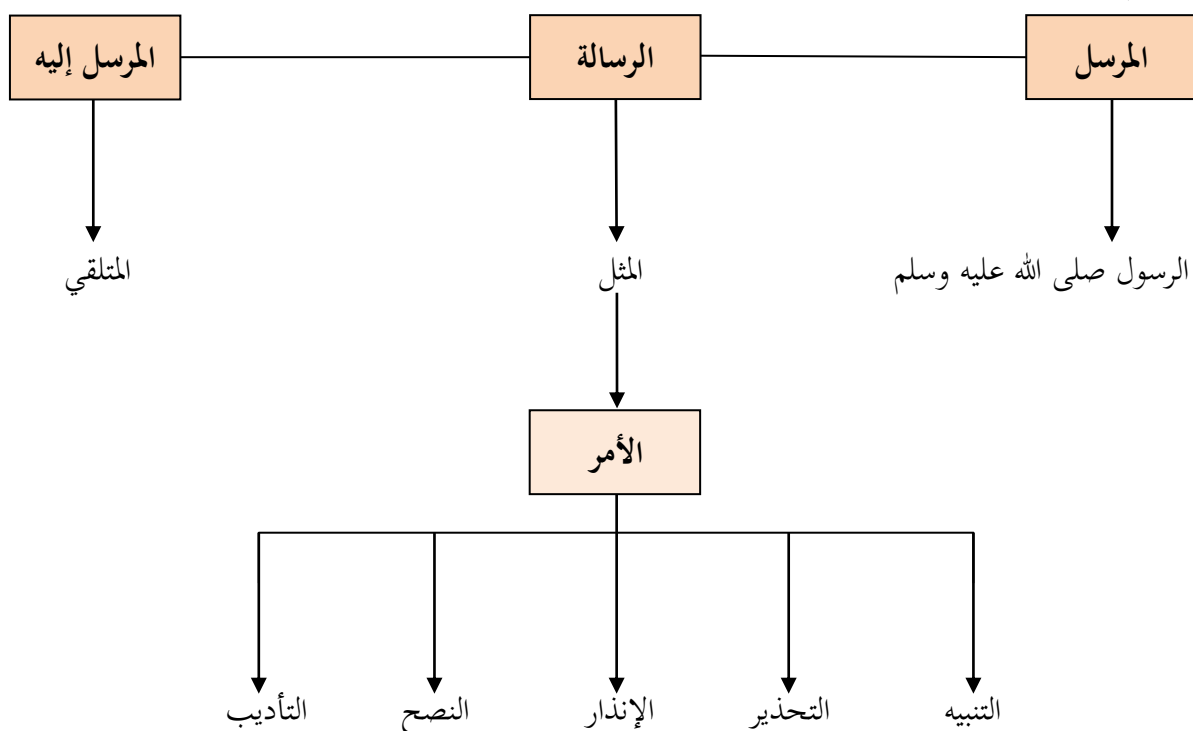
الفصل الثاني _____ مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

أو بالجمال الخارجي و التركيز على المرأة بالذات لكونها أساس صلاح المجتمع أو فساده، فجاء الفعل الكلامي بنوع من الإلزام و كيف لا و هو من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين فكان هدفه و غايته الأساسية التأثير و الإقناع و يمكننا تبيانا كما يلي:

الرسول (صلى الله عليه وسلم)
 المتلقي أو السامع.

و قد استوفى هذا الفعل شروطه (شروط الملائمة) فالمطلوب هو فعل شيء ما مستقبلا ينجزه المتلقي أي (احذروا من المرأة الحسنة وأصلها سيء) ، فالمتلقي قادر على إنجاز الفعل و ذلك بالاهتمام بالجوهري لا بالمظهر فالمتكلم على يقين من قدرة المتلقين على إنجاز هذا الفعل و الوقوف عند تلك التوجيهات خاصة إذا راعينا منزلة المتكلم هو الرسول صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين .

فلجوء المتكلم إلى الإنذار والتحذير يسهم ذلك في التأثير في السامع أيًا كان نوعه وتوجيهه إلى الطريق الصحيح ومن ثم يكون الفعل قد أحدث تغييرا بتبديل سلوك السامع إلى ما هو أحسن، ونخلص إلى تمثيل رسالة هذا المثل كالتالي:



الفصل الثاني _____ مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

و في هذا المثل: " إِيَّاكَ وَأَعْرَاضَ الرِّجَالِ " ¹.

و دلالة المثل كما أوردها الميداني :

هذا من كلام يزيد بن المهلب فيما أوصى به ابنه مخلدا: " إِيَّاكَ وَأَعْرَاضَ الرِّجَالِ، فَإِنَّ الحَرَ لَا يَرْضِيهِ مِنْ عَرْضِهِ شَيْءٌ وَاتَّقِ العَقُوبَةَ فِي الأشْبَارِ، فَإِنَّهَا عَارٌ بَاقٌ وَوَتْرٌ مَطْلُوبٌ " ².

بنية هذا الفعل الكلامي كما يلي :

الفعل الكلامي المباشر هو الأمر في (إِيَّاكَ) بمعنى احذَرُ قوة انجازية حرفية

يُستدلُّ عليها بقرائن بنيوية دالة عليها وهي اسم فعل الأمر "إِيَّاكَ" .

الفعل الكلامي

(إِيَّاكَ)

الفعل الكلامي غير المباشر هو المعنى الضمني (التأديب و التهذيب، التحذير

التنبيه ، الإنذار...) مستلزمة ضمناً مع انعدام القرائن البنيوية الدالة عليها.

فالفعل الكلامي الذي ورد على صيغة اسم فعل الأمر يظهر لنا سليماً من الناحية التركيبية و الدلالية و الصوتية، و الفعل القضوي المتمثل في (احذَرُ) أما الفعل المتضمن في القول (الجانب المخفي) و هو الذي ركز عليه سيرل تركيزاً كبيراً يحمل نتيجة ضمنية و هو الحذر من انتهاك أعراض الناس و بالتحديد الرجال و الفعل التأثيري و هو ما تركه في نفسيّة المخاطب و هو ترك هذه الصفة و ذلك لما ينجرّ عليها من بشاعة و فظاعة في حقّ الإنسان و التّفزيم من شأنه فالقوة الإنجازية تظهت بشكل كبير في التأديب و التهذيب.

و حين نأخذ هذا المثل: " إِيَّاكَ وَفَتِيلَ العَصَا " ³.

و دلالة المثل كما أوردها الميداني :

" يريد إِيَّاكَ وَأَنْ تكونَ القَتِيلَ فِي الفتنَةِ الَّتِي تَفَارِقُ فِيهَا الجَمَاعَةَ، وَالعَصَا : اسمٌ للجَمَاعَةِ ، قَالَ فَللّهِ شَعْبَا طَيِّبَةٌ صَدَعَا العَصَا " هي اليوم شتى وهي أمس جميعاً.

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 99 .

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 99

³ - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 102 .

الفصل الثاني _____ مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

يريد فرقا الجماعة الذين كانوا متجاورين ، وكان حقّه أن يقول صدقت على فعل الطيبة لكنّه جعله فعل التشعيب توسّعًا ، و قوله " هي اليوم " ، يعني العصا ، و هي الجماعة ، و شتّى أي متفرقة .

بنية هذا الفعل الكلامي يتم توضيحها كما يلي :

الفعل الكلامي (إيّاك)

الفعل الكلامي المباشر (الأمر) في (إيّاك) بمعنى احذر يحمل قوة إنجازية حرفية يستدلُّ عليها بقرائن بنيوية .

الفعل الكلامي غير مباشر هو المعنى الضمني (التحذير ، التهذيب و التأديب) مع انعدام القرائن البنيوية الدالة عليه .

يحمل الفعل الكلامي الذي جاء على صيغة اسم فعل الأمر قوة إنجازية و نتيجة ضمنية مفادها ترك الشّيء المذموم و المتمثل في إيقاع الفتنة بين الجماعة و محاولة التفريق بينهم ، فالغرض الإنجازي هو التأديب و التحذير من العواقب الوخيمة التي تحملها هذه الصّفة فبنية الفعل الكلامي الظاهرة (الأمر) في حين البنية الخفية أو المستلزمة نجدها بأشكال شتّى يدخل فيها: التحذير، النهي ، التأديب ، النصّح و غيرها.

وفي هذا المثل: إيّاك وما يُعتدّر منه¹.

دلالة المثل كما أوردتها الميداني:

" أي لا ترتكب أمرا تحتاج فيه إلى الاعتذار منه"².

و بنية الفعل الكلامي تمثلها كالاتي :

¹- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 78 .

²- المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 74 .

الفصل الثاني _____ مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

الفعل الكلامي المباشر هو الأمر في (إِيَّاكَ) بمعنى احذر قوة إنجازية حرفية يستدلُّ عليها بقرائن بنيوية دالة عليها و هي (اسم فعل الأمر).

بنية الفعل الكلامي

(إِيَّاكَ)

الفعل الكلامي غير مباشر هو المعنى الضمني (النصح ، التوجيه ، التذكير ، التنبيه...) قوة إنجازية مستلزمة ضمناً على انعدام القرائن البنيوية الدالة عليها.

ففعّل القول جاء سليماً من جميع النواحي (الصوتية ، التركيبية و الدلالية) و الفعل القضوي في (إِحْذَرْ) ، أمّا الفعل المتضمّن في القول يحمل نتيجة ضمنية مفادها لا داعي لارتكاب أمر ما تحتاج فيه للاعتذار و الفعل التأثيري يتمثل في اجتناب المخاطب مثل هذه المواقف و الحفاظ على عزّة النّفس و كرامتها ، فنجد الرّغبة الصادقة و قصدية المتكلّم في التّوجيه و الإقناع ، فالقوة الإنجازية ضمناً تظهت من خلال النصّح و التّنبه فالغرض الإيجازي من وراء ذلك هو التّعبير عن القيمة الخلقية التي يجب أن يتّصف بها المرء للحفاظ على قيمته .

عندما نأخذ هذا المثل: إِذَا سَمِعْتَ بِسُرَى الْقَيْنِ فَأَعْلَمْ أَنَّهُ مُصْبِحٌ¹.

و دلالة المثل كما أوردها الميداني :

قال الأصمعي: أصله أنّ القين بالبادية يتنقل في مياهم فيقيم بالموضع أيّاماً ، فيكسد عليه عمله ، ثم يقول لأهل الماء : إني راجل عنكم اللّيلة ، و إن لم يرد ذلك ، و لكنّه يشيعه ليستعمله من يريد استعماله ، فكثير ذلك من قوله حتّى صار لا يصدق . يضرب للرجل يعرفه الناس بالكذب فلا يقبل قوله و إن كان صادقاً².

الفعل الكلامي المباشر (الأمر) في (فاعلم) قوة إنجازية حرفية يستدلُّ عليها بقرائن بنيوية دالة عليها.

بنية الفعل الكلامي

(فَاعْلَمْ)

الفعل الكلامي غير المباشر (المعنى الضمني) المتمثل في الإنذار ، التحذير ، النصّح مع انعدام القرائن البنيوية.

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 74

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 74

الفصل الثاني _____ مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

إنَّ الفعل الكلامي (فاعلم) هو حجة في حدِّ ذاته يحمل نتيجة ضمنية مفادها حين يعرف كذب الرَّجل فيردَّ صدقه ، فالشَّخص الَّذي يكذب بصورة استمرارية يأتي يوم ويصدق في موقف ما أحد لن يصدِّقه لكونه أضحي معروفًا بالكذب. و نجد بذلك نيَّة المتكلِّم و هي التَّوجيه والإخلاص فالغرض الإنجازي من وراء هذا الفعل الكلامي هو التَّحذير و التَّنبيه ، و النصح ، كذلك حتَّ المستمع على التخلُّص من ظاهرة الكذب و ما تحمله هذه الصِّفة من نتائج و خيمة ، و الَّذي أسهم في قوَّة الفعل الكلامي و نجاحه هو الجملة الظرفية المتضمَّنة معنى الشرط التي افتتحها المتكلم ب " إذا " فقد جاءت مقرونة بالجواب بهذا التسلسل و هذا ما يتطلبه الخطاب و ذلك لإقناعهم و التَّأثير فيهم بعدم الخوض في رحاب الكذب ، فهدف المتكلِّم هنا هو السَّيطرة على ذهن المتلقِّي.

و في المثل: إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَاحْلُبْ فِي إِيَّائِهِمْ.¹

دلالة المثل كما أوردها الميداني :

"يضرب في الأمر بالموافقة، كما قال الشاعر :

إذا كنت في قوم عدى لست منهم ***** فكل ما علفت من خبيث وطيب.

بنية الفعل الكلامي تمثلها كالاتي :

الفعل الكلامي المباشر هو الأمر في (فاحلُب) قوَّة إنجازية حرفية يستدلُّ عليها بقرائن بنيوية دالَّة عليها و هي فعل الأمر.

بنية الفعل الكلامي
(فاحلُب)

الفعل الكلامي غير المباشر هو المعنى الضمني (التَّصح ، التَّوجيه ، التذكير ، التَّنبيه...) قوَّة إنجازية مستلزمة ضمنيا مع انعدام القرائن البنيوية.

يظهر لنا فعل القول سليما من الناحية الصوتية ، التركيبية و الدلالية ، و الفعل القضيوي في (فاحلُب) لما يحمله من دلالات و إحالات في الموافقة لا العصيان. أمَّا الفعل المتضمَّن في القول يحمل نتيجة ضمنيَّة من قبيل

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمَّد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 96 .

الفصل الثاني _____ مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

لابد للإنسان موافقة القوم الذي ينزل بينهم و عدم عصيانهم و الخروج عن طاعتهم ، و الفعل التأثيري هو ما يتركه في نفسيّة المتلقّي من تغيير سلوكه أو تعديله اتّجاه قومه.

فالقوّة الإنجازية المستلزمة ضمناً تمثّلت في النّصح والتّوجيه والتّهي عن عصيان القوم حتى ينجو الإنسان من العواقب ، نرى الرّغبة التربوية الإصلاحية للمتكلّم و القصدية في الحثّ على الطّاعة و الموافقة .

وفي هذا المثل: إِذَا نَزَا بِكَ الشَّرُّ فَاقْعُدْ بِهِ.¹

دلالة المثل كما أوردا الميداني : يضرب لمن يؤمر بالحلم وترك التسرّع إلى الشرّ ويروى إذا قام بك الشرّ فاقعد.

الفعل الكلامي المباشر (الأمر) في (فاقعد به) قوة إنجازية حرفية يستدلّ عليها بقرائن بنوية دالة عليها و هي الأمر.

بنية الفعل الكلامي
(فاقعد)

الفعل الكلامي غير مباشر (المعنى الضمني) : قوة إنجازية مستلزمة ضمناً (التوبيخ، الذمّ، التحذير، الإنذار) هو انعدام القرائن البنوية الدالة عليها.

يظهر لنا الفعل الكلامي سليماً من الناحية الصوتية ، التركيبية و الدلالية (و هو فعل القول) ، أمّا الفعل المتضمّن في القول يحمل نتيجة ضمنية مفادها تبليغ المستمع و توجيهه إذا أصابه شرّ معين التريث و عدم التسرّع. و الفعل التأثيري (الفعل الناتج عن القول) إذا رأى المستمع هولا حاصلًا أو فتنة نائرة يتربّص و يتأني لتفادي ما هو أسوأ.

فالقوّة الإنجازية لهذا الفعل الكلامي تمثّلت في التّحذير و التّنبية و الّذي أسهم في قوّة هذا الفعل هو الجملة الظرفية المتضمنة معنى الشرط التي افتتحها المتكلّم ب "إذا" فقد جاءت مقرونة بالجواب بهذا التسلسل و هذا ما يتطلبه الخطاب فيقصد المتكلّم من وراء ذلك إذا نزا بك الشرّ فاقعد به.

و في هذا المثل: " إِذَا حَزَّ أَحْوَكُ فَكُلْ".²

و دلالة المثل كما أوردها الميداني:

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 78 .

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 88 .

الفصل الثاني _____ مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

" يضرب في الحثّ على الثقة بالأخ "1.

الفعل الكلامي المباشر (الأمر) في (فكل) قوة إنجازية حرفية يستدلُّ عليها بقرائن بنيوية دالة عليها وهي فعل الأمر.

بنية الفعل الكلامي
(فُكُنْ)

الفعل الكلامي غير المباشر: (المعنى الضمني): قوة إنجازية ضمّنيا (التأديب، التّهذيب، النصّح و التّوجيه...) مع انعدام القرائن البنيوية.

يظهر الفعل الكلامي سليما من النّاحية الصّوتية ، التركيبية و الدّلالية (فعل القول) ، أمّا الفعل المتضمّن في القول يحمل نتيجة ضمّنية مفادها توجيه المستمع على ضرورة الثقة بالأخ و الفعل النّاتج عن القول تجنب العداوة و المعاملة السيئة للأخ لما ينجّر على ذلك من عواقب وخيمة فالقوة الإنجازية من وراء الفعل الكلامي التّأديب و التّهذيب فهي قوة مستلزمة ضمّنياً أي مقامياً و الذي أسهم في قوّة هذا الفعل هو الجملة الطّرفية المتضمّنة معنى الشّروط التي اقتحمها المتكلم ب " إذا " . فقد جاءت مقرونة بفعل الشّروط وجوابه بهذا التّسلسل قصد الإقناع والتّأثير في السّامع .

و في المثل: إذا اشتريت فادكّر السوق.2

نجد بنية الفعل الكلامي كالآتي:

الفعل الكلامي المباشر= المعنى الحرفي الذي جاء على هيئة الأمر

الفعل الكلامي
(فادكّر)

الفعل الكلامي غير المباشر= المعنى الضمني.

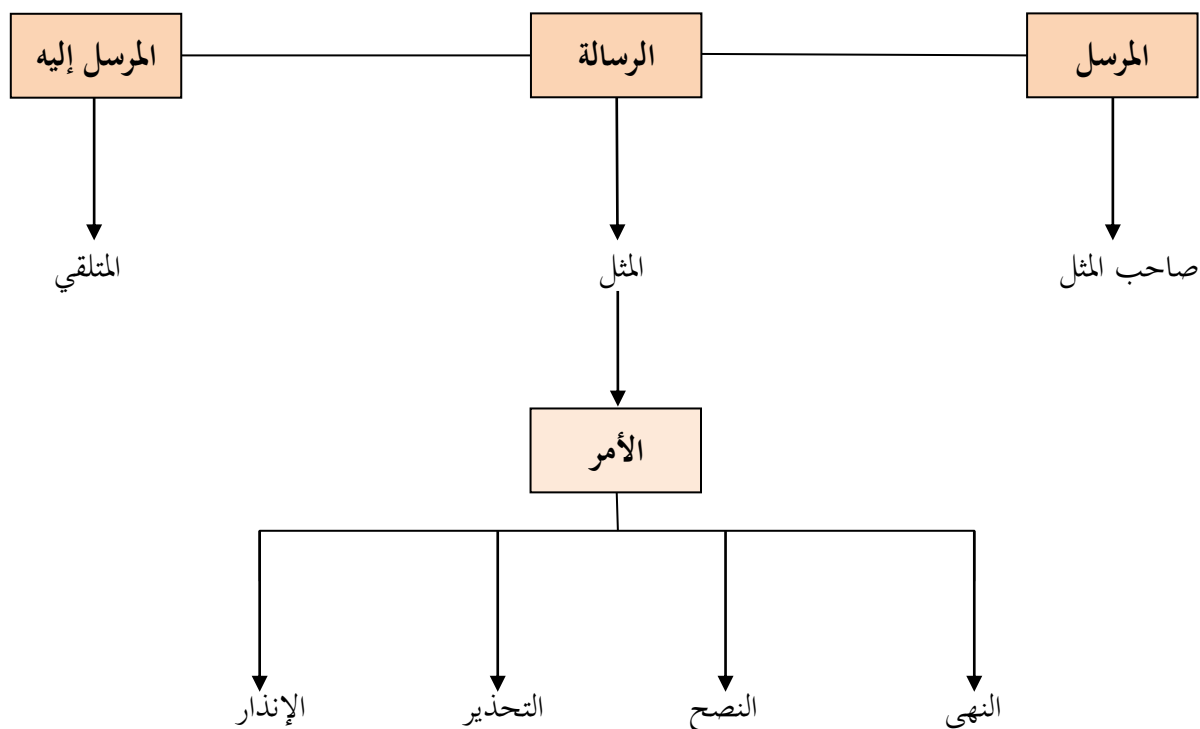
فالفعل اللغوي (فادكّر) يحمل نتيجة ضمّنية و قوة إنجازية من خلال صيغة الأمر حاول المتكلم توجيه السّامع حول الجانب العلمي - البيع والشراء - مفاده إذا اشتريت فادكّر البيع لتجنّب العيوب فالغرض الإنجازي هو حثّ

1- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 88

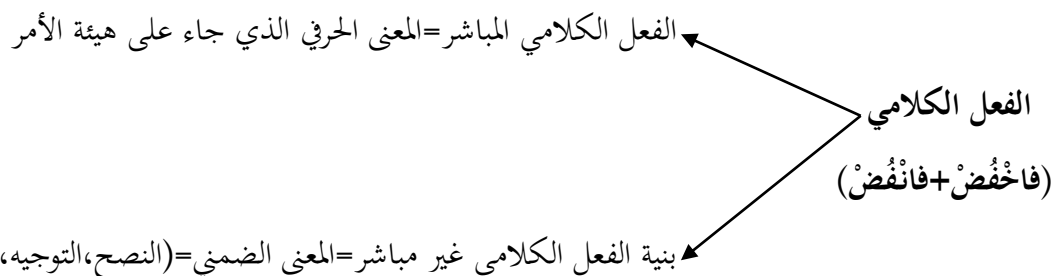
2- المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 111.

الفصل الثاني _____ مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

السّامع على تجنّب العيوب في البيع و بالتّالي تفادي الغشّ و الرّبا الّذي أضحى منتشرًا في زماننا هذا ، و الّذي أسهم في قوّة الفعل الإنجازي الجملة الطّرفية المتضمّنة معنى الشّروط فجاء فعل الشّروط مقرونًا بجوابه في تسلسل أسهم في التّأثير في المتلقّي و إقناعه ، و نوضّح هذه الرّسالة كما يلي :



و في المثل: إِذَا تَكَلَّمْتَ بِلَيْلٍ فَاحْفَظْ، وَإِذَا تَكَلَّمْتَ نَهَارًا فَانْفُضْ.¹
بنية الفعل الكلامي نمثلها كالآتي:



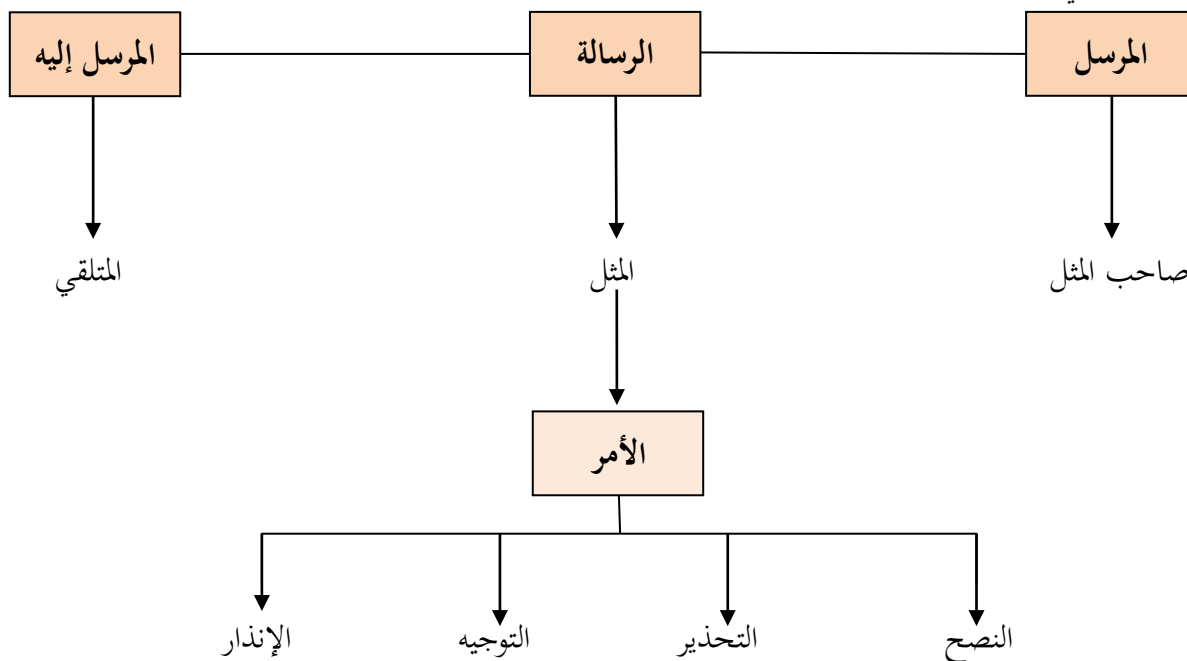
يحمل الفعل الكلامي الّذي جاء على صيغة الأمر نتيجة ضمّنيّة تمثّل حجة في حدّ ذاتها مفادها ضرورة أخذ الحيطة و الحذر من رؤية من تكهّنه.

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمّد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 97 .

الفصل الثاني _____ مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

جاء الفعل الكلامي بهدف النصح و التحذير لوقوع ما هو أسوء ، و تموضع هذا الفعل في جملة ظرفية متضمنة معنى الشرط التي زادت من قوة الفعل الكلامي و بذلك تحقق هدف المتكلم ، الإقناع و التأثير و تمثل رسالة هذا

المثل كما يلي:



و في قولهم: إذا أَخَذْتُمْ عِنْدَ رَجُلٍ يَدًا فَانْسُوهَا.¹

و دلالة المثل كما أوردها الميداني:

" قاله بعض حكماء العرب لبنيه ، قال أبو عبيد : أراد حتى لا يقع في أنفسكم الطول على الناس بالقلوب ، و لا تذكروها بالألسنة "².

يمكن توضيح بنية الفعل هذا الفعل الكلامي على النحو الآتي:

الفعل الكلامي المباشر=المعنى الحرفي الذي جاء على صيغة الأمر.

الفعل الكلامي

(ف+انسوها) ← الفعل الكلامي غير مباشر=المعنى الضمني(النصح، التحذير، التوجيه، الإندار...)

نجد أنّ الفعل الكلامي الذي ورد بصيغة الأمر يحمل نتيجة ضمنية و قوة إنجازية مفادها إذا عملت معروفًا لأحد فلا تذكره و أنساه.

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 60 .

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 60

الفصل الثاني _____ مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

فالغرض الإنجازي الذي يهدف من وراءه المتكلم هو توجيه المستمع و إرشاده بعدم التطاول على الذي تقدم له معروفا ، فنجد الغاية التربوية الأخلاقية التي يقصدها صاحب المثل و الذي أسهم في تقوية هذا الفعل الكلامي هو الجملة الشرطية التي افتتحها ب " إذا " الظرفية و ذلك بهدف الإقناع و التأثير و السيطرة على ذهن المتلقي ، فإذا أراد تقديم معروفا ما فلا يذكره و ذلك حتى يحصل على الأجر و الثواب .

و في هذا المثل : **إِنْ كُنْتُ بِي تَشُدُّ أَرْزَكَ فَأَرْخِهِ**¹.

و دلالة المثل كما أوردها الميداني:

"أَيُّ إِنْ تَتَكَلَّمُ عَلَيَّ فِي حَاجَتِكَ فَقَدْ حُرِّمَتْهَا"².

بنية الفعل الكلامي كالآتي :

الفعل الكلامي
(فَأَرْخِهِ)

الفعل الكلامي المباشر= المعنى الحرفي الذي جاء على صيغة الأمر.

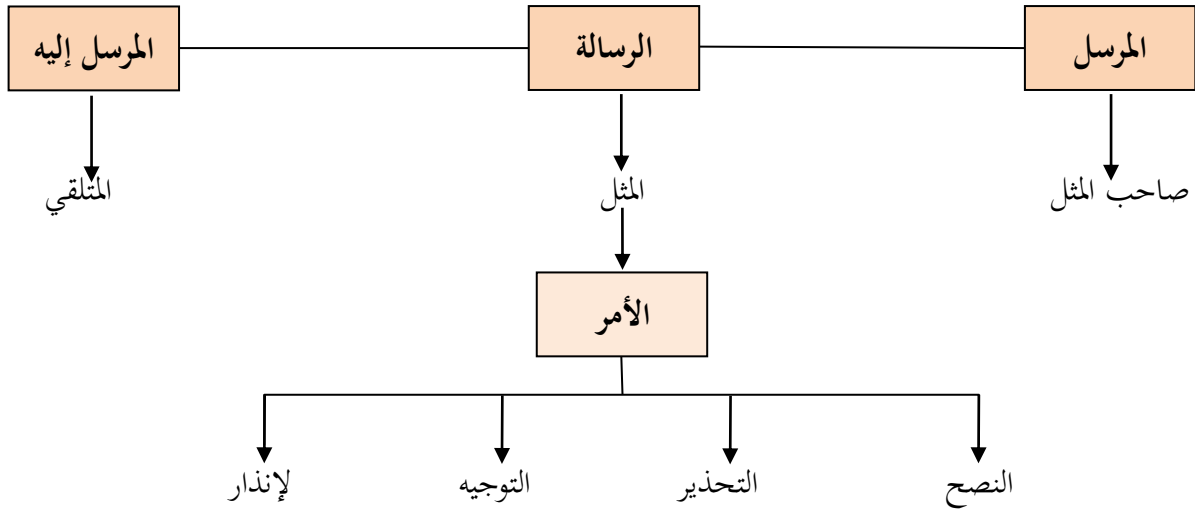
الفعل الكلامي غير المباشر= المعنى الضمني (التحذير، النصح والتوجيه، الإنذار).

إنَّ الفعل الكلامي في هذا المثل يحمل في ذاته نتيجة ضمنية و قوة إنجازية مفادها الاعتماد على النفس لا على الغير فالغرض الإنجازي لهذا الفعل الكلامي يحمل بذور التوجيه و النصح و التأثير في المتلقي بضرورة عدم الاتكال على الغير ، فالجملة الشرطية التي جاءت مقرونة بفعل الشرط و جوابه زادت من فاعليَّة و قوة الفعل الكلامي و بالتالي تحقِّق الإقناع و التأثير ، و نمثِّل رسالة هذا المثل :

¹- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، مج 1، ص 51.

²- المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 51

الفصل الثاني _____ مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية



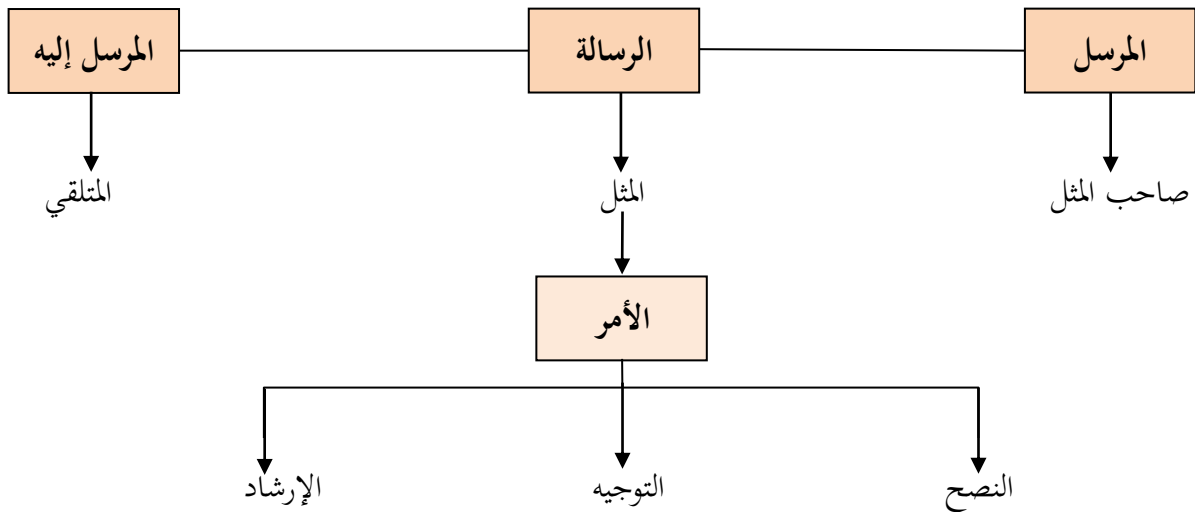
و في هذا المثل: إذا لم تسمع فألمع.¹

الفعل الكلامي المباشر = المعنى الحرفي الذي جاء على هيئة الأمر.

بنية الفعل الكلامي
(فألمع)

الفعل الكلامي غير المباشر = المعنى الضمني (النصح، الإرشاد والتوجيه...).

إنّ الفعل اللغوي (فالمع) الذي جاء على هيئة الأمر هو حجة يحمل نتيجة ضمنيّة من قبيل إذا عجزت عن الإسماع لم تعجز عن الإشارة ، فالفعل اللغوي يحمل قوّة انجازية مفادها النصح و الإرشاد ، و يمكننا تمثيل رسالة هذا المثل على النحو الآتي :



¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 114 .

الفصل الثاني _____ مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

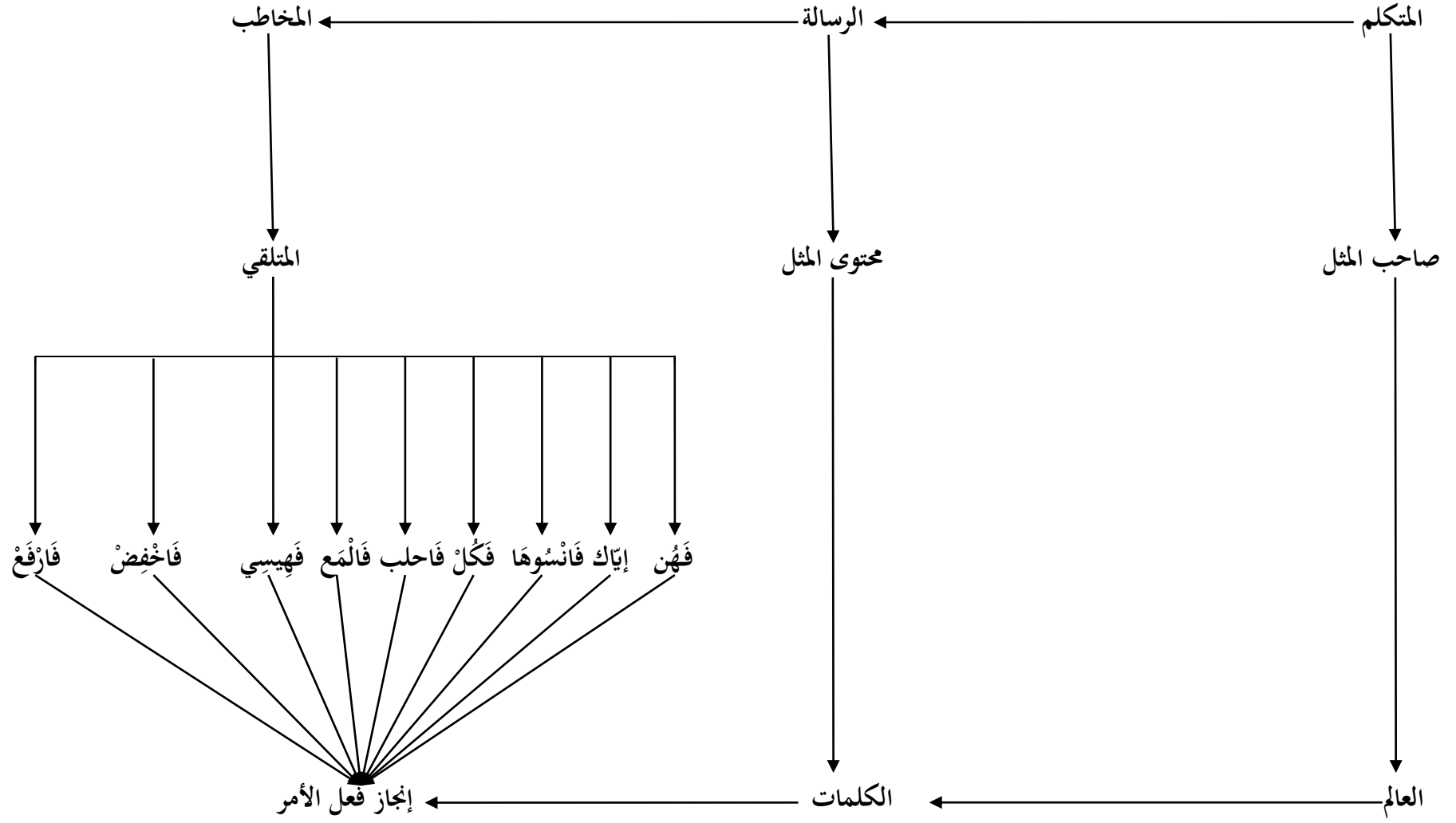
"أَيُّ إِنْ عَجَزْتَ عَنِ السَّمْعِ لَمْ تَعِزَّ عَنِ الْإِشَارَةِ"¹.

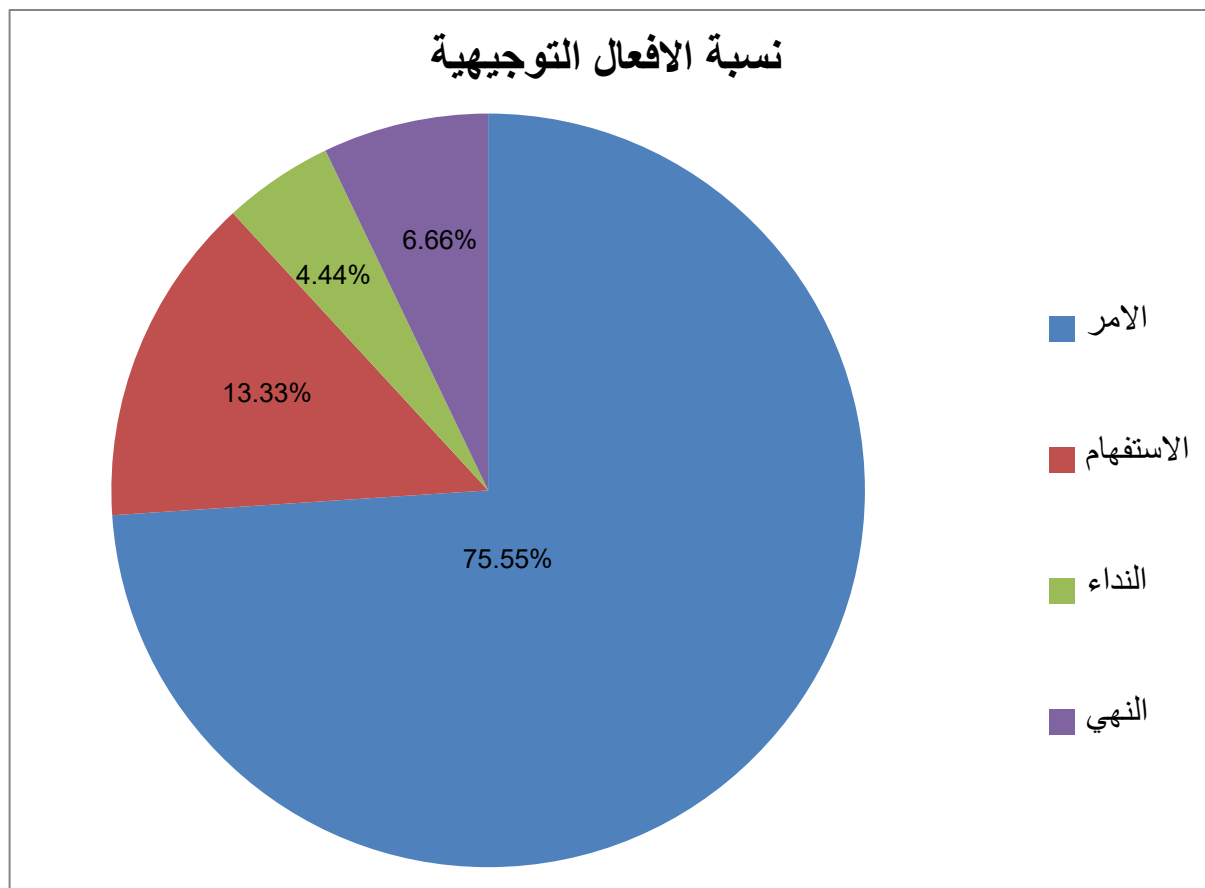
و فيما يلي جدول يوضح لنا الغرض الإنجازي لأفعال الأمر في باب الألف.

| الغرض الإنجازي | الفعل الكلامي في المثل |
|---|--|
| إيقاع الأمر: ← الحث على الرفق واللين مع الآخرين | إِذَا عَزَّ أَحْوَكُ فَهُنْ |
| إيقاع الأمر: ← حماية النفس مما هو أسوء | إِذَا نَزَا بِكَ الشَّرُّ فَاقْعُدْ بِهِ |
| (إيقاع الأمر): ← الحث على صون اللسان | إِيَّاكَ وَأَنْ يَضْرِبَ لِسَانُكَ عُنُقَكَ |
| (إيقاع الأمر): ← الاهتمام بالجواهر لا بالمظهر | إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدِّمَنِ |
| (إيقاع الأمر): ← تجنب الفتن بين الجماعة | إِيَّاكَ وَقَتِيلَ الْعَصَا |
| (إيقاع الأمر): ← الحذر من انتهاك أعراض الناس | إِيَّاكَ وَأَعْرَاضَ الرِّجَالِ |
| (إيقاع الأمر): ← تقديم المعروف بلا مقابل | إِذَا اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ رَجُلٍ يَدًا فَانْسُوْهَا |
| (إيقاع الأمر): ← الحث على الثقة بالأخ | إِذَا حَزَّ أَحْوَكُ فَكُلْ |
| الحث على عدم عصيان قومك | إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَاحْلُبْ فِي إِيَّائِهِمْ |
| الحث على كون الإشارة أبلغ من الكلام | إِذَا لَمْ تَسْمَعْ فَالْمِغْ |
| الحث على ترك الكذب | إِذَا سَمِعْتَ بُشْرَى الْيَقِينِ فَاعْلَمْ أَنَّه مُصْبِحٌ |
| الحث على تجنب العيوب في الشراء | إِذَا اشْتَرَيْتَ فَادْكُرْ السُّوقَ |
| الحث على العمل والاجتهاد | إِحْدَى لِيَالِيكَ فَهَيْسِي هَيْسِي |
| الحث على ضرورة الاعتماد على النفس | إِنْ كُنْتَ بِي تَشُدُّ أَرْزُكَ فَأَرْجِهْ |
| الحث على التسامح والعفو | إِذَا رَجَحْتَ شَاصِيَا فَارْفَعْ يَدًا |
| الحث على الانتباه قد تجد من تكرهه فيؤذيك | إِذَا تَكَلَّمْتَ لَبِيلٌ فَاحْفِضْ وَإِذَا تَكَلَّمْتَ نَهَارًا فَانْقُضْ |

و لعلَّ المخطَّط الذي سنوضحه الآن خير مثال يجسد لنا ما سبق ذكره عن أفعال الأمر الواردة في باب الألف.

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 114





نلاحظ من خلال الرسم الدائري أنّ الأمر جاءت نسبته عالية فلقد بلغت حوالي 75.55% في حين الاستفهام كانت نسبته 13.33% أما النهي و النداء فقد جاءا بنسبٍ متقاربة فالنهي كانت نسبته 6.66% أما النداء جاءت نسبته ضئيلة 4.44%. نلمسُ إذن التنوع في ورود الأفعال التوجيهية فهي ليست متقاربة ما عدا النهي و النداء ، إنّ هذا التنوع راجعٌ لا محالة إلى الإلحاح على شدّ انتباه السامعين و التأثير فيهم ، فالأمر فيه نوع من الطلب على القيام بشيء ما فيستلزم على المستمع الرضوخ لطلب الأمر – أي لطلب المتكلم – و حتّى يُحافظ المتكلم على جذب انتباه السامع عليه أن ينتقل إلى فعل توجيهي آخر ، و ذلك من خلال النهي عن بعض الأمور و ذلك بهدف إصلاحه و توجيهه إلى الطريق الصّحيح ، و حتّى لا يشعر السامع بنوع من الإكراه و الإلزام نجد المتكلم يلجأ إلى الاستفهام بطرح أسئلة تقتضي إجابة حتّى يجعل من المتلقي أو المستمع يدخل معه في غمار الأسئلة و يشغل فكره و عقله ، و النداء فجاء تقريبًا للفت الانتباه . نرى هذا التنوع لم يأت بصورة اعتباطية عشوائية لا مبرر لها و إنّما لأهداف و غايات مرجوة شأنها و زبدتها الأساسية هي التأثير و الإقناع .

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

ثالثاً : التعبيرات (Expressives) :

تشمل أفعال الكلام التعبيرية كلَّ الأساليب و العبارات التي يعبر بها المتكلم عن مشاعره ، من رضى و حزن ، غضب و سرور، نجاح و فشل... .

كما تتعدى ذلك لتشمل ما يظهر في بنية الخطاب ممَّا يحدث المشاركين في الفعل ، و وقعه عليهم ، أثناء أفعال الشُّكر، التهنئة ، الاعتذار...¹

نجد أنّ مجمع الأمثال للميداني في نماذجه المنتقاة يُعبّر فيها مرسل المثل عن حالات نفسية موجودة بداخله و مدى تأثيرها على المتلقي أو السامع من أسى و حزن و شكوى و فرح... لذلك نحاول من خلال مدوّنتنا استقصاء أهمّ وأبرز الأفعال التعبيرية الواردة في مجمع الأمثال ومدى تأثيرها على الطرف الثاني الذي يعدّ ركنا أساسياً في العملية التخاطبية من خلال الجدول الآتي:

| التعبيرات | حضورها في مجمع الأمثال(نماذج منتقاة) | عددتها |
|--------------|---|--------|
| أفعال الشكوى | -شَكَوْتُ لَوْحًا فَحَزَا لِي يَلْمَعَا -تشكو إلى غير مُصَمَّتٍ. تشتهي وتشتكي. -أَكَلْتُمْ ثَمْرِي وَعَصَيْتُمْ أَمْرِي -صَبَحِي شَكَوْتُ فَاسْتَشْنَنْتَ طَالِقٌ. -أَسَافَ حَتَّى مَا يَشْتَكِي السَّوَّافَ | 06 |
| أفعال الشكر | -أَشْكُرُ مِنْ كَلْبٍ. -أَشْكُرُ مِنْ بَرِّوَقَةٍ. | 02 |
| أفعال التهنة | - هَنِئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ. -هُنَيْتَ وَلَا تُنْكِهِ. -أَهْنَى الْمَعْرُوفَ أَوْحَاهُ. -أَهْنَى مِنْ كَنْزِ النَّطْفِ. زَفَّ زَأْلَهُ | 06 |

¹ - خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، ص151.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

| | | |
|----|---|------------------------|
| | هَنِيئًا لِسُجَامٍ مَا أَكَلَ | |
| 01 | إِذَا تَمَنَيْتَ فَاسْتَكْبِرْ | أفعال التمني |
| 01 | حَيَّاكَ مِنْ حَلَا فُوهُ | أفعال التحيية |
| 02 | -حَمْدًا إِذَا اسْتَغْنَيْتَ كَانَ أَكْرَمَ. -تَحَمَّدي يَانْفَسُ لَأَ حَامِدَ لَكَ. | أفعال الدعاء |
| 10 | -فِي الصَّيْفِ ضَيَّعَتِ اللَّبَنُ. -يَشْجِنِي وَيَبْكِي. -يَبْكِي إِلَيْهِ شَبَعًا وَجُوعًا. -أَبْكِي مِنْ يَتِيمٍ. أُمُّ الْجَبَانِ لَا تَفْرَحُ وَلَا تَحْزَنُ. -تَذَكَّرْتُ رِيًّا صَبِيًّا فَبَكَتْ. -يَلْطِمُ وَجْهِي وَيَقُولُ: لَمْ تَبْكِي؟ -لَكَ مَا أَبْكِي وَلَا عِبْرَةَ بِي. -كُنْتُ تَبْكِي مِنَ الْأَثْرِ الْعَافِي، فَقَدْ لَاقَيْتَ أُخْدُودًا. -أَسَاءَ رَعِيًّا فَسَقَى. | أفعال الحزن والتحسر |
| 04 | أَسْرُ مِنْ غَنَى بَعْدَ عُدْمٍ وَوُزْرٌ بَعْدَ سُقْمٍ. تَبْشِرُنِي بَعْلَامٍ أَعْيَا أَبُوهُ. بَشِّرْ مَالَ الشَّحِيحِ بِحَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ | أفعال الفرح |
| 09 | صَبْرًا وَإِنْ كَانَ قَتْرًا. صَبْرًا أَتَانُ فَالْجِحَاشُ حَوْلُ. صَبْرًا وَبِضِي أَصْبِرُ مِنْ قَضِيبٍ أَصْبِرُ مِنْ ضَاغِطٍ مُعْرَكٍ أَصْبِرُ سَاعَةً أَطْوَلَ لِلرَّاحَةِ | أفعال المواساة |

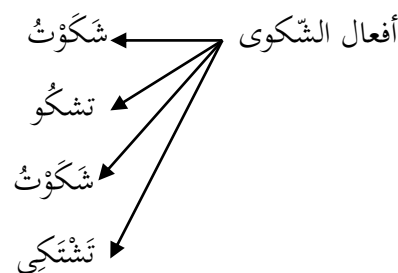
الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

| | | |
|--|--|--|
| | <p>صبرك عن محارم الله أيسر من صبرك على عذاب الله صبراً على جَمَامِرِ الكِرَامِ. أصبرُ على السَّوَابِي من ثلاثة الأثافي</p> | |
|--|--|--|

من خلال الجدول نلاحظ أنَّ أفعال الشكوى عددها 06 ، و أفعال الشكر 02 ، أفعال التهنئة 06 ، و التمتي 01 ، و التّحية 01 ، أفعال الدّعاء 02 ، أفعال الحزن 10 ، أفعال الفرح 04 ، أفعال المواساة 09. لذلك نحاول تحليل بعض النماذج المنتقاة من المدونة لنكشف بها عن نفسيّة المتكلّم كطرف أول في الخطاب، ونفسيّة المتلقّي كطرف ثاني.

2-1- أفعال الشكوى :

نمثّلها كما يلي:



جاءت أفعال الشكوى بألفاظ صريحة دالّة عليها جميعها تومئ بنفسيّة المتكلّم و مشاعره إزاء مواقف عديدة ،

فعندما نأخذ هذا المثل : **شَكْوْتُ لَوْحًا فَحَزَا لِي يَلْمَعًا**.¹

و مضربه كما أورده الميداني "يُضْرَبُ لِمَنْ يَشْكُو حَالَهُ إِلَى صَاحِبِ لَهُ فَاطْعِمُهُ فِيمَا لَا مَطْمَعَ فِيهِ".²

فالمتكلّم هنا يعبر عن شكواه إزاء الصديق أو الصّاحب الذي يعطيه آمالاً و أحلاماً غير موجودة في قضيّة ما. فالقوة الانجازية من وراء الفعل الكلامي هو الذمّ و هو فعل كلامي غير مباشر الذي ينتمي إلى التّعابير النفسية حسب تصنيف سيرل (searle) و استدلّ عليها بقريظة بنيويّة تتمثّل في الفعل (شكوت) فأكد أنّ مرسل المثل قد عايش هذا الموقف و ذاق من ويلاته فأراد التّنفيس عمّا يجول بداخله ، فالغرض الإنجازي الشكوى.

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمّد الميداني، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 469.

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 469. (اللّوح : العطش ، اليلمع : السّراب ، المصدر نفسه).

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

لقد افتقر هذا الفعل الكلامي إلى شروطه (شروط الملائمة) لأنّ مرسل المثل لا يطلب فعل شيء ما في المستقبل ، و هذا إن دلّ على شيء فإنما يدلُّ على أنّ الفعل الكلامي افتقر لعنصر التأثير ، لأنّ المتكلم يعبر عن مشاعره الداخليّة فقط مع انعدام اتّجاه المطابقة لأنه ينطوي تحت صنف التعبيرات وأهم مميّزاتها هي انعدام اتّجاه المطابقة ونحاول توضيح بنية هذا الفعل كما يلي:

الفعل الكلامي

← فعل كلامي مباشر (صريح) استدل عليه بقرينة بنيوية دالة عليها وهي الفعل.

← الفعل الكلامي غير المباشر هو المعنى الضمني "الدم" مع انعدام القرينة البنيوية الدالة عليها تفهم مقامياً أو ضمناً = انعدام اتّجاه المطابقة.

و في قوله: تشكّو إلى غير مُصمّت¹.

و دلالة المثل كما أورده الميداني " أي إلى من لا يهتمُّ بشأنك"².

يعبر المتكلم في هذا المثل عن مشاعره و يشاركه في ذلك المتلقّي أو المخاطب ، تتمييز الأفعال التعبيرية (الحيرة ، التمني ، الشكوى) في أنّها تداوُلًا لا تتعلّق بالمتكلم وحده ، و لا تعبر عن عواطفه و مشاعره وحده ، بل تتعدّى ذلك لتشمل ما يرتبط بالمخاطبين.³

إذ يلتفت هنا المتكلم إلى حالة المتلقّي بعده طرفاً جوهرياً في الموقف التداوُلّي مفادها تفادي الشكوى لمن لا يبالي بك فالقوة الانجازية للفعل الكلامي تحمل نتيجة ضمنيّة من قبيل التعجّب و الاستغراب و هو فعل كلامي غير مباشر ينتمي لصنف التعبيرات و استدلّ عليها بقرينة بنيوية تتمثل في الفعل (تشكّو) و غايته -المتكلم- التأثير في المتلقّي و السيطرة على ذهنه فالغرض الإنجازي الشكوى و حتّ المتلقّي على معرفة الشّخص المناسب للتعبير عن شكواه- لقد توفّر هنا شرط الملائمة فالمتكلم يطلب من المخاطب فعل شيء ما مستقبلاً.

نلاحظ توفر البنية الصّادقة و شرط الإخلاص مع انعدام اتّجاه المطابقة و نوضّح بنية هذا الفعل الكلامي :

الفعل الكلامي

← الفعل الكلامي المباشر هو المعنى الصريح (استدلّ عليه بقرينة بنيوية دالة عليه) (الفعل).

← الفعل الكلامي غير مباشر هو المعنى الضمني (التعجّب + الاستغراب) يُفهم مقامياً أو سياقياً.

¹- أبو الفضل أحمد بن محمّد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 174 .

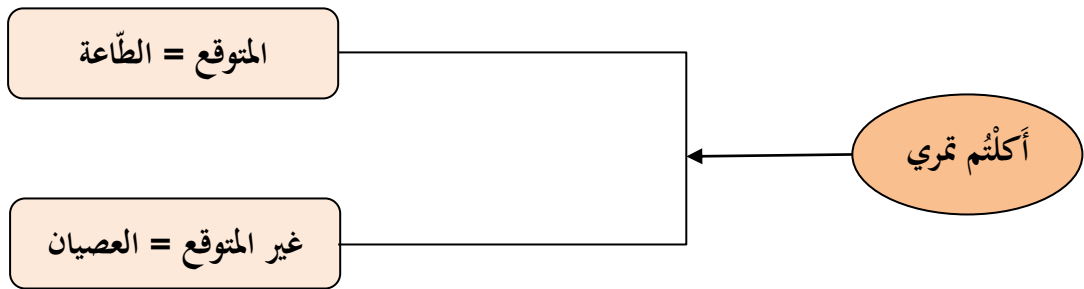
²- المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 174 .

³- خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، ص 155 .

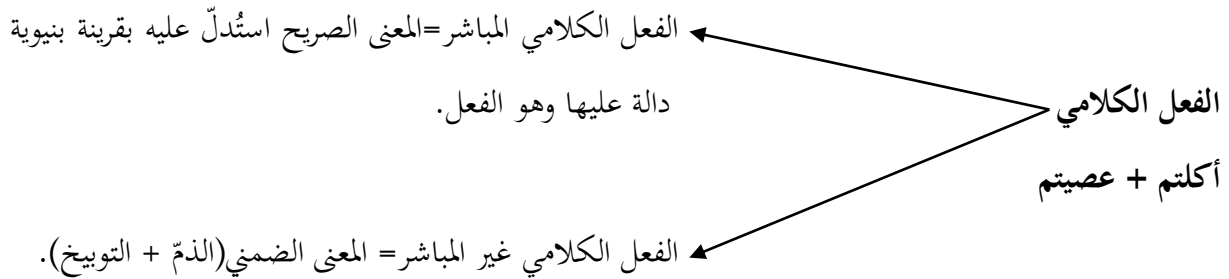
الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

و في هذا المثل: **أَكَلْتُمْ ثَمْرِي وَعَصَيْتُمْ أَمْرِي**.¹

لم يعبر المتكلم في هذا المثل بالفعل التعبيري المباشر "شكوت" كما لاحظناه سابقاً، و لكننا استطعنا أن نتلمس بذور الشكوى من خلال السياق و قرائن الأحوال ، فتظهر نبرة المتكلم الغاضبة ، الشاكية التي لقيها من خصومه، فمن المفترض الذين أكلوا من ثمره الشكر و العرفان والطاعة و لكنّه - المتكلم - فوجئ بسلوك مغاير تماما و هو العصيان و الخروج عن طاعته ، فالقوة الانجازية المستلزمة ضمناً هي الذمّ و التوبيخ ، و هو فعل كلامي غير مباشر ينتمي إلى التعبيرات النفسية حسب تصنيف سيرل (searle) و استدللّ عليها بقريئة بنيوية دالة عليها (أكلتم + عصيتم) فمن المتوقع أنّ المرسل قد عايش هذا الموقف و عانى من ويلاته فأراد التنفيس عمّا بداخله ، فالغرض الإنجازي هو الشكوى ، لقد افتقر الفعل الكلامي إلى شروط الملائمة لأنّ المتكلم لا يطلب من المخاطب فعل شيء ما مستقبلاً ، و بالتالي افتقار الفعل الكلامي لعنصر التأثير لأنّ المتكلم يعبر عن مشاعره النفسية فقط مع انعدام اتجاه المطابقة (لأنّه يندرج ضمن التعبيرات ما هي إلاّ تعبير عن حالة نفسية تتعلق بالمتكلم ، و نحاول توضيح بنية أو دلالة المثل الذي كسر أفق انتظار القارئ كما يلي:



أمّا بخصوص بنية هذا الفعل نوضحه كما يلي:



و في هذا المثل: **تَشْتَهِي وَتَشْتَكِي**.²

و دلالة هذا المثل كما أورده الميداني: **"نَحْبُ أَنْ تَأْخُذَ، وَتَكْرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْكَ"**.³

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 115 .

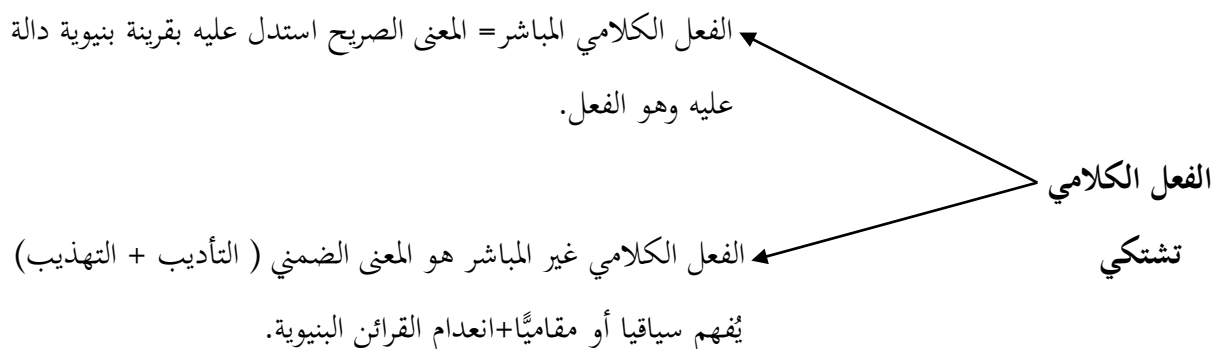
² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 193 .

³ - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 193 .

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

يعبر المتكلم في هذا المثل على مشاعره و يشاركه في ذلك المتلقّي هذا الأخير بعده طرفاً أساسياً في الموقف التداولي المرسل يعدّ من أهمّ عناصر الدراسة التداولية ، لأنّه طرف الخطاب الأوّل الذي يوجه كلامه إلى الطرف الثاني.... و المرسل إليه و هو طرف الخطاب الثاني ، و إليه تتجه لغة الخطاب التي تعبر عن مقاصد المرسل.¹

ففي المثل أعلاه يُظهر المتكلم شكواه من الشخص الذي يجب أن يأخذ منك و لا تأخذ منه ، فالقوة الإنجازية للفعل الكلامي المتضمنة ضمناً هي التهذيب و التأديب . و هو فعل كلامي غير مباشر ينتمي لصنف التعبيرات أو البوحيات ، و غاية المتكلم التأثير في المتلقي و السيطرة على ذهنه فالغرض الإنجازي هو الشكوى و الفعل التأثيري الناجم هو حثّ المتلقي على عدم إظهار الأنانية فكما يجب أن يأخذ من الآخرين كذلك لهم الحقّ في الأخذ منه . لقد توفر إذن شرط الملائمة للمتكلم يطلب من المخاطب فعل شيء ما (ترك الأنانية) نلاحظ توفر البنية الصّادقة ، و شرط الإخلاص و التأثير مع انعدام اتجاه المطابقة لأنّ المثل يندرج ضمن التعبيرات ، و نوضح بنية هذا الفعل الكلامي كما يلي :



2-2- أفعال الفرح :

و في هذا المثل: تُبَشِّرُنِي بِعِلَامٍ أَعْيَا أَبُوهُ.²

و دلالة المثل كما أورده الميداني : و ذلك أنّ رجلاً بُشِّرَ بولد ابن له ، و كان أبوه يَعُقُّهُ ، فقال هذا.³ نصنف هذا المثل ضمن التعبيرات ، إذ نجد المتكلم يعبر عما هو بداخله ، فظاهر المثل الفرح و البشرى من خلال اللفظة الصريحة الدالة عليه " تبشّرني " لكن الدلالة الباطنية ممزوجة باليأس و الحزن فالقوة الإنجازية الضمنية هي :

¹ - بن زروق سامية ، بين البلاغة العربية و التداولية ، ص 258 .

² - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 181 .

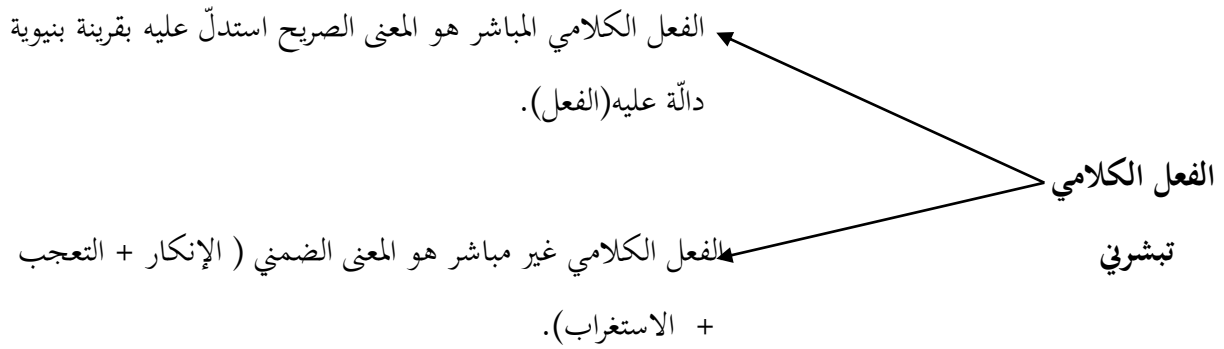
³ - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 181 .

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

الاستفهام الإنكاري بمعنى كيف تبشريني بسلام أعيا أبوه؟، تضمنت القوة الإنجازية أيضا معنى الاستغراب و التعجب أي ماذا تنتظر من مولود والده كان عاقا؟

لقد كسر أفق انتظار القارئ أو السامع من خلال الفعل الكلامي (تبشريني) فكان المتوقع الفرح والبشارة لكن دلالة المثل وسياقه بين عكس ذلك. فالمتكلم يعبر عن حالته النفسية المتلونة بدلالة الفرح حيننا والحزن حيننا آخر، استطاع من خلال هذا التلون التأثير في المتلقي وإقناعه.

و يتم توضيح بنية هذا الفعل الكلامي كالآتي :



لا توجد مطابقة لأن المثل نصنفه ضمن التعبيرات.

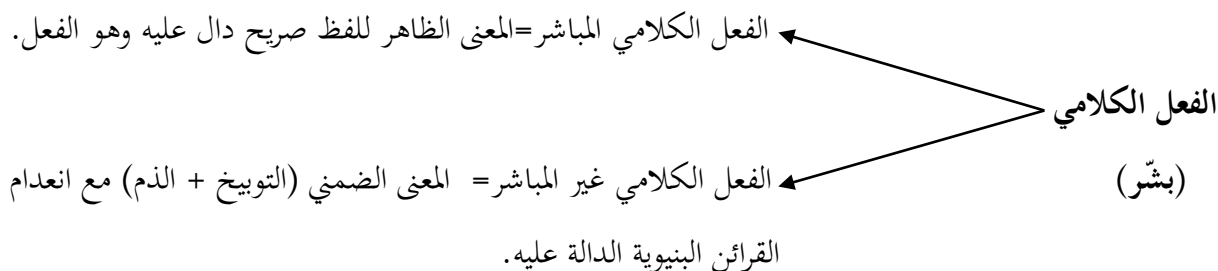
و في هذا المثل : " بَشِّرْ مَالَ الشَّحِيحِ بِحَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ " ¹.

يعبر صاحب المثل عن خلجات نفسية من خلال الفعل الذي جاء على صيغة الأمر- بشر- فالقوة الإنجازية المباشرة هي التعبير عن البشرى بلفظ صريح دال عليه ، أما القوة الإنجازية الضمنية المستلزمة ضمنا هي الذم و التوبيخ و الفعل التأثيري الناجم من وراء هذا الفعل الكلامي هو نهي المتلقي أو السامع على ظاهرة الشح أو البخل فلا يجني من ورائها سوى الهلاك .

ففي هذا المثل دالتين استدلال عليهما بالفعل الكلامي (بشر) فالدلالة الأولى هي كون البشرى تتضمن الخبر السار أو السعيد ، لكن الدلالة الباطنية هي كون البشرى مرهونة بالحادث أو الوارث مما يحيل إلى الهلاك و الدمار ، فلا مجال للسرور أو البشرى و معنى ذلك سلوك الشحيح الذي يبخل بماله فلا يستفيد هو منه و لا يفيد غيره . و بنية الفعل الكلامي نوضحها كما يلي :

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 166.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

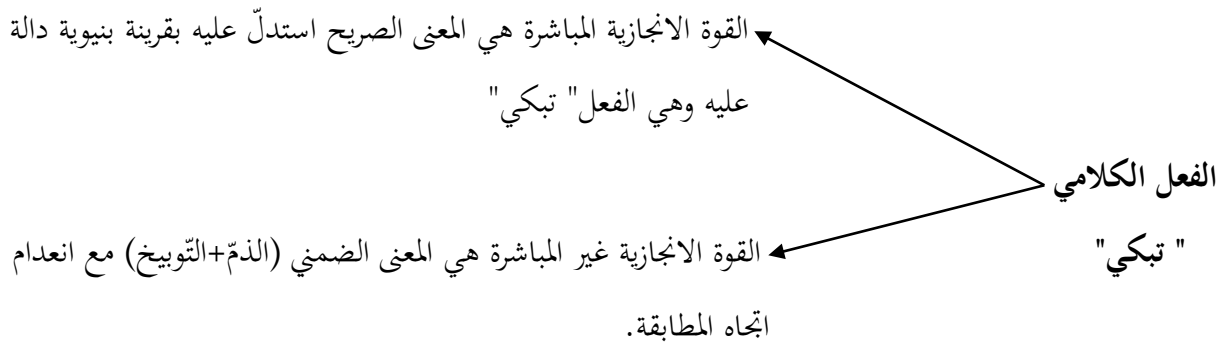


2-3- أفعال الحزن والتحسر:

"كُنْتُ تَبْكِي مِنَ الْأَثْرِ الْعَافِي ، فَقَدْ لَأَقَيْتَ أُخْدُودًا" .¹

و دلالة هذا المثل كما أورده الميداني : " يضرب لمن يشكو القليل من الشرِّ ثمَّ يقع في الكثير" .²
حاول المتكلم إبراز مشاعر الأسى و الحزن الذي يشعر به الشخص و شكواه من القليل - الشرِّ - ثم يقع في الكثير ، فالقوة الإنجازية الظاهرة أو المباشرة هي إظهار الأسى و الحزن .
أمَّا القوة الانجازية غير المباشرة أو الضمنية هي الذمّ و التوييح لمن كان يشكو القليل ثمَّ أضحى يشكو الكثير .
و الفعل التآثيري الناجم هو حثّ المتلقّي على إظهار الرضا حتّى لا يقع فيما هو أسوء .

و يمكننا توضيح بنية الفعل الكلامي:



تذكّرت رياءً صبيّاً فبكتُ .³

و دلالة المثل كما أورده الميداني : يضرب لمن حزن على أمر لا مطمع في إدراكه لبعده العهد به ... رياءً : اسم امرأة أسنت ففرقت فتذكرت ولدا لها مات فأسفت و بكتُ .⁴

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 160 .

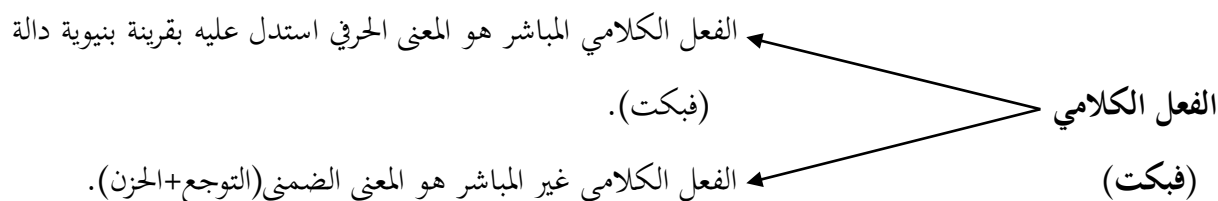
2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 160 .

3 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 196 .

4 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 196 .

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

حاول المتكلم في هذا المثل تبيان الأسى و الحزن الذي تشعر به هذه المرأة إزاء فقدانها لابنها فحين تذكّرت أسفت عليه و بكت. فالقوة الإنجازية المستلزمة ضمناً هي التوجّع و الحزن ولعلّ الفعل الكلامي خير دليل على ذلك (فبكت) و استخدام الرّابط الحجاجي الفاء أسهم في تقويّة الدّلالة و من ثمّ حصول التأثير و الإقناع .
تظهر النّيّة المخلصة و توقّر شرط الإخلاص لدى المتكلم المتعاطف و المتآزر مع هذه المرأة ، و يتمّ توضيح بنية الفعل الكلامي كما يلي :



2-4- أفعال التحيّة :

حيّاك من خلاّ فوه¹.

و المثل كما أورده الميداني : " أي نحن في شغل عنك ، و أصله أنّ رجلاً كان يأكل ، فمرّ به آخر فحيّاه بتحيّة فلم يقدر على الإجابة فقال هذه المقالة " ².

ورد الفعل الكلامي بلفظ صريح دالّ عليه (حيّاك) أمّا معناه الباطني فهو عكس ذلك تماماً و هو ما يعرف عند سيرل (searle) بالفعل المتضمن في القول ، إذ يكشف لنا المثل عن سلوك الرّجل غير المتوقع ، فمن المتعارف عليه ردّ التحيّة بمثلها أو بأحسن منها ، في حين يتحجج قائل العبارة بسبب رفضه عن ردّ التحيّة بانشغاله بالطّعام في حين كان بإمكانه الردّ فهو من خلال هذا السلوك حاول إبراز قلة اهتمامه بالرّجل . فالقوة الإنجازية المستلزمة ضمناً هي التّويخ و الذمّ ، التّهذيب ، التّأديب ، و الفعل التّأثيري التّاجم هو كشف سلوكات بعض الأشخاص و عدم التصرّف بمثلها ، فالمثل صوّر لنا الجانب السلوكي للإنسان ، ففي هذه الأمثال ما تأنف منه العرب ، أو أمّا ممّا يعيب الإنسان أو يقلّل من مكانته³.

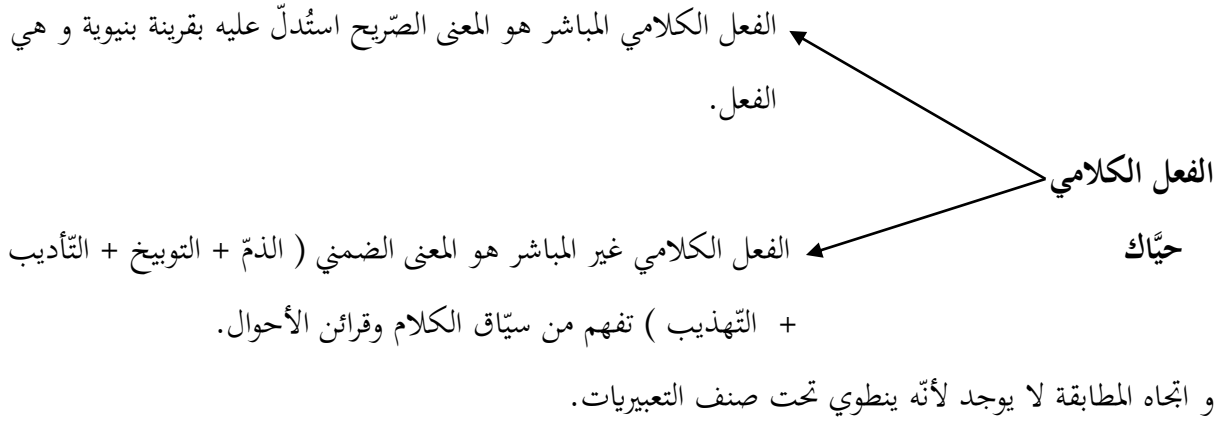
و بنية الفعل الكلامي يتمّ توضيحها كما يلي :

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 202 .

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 202 .

³ - أماني سليمان داود ، الأمثال العربية القديمة (دراسة أسلوبية سردية حضارية) ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ط 1 ، 2009 ، ص 132 .

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية



2-5- أفعال الشكر:

" أَشْكُرُ مِنْ كَلْبٍ " 1

و قصة المثل كما أورده الميداني : " قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ : دَخَلْتُ عَلَى الْعَتَّابِيِّ بِالْمَحْرَمِ ، فَرَأَيْتُهُ عَلَى حَصِيرٍ ، وَ بَيْنَ يَدَيْهِ شَرَابٌ فِي إِنَاءٍ ، وَ كَلْبٌ رَابِضٌ بِالْفِنَاءِ يَشْرَبُ كَأَسَا وَ يُولَعُهُ أُخْرَى ، قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَرَدْتَ بِمَا اخْتَرْتَ ؟ فَقَالَ : اسْمِعْ ، إِنَّهُ يَكْفُ عَنِّي أَذَاهُ ، وَ يُكْفِينِي أَدَى سِوَاهُ ، وَ يَشْكُرُ قَلِيلِي ، وَ يَحْفَظُ مَبِيتِي وَ مَقِيلِي ، فَهُوَ مِنْ بَيْنِ الْحَيَوَانَ خَلِيلِي ، قَالَ ابْنُ حَرْبٍ : فَتَمَنَّيْتُ وَ اللَّهُ أَنْ أَكُونَ كَلْبًا لَهُ لِأَحْوَزَ هَذَا النَّعْتِ مِنْهُ " 2

نلاحظ من خلال المثل رغبة المتكلم (العتّابي) الصّادقة و النّية المخلصة في إظهار محاسن و مميّزات حيوانه الأليف فهو يستحقّ الشكر و التقدير ، و يقدّم صاحب المثل لابن حرب حُججه في ذلك التي أسهمت في تقوية الفعل الكلامي و بذلك يتحقق التأثير و الإقناع فلقد تأثر ابن حرب بذلك و يظهر ذلك جلياً في كونه تمّى لو كان كلباً و يحظى بهذه الأوصاف التي وصفها العتّابي لكلبه ، فالقوة الإنجازية المتضمنة في القول هي الشكر و العرفان ، و الغرض الإنجازي المدح و الثناء و التعظيم ، الفعل التأثيري أو الناتج عن القول ما تركه في نفسية المتلقّي (ابن حرب) من خلال الأمنية التي تمنّاها

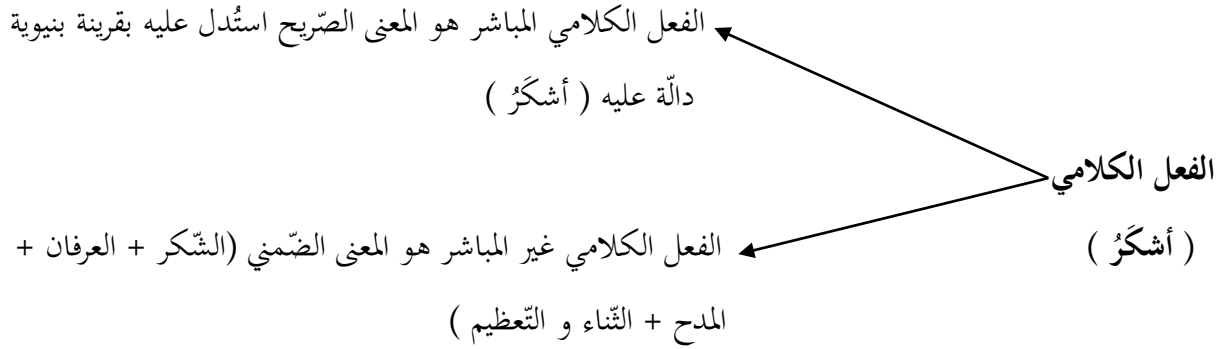
انعدام اتجاه المطابقة لأنّ المثل يصنّف ضمن البوحيات

و بنية الفعل الكلامي يتم توضيحها كما يلي :

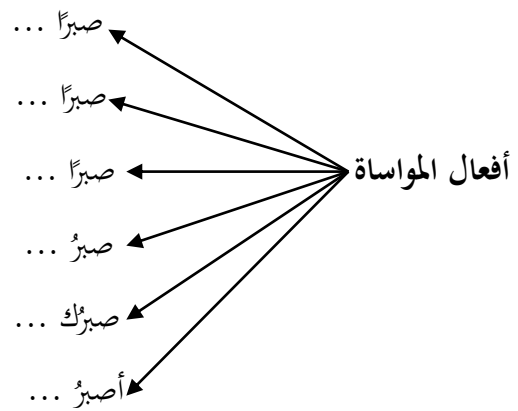
1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 488 .

2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 488 .

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية



2-6- أفعال المواساة :



يبدو أنّ أفعال المواساة واضحة في الأمثال المذكورة أعلاه ، يعبر بها المتكلم عن خلجات نفسية قصد التأثير في

المستمع و إقناعه بطرائق مختلفات فعندما نأخذ على سبيل المثال المثال الآتي : **صَبْرًا وَإِنْ كَانَ قَتْرًا**.¹

و دلالة المثال كما أوردها الميداني : " عند الشدائد و المشاق " .²

إنّ الفعل الكلامي المتضمن للبوحيات أو التعبيرات " Expressives " هو صبراً ... " و غرضه الإنجازي

المواساة ، فحياة الإنسان في صراع دائم و تصادفه العديد من المشكلات المستعصية فنجد مرسل المثال في مقام

التضامن و التآزر مع هؤلاء الأشخاص الذين ذاقوا مرارة تلك المشاكل بألوانها و أشكالها المختلفة لذلك أراد

المتكلم مواساتهم والتخفيف عنهم ، فالقوة الإنجازية لهذا الفعل الكلامي تحمل نتيجة ضمنية متمثلة في النصح و

التوجيه ، فنلاحظ أنّ الفعل التعبيري موجه إلى جمهور المستمعين في كونه جزء أساس في الخطاب فلقد توفر شرط

الإخلاص ، و نية المتكلم في الإقناع و التأثير .

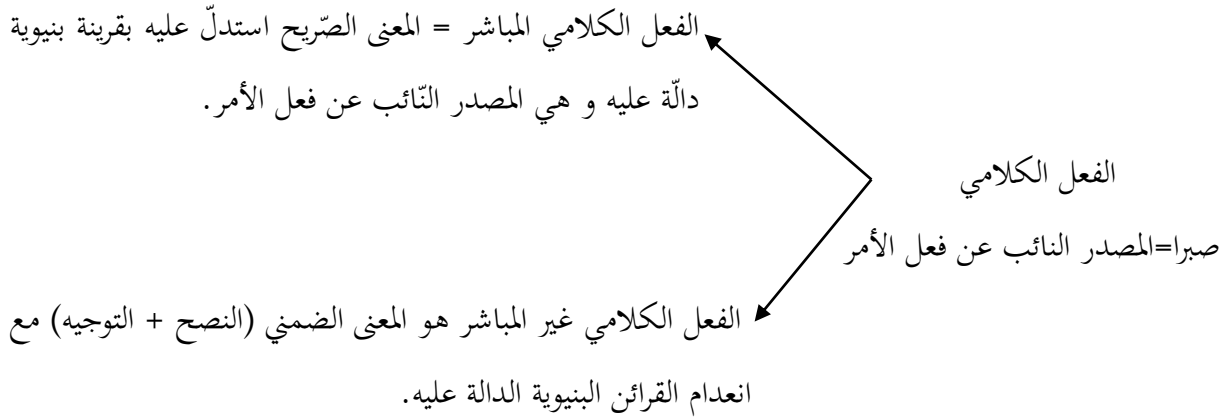
فالعمل الناتج عن القول هو حثّ المتلقين بالتحلي بالصبر .

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 505 .

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 505 .

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

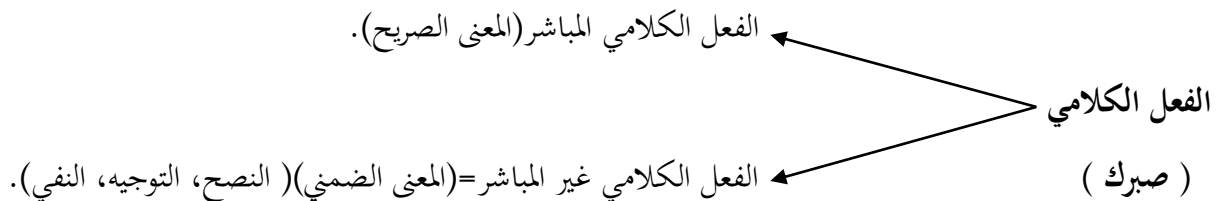
إذ توفر الفعل الكلامي على شرط الملائمة . فالمتكلم يطلب من المخاطب فعل شيء ما (التحلّي بالصبر) مع انعدام اتجاه المطابقة و يتم توضيح بنية هذا الفعل الكلامي كما يلي :



و في قوله : " صَبْرُكَ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ أَيْسَرُ مِنْ صَبْرِكَ عَلَى عَذَابِ اللَّهِ " ¹.

يحمل الفعل الكلامي التعبيري الكثير من المضمونات العاطفية فالتكلم متضامن أيضا مع المتلقي و يواسيه بعده طرفا أساسياً في الموقف التداولي ، فالقوة الانجازية للفعل الكلامي التحذير و التخويف من عقاب الله و النهي عن الخضوع في محارمه. و الذي أسهم في تقوية الفعل الكلامي هو تكرار (صبرك) مرتين مما يجعل تأثيره على المتلقي كبير في ترك المحرمات و التقرب من المباحات.

كما توفر في الفعل الكلامي شروطه (شرط الملائمة) فالمتكلم يطلب من المخاطب فعل شيء ما (ترك المحرمات) و المتلقي قادر على انجاز هذا الفعل بالترك ، نجد الرغبة الصادقة و توفر شرط الإخلاص لدى المتكلم مع انعدام صورة المطابقة لأنها تندرج ضمن التعبيرات و يتم توضيح بنية هذا الفعل :



حَمْدًا إِذَا اسْتَغْنَيْتَ كَانَ أَكْرَمًا" ².

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 522

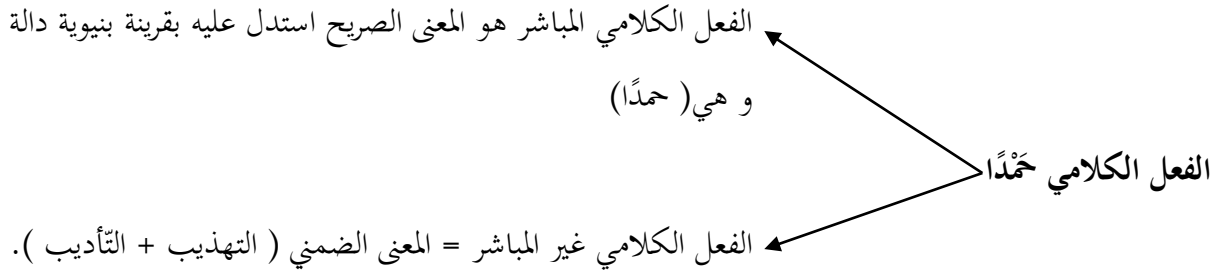
2 - المصدر نفسه، مج 1 ، ص 263 .

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

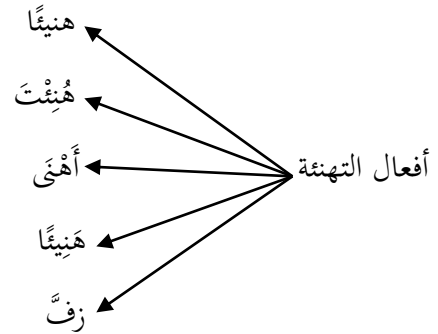
و دلالة المثل كما أوردها الميداني : يعني إذا سألت إنسانا شيئاً فبذله لك و استغيت فاحمده واشكر له إياه أقرب إلى الدليل على كرمك.¹

فصاحب المثل من خلال الفعل الكلامي أراد إرسال رسالة للمستمع مفادها إذا قدّم احد له معروفا فلا ينكره أو يستغني عنه و إنما لا بدّ من تقديم الحمد و الشكر له.

فهذا دليل على كرمك له ، فالقوة الانجازية المباشرة أو الظاهرة هي الأمر استدلال عليه بقرينة بنيوية - المصدر النائب عن فعل الأمر - أما القوة الانجازية غير المباشرة أو الضمنية هي التأييد و التهذيب ، و نوضح بنية هذا الفعل الكلامي كما يلي :



2-7- أفعال التهينة : يتم تمثيلها كما يلي :



جاءت الأفعال التعبيرية بألفاظ صريحة دالة عليها فعندما نأخذ هذا المثل : هنيئاً لك النافجة² .

و دلالة المثل كما أورده الميداني كانت العرب في الجاهلية تقول إذا وُلِدَ لأحدهم بنت " هنيئاً لك النافجة " أي المعظمة لما لك لأنك تأخذ مهرها فتضمه إلى مالك فينتفع.³

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 263 .

2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 479 .

3 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 479 .

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

جاء الفعل الكلامي ليعبّر به المتكلم عن التهنئة بميلاد بنت في الجاهلية - المهونة بالمنفعة إذ بميلادها يضمن وليها بالمهر الذي سوف يأخذه مستقبلاً . فالقوة الانجازية المباشرة هي التهنئة أما القوة الانجازية المستلزمة هنيئاً أو مقامياً هي التحسّر و التوجّع لما تنتظر هذه المولودة ، و نلمح في ضلال هذا المثل ما يسيء بموقف المجتمع السلي من ولادة الأنثى ، إذ لا يتمّ تهنئة والدها بها لذاتها بل يتمّ صرف نظره وهمّه إلى ما يمكن أن يكون ايجابياً في الغد البعيد.¹

و يتم توضيح بنية الفعل الكلامي كالآتي :

الفعل الكلامي المباشر هو المعنى الصريح استدلال عليه بقريئة بنيوية دالة عليه (هنيئاً)
الفعل الكلامي هنيئاً
الفعل الكلامي غير مباشر هو المعنى الضمني استدلال عليه مقامياً (التوجّع+التحسّر)
من خلال السياق وقرائن الأحوال.

بما أنّ المثل يندرج ضمن التعبيرات فلا توجد مطابقة.

هُنِئَتْ وَ لَا تُنْكَهُ.²

ودلالة المثل كما أورده الميداني:

قال أبو عبيد : أَي أُصِيبَتْ خَيْرًا وَ لَا أَصَابَكَ الضَّرُّ.³

ورد الفعل الكلامي بلفظ صريح دالّ عليه و هو التهنئة بما أصيب الإنسان من خير و تجاوز المحن و الهلاك . فالقوة الانجازية المستلزمة ضمناً هي التهنئة و تمثل بنية الفعل الكلامي كما يلي:

الفعل الكلامي (هنئت)
الفعل الكلامي المباشر هو المعنى الظاهر(هنئت).
الفعل الكلامي غير المباشر هو المعنى الضمني.

بما أنّ المثل يصنّف ضمن التعبيرات فلا توجد مطابقة.

1 - أماني سليمان داود ، الأمثال العربية القديمة (دراسة أسلوبية سردية حضارية) ، ص 294 .

2 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 461 .

3 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 461 .

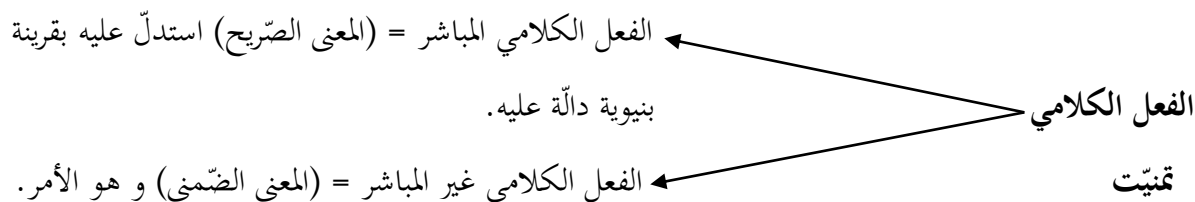
الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

2-8- أفعال التمني :

إذا تَمَنَيْتَ فَاسْتَكْثِرْ¹.

جاء الفعل الكلامي بصيغة لفظية دالة عليه و هي التمني في (تمنيت) فالقوة الإنجازية للفعل الكلامي هي الأمر. فالمتكلم يطلب من المستمع إذا أراد أمنية أن يكثر منها حتى تتم . فلقد توفّر هذا الفعل الكلامي على شروطه (أي شروط الملائمة) و ذلك أنّ المرسل يطلب من المخاطب فعل شيء ما مستقبلا (و هو الإكثار من التمني لتحقيق مراده) ، فلقد توفّرت النية الصادقة و شرط الإخلاص مع انعدام اتجاه المطابقة لأنّ الفعل يندرج ضمن التعبيرات .

و يمكننا تمثيل بنية الفعل الكلامي :



و لعل الجدول الآتي يلخص لنا القوة الإنجازية و الفعل التأثري للبوحيات .

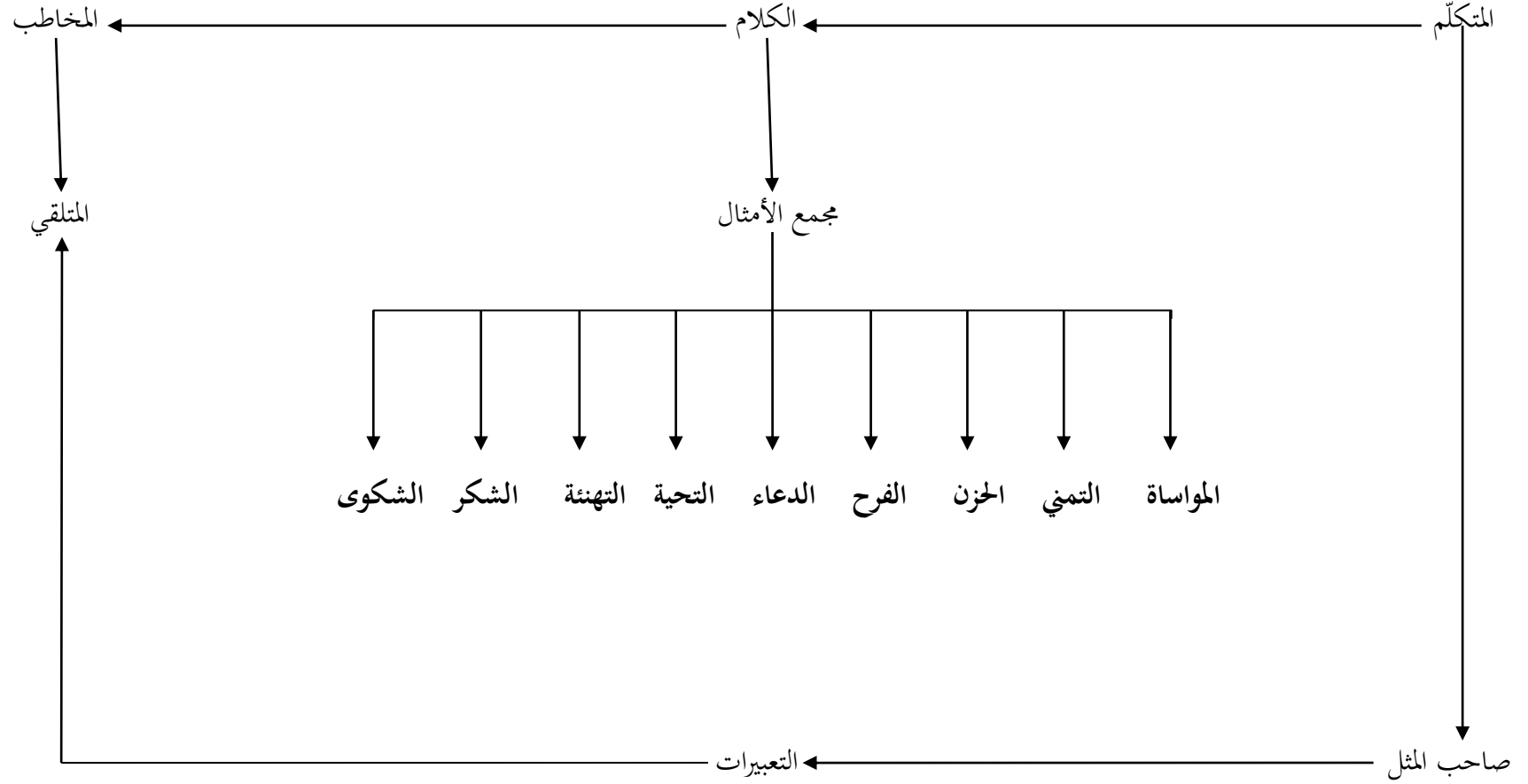
| الفعل الكلامي في المثل | القوة الإنجازية | الفعل التأثري |
|---|-----------------------|-----------------------------|
| شَكَوْتُ لَوْحًا فَحَزَا لِي يَلْمَعَا | الذمّ | الشكوى لمن يستحقّ سماعك |
| تَشْكُو إِلَى غَيْرِ مُصَمَّتٍ | التعجب والاستغراب | الشكوى لمن يبالي بك |
| أَكَلْتُمْ تَمْرِي ، وَ عَصَيْتُمْ أَمْرِي | الذمّ والتوبيخ | الحثّ على الطاعة لا العصيان |
| تَشْتَهِي وَ تَشْتَكِي | التهديب+التأذيب | ترك الأنانية وحب الذات |
| التَّكْلَى تُحِبُّ التَّكْلَى | التقدير+التأكيد | التضامن والتآزر للمتشابهين |
| تُبَشِّرُنِي بِغُلَامٍ أَعْيَا أَبُوه | الاستغراب+التعجب | الحثّ على تفادي العقوق |
| أُمُّ الْجَبَانِ لَا تَفْرُخُ وَ لَا تَحْزَنُ | التهكم والسخرية | التهبي على ظاهرة الجبن |
| فِي الصَّيْفِ ضَيَّعَتِ اللَّبَنَ | التوبيخ والذمّ | عدم تضييع الفرص |
| حَيَّاكَ مَنْ خَلَا فُوهُ | التوبيخ+الذمّ+التهديب | الحثّ على ردّ السلام |

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 128 .

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

| | | |
|--|-----------------------|---|
| أَشْكُرُ مِنْ كَلْبٍ | الشكر والعرفان | الحث على السلوك الحسن |
| صَبْرًا وَ إِنْ كَانَ قَتْرًا | التصح والتوجيه | التحلي بقيمة الصبر |
| صَبْرُكَ عَنْ مُحَارِمِ اللَّهِ أَيْسَرُ مِنْ صَبْرِكَ عَلَى عَذَابِ اللَّهِ | التحذير+التخويف | ترك المحرمات |
| تَحَمَّدي يَا نَفْسَ لَا حَامِدَ لَكَ | الأمر | الحث على الحمد |
| حَمْدًا إِذَا اسْتَعْنَيْتَ كَانَ أَكْرَمَ | التأديب+التهديب+الأمر | الحث على تقديم الحمد والشكر لمن أكرمك |
| بَشِيرٌ مَالِ الشَّحِيحِ بِحَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ | الذم+التوبيخ | النهي عن صفة البخل |
| إِذَا تَمَنَيْتَ فَاسْتَكْبِرْ | الأمر | الحث على الإلحاح في التمني لنيل المراد |
| أَسَاءَ رَعِيًّا فَسَمِيَ | التوبيخ+الذم | الحث على عدم الإسراع في أي عمل |
| كُنْتُ تَبْكِي الأَثَرَ العَائِي فَالْقَدِّ لَأَقِيْتُ أُحْدُوْدًا | الذم+التوبيخ | الحث على القناعة والرضى |
| تَدَكَّرْتُ رَبًّا صَبِيًّا فَبَكَتْ | التوجع+الحزن | التعاطف والتأزر لمن فقد شخصا عزيزا عليه |
| هَيْنًا لَكَ النَّافِجَةُ | التحسّر+التوجع | الحث على إبداء الفرح بالمولود دون منفعة |
| هُنَّتْ وَ لَا تُنْكِهِ | التهنئة | التهنئة بمجيء الخير لا الضر |

و بناءً على ما سبق ذكره نلاحظ أنّ الأفعال الكلامية التي تنضوي تحت التعبيرات أو البوحيات « Expressives » بألوانها المختلفة (شكوى ، حزن ، فرح ، دعاء ، تهنئة ، شكر ... الخ) عكست نفسية صاحب المثل الذي يُشاركه المتلقي أو المرسل إليه ، و هذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على كونها غير مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمتكلم فقط و لا تعبر عن نفسيته فحسب ، و إنّما تتجاوز هذا الطرح لتشمل المخاطبين أو المتلقين، فتلك الأفعال التي ذكرناها سالفاً - شكوى ، حزن ، فرح ، ... - هي تحتاج إلى وجود طرف آخر -المخاطب أو المتلقي - في كونه عنصراً رئيساً لا يُمكن إغفاله أو تجاهله فالتداولية تقوم على ثلاثية هرمية لا يمكن نُكرانها و هي : المرسل ، الرسالة ، المرسل إليه . و لتتضح الصورة أكثر ارتأينا توضيح التعبيرات أو البوحيات « Expressives » في نماذجها المنتقاة بالمخطط الآتي :

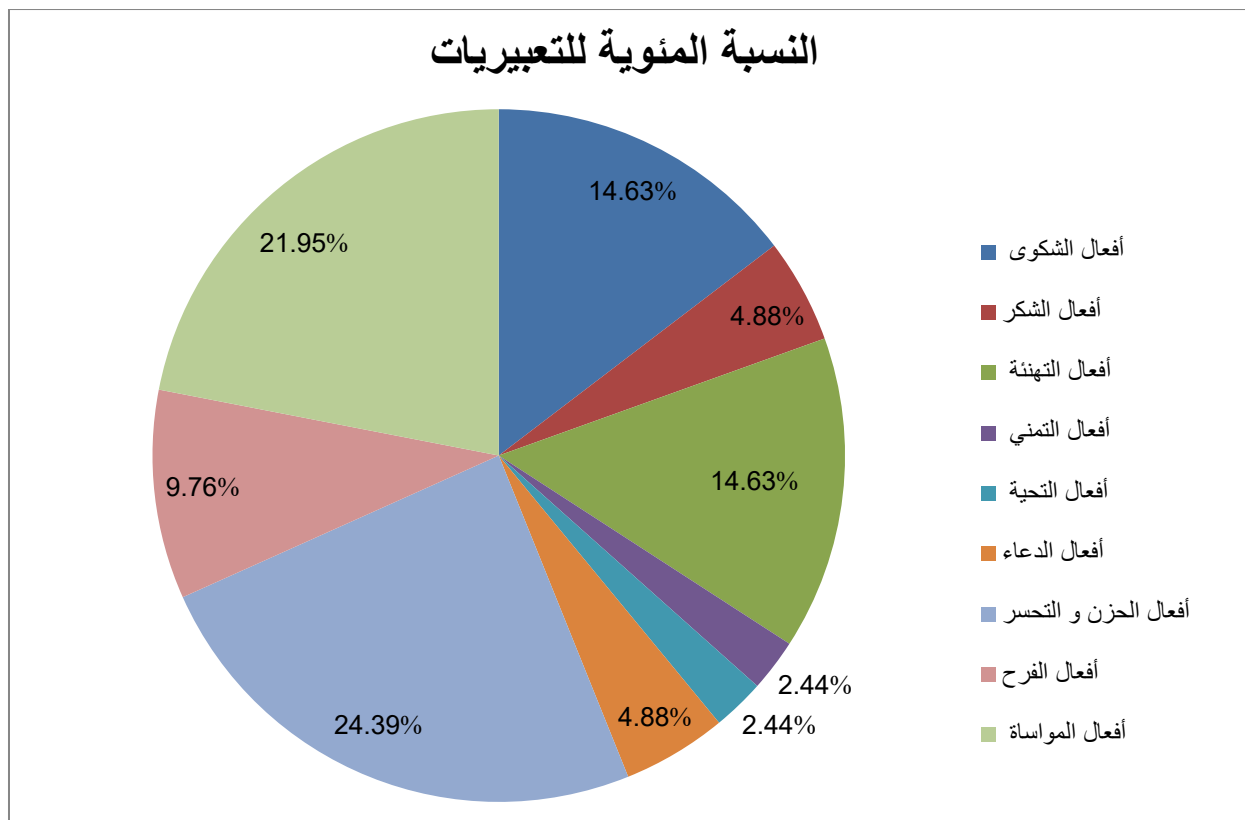


أفعال التعبيرات في مجمع الأمثال للميداني

(نماذج منتقاة)

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

و نوضح النسبة المئوية في صنف التعبيرات على النحو الآتي :



نلاحظ من خلال الرسم الدائري ورود الأفعال التعبيرية المنتقاة من مجمع الأمثال بطرائق و أشكال مختلفة منها: الشكوى ، الشكر ، الفرح ، التهنة ، التحية ، الدعاء ، الحزن ، التمني ، المواساة ، في حين الاختلاف يكمن تقريباً في النسب فنجد مثلاً أفعال الحزن بلغت نسبتها 24.39% و هناك نسب متساوية كأفعال الشكوى و التهنة بنسبة 14.63% و أفعال التمني و التحية بنسبة 2.44% ... إنّ هذا التنوع في الأفعال الكلامية التعبيرية راجع إلى رغبة المتكلم في التعبير عن ما هو موجود بداخله حيناً و ما هو موجود بداخل المتلقي حيناً آخر و جميعها تصب في قالب واحد – التأثير و الإقناع – من خلال التعبير عن قضايا عديدة تركت صداها لدى السامع بأن يتأثر بها في كل زمان ، فالمثل الاجتماعي بالدرجة الأولى من صفاته الاستمرارية من جيل إلى جيل .

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

رابعاً : الإعلانيات (Déclaratives) :

من خلال مدوّنتنا التراثية ظهرت مجموعة من الإعلانيات من أبواب مختلفة نحاول تصنيفها كالاتي :

| عددتها | حضورها في مجمع الأمثال(نماذج مختارة) | الإعلانيات |
|--------|---|------------|
| 24 | <p>وَوَقَعَ الْقَوْمُ فِي سَلَى جَمَلٍ .</p> <p>أَوْسَعَتْهُمْ سَبًّا وَ أَوَدَّوْ بِالْإِبِلِ</p> <p>وَجَدْتُ النَّاسَ إِنْ قَارَضْتَهُمْ قَارَضُوكَ .</p> <p>وَجْهٌ عَدُوٌّكَ يُعْرِبُ عَنْ ضَمِيرِهِ .</p> <p>وَوَقَعَ الْكَلْبُ عَلَى الذِّئْبِ</p> <p>نَارُ الْحَرْبِ أَسْعَرُ .</p> <p>أُنْضُرُ أَحَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا</p> <p>أَدْرِكِي الْقَوْمَةَ لَا تَأْكُلْهَا الْهُومَةُ .</p> <p>دَمِثْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ النَّوْمِ مُضْطَجِعًا .</p> <p>ادْفَعْ الشَّرَّ عَنْكَ بِعُودٍ أَوْ عَمُودٍ</p> <p>دَعِ الْكَذِبَ حَيْثُ تَرَى أَنَّهُ يَنْفَعُكَ فَإِنَّهُ يَضُرُّكَ .</p> <p>وَ عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ حَيْثُ تَرَى أَنَّهُ يَضُرُّكَ فَإِنَّهُ يَنْفَعُكَ .</p> <p>رُبَّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ .</p> <p>أَرْوُرُ أَحْمَائِي لِيَعْرِفُونِي</p> <p>جَاءَ نَاشِرًا أُذُنِيَهُ</p> <p>جَاءَ يَضْرِبُ أَصْدَرِيَهُ</p> <p>جَاءَ يَجُرُّ رِجْلِيَهُ</p> <p>جَاءَ نَافِثًا عَفْرِيَتَهُ</p> <p>جَزَاءَ سِنِّمَارٍ</p> <p>جَاوَرِينَا وَ أَخْبِرِينَا</p> <p>خَالَطُوا النَّاسَ وَ زَالِيَهُمْ</p> <p>بَلَعَ السَّيْلُ الرُّبِّيَّ .</p> | |

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

حَيْرٌ قَلِيلٌ وَفَضَحْتُ نَفْسِي

غرضها هو التصريح و تكون وظيفتها في إحداث تغيير في العالم بتمثيله ، و كأنّه قد تغير فتخلق الأفعال الأدائية، و كذلك التصريحات الأخرى ، حالة فقط من خلال تمثيله و كأنّه قد تغيّر ، و أفضل الأمثلة على ذلك : " أعلن أنكما زوج وزوجة.

لذلك أعلن اندلاع الحرب ، " أنت مطرودة " ، " أنا مستقيل " (...) و تنفرد التصريحات بين الأفعال بكونها تحدث التغييرات في العالم فقط بفضل الأداء الناجح للفعل الكلامي إذا نجحت في إشهاركما زوجا و زوجة ، أو أعلنت الحرب ، فإنّ حالة فعلية توجد في العالم لم توجد من قبل.¹

أَوْسَعْتُهُمْ سَبًّا وَأُودُوا بِالْإِبْلِ.²

و دلالة هذا المثل كما أوردها الميداني : " و حديثه أنّ رجلا من العرب أغير على أبله فأخذت ، فلما تواروا صعد أكمة و جعل شتمهم ، فلما رجع إلى قومه سأله عن ماله ، فقال : أَوْسَعْتُهُمْ سَبًّا و أُودُوا بِالْإِبْلِ " .³ يمكن تصنيف المثل ضمن صنف الإعلانات أو الايقاعات فصاحب المثل يعلن و يصرّح عمّا فعله من سبّ و شتم للذين أغاروا عليه و أخذوا إبله فلما سأله قومه عن المال أجابهم بالمثل : " أَوْسَعْتُهُمْ سَبًّا و أُودُوا بِالْإِبْلِ " فالقوة الانجازية الظاهرة أو المباشرة هي الإعلان و التصريح و ردّة فعله إزاء ذلك أمّا القوة الانجازية غير المباشرة أو المستلزمة ضمنيًا أو مقاميًا تتمثل في التوبيخ و الذم للذين أغاروا عليه ، فالمثل يضرب لمن لم يكن عنده إلاّ الكلام.⁴

أمّا بخصوص الفعل التأثيري أو الفعل الناتج عن القول هو حثّ السامع أو المتلقّي على ضرورة تطبيق الكلام بالفعل ليحصل على النتيجة المراد تحقيقها ، فصاحب المثل تكلم فقط من خلال شتمهم و سبهم و لكنّه لم يفعل لهم شيئًا ، فكان من المفروض أن يغير عليهم كما أغاروا عليه ، و بنية الفعل الكلامي يتم توضيحها كما يلي :

¹ - جون سيرل ، العقل و اللّغة و المجتمع الفلسفة في العالم الواقعي ، ص 219.

² - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 428.

³ - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 428.

⁴ - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 429.

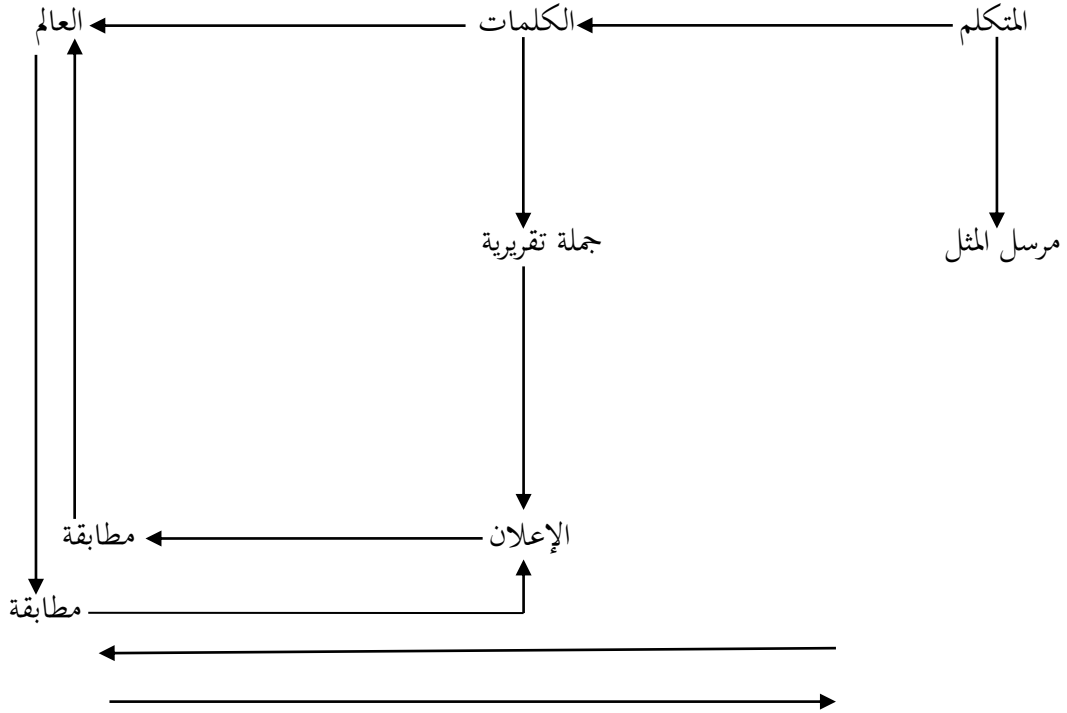
الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

الفعل الكلامي

القوة الانجازية الظاهرة أو المباشرة هي الإعلان+التصريح.

القوة الانجازية المستلزمة ضمناً أو مقامياً (الذم+التوبيخ) مع انعدام القرائن الدالة عليها.

و اتجاه المطابقة اتجاه مزدوج من العالم إلى الكلمات ومن الكلمات إلى العالم:



ازدواجية المطابقة من الكلمات إلى العالم ، و من العالم إلى الكلمات

وَجَدْتُ النَّاسَ إِنْ قَارَضْتُهُمْ قَارَضُوكَ.¹

و دلالة المثل كما أوردها الميداني : هذا من كلام أبي الدرداء رضي الله عنه و تمامه " و إن تركتهم لم يتركوك " المقارضة : يجوز أن تكون من القرض الذي هو الدين ، جعل استعارة للأفعال المقتضية للمجازاة ، أي إن أحسنت إليهم أحسنوا إليك ، و إن أسأت فكذلك ... و يجوز أن تكون المقارضة من القرض الذي هو القطع ، أي إن نلت من أعراضهم نالوا من عرضك، و إن تركتهم فلم تنل منهم نالوا منك أيضا لسوء دخلتهم و خبت طباعهم ... و المثل في الجملة ذم لسوء معاشره الناس و نهي عن مخالطتهم ...²

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 431 .

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 431.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

يندرج المثل ضمن صنف الإعلانات أو الايقاعيات فالتكلم (صاحب المثل) بصدد الإعلان و التصريح عن قضية بالغة الأهمية في كيفية التعامل مع الأشخاص فإن أحسنت إليهم أحسنوا إليك ، و إن أساءت أساءوا و فعلوا بالمثل ، فالتاس معادن مختلفة ، فقد تحسن إليهم و يكافئوك بالعكس من ذلك.

فالقوة الانجازية الظاهرة أو المباشرة هي الإعلان و التصريح ، أما القوة الانجازية غير المباشرة أو المستلزمة ضمناً أو مقامياً يتمثل في التصحح و الإرشاد و التوجيه إلى الطريق الصحيح و المستقيم.

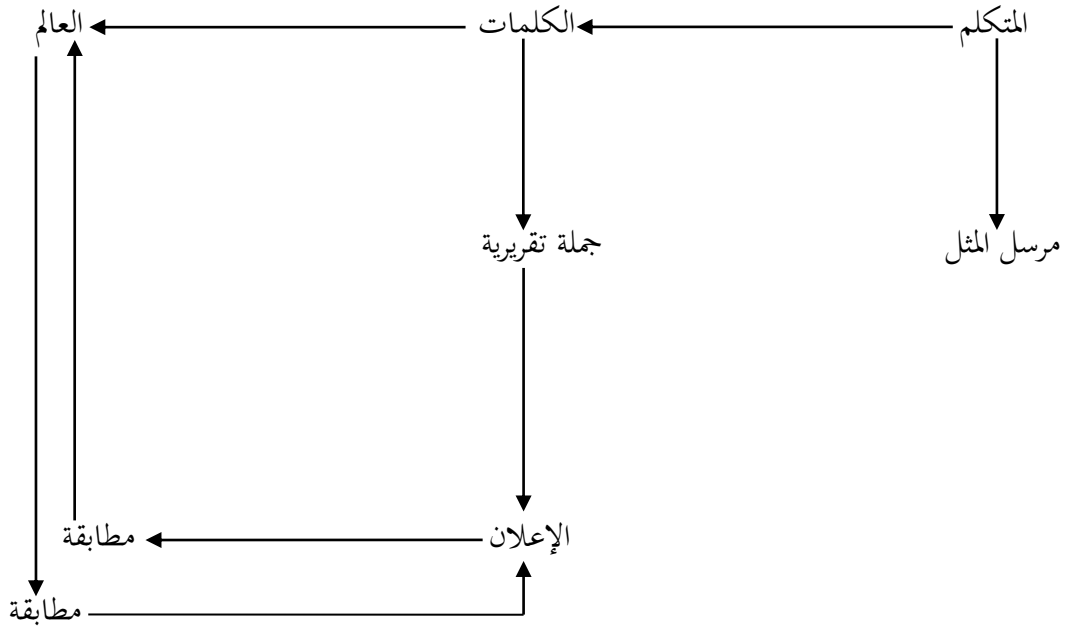
أما الفعل التأثيري الناتج من وراء ذلك هو حث المتلقي على الانتباه و التحذير لأن الناس أشكال مختلفة فيوم معك و يوم عليك.

الفعل الكلامي

← القوة الانجازية المباشرة أو الظاهرة هي : الإعلان و التصريح.

← القوة الانجازية غير الظاهرة أو المستلزمة ضمناً أو مقامياً هي (التصحح ، الإرشاد و التوجيه).

أما عن اتجاه المطابقة مزدوج من الكلمات إلى العالم و من العالم إلى الكلمات.



ازدواجية المطابقة (من الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات).

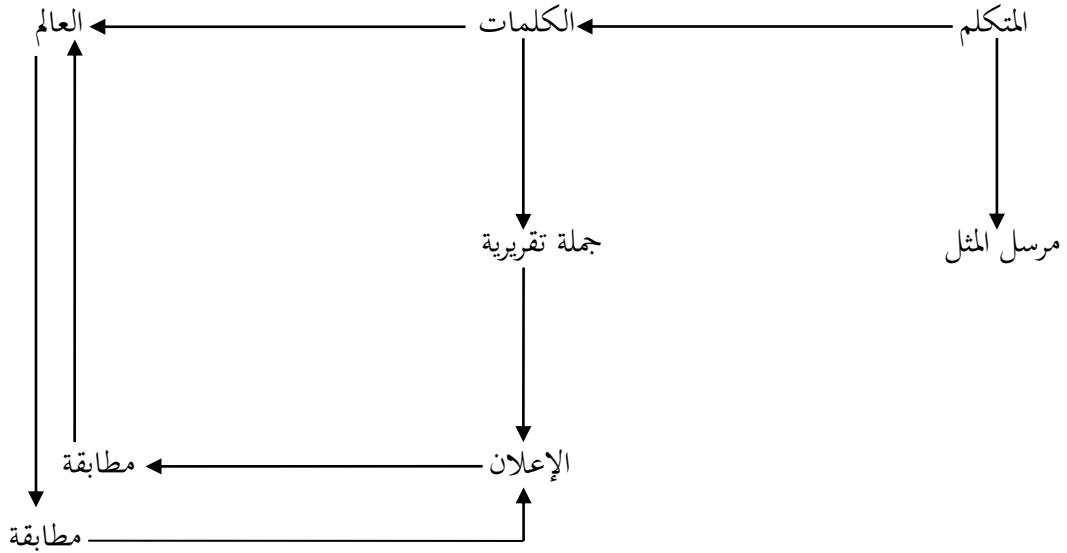
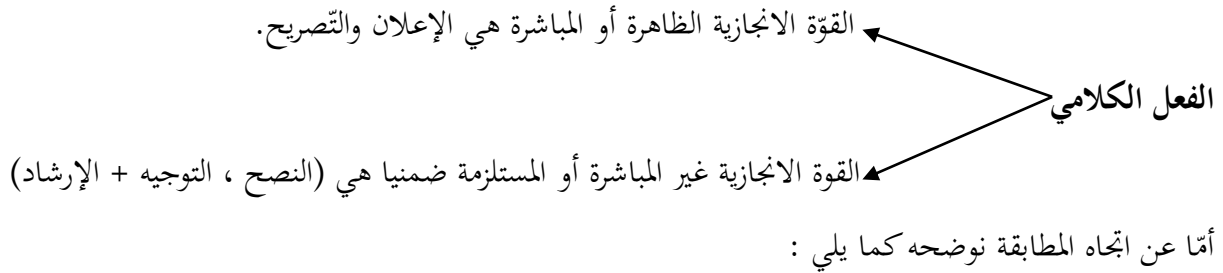
وَجْهٌ عَدُوٌّكَ يُعْرِبُ عَنْ ضَمِيرِهِ.¹

¹ - أبو الفضل أحمد محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 438.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

و دلالة المثل كما أوردها الميداني : " و هذا كقولهم " البُغْضُ تُبْدِيهِ لَكَ الْعَيْنَانِ " ¹.
 ينتمي المثل ضمن صنف الإعلانات أو الايقاعيات فالتكلم - مرسل المثل - بصدد الإعلان و التصريح عن كون عدوك الذي يكره لك الكره و البغضاء تدركه و تعرفه من خلال العينان ، فالقوة الانجازية المباشرة أو الظاهرة هي الإعلان و التصريح ، في حين القوة الانجازية المستلزمة ضمناً أو مقامياً تتمثل في النصح ، التوجيه و الإرشاد حتى يحتاط الإنسان ممن هو عدو له و لا يقع فيما هو أسوء ، و الفعل التأثيري التاجم من وراء ذلك تتمثل في حث المتلقي أو السامع على أخذ الحيطة و الحذر من هؤلاء الأشخاص ، و فعل القول جاء سليماً من الناحية الصوتية ، التركيبية و الدلالية أما عن اتجاه المطابقة فهو اتجاه مزدوج من الكلمات إلى العالم و من العالم إلى الكلمات لأن المثل يندرج ضمن الإعلانات أو الايقاعيات. لم يتم التنصيص عن الفعل الكلامي بلفظة " أعلن " و لكننا استنبطناها من السياق.

و نحاول أولاً توضيح بنية الفعل الكلامي كالاتي :



ازدواجية المطابقة من الكلمات إلى العالم و من العالم إلى الكلمات.

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 438.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

وَقَعَ الْكَلْبُ عَلَى الدِّئِبِ.¹

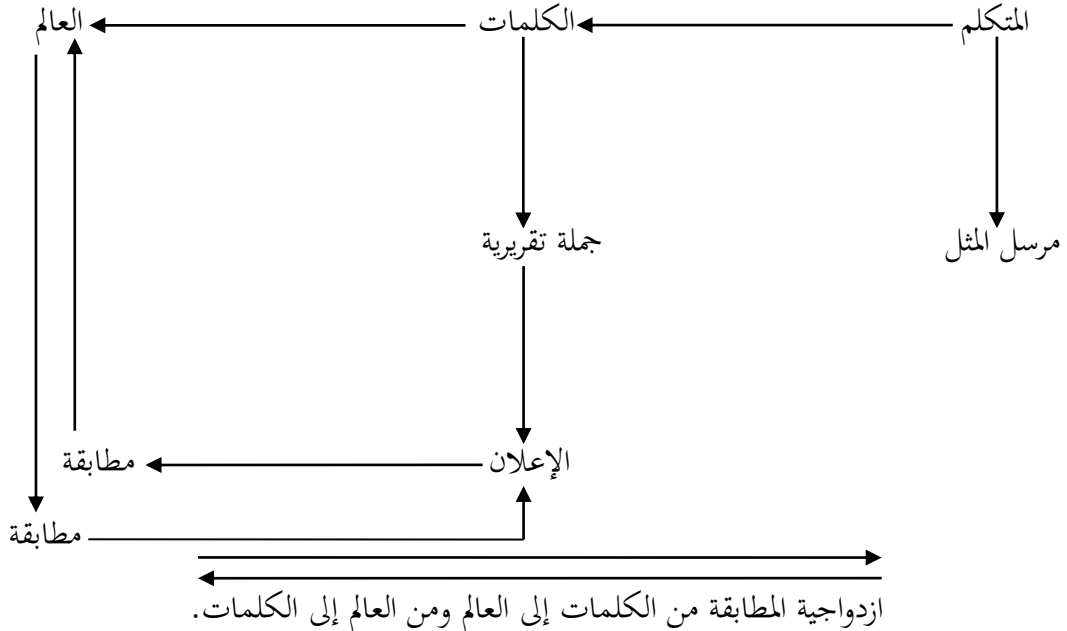
و دلالة المثل كما أوردها الميداني : " هذا من قول عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهم ، وَ ذَلِكَ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ غَضِبَ رَجُلًا مَالًا ثُمَّ قَدَرَ الْمَغْضُوبَ عَلَى مَالِ الْغَاصِبِ ، أَيَأْخُذُ مِنْهُ مِثْلَ مَا أَخَذَ ، يُضْرَبُ فِي الْإِنْتِصَارِ مِنَ الظَّالِمِ " .²

يندرج المثل ضمن صنف الإعلانات أو الايقاعيات بامتياز فالمتكلم - مرسل المثل - بصدد الإعلان و التصريح عن نصرة المظلوم و الانتصار من الظالم عاجلا أم آجلا. فالقوة الانجازية الظاهرة أو المباشرة تتمثل في الإعلان و التصريح فهمناها من سياق الكلام و قرائن الأحوال ، أما القوة الانجازية المستلزمة ضمنيًا أو مقاميًا متمثلة في التأكيد على كون الظالم سيتم الانتصار عليه ، و الفعل التأثيري من وراء ذلك يتمثل في حث المتلقي أو السامع على نصرته إن كان مظلوما و الانتصار على الظالم ، و نوضح بنية هذا الفعل الكلامي كما يلي :

القوة الانجازية المباشرة أو الظاهرة هي الإعلان و التصريح. الفعل الكلامي

القوة الانجازية المستلزمة ضمنيا أو مقاميا (التأكيد) نفهم سياقيا أو مقاميا

أما عن اتجاه المطابقة فهو اتجاه مزدوج من الكلمات إلى العالم زمن العالم إلى الكلمات لأنّ المثل صنفناه ضمن الإعلانات تتمثله في الخطاطة الآتية :



¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 440.

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 440.

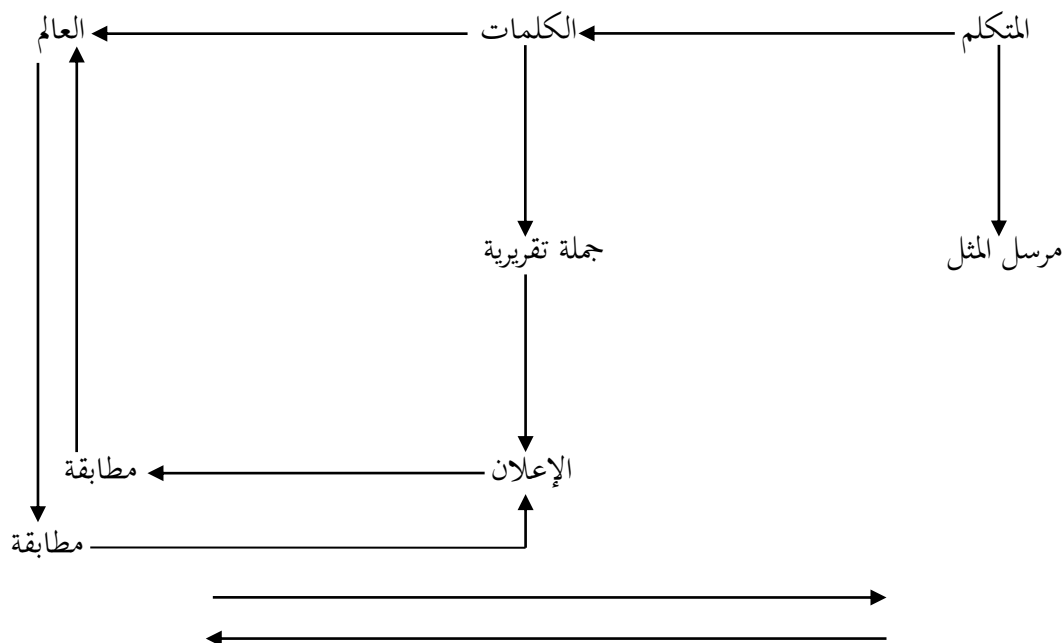
الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

نارُ الحربِ أَسْعَرَ.¹

ودلالة المثل كما أوردها الميداني:

"كانت العرب إذا أرادت حرباً أو قادت ناراً لتصير إعلماً للناهضين بها".²

نصّف المثل ضمن صنف الإعلانات أو التصريحات بامتياز فالمتكلم - صاحب المثل - بصدد الإعلان و التصريح عن كيفية إعلان الحرب عند العرب و استعدادهم لذلك من خلال شعار النار كدليل على الحرب . و لتعلم الناهضين بها. و لعلّ لفظة الحرب في هذا المثل خير دليل على تصنيفه ضمن الإعلانات. فالحرب قائمة لا محالة من خلال ربطها بالنار. و خاصّة قديماً و عادة العرب في ذلك. فالقوة الانجازية المباشرة أو الظاهرة هي الإعلان عن الحرب ، في حين القوة الانجازية الغير مباشرة أو المستلزمة ضمناً أو مقامياً تتمثل في الترهيب و التخويف ، فإعلان الحرب ليست أمراً سهلاً يدخل الخوف و الرهبة في نفوس الأعداء. و الفعل الكلامي جاء سليماً من الناحية الصوتية ، التركيبية و الدلالية ، أمّا عن اتجاه المطابقة فهو مزدوج من الكلمات إلى العالم و من العالم إلى الكلمات كما هو موضّح في المخطّط الآتي :



ازدواجية المطابقة من الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات.

أُنْصِرُ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا.³

¹- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 408.

²- المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 408.

³- المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 394.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

و دلالة المثل كما أوردها الميداني : يروى أنّ النبي صلى الله عليه قال هذا ، فقيل : يا رسول الله ، هذا نصره مظلوما ، فكيف نصره ظالما ، فقال صلى الله عليه وسلم : تردّه عن الظلم ، قال أبو عبيد : أمّا الحديث فهكذا ، و أمّا العرب فكان مذهبها في المثل ، نصرته على كلّ حال¹.

ينطوي المثل ضمن صنف الإعلانات أو الايقاعيات بامتياز فالتكلم هنا الرسول صلى الله عليه وسلم ، يعلن إعلانا صريحا على ضرورة نصره أخيك سواء أكان ظالما أو مظلوما و لعلّ الفعل الكلامي الذي جاء على هيئة الأمر (أنصر) خير دليل يجسّد لنا وقوع النصر و تجسيده على أرض الواقع بلفظ صريح دالّ عليه.

فالقوة الانجازية الظاهرة أو المباشرة هي الأمر بالنصر أمّا القوة الانجازية غير المباشرة أو المستلزمة ضمنيًا أو مقاميًا تتمثل في النصح ، التوجيه و الإرشاد.

فالنصرة الحقيقية تتمثل في نصره المظلوم الذي ظلم و انتهك ، أمّا نصرته و هو ظالم تتمثل في الأخذ بيده ومنعه من الظلم و ارتكاب المعاصي و الكبائر و وردت على هذه الشاكلة ليكون وقعها كبير في نفسية المتلقين و عقولهم من خلال المساواة في النصر بين الظالم و المظلوم.

لكنهما تحملان دلالتين متناقضتين تماما ، فالفعل التأثيري الناجم من وراء هذا المثل في كونه حقّق قضية تربوية و عدالة اجتماعية في النصر و نشر العدالة الإسلامية و الاجتماعية في المجتمع الإسلامي من خلال الإعلان عن تحقيق النصر و تأكيد ذلك. و هذا هو الغرض التداولي.

و ممّا يثير الانتباه أيضا في لفظ المثل : أنصُرُ وُروِد الأمر فيه على وجهين ، فقد ازدوج أسلوب الأمر بطلبين هما : نصره الظالم بمنعه من الظلم ، و نصره المظلوم بمعونته انصره ظالِمًا و انصُرُهُ مظلومًا².

أمّا عن بنية الفعل الكلامي يتمّ توضيحها كما يلي :

الفعل الكلامي ← القوة الانجازية المباشرة أو الظاهرة هي الأمر و الإعلان و التصريح.

أنصُرُ ← القوة الانجازية غير المباشرة أو المستلزمة ضمنيًا أو مقاميًا تتمثل (النصح ،

التوجيه ، الإرشاد تفهم مقاميًا و سياقيا)

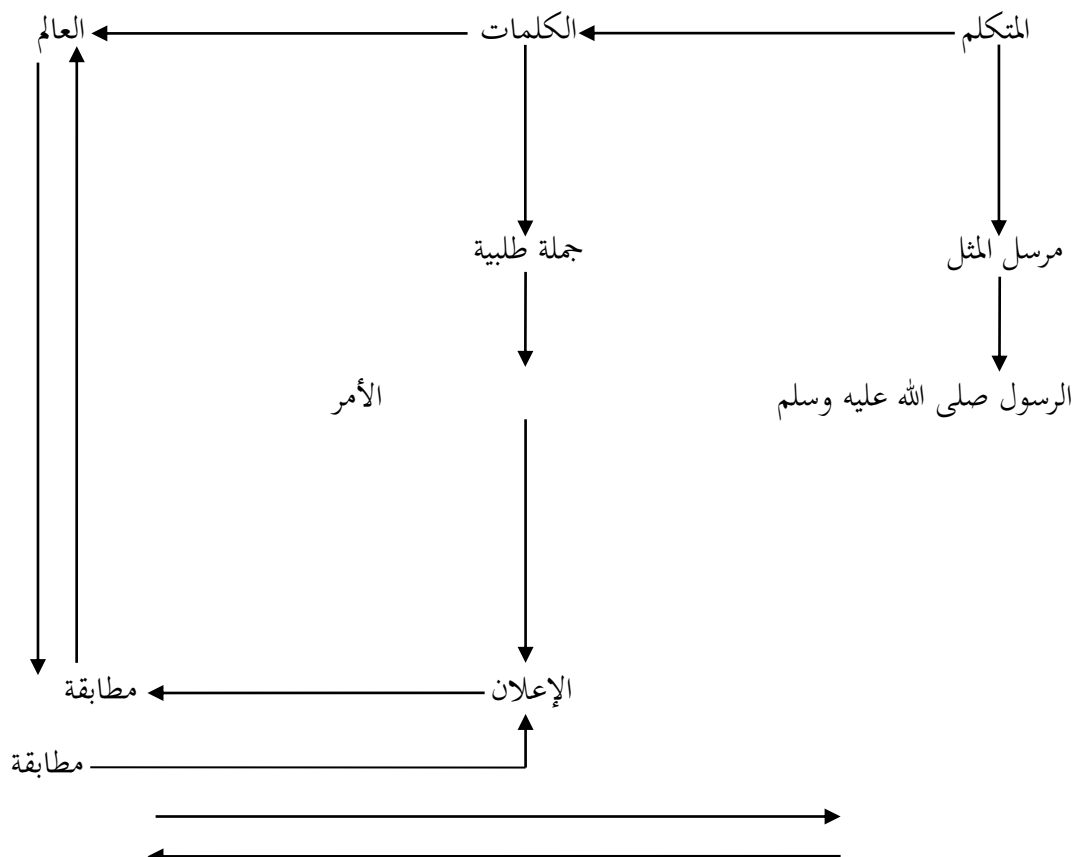
1- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 394.

2- أحمد جاسر عبد الله العبد الله ، مجمع الأمثال للميداني ، دراسة لغوية دلالية ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية و آدابها ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، جامعة الشرق الأوسط ، عمان ، الأردن ، 2010 - 2011 ، ص 172.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

اتجاه المطابقة في هذا المثل من الكلمات إلى العالم ، و من العالم إلى الكلمات ، فالرسول صلى الله عليه وسلم سيّد البشرية لا يحتاج إلى شرط الإخلاص فهو الصادق الأمين عليه أفضل الصلاة و السلام و نوضح اتجاه المطابقة في المخطّط الآتي :

الكلمات إلى العالم و من العالم إلى الكلمات كما هو موضّح في المخطّط الآتي :



ازدواجية المطابقة من الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات.

أَدْرِكِي الْفُؤِيمَةَ ، لَا تَأْكُلْهَا الْهُؤِيمَةَ " ¹

و دلالة المثل كما أوردها الميداني :

" يضرب في حفظ الصبي و غيره ، و المراد به إدراك الرّجل الجاهل لا يقع في هلكة " ²

يمكننا إدراج المثل ضمن صنف الإعلانات أو الايقاعيات ، و قد غلب على نص المثل " فعل الأمر " أدركي " الذي أفاد الإعلان و التّصريح بحفظ الصبي و غيره ، بمعنى أدركيه و احرسه من أن تأكله الهامة أي الحياة. فالطفل الصغير عادة يقوم بوضع كل شيء في فمه ، فعلى الإنسان حراسته و العناية الشديدة به.

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمّد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 338

(القويمية: تصغير قامة و يعني بها الصبي ، الهؤيمة: ما هُبَّ و دبَّ ، المصدر نفسه)

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 338.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

فالفعل " أدركي " فيه أمر بضرورة حرص الأطفال و رعايتهم. و نفهم من المثل أيضا الإعلان عن القيام بفعل معين (حرص الصبي أو الأطفال بصفة عامة).

حتى لا يقعوا في التهلكة و المضرة و هذا هو الهدف التداولي الذي يرمي إليه صاحب أو مرسل المثل. فالقوة الانجازية الظاهرة أو المباشرة هي الأمر بانجاز فعل معين ، في حين القوة الانجازية المستلزمة ضمنيا أو مقامياً هي التحذير و التنبيه على وجه الخصوص و الفعل التأثيري التاجم من وراء ذلك هو حرص الأطفال من كل شيء.

أما عن اتجاه المطابقة فهو اتجاه مزدوج من العالم إلى الكلمات ، و من الكلمات إلى العالم لأن المثل يندرج ضمن الإعلانات ، لذلك نحاول في البداية توضيح بنية الفعل الكلامي :

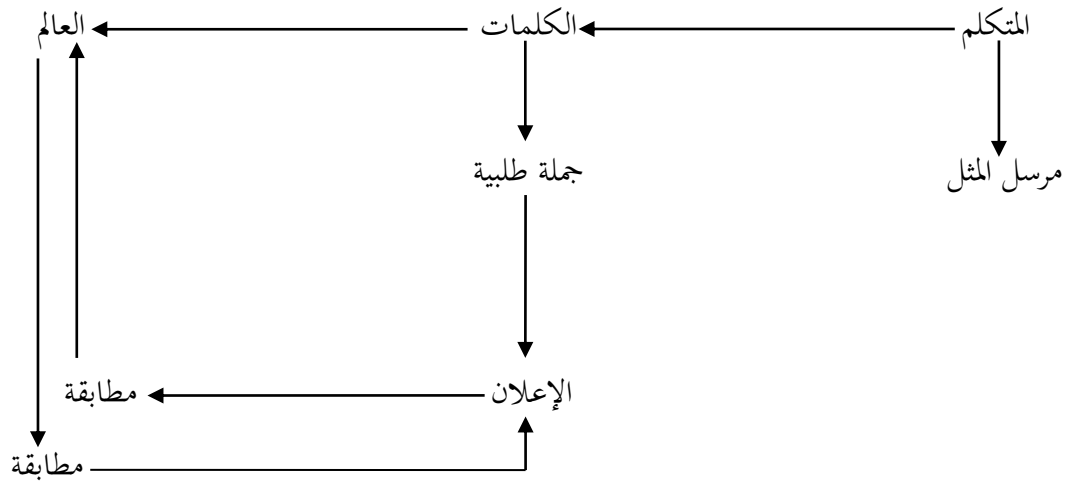
الفعل الكلامي

← القوة الانجازية المباشرة أو الظاهرة هي الأمر بفعل شيء ما.

← القوة الانجازية غير المباشرة أو المستلزمة ضمنياً أو مقامياً هي التحذير و التنبيه

فوظيفة الأمر هنا أقرب إلى الوظيفة التربوية ، مما يدخل في العناية بالأطفال و الانتباه إليهم ، و تتضاعف الدلالة بذكر الأفعى بوصفها رمزا للشرّ و الإيذاء الشديد.¹

فجاء فعل الأمر - أدركي - بغرض الإعلان و التصريح حول قضية أساسية تمسّ الإنسان بصفة خاصّة و المجتمع بصفة عامّة ، و بذلك يتحقّق الغرض الانجازي ، أما عن اتجاه المطابقة نحاول تبيانها في المخطّط الآتي :



ازدواجية المطابقة من الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات.

¹ - أماني سليمان داود ، الأمثال العربية القديمة دراسة أسلوبية سردية حضارية ، ص 130.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

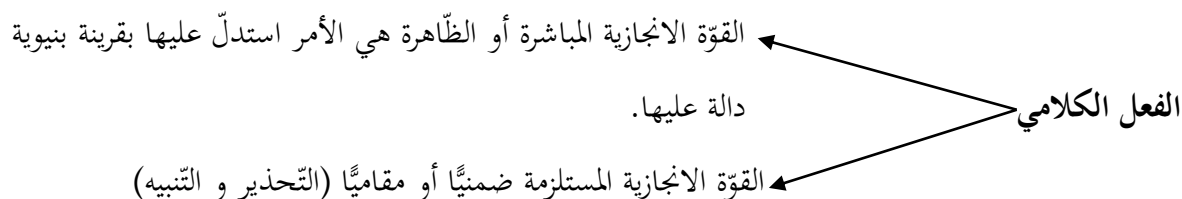
دَمَّتْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ النَّوْمِ مُضْطَجَعًا.¹

دلالة المثل كما أوردها الميداني : " و يروى "جنبك" أي استعد للثواب قبل حلولها ...".

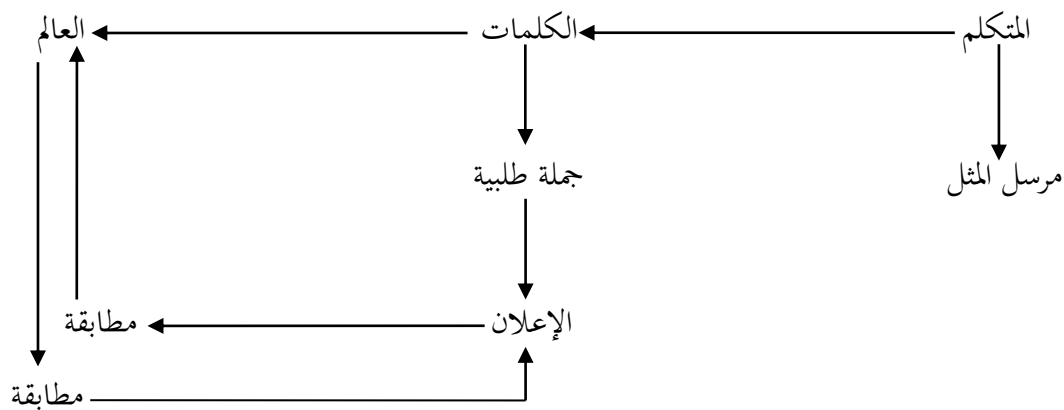
يندرج المثل ضمن صنف الإعلانات و من أفعاله الأمر (دمت) ففيه إعلان بضرورة الاستعداد للثواب و المصائب قبل حلولها.²

فالقوة الإنجازية الظاهرة أو المباشرة هي الأمر بانجاز فعل معين (الاستعداد للثواب) ، في حين القوة الإنجازية المستلزمة ضمناً أو مقامياً تتمثل في التحذير و التنبيه لما هو قادم و الاستعداد له.

و هذا هو الهدف التداولي الذي يرمي إليه صاحب المثل ، و الفعل التأثيري من وراء ذلك هو تنبيه المتلقي و تحذيره حتى يأخذ في حسابه الاستعداد لبعض الأمور ، و لا يأتي الأمر هنا على وجه الإلزام بل يحمل معنى مجازياً و هو الحثّ و التحريض على التحضير و الاستعداد للثواب قبل حلولها و التحذير من معينة فجأتها ، و بنية الفعل الكلامي نوضحها كما يلي :



أمّا عن اتجاه المطابقة فهو اتجاه مزدوج من الكلمات إلى العالم و من العالم إلى الكلمات لأنّ المثل يندرج ضمن الإعلانات.



ازدواجية المطابقة من الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات.

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 338.

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 338.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

ادْفَعِ الشَّرَّ عَنْكَ بَعْدَ أَوْ عَمُودٍ.¹

دلالة المثل كما أوردها الميداني : " قال بعضهم : إذا أتاك سائلك فلا ترده إلاّ بعطية قليلة أو كثيرة تقطع بها عنك

لسانه فلا يذمك ، و قال آخرون : ادفع الشرّ بما تقدّر عليه ".²

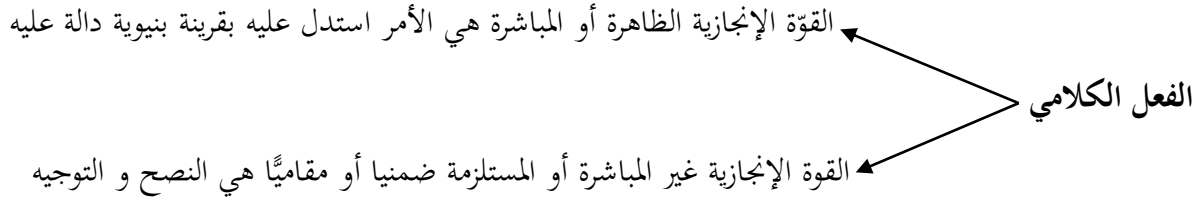
نصّف هذا المثل ضمن الإعلانات أو الايقاعات ، فالمتكلّم بصدد الإعلان على ضرورة دفع الشرّ بأي طريقة

من الطرائق ، و عدم ردّ الإساءة و إنّما مقابلة الشرّ بالخير حتّى يضمن الإنسان الأجر و الثّواب. فالقوة الإنجازية

المباشرة أو الظّاهرة هي الأمر بترك الشرّ ، في حين القوة الإنجازية المستلزمة ضمنيا أو مقامياً تتمثل في النصّح و

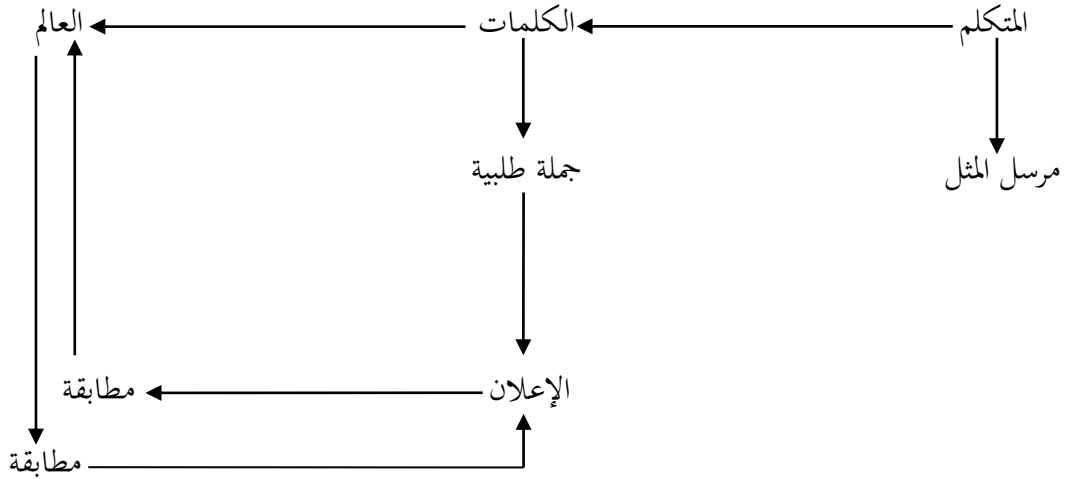
التّوجيه ، و الفعل التّأثيري من وراء ذلك هو حتّ الإنسان على ضرورة ترك الشرّ ، و هذا هو الغرض التداوئي ،

و بنية الفعل الكلامي يتمّ توضيحها كما يلي :



أمّا عن اتجاه المطابقة فهو اتجاه مزدوج من العالم إلى الكلمات و من الكلمات إلى العالم نوضحه في الخطاطة

الآتيّة:



ازدواجية المطابقة من الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات.

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمّد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 341

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 341.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

خامسا : الإلزاميات (commissives) :

نحاول في هذا الجدول استقصاء أهم الإلزاميات - نماذج منتقاة-

| عددتها | حضورها في مجمع الأمثال (نماذج مختارة) | الإلزاميات |
|--------|--|------------|
| | <p>إِذَا حَانَ الْقَضَاءُ ، ضَاقَ الْقَضَاءُ . أَنْجِزْ حَرًّا مَا وَعَدَ إِذَا جَاءَ الْحَيْنَ حَارَتِ الْعَيْنُ . مَنْ صَدَقَ اللَّهَ نَجَا . يَأْتِيكَ كُلُّ غَدٍ بِمَا فِيهِ . مَنْ يَنْكِحِ الْحَسَنَاءَ يُعْطِ مَهْرَهَا . مَنْ اسْتَرْعَى الدِّئْبَ ظَلَمَ . مَنْ يُرِ يَوْمًا يُرِ بِهِ . مَنْ لَا يَذُ عَن حَوْضِهِ يُهْدَمَ . بِسِلَاحٍ مَا يُفْتَلَنُ الْقَتِيلُ . أَبَادَ اللَّهُ حَضْرَاءَهُمْ سَأَكْفِيكَ مَا كَانَ قَوْلًا . سَوْفَ تَرَى وَ يَنْجَلِي الْعُبَارُ . تَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْأَهْمِينَ . جَاؤُوا عَلَى بُكْرَةِ أَبِيهِمْ . أَجْرُ الْأُمُورِ عَلَى أَذْلَالِهَا جُوعَ كَلْبِكَ يَتْبَعُكَ . لَأُلْحِقَنَّ حَوَاقِنَكَ بِدَوَاقِنِكَ لَأَطْعَنَنَّ فِي حَوْصِهِمْ . لَأَكْوِينَهُ كَيْتَةَ الْمَتَلُومِ . لَأُلْجِعَنَّكَ إِلَى قَرِّ فَرَارِكَ . لَأَقْنُونُكَ فَنَآوَتِكَ</p> | |

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

| | | |
|--|--|--|
| | <p>لَأُرِيَنَّكَ لَمَحًا بَاصِرًا لَأُنشُفَنَّكَ نُشُوقًا مُعْطَسًا. لَأَقْلَعَنَّكَ قَلْعَ الصَّمْعَةِ. مَنْحَفَرٌ مُعَوَّاةٌ وَقَعَ فِيهَا. مَنْ يَزْرَعُ الشُّوكَ لَا يَحْصُدُ بِهِ الْعَبَا مَنْ طَلَبَ شَيْئًا وَجَدَهُ. مَنْ سَاعَ رَيْقَ الصَّبْرِ لَمْ يَحْفَلْ. لَأَشَانَنَّ شَأَهُمْ. لِتَحْمِلَ عِصَّةَ جَنَاهَا. لِتَحْلِيَنَّهَا مَصْرًا.</p> | |
|--|--|--|

أُنْجَزَ حُرٌّ مَا وَعَدَ.¹

و دلالة المثل كما أوردها الميداني : " أول من قال ذلك الحارث بن عمرو آكل المرار الكندي لصخر بن نهشل بن دارم ، و ذلك أنّ الحارث قال لصخر : هل أدلك على غنيمة على أنّ لي خمسة ؟ فقال صخر : نعم ، فدلّه على ناس من اليمن ، فأغار عليهم بقومه ، فظفروا ، و غنموا ، فلما انصرفوا قال له الحارث : أنجز حر ما وعد ، فأرسلها مثلا ، و كان في طريقهم ، ثنية متضايقة يقال لها شجعات ، فلما دنا القوم منها سار حتى سبقهم إليها ، و وقف على رأس الثنية و قال : أزمّت شجعات بما فيهن فقال جعفر بن ثعلبة بن جعفر بن ثعلبة بن ربوع : و الله لا نعطيه شيئا من غنيمتنا ، ثم مضى في الثنية فحمل عليه صخر فطعنه فقتله ، فلما رأى ذلك الجيش أعطوه الخمس ، فدفعه إلى الحارث.²

ينتمي هذا المثل إلى صنف الوعديات أو الإلتزاميات و لعل الفعلين " أنجز و وعد " خير مثال على ذلك فالفكرة الجوهرية للمثل في ضرورة الوفاء بالوعد ، و ما ينجر عن عدم الوفاء بالوعد من عقوبات و نتائج سيئة فالحارث دل صخرًا على غنيمة شرط أن يعطيه خمسة فصخر استطاع أن يغير بقومه ليحصل على الغنيمة و بذلك فقد نفذ ما طلبه الحارث في حين قومه - صخر- رفضوا أن يعطوه الخمس - للحارث و لم يستطع صخر أرفض

¹- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 403

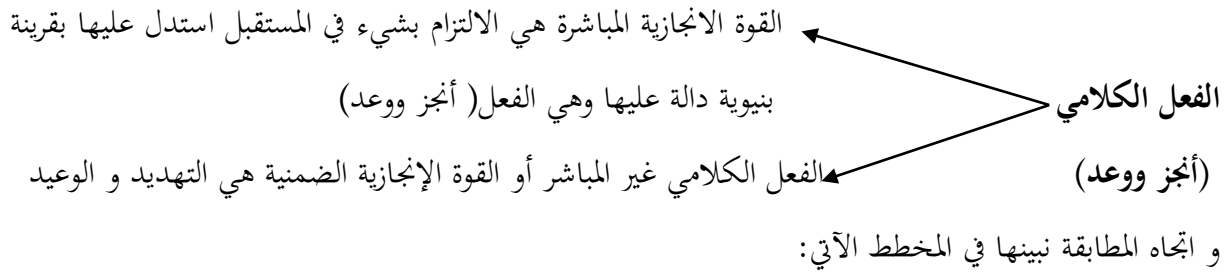
²- المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 403.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

طلبات قومه حتى وقع في نهاية الأمر على يد أهلكته حتى قتلته و أعطوا الخمس للحارث ، فالمتكلم هنا - الحارث- التزم بفعل شيء مستقبلا للمخاطب - صخر- الذي دله على طريقة للحصول على الغنائم. و المثل من خلال قصته موجهة إلى كافة الناس بضرورة الالتزام بالوعد و عدم مخالفته أو الخروج عن طاعة من يدللك على أمر معين. فالقوة الإنجازية المباشرة هي فعل شيء ما مستقبلا ، أما القوة الإنجازية غير المباشرة أو الخفية هي التهديد و الوعيد لكل من يخالف الوعد.

و لعل نهاية صخر حيث طعن و قتل على يد من هو أسوأ خير دليل بعدم التزامه بالوعد فراح ضحية لعدم وفائه. و الفعل التأثيري هو حث المتلقي أو السامع على ضرورة الوفاء بالوعد مهما كانت الأسباب و النتائج. أمّا عن اتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات لأنه يندرج ضمن صنف الوعديات و المحتوى القضوي الواضح جليا هو التزام المتكلم بشيء في المستقبل يتمثل في ضرورة الوفاء بالوعد حتى ينجو الإنسان من عواقب عدم الوفاء ، و هذا هو الغرض التداولي.

و بنية الفعل الكلامي نوضحها كما يلي :



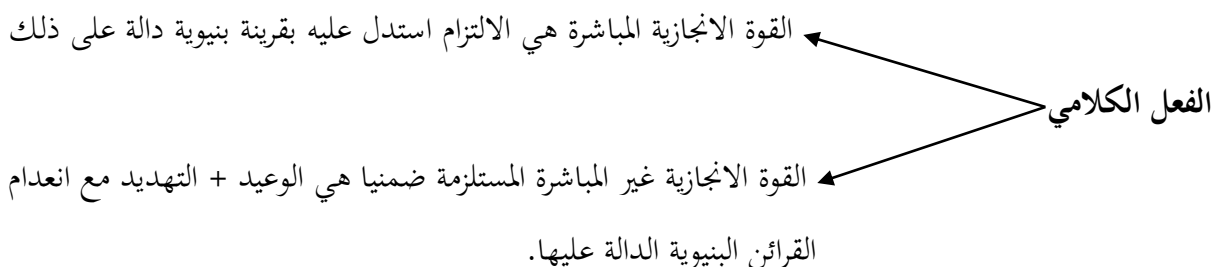
يَأْتِيكَ كُلُّ غَدٍ بِمَا فِيهِ.¹

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 493.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

و دلالة المثل كما أوردها الميداني : " أي بما قُضِيَ فيه من خير أو شر".¹

يصنف المثل ضمن الإلتزاميات أو الوعديات بامتياز و كان من أفعاله الفعل المضارع (يأتيك) الدال على الاستشراف أو المستقبل ، فالقوة الإنجازية المباشرة الظاهرة هي الإلتزام بشيء في المستقبل و هو الحذر مما هو آت ، أما القوة الإنجازية المستلزمة ضمناً هي التهديد و الوعيد ، و الغرض الإنجازي هو الترغيب و التهيب فلا بد للإنسان أن يستعد لما هو آت من خير أو شر، و الفعل التأثيري الناجم هو حثّ الإنسان على الاستعداد و استقبال ما يحدث له فلا ينتظر دائماً ما هو خير و إنما قد يصادف أهوالاً كثيرات ، أما عن اتجاه المطابقة في المثل من العالم إلى الكلمات لأنها تندرج ضمن الوعديات ، و توفر شرط الإخلاص و المحتوى القضوي الواضح و هو التزام المتكلم بشيء في المستقبل من خلال غرس هذه الفكرة في ذهن المتلقي أو السامع (ضرورة الاستعداد لما هو آت) ، و بنية الفعل الكلامي يتم توضيحها كما يلي:



مَنْ يُرِي يَوْمًا يُرِي بِهِ.²

و دلالة المثل كما أوردها الميداني : " قال المفضل : أول من قال ذلك كَلْحُبِّ ابن شؤبوب الأسدي ، و كان يغير على طيء وحده ، فدعا حارثه بن الأم الطائي رجلاً من قومه يقال له عترم ، و كان بطلاً شجاعاً ، فقال له : أما تستطيع أن تكفيني هذا الخبيث ؟ فقال : بلى ، ثم أرسل معه عشرة من العيون حتى علموا مكانه ، و انطلق إليه الرجل في جماعة فوجدوه نائماً في ظل أراكاة و فرسه مشدودة عنده ، فنزل الرجل و معه آخر إليه ، فأخذ كل واحد منهما بإحدى يديه ، فانتبه فنزع يده اليمنى من ممسكها ، و قبض على حلق الآخر فقتله ، و بدر الباقيون إليه فأخذوه و شدوه وثاقاً فقال لهم ابن المقتول و هو حوذة بن عترم - دعوني اقتله كما قتل أبي ، قالوا : حتى

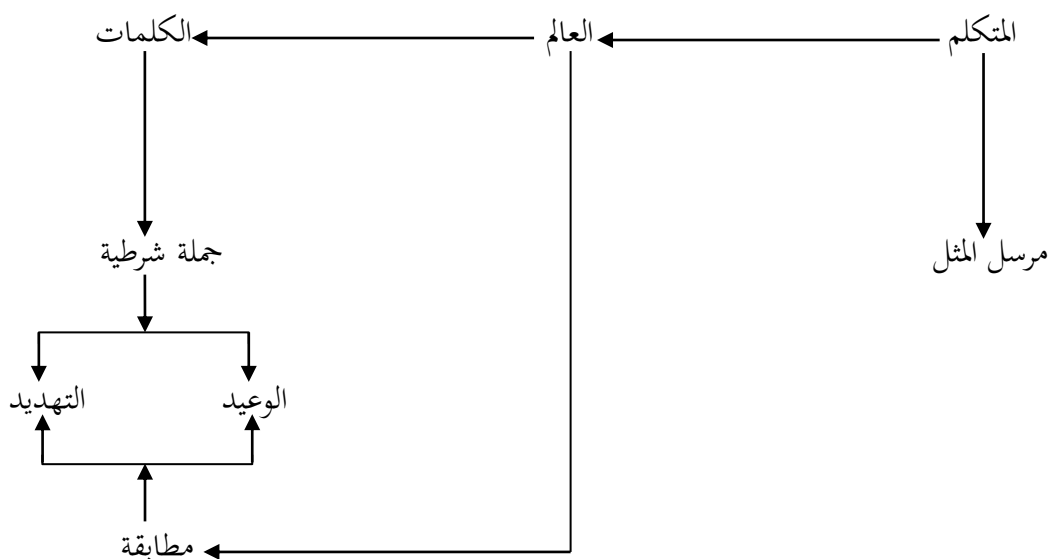
¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 493.

² - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 359.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

تأتي به حارثه ، فأبي ، فقالوا له : و الله لعن قتلته لَنَقُتُلَنَّكَ و أتوا به حارثة بن لأم ، فقال له حارثة : يا كلحب إن كنت أسيرا فطالما أسرت فقال كلحب : مَنْ يُرِ يَوْمًا يُرَ بِهِ ... فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا ..."¹

يصنف المثل في صنف الإلتزاميات أو الوعديات ، فقد تضمن المثل الجملة الشرطية المتصدرة ب "من" فأسلوب الشرط المرتبط بفعل شيء مستقبلا حضوره يستدعي حضور البعد التداولي ، فالقوة الإنجازية المباشرة هي الإلتزام بشيء في المستقبل فالذي ينتهك و يغير الناس يأتي يوم و ينتهك و يصادف نفس الإساءة التي فعلها كنهاية هذا الرجل الذي قتل شخصا بريئا راح ضحية لبطشه و ظلمه و استغلاله أما القوة الإنجازية المستلزمة ضمنا هي التهديد والوعيد لكل من يحاول الاعتداء على غيره سيلقي نفس المصير و النهاية كما الحال كلحب ابن شؤبوب ، أمّا عن اتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات لأنّ المثل نصفه ضمن الوعديات أو الإلتزاميات و يظهر لنا توفر شرط الإخلاص و المحتوى القضوي و هو التزام المتكلم بشيء ما في المستقبل و هو عدم انتهاك و استغلال الأبرياء الضعفاء لأنّ الإنسان سيلقي نفس المصير و النهاية فالمتكلم أراد أن يكون عبرة لمن لا يعتبر و هذا هو الغرض التداولي لذلك نحاول توضيح اتجاه المطابقة في هذا المثل :



من لا يَدُذُّ عَن حَوْضِهِ يُهَدِّمُ.²

و دلالة المثل كما أوردها الميداني : " أَيُّ مَنْ لَمْ يَدْفَعْ عَن نَفْسِهِ يُظْلَمَ وَ يُهْضَمَ ".³

يصنف هذا المثل ضمن الإلتزاميات أو الوعديات و يدخل في إطار الوصية فالمتكلم صاحب المثل بصدد توصية الإنسان و حثه على ضرورة الدفاع عن نفسه حتى لا يكون عرضة للظلم و الانتهاك.

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 359.

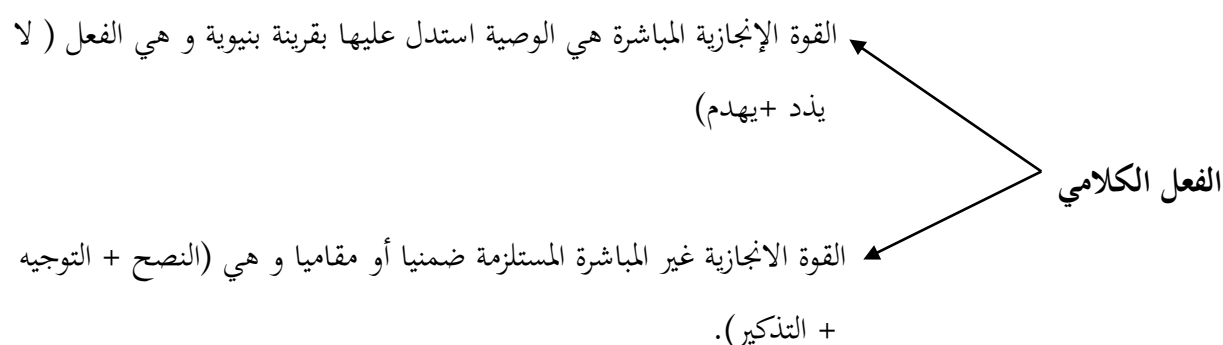
² - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 369.

³ - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 369.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

و جاءت جملة الشرط المتصدرة بـ "من" لتدعيم القوة الانجازية و الغرض التداولي. فالقوة الإنجازية الظاهرة أو المباشرة هي الوصية ، أما القوة الانجازية المستلزمة ضمنيا هي النصح و التوجيه و التذكير. و الفعل التأثيري الناجم هو حث المتلقي أو السامع على ضرورة الدفاع على نفسه فمن لا يدافع عن نفسه يتعرض للظلم و الانتهاك من قبل الغير.

أما عن اتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات لان المثل يندرج ضمن الوعديات أو الإلتزاميات ، لقد توفر شرط الإخلاص و المحتوى القضوي و هو التزام المتكلم بشيء ما مستقبلا يتمثل في الحث على الدفاع عن النفس مهما كانت الأسباب و الدوافع وهذا هو الغرض التداولي من وراء الفعل الكلامي و تمثل بنية الفعل الكلامي كما يلي:



سَأَكْفِيكَ مَا كَانَ قَوْلًا¹.

و دلالة المثل كما أوردها الميداني : " كان النمر من تولب العُكلي تزوج امرأة من بني أسد بعدما أسن يقال لها جمره بن نوفل ، و كان للنمر بنو أخ ، فراودوها عن نفسها ، فشكت ذلك إليه ، فقال : إذا أرادوا منك شيئا من ذلك ، فقولي كذا و قولي كذا ، فقالت : سأكفيك ما يرجع إلى القول و المجاملة"².

و شرحها أبي الهلال العسكري في كتابه : " يقول سأكفيك أي سأغنيك بالقول ، و لا اقدر على ما فوق ذلك من البطش و الدفع بالقهر"³.

فدلالة المثل واضحة ، لذلك نصنف هذا المثل ضمن الإلتزاميات فصاحبة المثل بصدد إخبار زوجها بالمشكلة التي راودتها من بني أخيه فطلب منها أن تقول شيئا ما في حين هي أجابت بأنها سوف تقول "سأكفيك ما كان قولا"، فالقوة الانجازية المباشرة أو الظاهرة هي الالتزام بفعل شيء مستقبلا (المرأة هنا ملزومة بفعل شيء ما بكونها لا تقدر إلا على القول لا أكثر).

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 434.

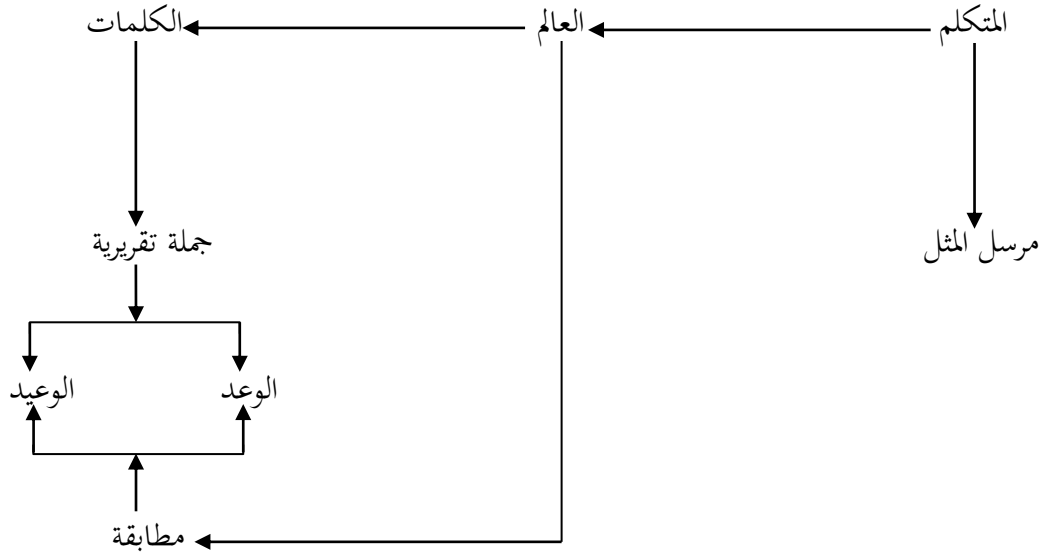
² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 434.

³ - أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، جمهرة الأمثال ، ص 426 .

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

أما القوة الانجازية المستلزمة ضمناً أو خفياً هي الوعد و الوعيد بأنها ستنفذ ما سوف تقوله.
أما عن اتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات لأن المثل يندرج ضمن الوعديات أو الإلتزاميات و يتضح لنا توفر شرط الصدق و الإخلاص لزوجها و لما سوف تقوله و المحتوى القضوي و هو التزمها (المرأة) بما طلبه زوجها دون الخروج عن طاعته أو أوامره ، و هذا هو الغرض التداولي و بنية الفعل الكلامي نوضحه كما يلي :

الفعل الكلامي المباشر أو القوة الانجازية المباشرة هي الإلتزام بفعل شيء ما مستقبلاً
الفعل الكلامي غير المباشرة المستلزمة ضمناً (الوعد + الوعيد).
و اتجاه المطابقة كالآتي :



سَوْفَ تَرَى وَ يَنْجَلِي الْغُبَارُ.¹

دلالة المثل كما أوردها الميداني : " يُضْرَبُ لِمَنْ يُنْهَى عَنْ شَيْءٍ فَيَأْتِي " .²

و دلالة المثل واضحة ، و نصنفها ضمن الوعديات أو الإلتزاميات و كان من أفعالها المضارع (ترى و ينجلي) الذي يفيد الحركة و الاستمرارية أما على مستوى الجمل فقد تضمن المثل جملة تقريرية متصدرة ب : سوف التي أفادت مقام التهديد و الوعيد بامتياز ، فالقوة الانجازية المباشرة أو الظاهرة هي التزم المتكلم بفعل شيء ما مستقبلاً و هو نهي الشخص الذي يخرج عما هو مألوف و لا يقبل النصيحة ، أما القوة الانجازية المستلزمة ضمناً أو مقامياً هي التهديد و الوعيد لكل من ينهي عن فعل ما و يأتي ذلك فيقع فريسة لما هو أسوأ أو غير منتظر.

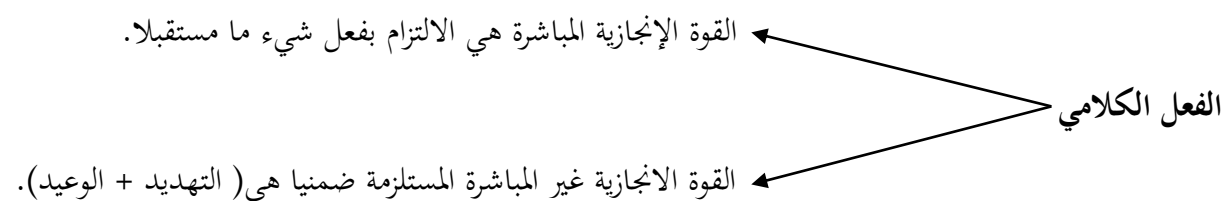
¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 435.

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 435.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

و الفعل التأثيري الناجم من وراء ذلك هو حث المتلقين أو السامعين على ضرورة الأخذ بالنصيحة و لمن ينهاه عن فعل ما فيه تهلكة و مضرة له.

أما عن اتجاه المطابقة في هذا المثل من العالم إلى الكلمات لأنه يندرج ضمن الوعديات أو الإلتزاميات ، فلقد توفر شرط الإخلاص و المحتوى القضوي الواضح و هو التزام المتكلم بشيء ما في المستقبل يتمثل في النتائج الوخيمة لكل من لا يسمع النصيحة و ذلك حتى يضمن الإنسان عواقب الدهر و هذا هو الغرض التداولي ، و بنية الفعل الكلامي يتم توضيحها كما يلي :



عندما نأخذ هذه الأمثال المنتقاة :

- 1- لأَلْحِقَنَّ حَوَاقِنَكَ بِذَوَاقِنِكَ.
- 2- لأَطْعِنَنَّ فِي حَوْصِهِمْ.
- 3- لأَكْوِينَنَّ كَيْبَةَ الْمُتَلَوِّمِ.
- 4- لأَجُنِّنَنَّكَ إِلَى قُرِّ قَرَارِكَ.

و دلالة هذه الأمثال واضحة تضرب للتهديد و الوعيد فالتكلم - مرسل المثل - يلتزم بفعل شيء مستقبلا و يبدو جليا في قوله : (لألحقن ، لأطعنن ، لأكوينه ، لأجئنك ...) ، فغرضها الإنجازي يتمثل في الوعد و الوعيد لكل من يعمل عملا مخالفا أو سيئا ، و لذلك تبدو الأفعال ممزوجة بالحركة و القوة.

فالقوة الإنجازية الظاهرة أو المباشرة هي فعل شيء مستقبلا من طرف المتكلم إلى المخاطب ، أما القوة الإنجازية المستلزمة ضمنيا أو مقاميا هي الترهيب ، جاء في لسان العرب رهب ، و رهب بالكسر ، يرهب رهبة و رهبا

1- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 220.

2- المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 222.

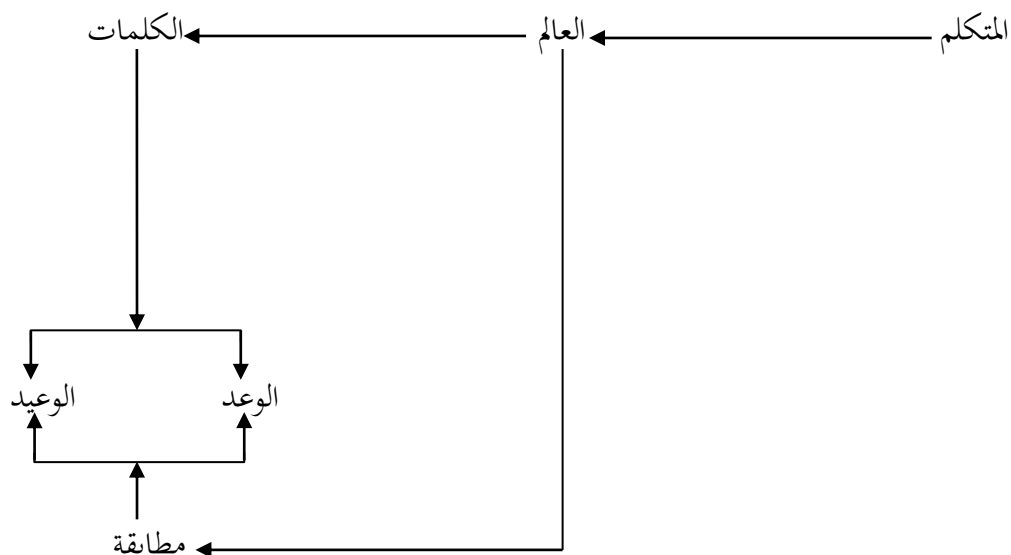
3- المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 224.

4- المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 223.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

بالضم ، ورهبا بالتحريك أي خاف ، و رهب الشيء رهبا و رهبا ورهبة : خافه وترهب غيره إذا توَعَّدَهُ.¹
أما عن اتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات لأنّ الأفعال تندرج ضمن صنف الوعديات أو الإلتزاميات و المحتوى القضوي هو أن يفعل المتكلم شيئا في المستقبل و الذي أسهم في قوة الفعل الكلامي و نجاحه لام التوكيد المتصدرة في بداية الكلام.

أما عن اتجاه المطابقة يتم توضيحه في الشكل الآتي:



و هذه الأمثال :

1- لأَفْنُونُكَ فَنَاوَتَكَ.

2- لأُرِيَنَّكَ لَمَحًا بَاصِرًا.

3- لأَنْشُفَنَّكَ نُشُوقًا مُعْطَشًا.

4- لأَقْلِعَنَّكَ قَلْعَ الصَّمْعَةِ.

هذه الأمثال كذلك تندرج تحت صنف الوعديات أو الإلتزاميات ، فالمتكلم - مرسل هذه الأمثال - يلتزم بفعل شيء ما مستقبلا للمخاطب ، و لعل لام التوكيد المتصدرة في بداية الكلام خير دليل على ذلك. فالقوة الإنجازية الظاهرة أو المباشرة هي الإلتزام بفعل ما مستقبلا ، في حين القوة الإنجازية الضمنية تتمثل في الترهيب و التخويف.

¹ - أبو الفضل جمال الدين ابن منظور ، لسان العرب ، ص 1774.

² - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2، ص 244.

³ - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 210.

⁴ - المصدر نفسه ، مج 2، ص 211.

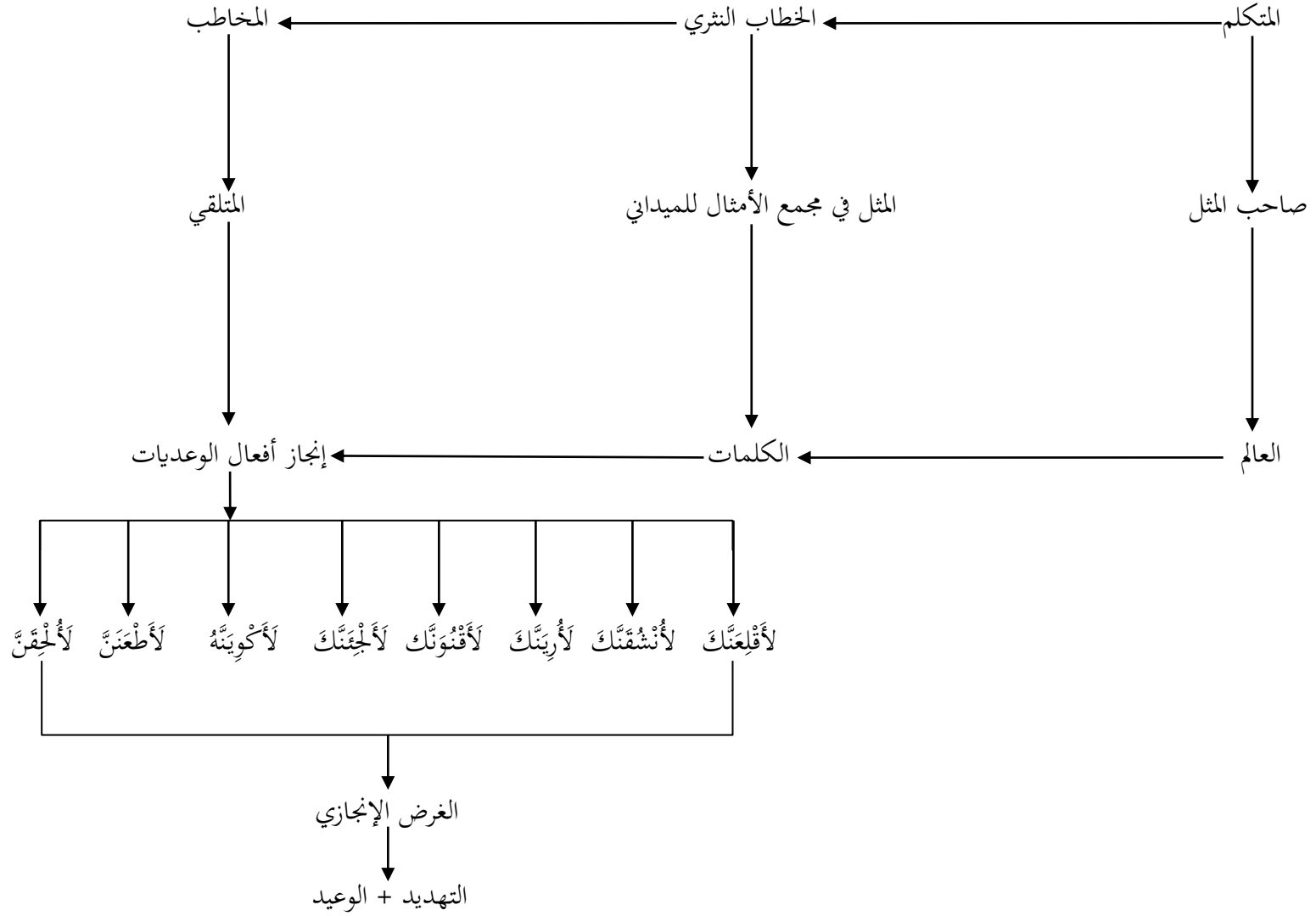
⁵ - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 220.

الفصل الثاني ————— مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

و في الأخير نحاول تلخيص أهم الإلتزاميات أو الوعدييات الواردة في مجمع الأمثال - النماذج المختارة- في الخطاطة الآتية :

| الفعل الكلامي في المثل | القوة الإنجازية | الفعل التأثري |
|---|-------------------|--|
| إِذَا حَانَ الْقَضَاءُ، صَاقَ الْقَضَاءُ | التهديد + الوعيد | حمل الشخص على الفعل الحسن |
| أَنْجَزَ حَرًّا مَا وَعَدَ | التهديد + الوعيد | الحث على ضرورة الوفاء بالوعد |
| إِذَا جَاءَ الْحِينُ حَارَتِ الْعَيْنُ | التهديد + الوعيد | الحث على الاستعداد لحتمية القدر |
| مَنْ صَدَقَ اللَّهُ نَجَا | التأكيد + التذكير | الحث على ضرورة الصدق |
| يَأْتِيكَ كُلُّ غَدٍ بِمَا فِيهِ | التهديد + الوعيد | الحث على الاستعداد لما هو آت |
| مَنْ يَنْكُحِ الْحَسَنَاءَ يُعْطِ مَهْرَهَا | التذكير + التوجيه | الحث على الترغيب في الشيء المراد الوصول إليه |
| مَنْ اسْتَرْعَى الدِّئْبَ ظَلَمَ | التحذير | الحث على حسن الاختيار |
| مَنْ يُرِي يَوْمًا يُرِي بِهِ | التهديد + الوعيد | الحث على عدم استغلال وانتهاك الناس |
| مَنْ لَا يَذُ عَن حَوْضِهِ يُهْدَمَ | النصح + التوجيه | الحث على الدفاع عن النفس |
| سَأَكْفِيكَ مَا كَانَ قَوْلًا | الوعد + الوعيد | الحث على الصراحة فهي مفتاح النجاح |
| سَوْفَ تَرَى وَ يَنْجَلِي الْعُبَارُ | التهديد + الوعيد | الحث على ضرورة الأخذ بالنصيحة |
| لَأُلْحِقَنَّ حَوَاقِنَكَ بِدَوَاقِنِكَ | التهديد + الوعيد | الحث على التخويف والترهيب |
| لَأَطْعَنَّ فِي حَوْصِهِمْ | التهديد + الوعيد | الحث على التخويف والترهيب |
| لَأَكْوِيَنَّهُ كَيْتَةَ الْمَلُومِ | التهديد + الوعيد | الحث على التخويف والترهيب |
| لَأَجْبِنَنَّكَ إِلَى قَرِّ قَرَارِكَ | التهديد + الوعيد | الحث على التخويف والترهيب |
| لَأَقْفُونَنَّكَ فَنَاوَتَكَ | التهديد + الوعيد | الحث على التخويف والترهيب |
| لَأُرِيَنَّكَ لَمَحًا بَاصِرًا | التهديد + الوعيد | الحث على التخويف والترهيب |
| لَأُنْشِقَنَّكَ نُشُوقًا مُعْطَسًا | التهديد + الوعيد | الحث على التخويف والترهيب |
| لَأَقْلِعَنَّكَ قَلْعَ الصَّمَعَةِ | التهديد + الوعيد | الحث على التخويف والترهيب |

و فيما يلي ملخص يبين لنا أهم الإلتزاميات الواردة في مجمع الأمثال للميداني اقتصرنا على بعضها فقط في المخطط الآتي :



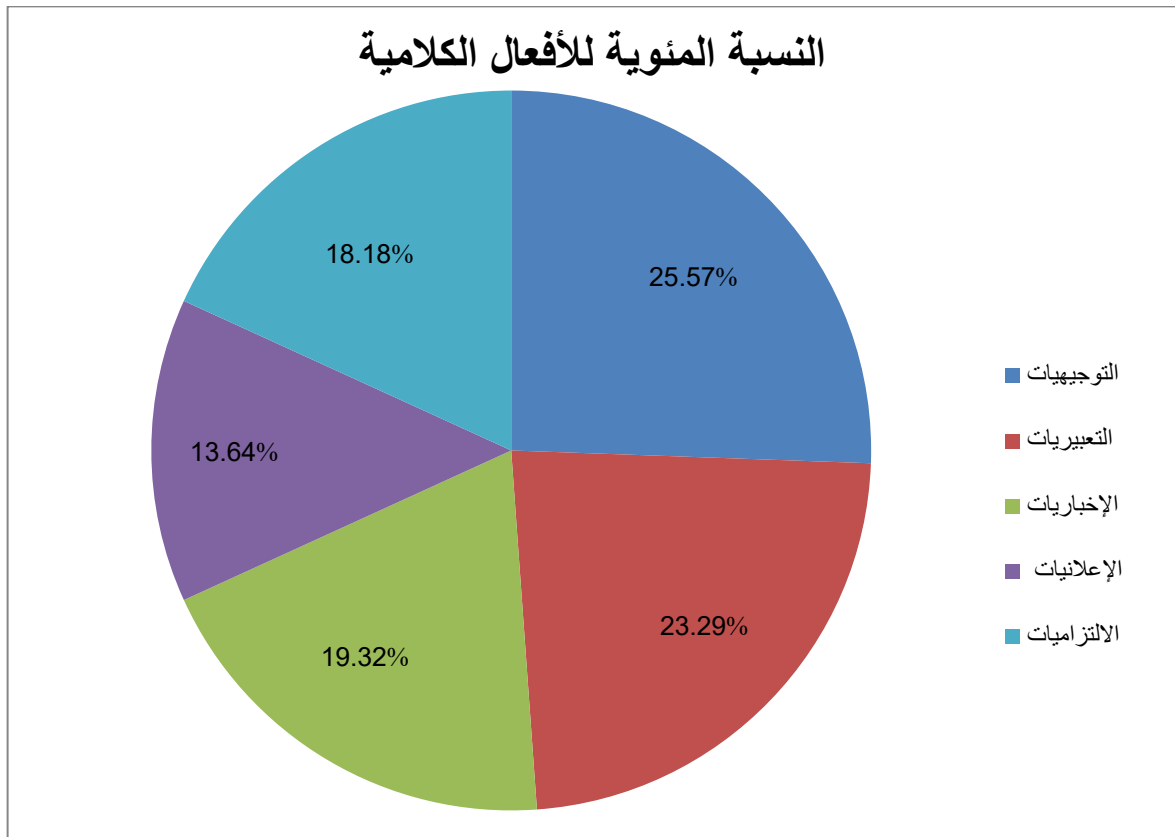
أفعال الإعلانات في مجمع الأمثال للميداني (نماذج مختارة)

الفصل الأول _____ التداولية (مفاهيم و رؤى نظرية)

من خلال عرضنا للفصل التطبيقي استطعنا أن نستشف و نستبين أهم الأفعال الكلامية الموجودة في مجمع الأمثال للميداني حسب تصنيفات سيرل (Searle) ، إذ يمكن وصفه بكونه حديقة غناء بثمار مختلفة. فاكشفنا التوجيهيات أو الأمرات ، الوعديات أو الإلتزاميات ، التعبريات أو البوحيات ، الإعلانيات أو الايقاعيات ، فهو مجال خصب و واسع يكشف لنا بامتياز عن جماليات تراثنا العربي القديم فهو قابل للدراسة الحديثة أو المعاصرة بدون منازع .

و فيما يلي الرسم الدائري الذي يوضح الأفعال الكلامية في نماذجها المختارة لأصناف : التوجيهيات ، التعبريات ، الإعلانيات ، الإخباريات و الإلتزاميات

فكانت التوجيهيات تحتل المرتبة الأولى إذ بلغت نسبتها 25.57% و المرتبة الثانية كانت التعبريات بلغت نسبتها 23.29%، المرتبة الثالثة للإخباريات إذ بلغت نسبتها 19.32% أما المرتبة الرابعة للإلتزاميات بنسبة 18.18% في حين المرتبة الأخيرة كانت للإعلانيات إذ بلغت نسبتها حوالي 13.64% .



الفصل الثالث : آليات الحجاج في مجمع الأمثال

المبحث الأول : مقارنة نظرية في مفهوم الحجاج :

أولا : الحجاج

ثانيا : الحجاج في الفكر العربي

ثالثا : الحجاج عند الغرب

رابعا : أنواع الحجاج

خامسا : تقنيّات ووسائل الحجاج

سادسا : مراتب الحجاج

سابعا : آليّات الحجاج

المبحث الثاني: تقنيّات الحجاج في قصص الأمثال للميداني

توطئة

أولا : الحجج شبه منطقية

ثانيا : الحجج المؤسسة على بنية الواقع

ثالثا : الحجج المؤسسة لبنية الواقع

رابعا : الحجج التي تستدعي القيم (Arguments basé sur les

(valeurs

خامسا : الآليات البلاغية في مجمع الأمثال

سادسا : الآليّات اللّغوية في مجمع الأمثال

المبحث الأول : مقارنة نظرية في مفهوم الحجاج :

أولا : الحجاج

1- مفهوم الحجاج :

1-1- لغة :

يُعرّف ابن منظور (ت711هـ) الحجاج بقوله : " و الحُجَّةُ : البرهانُ ، وَ قِيلَ الحُجَّةُ : مَا دُوْفِعَ بِهِ الحِصْمُ ، وَ قَالَ الأَزْهَرِيُّ : الحُجَّةُ الوَجْهُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الحُصُومَةِ وَ هُوَ رَجُلٌ مَحْجَاجٌ أَي جَدِلُّ ، وَ التَّحَاجُّ : التَّخَاصُّمُ ، وَ جَمْعُ الحُجَّةِ : حُجَجٌ وَ حِجَاجٌ . وَ حَاجَّةٌ مُحَاجَّةٌ وَ حِجَاجًا : نَازَعَهُ الحُجَّةُ ، وَ حَجَّهَ يُحِجُّهُ حَجًّا . وَ جَمْعُ الحُجَّةِ : حُجَجٌ وَ حِجَاجٌ ، وَ حَاجَّةٌ مُحَاجَّةٌ وَ حِجَاجًا . نَازَعَهُ الحُجَّةُ ، وَ حَجَّهَ يُحِجُّهُ حَجًّا : غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِهِ ، وَ فِي الحَدِيثِ : فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى : أَي غَلَبَهُ بِالحُجَّةِ (.) . وَ الحُجَّةُ الدَّلِيلُ وَ البرهانُ ، يُقَالُ : " حَاجَجْتُهُ فَأَنَا مُحَاجٌّ وَ حِجِيجٌ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ ، وَ مِنْهُ حَدِيثٌ مُعَاوِيَةَ : فَجَعَلْتُ أَحْجُ حِصْمِي " .¹

وَ عرَّفَهُ ابن فارس (ت 395 هـ) : " يُقَالُ حَاجَجْتُ فُلَانًا فَحَجَجْتُهُ أَي غَلَبْتُهُ بِالحُجَّةِ ، وَ ذَلِكَ الظَّهْرُ يَكُونُ عِنْدَ الحُصُومَةِ ، وَ الجَمْعُ حُجَجٌ ، وَ المِصْدَرُ : الحِجَاجُ " .²

هذه التعاريف اللغوية تدور في مجملها على أن الحجاج يكون بمقارعة الحجة و غلبة أحد المتخاصمين فابن منظور مثلا يربط الحجة بالبرهان ، و الحُصُومَة و افتراضه وجود تخاصم بين الطرفين و غلبة أحدهما على الآخر باستخدام حجة معينة.

و نلاحظ هناك تمييز بين (الحجة، التحاج و الحجاج) و قد أشار الطاهر بن عاشور إلى معنى حاج و جادل ، ففي تفسير قوله تعالى " ألم ترى الذي حاج إبراهيم ربه " ³ ، قال معنى حاج خصم و هو فعل جاء على زنة المفاعلة التي اشتق منها و من العجيب أن الحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى .

مع أن حاج لا يُستعمل غالبا إلا في معنى المحاصمة ، و أن الأغلب أنه يفيد الخصام بباطل " ⁴ ، و في تفسير قوله تعالى : " و لا تجادل عن الذين يخفون أنفسهم " .⁵

¹ - ابن منظور، لسان العرب ، ص 805 .

² - أبو الحسين احمد بن فارس زكريا ، مقاييس اللغة، دار الجبل ، بيروت ، مج 2 ، ط 1 ، ص 30 .

³ - سورة البقرة ، الآية 258 .

⁴ - محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير ، الدار التونسية ، الدار الجماهيرية لل نشر ، تونس ، ج 3 ، ص 31 - 32 .

⁵ - سورة النساء ، الآية 107 .

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

فسر الطاهر بن عاشور معنى حاجج : خصم ، و معنى المجادلة القدرة على الخصام فالذي يجمع بين اللفظين هو التخاصم و التنازع و هذا ما قاله ابن منظور (التّحاج : التخاصم) ، لأنّ (حاجج و التّحاج) من نفس الأصل ، في حين الحجاج لا يشترك معهما في الأصل .
فهو جمع حجّة في قول ابن منظور (و جمع حجّة حُجج و حجّاج) و معنى ذلك لا وجود للتخاصم و التنازع.¹

و قال "الجرجاني" " الحجّة ما دلّ به على صحّة الدّعى ، و قيل الحجّة و الدليل واحد ".²
فجوهر الحجاج هنا هو التّركيز على دليل لإثبات قضية معيّنة ، أو بناء موقف معيّن حول قضية ما .
فالحجاج حسب آراء المعجميين العرب لا يخرج عن بوصلة التخاصم ، و التغالب بين طرفين يحاول كلّ منهما إثبات رأيه أو دحض رأي خصمه .
فلا معنى للحجاج إلّا بوجود طرفين متخاصمين - طرفي الحاجة - أي المرسل (المحاجج) و المرسل إليه (المحجوج) .

إذ أنّ هناك من اعتبر الحجاج مرادفاً للتّحاج و الجدل ، في حين أنّ التّحاج هو تخصم بالباطل في حين أنّ الجدل هو تخصم من غير نفع و لا تأثير له في الآخر ، أمّا الحجاج فهو حوار مع الطرف الآخر ، و محاولة إقناعه و التأثير فيه أي أنّ الحجاج يقوم على أساس التّخاطب بين المتكلّم و السّامع اللّذين يفترض فيهما أن يتحاجّا في أمر لا يستلزم دليلاً أو حجّة له أو عليه.³

معنى الحجاج في اللّغات الأجنبيّة يختلف عن اللغة العربية ، ففي اللّغة الفرنسيّة تشير لفظة (argument) إلى عدّة معان أبرزها ما ورد في قاموس (le robert).

" هو مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة ، و هو كذلك فنّ استعمال الحجج أو الاعتراض بها مناقشة معيّنة ، و هو أيضا الدّفاع عن اعتراض بواسطة الحُجج ".⁴

¹ - ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 12 ، ص 60.

² - الشريف بن علي الجرجاني ، التعريفات ، تحقيق : ابراهيم الايباري ، دار الريان للتراث ، د ط ، د ت ، ص 86

³ - رضوان الرقي ، الاستدلال الحجاجي التداولي و اليات اشتغاله ، مجلة عالم الفكر ، ج 2 ، م 40 ، أكتوبر ، ديسمبر ، 2011 ، ص 71.

⁴ - Le grand robert, Dictionnaire de la langue francais 1^{er} rédaction, paris 1989, p535.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

جاء في قاموس (combrige) باللغة الإنجليزية أنّ الحجاج " هو الحُجَّة التي تعلَّل أو تُبرِّر مساندة أو معارضتك لفكرة ما".¹

و الملاحظ عليه أنّ هناك تقارب بين المعنى اللُّغوي في اللُّغة العربية و اللُّغات الأجنبية ، و هو استعمال الحُجَّة و تقديمها دفاعا عن رأي أو موقف معين أو اعتراض عليه .
و من خلال التَّعريف اللُّغوي للحججاج نصل إلى أنّ :
- الحججاج يتكئ على الحجج ، و لا بدّ من اختيارها و ترتيبها حتّى تترك أثرا في السّامع .
- إنّ الحججاج غير مرتبط بالحقائق المطلقة و إنّما يبقى مجرد احتمال .
- إنّ الحججاج ليس جدلا بل هو أعمق من ذلك .
- هدف الحججاج الإقناع و التأثير .

1-2- اصطلاحا :

لقد تعدّدت تعاريف الحججاج ، فلا وجود لتعريف جامع مانع ، لذا يصعب تحديده تحديدا دقيقا حسب المرجعيّات الفكرية ، و اللُّغوية فهناك من عرّفه من منظور تداولي ، و آخر من منظور فلسفي و بلاغي ...
و هذا ما جعل كلّ باحث يعرفه من زاوية نظر مُعيّنة ، لذلك سنرصد بعض التعريفات حول ماهية الحججاج بصفة عامة ، إذ عرّفه طه عبد الرّحمن بأنّه " كلّ منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها".²

كما عرّفه بصورة أدقّ حيث أعطى الحججاج ميزتين رئيسيتين :
" فهو تداولي لأنّ طابعه الفكري مقامي و اجتماعي إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة و مطالب إخبارية و توجّهات ظرفية و يهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة عملية إنشاء موجهها بقدر الحاجة " ³ و قوله أيضا : " ممارسة كلامية تقصد التأثير في الرأي و في السلوك".⁴

¹ -Cambrige advanced learners,Dictionnary,cambrge university, press, 2nd pub,2004,p56.

² - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص226

³- المرجع نفسه ، ص65.

⁴- المرجع نفسه، ص66.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

فالحجاج من منظور الباحث طه عبد الرحمان يتصف بصفتين ، فهو تداولي و تأثيري إذ لا يخرج عن هذه الدائرة التي يمكن عدّها لصيقة بالحجاج .

كما أنّ ارتباطه بالمتلقي يؤدي إلى حصول عمل ما أو الإعداد له ، و من ثمّ سيكون فحص الخطابات الحجاجية المختلفة بحثاً في صميم الأفعال الكلامية و أغراضها السياقية ، و علاقة الترابط بين الأقوال و التي تنتمي إلى البنية اللغوية الحجاجية¹.

و يعرفه "عبد الهادي بن ظافر الشهري" بقوله: " هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللّغة فيها ، و يتجسّد عبرها إستراتيجية الإقناع "².

و من جهة أخرى عرفه "أبو بكر العزاوي " أنّه يتمثّل في انجاز متواليات من الأقوال بعضها، هو بمثابة الحجج اللّغوية ، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها"³.

و يعرف كذلك " أنّه الخطاب الذي يسعى إلى تعديل أو تثبيت موقف أو سلوك المتلقي بالتأثير فيه بالخطاب، أي بالكلام ، سواء كان ذلك الكلام يعترف من معين العقل أو من معين العواطف و الانفعالات "⁴.

نستشف من خلال هذا التعريف أنّ الغرض الأساسي للخطاب الحجاجي هو التأثير في المتلقي .
نفهم من خلال التعاريف السابقة أنّها تلتقي في مجملها حول إفهام السامع أو المتلقي و التأثير فيه بطرق و وسائل عديدة ، نفهمها من سياق الكلام إذ تحكّمه مقتضيات نفسية أو اجتماعية أو مقامية ، و تعاضد الأقوال فيما بينها.

¹ - صابر الحباشة، التداولية والحجاج ، ص 47.

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، ص 456.

³ - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، منتديات سور الازبكية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص 17.

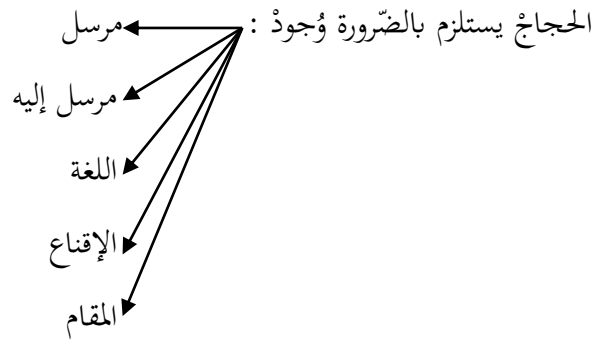
⁴ - محمد الولي، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشام بيرلمان، عالم الفكر، ج2، مجلد40، أكتوبر ديسمبر 2011، ص 17.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و يقدّم محمد الولي تعريفاً آخر يورد فيه أنه يقصد إلى دعم رأي ما بواسطة الدفاع عنه و التنفيذ لما قد يكون رأياً معارضاً له ، و هذا يعني أنّ الحجاج هو دوماً توجه نحو شخص أو جهة لأجل الإقناع و تعديل موقفه أو تثبيته¹.

- إنّ مجمل التعريفات التي أوردناها تدور في مجملها في فلك واحد يمكن تلخيصها في النقاط الآتية :
- إنّ الحجاج يعتمد على وجود مرسل و مرسل إليه فلا يمكننا تصور نص حجاجي دون وجود طرفين.
 - وسيلة الحجاج الأساسية هي اللغة.
 - يهدف دوماً نحو الإقناع.
 - عملية الإقناع تعتمد على دور المرسل و مهارته اللغوية في انتقاء الحجج و التبريرات و المقدمات بما يتناسب مع مقتضى الحال و المقام.

و لتوضيح الفكرة أكثر نمثّلها على النحو الآتي :



2- الحجاج و البرهان :

هناك تقارب شديد بين الثلاثية الهرمية (الحجّاج ، و البرهان ، و الاستدلال) ، حتى إنّ هذا الأخير عادة ما يرد مرادفاً للحجّاج ، و مع ذلك يوجد بعض التّميّزات الدّقيقة التي تفصل بينهما ، فرّبما التّشابه يكمن في طلب الحجّة و الدّليل ، فالحجّاج يطلب الحجّة و كذلك الاستدلال و البرهان ، و الاختلاف يكمن لا محالة في نوعية الدّليل.

الاستدلال في اللغة " الاستفعال من استدّل أي طلب الدّليل والطريق المرشد إلى المطلوب " ².

¹- محمد الولي، مدخل إلى الحجّاج أفلاطون وأرسطو وشام بيرلمان ، ص 17 .

²- رضوان الرقي، الاستدلال الحجّاجي التداولي، ص74.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

لذلك يمكن القول أنّ الدليل و الاستدلال يطلقان على الحجّة من باب التجوز أو التوسّع لأنّ الدليل أعمّ من الحجّة و الاستدلال أوسع من الحجاج و مشتمل عليه".¹

و لتوضيح الفكرة أكثر في علاقة الحجاج بالبرهان نجد أنّ " الخطاب الطبيعي ليس خطابا برهانياً بالمعنى الدقيق للكلمة فهو لا يقدّم براهين و أدلّة منطقية ، و لا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي فلفظة الحجاج لا يعني البرهنة على صدق إثبات ما أو إظهار الطّابع الصّحيح (Valide) لاستدلال ما من جهة نظر منطقية و يمكن التّمثيل لكلّ من البرهنة و الحجاج بالمثالين التاليين :

- كل اللّغويين علماء.

- زيد لغوي.

- إذن زيد لغوي .

- انخفاض ميزان الحرارة.

- إذن سينزل المطر.

يتعلّق الأمر في المثال الأوّل برهنة أو بقياس منطقي Syllogisme أمّا في المثال الثاني فإنّه لا يعدو و إن يكون حجابا أو استدلالا طبيعيا غير برهاني".²

فالحجاج إذا " لا يفيد اليقينية و القطعيّة التي يتّسم بها البرهان"³ ، لأنّه يتعلّق بالخطاب الذي ينمو و يتطور شيئا فشيئا كما أنّه يرتبط بالمقاصد و السياقات.

و يشير (أوزفالد ديكر) إلى أنّ الخطاب الطبيعي بخلاف الأنساق الصّورية الصناعية ، لا يصرّح بكلّ مقدّماته المنطقية و عوض أن تكون موضوعاته التي يعبر عنها محددة تحديدا نهائيا كالبراهين الرياضيّة ، فإنّها تتجدّد شيئا فشيئا مع تطور الخطاب ، إنّها موضوعات رخوة في مقابل موضوعات المنطق الرياضي الصّلبة".⁴ إنّ البرهان مجموعة من العمليّات العقليّة القابلة للحساب الآلي الصّوري ، " ينتقل فيها الفكر من أشياء مسلّم بصحتها إلى أشياء أخرى ناتجة عنها بالضرّورة و تكون جديدة عن الأولى".⁵

¹ - رضوان الرقي، الاستدلال الحجاجي التداولي ، ص74.

² - أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي ضمن كتاب التحاجج، طبيعته و مجالاته و وظيفته، تنسيق حمو النقاوي، منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بالرباط، سلسلة ندوات و مناظرات، رقم134، المغرب، ط1، 2006، ص55-56.

³ - رضوان الرقي، الاستدلال التداولي الحجاجي التداولي، ص74.

⁴ - المرجع نفسه، ص80.

⁵ - المرجع نفسه ، ص75.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

مثال ذلك إثبات صحّة نظرية رياضية معينة و هي تكون صحيحة يقينية لا مجال للشك فيها ، كما أنّها صارمة لا ترتبط بقصد المخاطب. أو ما إلى ذلك بقصد الحجاج الذي قد يستفيد من العمليّات العقلية و لكن بصورة تختلف عن طريقة البرهان . فهو يستخدم سلسلة من العمليّات العقلية التي لا تكون بالضرورة منطقيّة و قد تأخذ صبغة تداؤلية ترتبط فيها المعايير بالمعاني و السياقات بالمقاصد¹.

إنّ الحجاج في الخطاب لا يهتمّ بتزيين اللّغة فقط للتأثير في المتلقّي ، بل يعتني أيضا بكلّ ما له علاقة بإقناعه عن طريق العقل ، و ذلك باستخدام حجج عقلية لأنّ الحجّة في بعض النظريات تمثل " استدلالا غير صوري ، و في البعض الآخر من هذه النظريات يمكن للاستدلال الصوري أن يكون حجة في بعض سياقات الاستعمال ... و بما أنّ المحقّق وجود حجج من طبيعة مختلفة عن البرهانية الصورية الرياضية ، فإنّ ذلك يعني التسليم أو عدمه بوجود حجج منطقية ، أي أنّ بعض الاستدلالات يمكن استخدامها لنهايات حجاجية و ذلك وفقا للتصور الذي يتبناه المرء للحجّة² .

فمثلا قد يستعمل القياس في الحجاج و لكنه يرتبط بقصد المتكلّم ، و هذا يوضّح أهمّ ما يميّز الحجاج عن البرهان " سمة القصدية أو القصد " التي تفهم من سياق تواصله معين³. بمعنى أنّ الحجاج آلية استدلالية غنيّة مقارنة بالبرهان لأنّ هذا الأخير يتلخّص في القول : " بإمكان كلّ دعوى صحيحة أن تحظى بإثبات قطعي مستند إلى أدلّة العقل الخالص في مسلكه البرهاني الخالي من كلّ تأثير مضموني و من كل توجيه معنوي⁴ .

فهو لا يهتم بالتأثير في المتلقّي و لا بإقناعه ، و لهذا فهو لا يتوافق مع الآداب و الفلسفة لأنّها خطابات طبيعية لا تتحقّق إلّا " بانتهاج مسالك الحجاج لأنّها وحدها الكفيلة في إطار مجال التّداول و مقتضياته التّفاعلية بتحصيل الإقناع و الدّفع إلى العمل ... و ميزة كلّ قول حجاجي أنّه يزاوج بين الصّورة و المضمون لتحصيل الإقناع عكس البرهان الذي يستغني عن المحتوى ، ما يؤكّد أنّ البرهان آلية استدلالية فقيرة مقارنة بالحجاج⁵ .

¹ - رضوان الرقي، الاستدلال التداولي الحجاجي التداولي ، ص80.

² - فيليب بروتون، حبييل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر : محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، ط1، 2011 ، ص16.

³ - رضوان الرقي، الاستدلال الحجاجي التداولي، ص81.

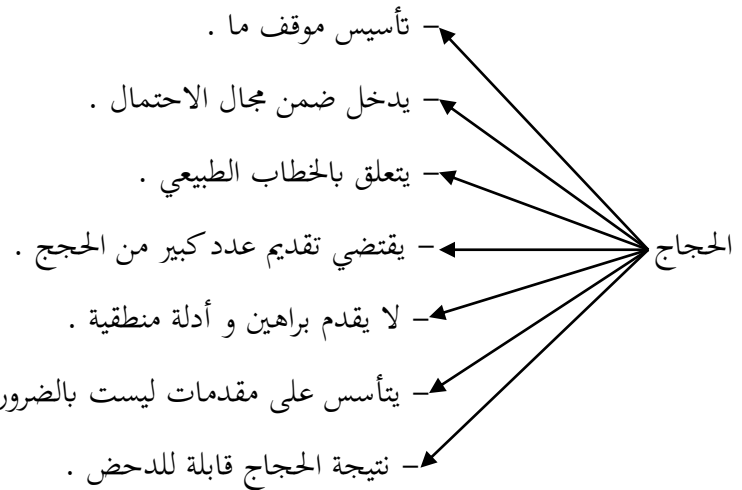
⁴ - المرجع نفسه ، ص81.

⁵ - المرجع نفسه، ص81.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

من خلال عرض علاقة الحجاج بالبرهان وصلنا إلى التتائج الآتية :

- كلٌّ من البرهان و الحجاج نوعين من أنواع الاستدلال.
 - البرهان مرتبط بالمنطق الصّوري الصّناعي الصّارم ، و الخالي من أيّ التباس ، و له دور فعّال في بناء العلوم كالرياضيات و الفيزياء و الإعلاميات .
 - يختصّ الحجاج بالخطابات الطّبيعية الّتي تتميّز بالخصوبة و التّداول ، و التّواصل الاجتماعي .
 - الحجاج شديد الصّلة بالخطاب ، و غايته الإقناع و التّأثير في السّامع بغض النّظر عن صحّة الحجّة أو صدقها، عكس البرهان الذي قد يكون سليماً و لكن المتلقّي لا يقتنع به و لا يدفعه إلى العمل بمقتضاه .
 - من خلال ما سبق ذكره يمكن أن نستنتج خصائص البرهان الجوهريّة ، نجملها في ما يلي :
 - البرهان يقدم أدلّة و براهين منطقية .
 - يعتمد على الاستدلال المنطقي و يدخل ضمن المجال المنطقي .
 - لا يترك أثراً في المتلقّي .
 - يتأسس على مقدمات مؤكدة و بديهية .
 - يعتمد عموماً على لغة اصطناعية كالجبر .
 - النتيجة في البراهين غير قابلة للدحض .
- في حين الحجاج يهدف إلى :

- 
- تأسيس موقف ما .
 - يدخل ضمن مجال الاحتمال .
 - يتعلق بالخطاب الطّبيعي .
 - يقتضي تقديم عدد كبير من الحجج .
 - لا يقدم براهين و أدلة منطقية .
 - يتأسس على مقدمات ليست بالضرورة مؤكدة و بديهية ، لكنها مقبولة .
 - نتيجة الحجاج قابلة للدحض .

بالرّغم من ارتباط الحجاج بالخطاب إلّا أنّ ذلك لا يعني أنّ كلّ نصّ هو حجاجي بالضرورة ، بل هناك العديد من النّصوص غير حجاجيّة و هذا ما جعلنا نتطرّق لضوابط النّص الحجاجي .

3- ضوابط النص الحجاجي وخصائصه :

يمكن تمييز النص الحجاجي من غيره بعدة ضوابط منها:¹

- أ- أن يكون الحجاج ضمن إطار ثوابت مثل الثوابت الدينية و العرفية فليس كل شيء قابل للحجاج.
 - ب- أن تكون دلالة الألفاظ محددة و المرجع الذي يُحيلُ إليه مُحدداً بيد أن تفاوت التأويل يكسب الخطاب ثراء و غنى ، و لكن لا يكسبه دقة ونهاية.
 - ج- أن لا يقع المرسل في التناقض في قوله أو فعله ، و يجب أن يكون الحجاج مُوافقاً لما يقبله العقل و إلاّ بدأ زيف الخطاب و وهن الحجّة.
 - د- أن يكون الحجاج جامعا مشتركا بين المتحاجين لكي يحصل توافق بينهما في إمكانية قبول الحجج أو رفضها.
 - هـ- ضرورة خلو الحجاج من الإبهام و المغالطة و الابتعاد عنها.
 - و- امتلاك المرسل لثقافة واسعة ، فبقدر ما يملك (المرسل) من ثقافة بقدر ما يملك من حجج.
- أمّا إذا انتقلنا إلى خصائص النص الحجاجي ، نجد أنّها تتمثل في القصد المعلن و الاستدلال الواضح والأفكار المترابطة و البرهنة و قد جمعها بُنُو رُونُو في النقاط التالية:²

أ- القصد المعلن:

إحداث أثر ما في المتلقي أي إقناعه بفكرة معينة ، و هو ما يعبر عنه بالطريقة الإيحائية.

ب- التناغم :

يوظف التسلسل الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات سواء تعلق الأمر بالفتنة ، أو الانفعال ، و تكون له معرفة لنفسية المتلقي و قدراته ، و يتجلى أيضا في نصّه سحر البيان و تتأكد فتنة الكلام.

ج- الاستدلال :

و هو سياقه العقلي أي تطوره المنطقي ، فالنص الحجاجي قائم على البرهنة ، و إذا أعدنا الحجاج إلى أبسط صورة وجدناه ترتيباً عقلياً للعناصر اللغوية ، و التي بموجبها يستجيب المتلقي لنية الإقناع.

د- البرهنة:

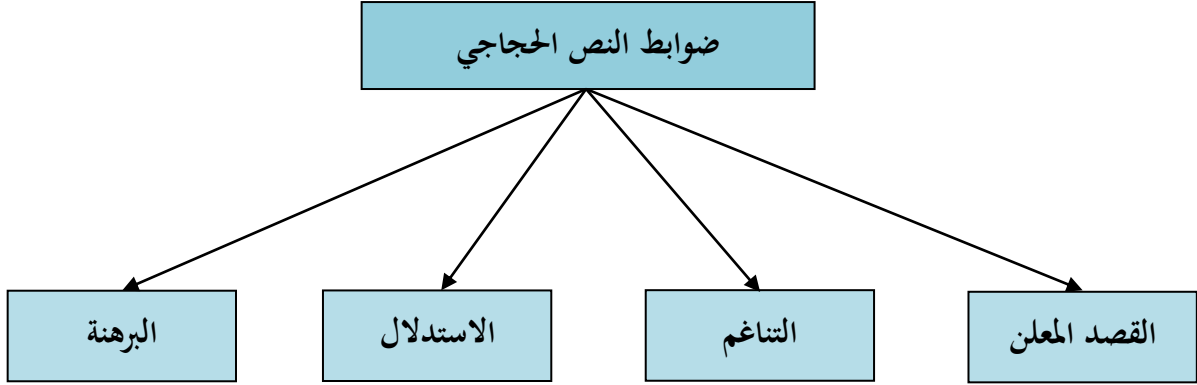
¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية ، ص465، 466.

² - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيتة و أساليبه ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، الأردن ، ط1 ، 2008 ، ص 26 ، 27.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

إليها تُردّ الأمثلة و الحجج و كلّ تقنيّات الإقناع مروراً بأبلغ إحصاء و أوضح استدلال ، وصولاً إلى أطف فكرة و أنقذها.

و يمكن تلخيصها وفق المخطط الآتي :



بعد جرد مختلف تعريفات النص الحجاجي ، يمكن القول أنّه :

- خطاب إقناعي بالدرجة الأولى ، فلا حجاج دون إقناع .
- موجّه للتأثير في سلوك المتلقّي أو معتقده.
- تتحكّم فيه طبيعة المتلقّي .
- يعتمد إستراتيجية لغويّة خاصّة به.
- يعتمد ربطاً منطقيّاً و دلاليّاً بين أجزائه المكوّنة له.
- غالباً ما يكون للسياق دور كبير في تحديد نتائجه.
- نتائجه غير ملزمة للمتلقّي - غالباً إذ تخضع لقناعاته و ردود أفعاله.
- يعتمد خطاب العقل و العاطفة معاً.
- غالباً ما يتّخذ شكل الحوار لتوسيع دائرة النقاش و الأخذ و الرد.
- الحججاج نوع من الخطاب يكون بين طرفين متخاصمين حول قضيّة ما و هو محاولة إقناع كلّ طرف الآخر باستخدام آليات و أدوات خاصّة به.

4- أصناف الحججاج :

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

يمكن تصنيف الحجاج إلى صنفين هما الحجاج التوجيهي و الحجاج التقويمي ، و ذلك باعتبار استحضار حجاج المرسل إليه من عدمه ، سواء الحجاج السابق أو المتوقع ، فقد يكتفي المرسل بإنتاج خطابه دون تفكير فيما لدى المرسل إليه من حجج قد يُواجهه بها ، أو بأن يضع تلك الحجج المفترضة أو المتوقعة في حسابه فتصبح أساسًا يبنى عليه خطابه.¹

4-1- الحجاج التوجيهي :

و يُمثل لهذا النوع من الحجاج بالأفعال اللغوية التي تفي فقط بالجزء الذي يخص المرسل من الاستدلال ، لأنّه لم يفترض حجج المرسل إليه إلى هذه اللحظة ، فتصوّره عنه مازال ناقصًا. و يعدّ هذا الصنف في مستوى أدنى من مستوى الحجاج التقويمي ، و ذلك لأنّ المرسل يكتفي بقصده فقط في تكوين حججه و تنظيم خطابه ، فلا يجرد من ذاته ذاتًا أخرى تمثل المرسل إليه ، في محاولة لتوقع اعتراضاته و استباق حججه ليدحضها و يصل إلى إقناعه ، و كأنّ المرسل في هذا العمل لا يُقيم وزنًا كبيرًا للمرسل إليه ، كما لا يهتمّه مقدار إسهامه في إثراء الخطاب و توفير الوقت ، و النظر بعين الناقد البصير ، إذ يكتفي بمجرد إيصال حججه إليه.

4-2- الحجاج التقويمي :

قد يكون خطاب المرسل حجاجا على خطاب " متوقع " من مرسل إليه " متحيّل " يفترض المرسل وجوده تحسبًا لأيّ اعتراضات قد يواجه بها خطابه بالاستناد على معرفته به و بعناصر السياق ، و من ذلك حججه المفترضة إذ يراعي المرسل في خطابه الحجاجي أمرين هما الهدف الذي يريد تحقيقه ، و هو الإقناع و الحجج التي يمكن أن يعارضه بها المرسل إليه و التي يضعها في الحسبان في أثناء بناء خطابه. و يُخصّصها عند استحضار حججه ، فيفنّدها و يعارضها بالحجج التي يتوقعها من المرسل إليه ، فلا يتمسك بها إلّا إذا أدرك أنّها تؤول بخطابه إلى القبول و التسليم ، و هذا ما يسمى بالحجاج التقويمي .²

1 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، ص 470

2 - المرجع نفسه ، ص 473

ثانيا : الحجاج في الفكر العربي :

1- قديماً :

نجد بوادر الحجاج بصورة دقيقة في الفكر العربي القديم و في مقدمتهم عبد القاهر الجرجاني و نظريته الشهيرة " النظم " و غيره من العلماء العرب و تظهر سمات الحجاج في الفكر القديم عند الجاحظ في كتابه البيان و التبيين " و في هذا الجوّ الجديد يظهر الجاحظ مدافعا عن الحوار و ثقافته و محاولا وضع نظرية لبلاغة الحجاج و الإقناع أساسها مراعاة أحوال المخاطبين".¹

تناول الجاحظ ما يجب أن يكون عليه الخطيب ، و هو عنصر في العملية الحجاجية ، ثمّ تبه إلى أهم الصفات التي تجعل من الخطاب ناجعا ، و ذلك بسلامة الخطيب من العيوب النطقية ... و ما أتى به الجاحظ في كتابي " البيان و التبيين " و " الحيوان " يعد من تلك الأبحاث التي ترتبط بالبيان و التي يمكن أن نجعل بينها و بين النص الحجاجي علاقة.²

يظهر من خلال هذا التعريف اهتمام الجاحظ و تركيزه بدور الخطيب في الإقناع و التأثير و استمالة المستمعين و سلامة ألفاظه من العيوب النطقية ، هذا ما نجده في الدرس الحجاجي الحديث و التركيز على الثلاثية الهرمية (متكلم ، خطاب ، مستمع) .

كما اهتمّ الجاحظ بالفعل اللغوي و اعتبره الأساس لكلّ عمليّة بيانيّة حجاجيّة " و الكلام في نظره لا يمكن تمييزه عن البلاغة فهو يضطّلع في حياة الفرد بوظيفتين أساسيتين هما أولا : الوظيفية الخطابية ، و ما يتّصل بها من إلقاء و إقناع ، و احتجاج و منازعة و مناظرة ، و الثانية " البيان و التبيين " أو " الفهم و الإفهام ".³

يتجلى من هذا التحديد و عي الجاحظ بدور المكوّن اللغوي في بلاغة البيان من جهة ، ثمّ الدور الأساسي للمكوّن الاجتماعي في التواصل و التأليف من جهة أخرى ، لقد اهتمّ الجاحظ بالفعل اللغوي و اعتبره الأساس لكلّ عملية بيانية حجاجية ، و لأهميّة هذا الفعل عنده نجده يعقد رسالة خاصّة في " تفضيل النطق على الصمت " و

¹ - محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد، ط1، 2008، ص211.

² - عباس حشاني ، خطاب الحجاج و التداولية ، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي ، عالم الكتب الحديث ، اربد ، الأردن ، ط 1 ، 2014 ، ص30

³ - الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ج1 ، د ط ، د ت ، ص220.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

يتوسّل في إثبات هذا الأمر — الذي قد يبدو بديهيًا — ببناء حجاجي محكم و متنوع ، فيه الأدلة القرآنية و الشعر، و الثقافة و المنطق ... الخ¹

إلى جانب الجاحظ نجد السكاكي في كتابه " مفتاح العلوم " و مختلف القضايا التي تناولها ، فهي حسب تعبيره علم الصرف و تمامه ، و علم النحو و تمامه ، و تمام تمامه [...] من هنا انقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام : الأول علم الصرف و الاشتقاق و الثاني في علم النحو و الثالث في علمي المعاني و البيان و ما يكملهما من المعرفة بالحد و الاستدلال.²

فيوادر الدرس الحجاجي نستشفها من خلال حديث السكاكي عن المقام في مبحثه المعاني و البيان و يظهر ذلك جليا في قوله : " إذا تحققت أن علم المعاني و البيان هو معرفة خواص تراكيب الكلام و معرفة صياغات المعاني ليتوصل بها إلى توفية مقامات الكلام حقها بحسب ما يفى به قوة ذكائك ، و عندك علم أنّ مقام الاستدلال بالنسبة إلى سائر مقامات الكلام جزء واحد من جملتها و شعبة فردة من دوحتها ، علمت أن تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي و معرفة خواصها مما يلزم صاحب علم المعاني و البيان " ³

نفهم من خلال هذا القول ربط السكاكي علم المعاني و البيان بالاستدلال ربطا وثيقا ، إلى جانب ذلك اهتم بالعملية التواصلية في إنتاج الخطابات و المقام التخاطبي و مراعاة ظروف و أحوال الجمهور و طرفا الرسالة (مُخاطَب و مُخاطَب) ، " اختلاف المقام يعني اختلاف الخطاب من جهة ، و قيمة المقام في التمييز بين نوعية التخاطب من جهة أخرى من شأنه أن يساعد الباحث في اكتشاف العلاقة بين المحاجج و المحاجج و ذلك بالنظر إلى المقام و المتكلم هل شكره أم ذمّه ، أهناه أم أهانه ، رغبه أم رهبه ، و مادام الحجاج طبيعة في كل خطاب فهو أيضا مختلف من خطاب لآخر و كلّ خطاب له طريقة حجاج حسب مقامه " ⁴

و المصطلح الحجاجي الذي يمكن رصده في أقوال السكاكي و إدراجه ضمن البحث و الدرس الحجاجي ، هو الكلام الاستدلالي و نظم الدليل ، و القصد و مراعاة حال المتكلم و السامع و المقام.⁵

1 - محمد سالم محمد الأمين ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 211

2 - محمد عابد الجابري ، بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظام المعرفة في الثقافة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، ط 7 ، 2004 ، ص 91

3- السكاكي ، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي ، مفتاح العلوم ، تحقيق عبد الحميد هندواوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى، 2000 ص 432

4 - عباس حشاني ، خطاب الحجاج و التداولية ، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي ، ص 37

5 - المرجع نفسه ، ص 37

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و بعد هذه الدراسة المتواضعة في مفتاح العلوم يبرز أنّ الحجاج انطلق من فكرة مقتضى الحال و لكل مقام مقال مروراً بعلاقته مع علم المعاني و البيان و النحو و المنطق ، وصولاً إلى علم الحد و الاستدلال . فكلية الاستدلال فيها ما يكفي لترتبط من جهة بالحجاج و لتدلّ من جهة أخرى عن تناول البلاغيين العرب القدامى البحث الحجاجي ، بحثاً في الخطاب بصفة عامة و في الخطاب الحجاجي بصفة خاصة ، و دليلنا في ذلك التكملة التي أفردتها السكاكي بعنوان تكملة في الحد و الاستدلال ، إضافة إلى ما قدمه فيما يخص المتكلم و السامع و ما يتعلق بالخطاب من شرط الصواب و النجاعة و القصد و المقام ، فهذه العناصر بتكاملها تشكل بحثاً في الخطاب الحجاجي من جانب أنّها عناصره.¹

من خلال هذه الآراء نلاحظ جلياً كيف ظهرت اللبّات الأولى للتفكير الحجاجي عند علمائنا العرب و في مقدمتهم الجاحظ من خلال اهتمامه بقضية الفعل اللغوي إلا أنّها كانت بطرائق غير مباشرة ، فالفعل اللغوي ظهر بشكل واضح عند العلماء العرب أمثال أوستن و تلميذه سيرل بلا منازع ، فجّل ما اهتم به الجاحظ هو المقام و علاقته الداخلية و الخارجية انطلاقاً من مقولته الشهيرة " لكلّ مقام مقال " التي أضحت و على مرّ السنين انطلاقة عملاقة في مجال النقد البلاغي و الأدبي .

2- حديثاً :

سنتناول في هذه السطور أهم المدارس العربية التي أولت اهتماماً بالبلاغة المعاصرة بصورة عامّة و الحجاج بصورة خاصّة ، و نستهلّها بالمدرسة المصريّة ، كونها كانت سبّاقة لذلك . لقد انطلقت هذه المدرسة في إعادة قراءتها للتراث البلاغي في ضوء المقولات التّقديّة المعاصرة " و توالى بعد ذلك الدّراسات البلاغيّة و الأسلوبية على حدّ السّواء محاولة الاستفادة من الدّرس التّقدي الغري ، لكن يلاحظ أنّ معظم هذه الدّراسات غلب عليها الاهتمام بإعادة بعث التراث العربي القديم بدءاً من الجاحظ ، وصولاً إلى السّكاكي و القزويني ، و السيوطي ، فقد اهتمّت بالتّاريخ الذي قطعتة البلاغة العربيّة منذ عصر التّدوين حتّى عصور التّعقيد الرّسمي و القولية النظريّة النهائيّة "².

1 - عباس حشاني ، خطاب الحجاج و التداولية ، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي ، ص 42

2- محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص 218.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و لعلّ من أهمّ المحاولات الجادّة و الواعية التي تطالعنا دراسات أحمد الشّايب تحت عنوان " الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية " ، ... و منهم من حاول دراسة جانب خاص و محدّد من البلاغة العربية متخذاً لذلك منهجاً محددًا ، مثل دراسات أحمد مطلوب المتعددة حول البلاغة العربية القديمة و علاقتها بالأسلوبية الحديثة ، و أيضا كتبه القديمة مثل البلاغة عند السكاكي (1964) ، و مصطلحات بلاغية (1972) و مناهج بلاغية (1973)¹

و المدرسة المغاربية بزعامة " حمادي صمود " صاحب البحوث المتنوّعة في هذا المجال ، كما نجد "محمد العمري" الذي كانت له الريادة و ذلك لانتباهه المبكّر إلى دور الحجاج في قراءة النصوص البلاغية و الخطابية ، و هو انتباه وُلد لديه اطلاعه المكثّف على نصوص التراث العربي و الغربي قديهما و حديثهما².

يعد محمد مفتاح من الجيل الأول من النقاد المعاصرين و قد توفرت لديه ثقافة واسعة و متنوعة من مختلف ميادين الدراسة الإنسانية ... و نحن إذا نظرنا إلى مشروع النقد المعرفي هذا أمكننا تفصيله إلى مرحلتين متميزتين لكنهما متكاملتين : الأولى يمكننا تسميتها " المرحلة البلاغية التأويلية " و يمثلها خير تمثيل كتابه " التلقي و التأويل " ، أما الثانية فيمكننا أن نسميها " التناص و المثاقفة " و خير ما يمثلها كتاباه : " المفاهيم معالم " و " مشكاة المفاهيم"³

إذا كان محمد مفتاح و هو الأستاذ المشرف على أطروحة العمري (1989) قد تبوّى مشروعاً نقدياً بدأه بلاغياً و انتهى فيه ناقدا معرفياً ، فإنّ محمد العمري قد اهتم بالبلاغة العربية القديمة ، باحثاً في نصوصها الإبداعية الشعرية و النثرية و ما يتصل بهما من خطابات نقدية عن علاقات التداخل و الترابط بين هاتين الصناعتين و دورهما في بلورة مفهوم البلاغة العربية ... و قد أعرب عن هذا الإحساس و ذلك الوعي كتابه : " في بلاغة الخطاب الإقناعي 1986 " ... هذا فضلاً عن إدارته للعديد من المجالات المتخصصة في الدراسات الأدبية و السيميائية و اللسانية التي أكّدت من خلالها إحساسه بما لبلاغة الحجاج من دور في الخطاب الأدبي الفني المعاصر ، و من أهم كتب العمري في البلاغة المعاصرة كتاباه : " البلاغة العربية أصولها و امتداداتها " و " الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية " .⁴

1 - محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر ، ص 218

2- المرجع نفسه ، ص 243.

3 - المرجع نفسه ، ص 245

4 - المرجع نفسه ، ص 255

كذلك نجد المدرسية التونسية خير مثال على ذلك إذ " كانت انطلاقة لا مثيل لها إذ تعتبر هذه المدرسة من المدارس التي اهتم أعضائها منذ وقت مبكر بالدراسات الأسلوبية عامة و البلاغية خاصة و من أهم أعضائها عبد السلام المسدي و حمادي صمود ... حمادي صمود من الباحثين العرب المعاصرين القلائل الذين تبنا البلاغة بمفهومها الواسع (الشرقية و الغربية القديمة و المعاصرة) خيارا بحثيا منذ فترة السبعينات ، و على وجه التحديد عند ظهور أطروحته " التفكير البلاغي عند العرب أسسه و تطوره إلى القرن السادس " التي تعد مشروعا للقراءة و قد نوقشت في سنة 1980 " ¹

و حاصل النظر فيما أوردناه عن هذه المدارس أنها أفادت الدرس اللساني الحديث بدرجة واضحة و أضافت كل حسب انشغالاتها و موضعها فقد عمدت على توعية القارئ العربي بهذا التيار و أهم مفاهيمه و مصطلحاته ثم دور النظريات الحجاجية في تحليل الخطابات المعاصرة ، فالتيار الحجاجي من أهم التيارات التي لاقت رواجاً دفعت معظم القراء و الباحثين على الغوص في ثناياه و ما يحمله من مقومات و آليات تداولية حجاجية موجودة في بطون و عقول علمائنا العرب القدامى منذ الأزل.

ثالثاً : الحجاج عند الغرب

1- قديماً :

1-1- الحجاج عند السوفسطائيين :

السفسطائية هي حركة " برزت في القرن الخامس قبل الميلاد ، و قد تميّز روادها بالكفاءة اللغوية البلاغية و بالخبرة الجدلية ، و يتجلى ذلك من خلال تسميتهم التي تعني الحكيم الخبير بكل فن و أسلوب " ² إنّ وجود هذه الحركة أسهم في : " تطوير البلاغة القولية التواصلية خاصة و الحياة الفكرية عامة ، فقد كانوا يعتقدون نقاشات فلسفية ذات منزع لغوي توليدي للأفكار الأمر الذي أسفر عن اهتمام بالغ بالطرائق الحجاجية الإقناعية " ³

1 - محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر ، ص 272

2 - المرجع نفسه ، ص 24

3 - المرجع نفسه ، ص 24

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

إذ ركزت - السفسطائية - على بنية الكلمة و الجملة على حدّ سواء و تمّ تركيزهم على الوسائل التي يتحقق بها الإقناع إذ انصبّ اهتمامهم على " بنية كل من الكلمة و الجملة ، و بحثوا في السبل الممكنة التي بها يتحقق الإقناع و تغيير مواقف الآخرين ، و قد استعانوا في سبل تلك الغاية بخبرة بالغة في مقامات تلك الناس و القول معا ، و أيضا آليات إجراء اللغة بحسب المقاصد و الظروف التواصلية ، كما اهتموا ببلاغة القول و متعلقاتها " ¹ إذ عمدوا كذلك في " ممارستهم للحجاج إلى بناء حججهم على فكرة النفعية المتعلقة باللذة أي الهوى و قد أفضت بهم هذه الفكرة إلى توجيه الحجاج بحسب مقتضى المقام ، و تعتبر فكرتنا " التوجيه " و " التوظيف " من الأفكار السفسطائية التي سيكون لها دور بنائي قوي في معظم البحوث الحجاجية المعاصرة " ²

فالحجاج عند السفسطائيين يهدف إلى تحقيق التأثير و استمالة المتلقين على المستوى العقلي و النفسي إذ أنّ " الأفكار التي أتى بها السفسطائيين النفعية و اللذة أفضت بهم إلى توجيه الحجاج بحسب مقتضى المقام الذي يدور فيه الحوار ، و ذلك بتوظيف سلطة القول ، و فكريّ التوجيه و التوظيف ، و هذه المحطات سيكون لها دور بنائي في معظم البحوث الحجاجية " ³

و قد انتقدهم أرسطو و حجته في ذلك أنّ خطاباتهم فيها العديد من الأغاليط الدلالية " و الشيء الذي جعل أرسطو ينتقدهم على نطاق أوسع هو التقنية الحجاجية التي يعتمدها السفسطائي ، و هي المبنية على مغالطات دلالية متنوعة ، التي تهدف إلى التلاعب بمعنى المقدمات أو إحداها ، و جعل القياس مخالف للتوقع و موافق لمآدب السفسطائي ، و الأمر نفسه جعل أرسطو يصوغ أنماطا من الحجاج المضاد لكل مغالطاتهم " ⁴ و لئن قوبلت تقنيات الحجاج التي أتى بها السفسطائيون بالنقد ، فإنّه يتجلى من خلال هذه الأفكار أن الحركة السفسطائية حركة حجاجية ، فقد أسسوا ذلك من منطلقات فلسفية و أخرى منطقية و كان لهم أسلوبهم الخاص و نظرتهم المتميزة لاستمالة السامع و إقناعه و إفحامه بما كانوا يرونه محققا لذلك.

1 - محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر ، ص 25

2 - المرجع نفسه ، ص 27

3 - المرجع نفسه ، ص 27

4 - عباس حشاني ، خطاب الحجاج و التداولية، (دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي) ، ص 22

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و نخلص إلى أنّ الحركة الفلسفية السفسطائية الحجاجية التي ظهرت في وقت مبكر من تاريخ الدراسات البلاغية الحجاجية الغربية ، جسّدت الحجاج و ما يتعلق به من أبحاث فلسفية ، فقد ظهرت و إن لم يكن بهذه المصطلحات اللسانية المعروفة اليوم ، حيث أصبحت تعرف هذه الحركة باسم خاص ينسب إلى طريقتها في الكلام و الخطاب و خبرتهم البلاغية و هو الحجاج السفسطائي.¹

إنّ هذه الحركة السفسطائية لاقت نقدا لاذعا و خاصة من قبل أفلاطون و أرسطو على وجه التحديد ، خاصة في المسائل المتعلقة بطرائق إنتاج الحجاج و آلياته و أهدافه كالتبكيك و الإقناع في الخطأ و مخالفة المشهور و غيرها من الانتقادات و استعمالهم لصيغ غير معروفة أو مألوفة إلى جانب المغالطات و الإبهام و جعل ما ليس بعلة علّة و غيرها

لكن هذا لا يمنع من أهمية هذه الحركة أو اهتمامها بالنقاشات اللغوية المختلفة التي مهّدت و لو بشيء يسير لظهور بواد الحجاج و آلياته .

1-2- الحجاج عند أرسطو :

إنّ نظرية الحجاج تضرب بجذورها إلى الحضارة اليونانية القديمة إذ أنّ بدايات الدرس الحجاجي نجده مع الفلاسفة اليونانيين من خلال اهتمامهم بقضية الحوار و المحاوره ، و البرهان و ذلك بهدف الإقناع و التأثير خاصة فيما سمّوه بفن الخطابة و كتاب أرسطو خير مثال على ذلك ، فلقد ربط بين الكلام و عملية الإقناع ، فالمتكلم يردف من وراء الخطابة إلى فن إقناع السامعين و استمالتهم انطلاقا من النص الخطابي أي الحجاجي . و فحوى كتابه الشهير من خلال تقسيمه إلى مقدمة و ثلاث مقالات :

" — المقدمة : و هي مدمجة في المقالة الأولى ، حيث حدّد فيها أرسطو طبيعة الخطابة و علاقتها بالعلوم و الفنون الأخرى ، مثل الجدل و الأخلاق و السياسة و الشعر ، و قسّمها حسب المقامات إلى استشارية و قضائية و تقويمية (مدح و هجاء) .

— المقالة الأولى : الأخلاق و الأدلّة المناسبة و الوسائل الإقناعية الصناعية الخاصة بالخطابة القضائية .

— المقالة الثانية : الأحوال النفسية المؤثرة في المخاطبين و الأقيسة الخطابية و الأمثال .

¹ - عبّاس حشاني ، خطاب الحجاج و التداولية، (دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي) ، ص22

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

— المقالة الثالثة : الأسلوب و ترتيب أجزاء القول . " 1

فهذا التقسيم الدقيق مرتبط ارتباطا وثيقا بالحجاج " و لئن كان البلاغيون العرب القدامى تناولوا مفهوم الاستدلال في أبحاث البيان و المعاني و جعلوه في دائرة التشبيه و الاستعارة و المجاز . و هذا ما نجده عند السكاكي ، فإنّ الاستدلال عند أرسطو تفكير عقلي يتم إنتاج العلم بواسطته ، و هو الدعامة الأولى التي تأسست عليها دراسته للحجاج ، فدراسته تأسست على دعامتين كبيرتين : الأولى يختزها مفهوم الاستدلال و الثانية تقوم على البحث اللغوي الوجودي " 2

إذ جلّ اهتمام أرسطو و تركيزه على صورة الاستدلال و الصور القياسية تحديدا ، فالاستدلال " قول مؤلّف من أقوال إذا سلّم به لزم عنها بالضرورة قول آخر " 3

إنّ (الاستدلال الحجاجي في الخطاب الفلسفي عامة و البلاغي خاصة ، بوصفه تلك المنهجية أو الطريقة العقلية التي يسلكها الفيلسوف و البلاغي الناقد و المبدع أيضا بهدف إرساء حقيقة معينة و ما يقتضيه ذلك الإرساء من عمليات عقلية منطقية تدعم ذلك الطرح دعما حجاجيا من جهة و أساليب إفحامية توجيهية من جهة أخرى) 4 إنّ ما قدّمه أرسطو باختصار حين تحدث عن الخطابة قدّم فيه مجموعة من طرق الإقناع التي تتعلق بالخطيب (المتكلم) و التي يتوجه بها إلى مخاطب (متلقي) و ذلك عبر خطاب (رسالة) و هو ما عبّر عنه بمصطلحات : الإيتوس و الباتوس ، و اللوغوس ، فالباتوس يكون التأثير و الإقناع من خلال اللعب على مشاعر الجمهور و عواطفهم بالكلام الجميل و الفصاحة و البلاغة و الإيتوس يكون التأثير من خلال الشخص ذاته و مكانته و سلطته و ثقافته الأخلاقية و المعرفية و الاجتماعية و الدينية. في حين اللوغوس يتم التأثير بالقول من خلال صدقه و منطقيته و بمادته المعرفية و العلمية فهو لا يحتاج للقوة لإثبات صدقه لأنّه صادق. فالباتوس مرتبط بالمتلقي ، الإيتوس مرتبط بالمخاطب ، أما اللوغوس مرتبط بالخطاب . إذ شكّلت الحجر الأساس للدراسات المعاصرة لدى كافة الباحثين و العلماء حديثا من خلال التفاهم على وضع نظريات و أسس متينة متحركة في قواعد التخاطب جوهرها الإقناع .

1 - محمد العمري ، البلاغة العربية و أصولها و امتدادها ، دار إفريقيا الشرق ، المغرب ، 1996 ، ص 271

2 - محمد سالم محمد الأمين ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 36

3 - المرجع نفسه ، ص 37

4 - المرجع نفسه ، ص 37

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

يتميز أرسطو بثلاثة أنواع من الحجج ، الحجج الأخلاقية ، الحجج المثيرة للشفقة ، و الحجج المنطقية، فالأولى تهدف إلى إقناع المستمع بصدق الملقى ، و الثانية تهدف إلى تحريك مشاعره ، أما الثالثة و الأخيرة يجب أن تقنع بذكاء المستمع.

بعض الحجج يمكن استخدامها في الكثير من أنواع الجدل نسميها الأماكن المشتركة المكان المشترك من النوع المنطقي و على سبيل المثال : الكلّ أكبر من الجزء يمكن استخدامه كحجج في كثير من الحالات .
في العصور القديمة كانت هناك قوائم بهذه الحجج التي كانت موضوعا للتدريس و كانت معروفة من طرف جميع الملقين.¹

و بناء على ذلك " يكون أرسطو قد حوّل مسار الخطابة و الحجاج عامة من كونهما قائمين على التأثير و التحريض و التملق ، إلى كونهما عمليتين برهانيتين عقليتين من جهة ، و داخلتين في مجال الاجتماع الإنساني من جهة ثانية " ²

بناء على الحجج الأرسطي يتضح نظرة أرسطو إلى الحجاج من منظور بلاغي واضح و شامل يؤرته التركيز على أطراف العملية التواصلية إذ لم ينظر إلى الحجج نظرة عابرة و مختزلة بل كانت نظرة ثابتة مميّزة هذا من جهة ، و من جهة أخرى رفضه الأساليب السفسطائية و دعوته لبلاغة جديدة مرهونة بأطراف (متكلم ، خطاب ، مستمع) .

2- حديثا :

نقف في التوجه اللساني الحديث عند قطبين هما : "بيرلمان" و "تيتيكا" ، " فقد مثّلت الحججات اللسانية مجاوزة حقيقية لكثير من الأفكار التي تبلورت في إطارها لتتمكن بفضل ذلك من رسم معالم دقيقة لدرس جديد مستقلّ بموضوعه ، درس ينطوي على نضج نظري يخرج من دائرة النظريات الفلسفية ليلحقه بالممارسات العلمية اللسانية " ³.

¹ - Gilles Siouffi et Dan van Raemdonck , 100 Fiches pour comprendre la linguistique, P184

² - محمد سالم محمد الأمين ، الحجج في البلاغة المعاصرة ، ص 41

³ - حافظ اسماعيل علوي، الحجج مفهومه و مجالاته : دراسة نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة الحجج مدارس وإعلام، ج 2 ، د.ط ، د.ت ، ص79.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

إنّ هذه الجهود حوّزت في إعادة النَّظر في البلاغة اليونانية القديمة ، و قرائتها من منظور جديد ، فالحججاج قد عرف اهتماماً ملحوظاً في بلاغتي التّأويل و التلقّي ، إلّا أنّ تأصيله كمبحث قد برز مع جهودات المدرسة البلجيكية و في مقدّمها البلجيكي "بيرلمان" من خلال ما قدّمه من بذور جديدة.

2-1- الحججاج عند "بيرلمان" و "تيتيكا" :

لقد اهتم كلّ من بيرلمان و تيتيكا بطريقتين أساسيتين و هما : طريقة الوصل (procédé de liaison) من ناحية ، و طريقة الفصل (procédé de dissociation) من ناحية أخرى ، و المقصود عندها بطرائق الوصل أو الطرائق الاتصالية الطرائق التي تُقرب بين العناصر المتباينة في أصل وجودها فتتيح بذلك قيام ضرب التضامن بينهما لغاية إبراز تلك العناصر في بنية واضحة ، و لغاية تقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويماً إيجابياً أو سلبياً . و قد حصر الباحثان هذه الأشكال الاتصالية في ثلاثة أنواع من الحجج هي الحجج شبه المنطقية التي تستمد طاقتها الإقناعية في مشابقتها للطرائق الشكلية و المنطقية و الرياضية في البرهنة ، و الحجج المؤسسة على بنية الواقع من قبيل الربط السببي و حجة السلطة ، و الحجج المؤسسة لبنية الواقع شأن المثل و الشاهد و التمثيل و الاستعارة.¹

أما طرائق الفصل أو الطرائق الانفصالية فهي تلك الطرائق التي تقوم على الفصل بين عناصر تقتضي في الأصل وجود وحدة بينها و لها مفهوم واحد . فهي عناصر راجعة إلى اسم واحد يعيّنهما ، و إنّما وقع الفصل بينها و عُمد إلى كسر المفهوم الواحد الذي يجمع بينهما لأسباب دعا إليها الحججاج . و يبني الحججاج القائم على كسر وحدة المفهوم بالفصل بين عناصره المتضامنة ، على زوج : الظاهر / الحقيقة ، و يمثل الظاهر الحد الأول ، و الحقيقة الحدّ الثاني ، و كل الأشياء و الأنام و المعطيات يُمكن أن يكون لها حدان ، فهي من ناحية لها ظاهر هو الشيء أو الإنسان أو المعطى كما هما هو مشاهد معين فذلك هو الحد الأول ، و هي من ناحية لها حقيقة هي جوهر ذلك الشيء أو الإنسان أو المعطى و صورته فذلك هو الحد الثاني ...²

2-2- الحججاج عند تولمين :

يمكن لنا أن نستخلص مفهوم الحججاج عند تولمين من الرسوم الحججائية المختلفة التي صاغها في كتابه :³

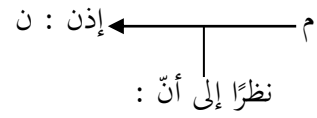
1 - عبد الله صولة، الحججاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، منشورات كلية الآداب والفنون، تونس، منوبة، ط 2001، ص 1، ص 32

2 - المرجع نفسه ، ص 33

3 - المرجع نفسه ، ص 22 - 23

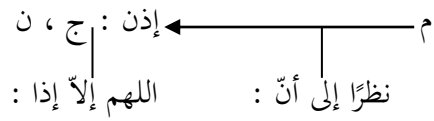
الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

- الرسم الأول : و فيه نجد الرسم الحجاجي ذا ثلاثة أركان أساسية هي المعطى (م) و النتيجة (ن) و الضمان (ض) و يُصاغ نظريا على النحو التالي :



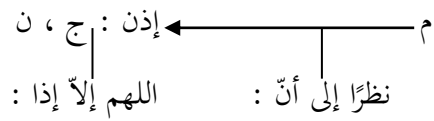
ض (1)

- الرسم الثاني : و هو تدقيق للرسم السابق بأن أضيف إليه عنصران هما عنصر الموجه و نصطلح عليه بـ (ج) و عنصر الاستثناء (س) الذي يمثل شروط رفض القضية فأصبح كالتالي :



ض (2) س

- الرسم الثالث : و فيه مزيد تدقيق بإدخال عنصر الأساس (أ) الذي يبنى عليه الضمان (ض) ، فيكون الرسم كالتالي :¹



ض
س
بحكم أنّ :

2-3- الحجاج عند "ديكرو" و "انسكومبر" :

إنّ هذه النظرية التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي أرفالد ديكرو (O. Ducrot) منذ سنة 1973 نظرية لسانية تهتم بالرسائل اللغوية و بإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم و ذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما ، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية ، ثمّ إنّها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها : " أننا نتكلم عاقبة بقصد التأثير "²

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص 22 - 23
² - أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، العمدة في الطبع ، المغرب ، ط 1 ، 2006 ، ص 14

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

لقد تحدث عن الحجاج في مؤلفه المشترك مع أنسكومبر (Anscombe) المعنون بـ : (l'argumentation de la langue) " الحجاج في اللغة " ليُقرَّ بأنَّ الحجاج متجذر في اللغة أي أنه لا يمكن فصل اللغة عن الحجاج و العكس صحيح ، إذ يقولان في هذا الصدد : " إنَّ الحجاج يكون بتقديم المتكلم قولاً ق1 (أو مجموعة من الأقوال) يفضي إلى التسليم بقول آخر ق2 (أو مجموعة من الأقوال)¹ و من أمثلتهما على ذلك : " إنَّ في قولنا لنخرج إلى النزهة بما أنَّ الطقس جميل أو في قولنا : الطقس جميل فلنخرج للنزهة ، يكون ق1 هو الطقس جميل ، و ق2 هو فلنخرج للنزهة " ²

و قولهما كذلك : " على أنه بالإمكان أن يكون ق2 و هو النتيجة ضمناً لكن بشرط أن يكون التوصل إلى هذه النتيجة سهلاً يسيراً و المثال على ذلك هذا الحوار :

هل ترغب في مرافقتي لنشاهد هذا الشريط السينمائي ؟ لقد شاهدته حيث يكون الجواب بـ : " لقد شاهدته " دليلاً موصلاً إلى الجواب الضمني بـ : " لا " ³

إن ما سعى إليه ديكر و نظريته هو التأثير في المتلقي فليس غايته الإخبار أو تقديم معلومات حول القضية التي يسعى إليها المتلقي .

كما ركّز " ديكر و " و " أنسكومبر " في كتابهما السالف الذكر على التداوليات المدججة ، التي كانت تقوم على تصور خطي لعلاقة التركيب و الدلالة و التداول ، هذا التصور الذي كان يعتمد في دراسة اللغة ، كما يفيد أيضاً " ديكر و " بجانب مهم و هو السلم الحجاجي بعدما لاحظ أنَّ الأقوال الحجاجية ليست على درجة واحدة من القوة بل تتفاوت في قوتها الحجاجية. ⁴

2-4- الحجاج عند ميشال ماير :

فقد عرف الحجاج بقوله : " الحجاج هو دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام و ضمنيه " ⁵ إذن فالحجاج عنده يقوم على الصريح و الضمني .

1 - عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص 33

2 - المرجع نفسه ، ص 34

3 - المرجع نفسه ، ص 34

4 - حسين بو بلوطة ، الحجاج في الإمتاع و المؤانسة لأبي حيان التوحيدي ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية (تخصص لسانيات الخطاب) ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2009 - 2010 ، ص 27

5 - عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص 37

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

فالحجاج الضمني حسبه هو الذي يوجد في معنى الجملة الحرفي شارة حجاجية تؤدي إلى ظهوره وفق ما يمليه المقام و تلوح بنتيجة ما تكون مقنعة أو غير مقنعة.¹

و لكن أهم ما رصده في العملية الحجاجية هو ربطه نظرية الحجاج بنظرية المساءلة ، فالحجة عنده عبارة عن جواب أو وجهة نظر يجاب بها عن سؤال مقدر يستنتجه المتلقي ضمينا من ذلك الجواب ، أو يمكن أن نقول أنّ الحجة هي عبارة عن جواب لسؤال ضمني يستخرج من الجواب نفسه.²

فالسؤال عنده هو عبارة عن مشكلة تتطلب إجابة ، تكون هذه المشكلة موجودة فيها ، فالمتلقي في هذه الحالة يعتبر هو الذي يطرح الأسئلة من خلال الجواب المصرح به و هو الحجة و لكن بمساعدة معطيات مقامية.³

و يمكنه أن تمثله كالتالي :

حجاج صريح ← الحجة (و هو جواب مصرح به)
حجاج ضمني ← سؤال (يكتشفه المتلقي بمعطيات مقامية)

رابعا : أنواع الحجاج :

يمكن تصنيف الحجاج إلى ثلاثة أنواع رئيسية ، لا على سبيل الإحصاء ، و إنما على سبيل الحصر كونها الأكثر تداولاً من حيث الدراسة ، فقد ذكر " طه عبد الرحمن " هذه الأنواع في كتابه المعنون ب : اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي) و استهله بالحجاج التجريدي و يُقصدُ به الإتيان بالدليل على دعوى عن طريق أهل البرهان علما أن البرهان هو الاستدلال الذي يُعني بترتيب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر على مضامينها و استعمالها " ⁴ " مبينا أنّ الحجّة المجردة ليست إلّا مظهرا فقيرا من مظاهر الاستدلال في الخطاب الطبيعي و تنبني أصلا على اعتبار الصورة و إلغاء المضمون و المقام".⁵

1 - عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص 37

2 - المرجع نفسه ، ص 38

3 - المرجع نفسه ، ص 39

4 - طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 226.

5 - المرجع نفسه ، ص 227.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

نفهم من خلال ما قدّمه طه عبد الرحمن إذا كان الحجاج التجريدي هو الإتيان بالحجّة على اعتبار الصّورة و الشكل ، فهذا النوع من الحجاج هو توجيه الحجّة و تحقيق التّواصل ، ما يسمى بالحجاج التّوجيهي و يُقصد به "إقامة الدليل على الدّعوى بالبناء على فعل التّوجيه الذي يختصّ به المستدلّ حجّته إلى غيره" ¹ و يمثّل لهذا النوع من الحجاج بالأفعال اللّغوية التي نفي فقط بالجزء الذي يخصّ المرسل من الاستدلال لأنّه لا يفترض حجج المرسل إليه ² .

و هي تنبني أصلاً على اعتبار فعل المخاطب و إلغاء دور المخاطب ³.

بناءً على ذلك يمكن القول إن الحجاج التّوجيهي يركّز على فاعلية المرسل لأنه يقوم بفعل توجيه الحجّة. نجد أن النوعين السّالف ذكرهما بين طرفين اثنين (المرسل و المرسل) في حين يكون النوع الثالث للحجاج بين المرسل و ذاته ، فيكون بإقامة حوار حقيقي بينه معترضاً على دعواه ، و مقيماً الحجّة على نفسه ، هذا ما يسمى بالحجاج التّقويمي و يقصد به "إثبات دعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذات ثانية ينزلها منزلة المعارض على دعواه" ⁴.

و العملية التي تكتنف هذا الصّنف من الحجاج هي ما يسمّيه إيميرز وجرو تندورست " بالحوار الضّمّني و غرضه هو درء الشكّ المتوقّع من المرسل إليه " ⁵.

لذلك يُمكن القول إنّ هذه الأنواع الثلاثة للحجاج قد وردت بتدرّج ، بدءاً بالحجّة التجريدية التي ركّزت على الصّورة و الشكل، انتقلاً إلى الحجّة التّوجيهية التي أضافت المعنى و المضمون ، ما يجعلها تحقّق الوظيفة التّواصلية بمعنى تحقيق القصد من الحجاج ، إلّا أنّ هذا النوع ألغى دور المتلقّي و جعل بؤرة اهتمامه على المرسل وحده ممّا يستدعي وجوباً حجّة التّقويم التي تضع المرسل إليه في الحسبان من خلال الحوار الدّاتي القائم بين المرسل و نفسه بغرض درء الشكّ المتوقّع من المرسل إليه.

¹ - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 227.

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 473.

³ - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 228.

⁴ - المرجع نفسه، ص 228.

⁵ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص 473.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

خامسا : تقنيّات ووسائل الحجاج :

لقد قسّم كل من "بيرلمان" و زميله تقنيّات الحجاج إلى قسمين يخصّ تقنيّات الحجاج اللُّغويّة ، متمثّلة في طرائق الوصل ، و طرائق الفصل " و يُفصّدُ بالأولى ما يتمُّ به فهم الخطط التي تقرب بين العناصر المتباعدة في الأصل لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيمها ، و كذلك تقويم كلّ منها بواسطة الأخرى سلبا و إيجاباً و تقنيّات الفصل هيّ التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تُعدُّ كلاً واحداً أو على الأقلّ مجموعة متّحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها"¹.

و يمكننا تقسيم تقنيّات الحجاج إلى :

• الأدوات اللُّغوية الصّرفية:

مثل ألفاظ التعليل ، بما فيها الوصل التّسيي و التّركيب الشّرطي و كذلك الأفعال اللُّغوية و الحجاج بالتّبادل و الوصف ، و تحصيل الحاصل.

• الآليّات البلاغية:

مثل تقسيم الكلّ إلى أجزاءه ، و الاستعارة ، البديع ، التّمثيل.

• الآليّات شبه المنطقيّة :

و يجسّدُها السّلم الحجاجي بأدواته و آليّاته اللُّغوية ، و يندرج ضمن كثير منها مثل الرّوابط الحجاجية : لكن حتّى فضلا ، من ، ليس ، كذا ، فحسب ، أدوات التّوكيد ، و درجات التّوكيد و الإحصاءات ، و بعض الآليّات التي منها صيغ الصّرفية مثل التّعدية بأفعال التّفضيل و القياس و صيغ المبالغة.²

أمّا بخصوص إستراتيجية الحجاج و هي الإقناع ، و تكون غاية لممارسته من قبل المتكلّم فإنّ الوسائل و التّقنيات التي تقع تحت إستراتيجية الإقناع هي :

1- الوسائل اللّسانية :

و المقصود بها أدوات الاتساق و الانسجام ، و يمكن استعمالها-أدوات الاتساق استعمالاً حجاجياً من أهمّها :

1-1- الإحالة :

¹- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، ص 477.

²- المرجع نفسه ، ص 477.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و تكمن حججياتها في " أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتف بذاتها من حيث التأويل ، إذ لا بُدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها"¹ ، و هي تنقسم إلى نوعين : إحالة مقامية و أخرى نصية و الإحالة النصية إلى قبلية و بعدية.

1-2- الحذف :

و هو علاقة داخل النص ، تكمن حججيته في جعل القارئ يملا هذا الفراغ بالاعتماد على ما ورد في الجملة الأولى أو استناداً لما سبق.

1-3- الوصل :

" هو تحديد الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم "².

1-4- التكرار :

" هو شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصراً مطلقاً أو اسماً عاماً"³.

2- الوسائل الأصولية والفلسفية :

2-1- القياس :

و قد سمّاه طه عبد الرحمن بالاستدلال الكلامي في كتابه في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، و هو ما يُعرف بالقياس و المماثلة ، و يُعدّ من أبرز الوسائل الحجاجية استوحاها الخطاب الحجاجي من الفلاسفة و الأصوليين. فالقياس " فعالية استدلالية خطابية"⁴ ، فله تأثير حجاجي في الخطاب ليكون من الوسائل الأكثر نجاعة و إقناعاً علماً أنّ لديه أنواع عديدة منها : القياس البياني ، المماثلة ، القياس العرفاني ، القياس البرهاني.

2-2- التمثيل :

1 - محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام النص، دار المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991، ص16،17.

2 - المرجع نفسه ، ص23.

3 - المرجع نفسه، ص24.

4 - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، ص98.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و فيه العقد " الصلّة بين صورتين ليتمكّن المرسل من الاحتجاج ، و بيان حججه "1، لذا يتقاطع القياس مع التشبيه في العناصر

نخلص ... أنّ القياس آليّة منطقية حجاجيّة ، يمكن للمحاجج أن يعتمد عليها في إقناع المعارض عن كلامه و عليه : " فإنّ الاستدلال القياسي يحتوي على الآليات التي يتوالد بها كلّ خطاب طبيعي و تتكاثر بها أجزاءه ، و تتماسك فيما بينها "2.

3- الوسائل البلاغية :

من أهمّ ما يميّز الكلام بين طرفي التخاطب مع وجود نية التأثير " و اللغات تتفاضل في حقيقتها وجوهرها بالبيان، و هو تأديّة المعاني التي تقوم بالنفس تامة على وجه يكون أقرب إلى القبول ، و ادعى إلى التأثير ، و في صورتها و أجراس كلمتها بعدوبة النطق ، و سهولة اللفظ و الإلقاء ، و الخفة على السمع ، و إنّ للغة العربية من هذه المميّزات الميزان الرّاجح ، و الجواد القارح ، يعرف ذلك من أخذها بحقّ ، و جرى فيها على عرق ، فكان من مفرداتها على علم ، و ضرب في أساليبها بسهم "3 و المقصود من هذا الكلام أنّ الذي يحسن استعمال اللغة بفنوتها ، يبلغ مراده من السامع ، و نشير إلى الحجاج بالمجازي باستخدام الصّور البيانية المختلفة " و اعلم أنّ ممّا اتّفق العقلاء عليه أنّ التّمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه و نُقلت عن صوّرها الأصلية إلى صورته كساها أُمّة ، و كسبها منقّبة و رُفع من أقدارها ، و شبّ من نارها و ضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، و دعا القلوب إليها ، و استشار لها من أقاصي الأفئدة صباة و كلفا ، و فسّر الطّباع على أن تعطيهما محبّة و شغفا "4.

و معنى هذا الكلام يكون التشبيه أبلغ إذا وقّف المتكلّم في حسن اختيار الصّورة المناسبة ، و طبيعة المقام ، فما يكون أبلغ في الفخر لا يصلح في الذّم و المدح.

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، ص497

2- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص115.

3- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط2، د.ت ، ص01.

4- المرجع نفسه ، ص01.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

" و إن كان حجاجًا كان برهانه أنور ، و سلطانه أفهر ، و بيانه أبحر (...) و إن كان وعظا كان أشقى للصّدر ، و ادعى للفكر ، و أبلغ في التنبية و الزجر ، و أجدر بأن يجلى لعيّابه ، و يبصر الغاية و يبرئ العليل و يُشفي الغليل".¹

و تُعدّ الاستعارة من أفضل و أبلغ ضروب المجاز تأثيرا و أشدها واقعا على النفس ، و تأثيرا على العقل ، و تكمن حجاجية الاستعارة مثلا في : " الخاصية التي تغلب على القول المجازي الاستعاري ، هي أن الجنس الذي يدخل فيه المستعار أو قل إن شئت " المستعار منه " يكون مُباينا للجنس الذي يدخل فيه المستعار له".² و نفس الأمر بالنسبة للتشبيه من خلال قوة التأثير في المتلقي و كذا الحال بالنسبة للكناية من زاوية بلاغتها و مجازها ، و الحجاج كما وضحنا سابقا هو تأثير في الخصم باستخدام المجاز يعمد فيه المتكلم ، لأنّ الكلمة في المجاز تخرج من معناها الأصلي المتعود عليه إلى معنى باطني مجازي. و فضل الحجاج بالمجاز " ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك (...) وليس إذا كان الكلام في غاية البيان وعلى ابلغ ما يكون من الوضوح، أعناك ذاك عن الفكرة، إذا كان المعنى لطيفا فان المعاني الشريفة اللطيفة لا بدّ فيها من ثان على أوّل وردنا إلى سابق".³

سادسا : مراتب الحجاج :

1- الحجاج والبرهنة :

نطلق من الحجّة و من " معناها السائر هي إمّا تمشي ذهني يُقصد إثبات قضية أو دحضها ، و أمّا دليل يُقدّم لصالح أطروحة ما ، أو ضدها بهذا المعنى نقابل بين الحجّة **Argument** و البرهان **preuve** و بين الحجاج **Argumentation** و البرهنة **Démonstration** ، و في هذه الحالة فحسب يمثل الحجاج خصوصية تستحقّ دراسة مخصوصة".⁴

¹ - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان ، ص 94-95.

² - المرجع نفسه ، ص 297.

³ - المرجع نفسه ، ص 122 - 123

⁴ - صابر الحباشة، التداولية والحجاج، ص 68.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

بمعنى أنّ البرهان تخدمه الحجّة حتّى يثبت قضية معيّنة ، و السّامع يكون بدوره مدركاً لنتائج القضية المقدّمة و عمل المحاج جانّ يبرهن له عن مدى مصداقيّتها ، أو تكون في ذهنه نتيجة مغايرة لنفس القضية المطروحة ، و على المحاجج البرهنة عليها.

و بإمكاننا " دراسة الحجاج من تحليل التقنيات الخطائية التي تسمح بتعزيز ذلك الميل ، و هذا ما يجعل الاختلاف بين الحجاج و البرهنة أمراً من قبيل المسلّمات ، أمّا البرهنة فهي استنباط يهدف إلى الاستدلال على صدقيّة النتيجة أو احتماليتها القابلة للاحتساب ، و ذلك انطلاقاً من المقدّمات المعترية صادقة أو محتملة و في تقابل مع البرهنة التي يمكن أن تتخذ حساب فإنّ الحجاج يُطلب به الإثبات و الإقناع".¹

من خلال هذا الرّأي نلاحظ الاختلاف الموجود بين الحجاج و البرهنة انطلاقاً من المقدّمات المعروضة ، فالحجاج موسوم بالإثبات و الإقناع هذا جوهره لا محالة.

كما يُمكن اعتبار البرهنة مرتبة أولى بسيطة من الحجاج ذلك لأنّ الحجاج " لا يتمّ توجيهه إلاّ في سياق نفسي اجتماعي، فإذا كانت البرهنة تقع بطريقة مجرّدة في استقلال عن كلّ سياق عدا سياق النّظام و كانت صحيحة أو خاطئة ، مطابقة لقواعد الاستدلال في النّظام أو غير مطابقة فإنّ الحجاج ينهض على حجج مفيدة أو غير مفيدة، قويّة أو ضعيفة مرافقة للخطاب الذي نتوجّه إليه ، و لا يقوم التّفكير الحجاجي على حقائق عامّة و لكن على آراء تهتمّ بأطروحات من كلّ طائفة ، فمجال تطبيق نظريّة الحجاج يتجاوز مجال تطبيق نظريّة البرهنة أيّما يتجاوز

(..)"².

نفهم من خلال هذا القول أنّ الحجاج هو الصّورة الأكبر و الأوسع ، و تكون البرهنة جزءاً يسيراً من هذه الصّورة أو مرئيّة له.

2- الإفحام و الإقناع :

نلاحظه من العنوان أن يكون المتكلّم ذا ملكة حجاجيّة هدفها إقناع السّامع " و تركز هذه النّظرية على التنوع الشّديد للمخاطبين الذين يُتوجّه لهم خطاب مكتوب حجاجي ، هؤلاء المخاطبون الذين يُتوجّه نحوهم الحجاج

¹ - صابر الحباشة، التداولية والحجاج ، ص 69.

² - المرجع نفسه ، ص 69.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

يتراوحون كميًا من فرد واحد إلى البشرية جمعاء ، و يتراوحون كميًا من مجموعة العوام المجتمعين في الساحة العامة إلى الفرق الدقيقة التخصص و العالية الكفاءة فتمّة مخاطب من صنف خاص ، إذ يوازن المتكلم بين الانتصار لشيء أو معارضته ، جاعلا نفسه كائنا مضاعفًا ، إذ يتخذ المتكلم ذاته مخاطب له "1.

فلكل سامع مرتبة من مراتب الحجاج تُمارس عليه من طرف المتكلم ، و ذلك من خلال ثقافة السامع و محيطه و مجتمعه ، فمنهم من يسمع و يقتنع ، و منهم من يتحاجج ، و من هنا ينتقل المحاجج إلى مرتبة الإقناع و بعدها الإفحام معتمدًا على الآليات الحجاجية ، و على المتكلم أن يكون فكرة عن السامع لذا يستوجب عليه إخدام العقل " أي أنّ استعمال العقل ليس أمرًا ذاتيًا خالصًا ، بل هو يستحصر الآخر المخاطب و يقرأ له حساب "2.

و نشرح هذا الرأي أنّ هناك عقول تقبل أي أطروحة و تتفاعل معها في المقابل هناك عقول تسأل و تستفسر لتقنع في الأخير ، " و يتمثل هدف الحجاج التأثير في الجمهور ، و المعيار الأول الذي نقيس خطابًا ما هو نجاحته، بيد أنّه ليس معيارًا كافيًا لأننا لا يمكن أن نُحمل نوعية الجمهور الذي يُوجّه الخطاب إليه ، إنّنا نستطيع التمييز بين خطابات رجل السياسة ، و المحامي و العالم و المفكر و المتكلم (نسبة إلى علم الكلام) و الفيلسوف لا فقط بمواضيعها بل نميزها أيضا خاصة بالجمهور الذي تتوجه إليه تلك الخطابات ، و بحسب التقنيات المستعملة فالإقناع سامع مخصوص تستعمل آليات لا تصلح لإقناع جمهور كوني ، و يتسم الحجاج بالعقلاني لكونه قادر على إقناع جمهور كوني "3.

معنى ذلك أن الكلام أنّ الإقناع و الإفحام لا يتحقق هكذا بسهولة إلا إذا كان السامع لا يقبل المقدمات و المسلمات مجرد سماعها لذا وجب على المتكلم أن يمتلك قوّة و ناصية الإقناع في الكلام و طرق الإفحام به.

من هنا نستطيع الحكم على مدى شساعة الممارسات الخطابية في الحجاج كيف تكون مستقرّة حينًا و قابلة للتغيير حينًا آخر.

سابعا : آليات الحجاج :

1- صابر الحباشة، التداولية والحجاج ، ص70.

2- المرجع نفسه ، ص70.

3- المرجع نفسه ، ص70.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

تعتبر الآليات البلاغية و اللغوية من آليات الحجاج الضرورية في كل خطاب حجاجي ، و ذلك لما يحمله من استمالة و تأثير في السامعين أو المتلقين .

1- الآليات البلاغية :

إنّ البلاغة العربية لها العديد من الآثار الحجاجية في النص غير الآثار الأسلوبية و الجمالية ، فالبلاغة تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية ، و لعلّ علم البيان من أهم أقسام البلاغة لاحتوائه على صور بيانية مختلفة ، و في مقدمتها الاستعارة فهي من أهم الآليات خدمة للحجاج من خلال ما تحمله من غموض و رؤى عميقة غير مصرّح بها إلى جانب المجاز ، و التشبيه ، و الكناية ، و غيرها من الصور البيانية التي تهدف إلى الإقناع و الحجاج .

و تكمن الوسائل البلاغية المختلفة " فيما توفره من جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقّي و الفعل فيه ، فإذا انضقت تلك الجمالية إلى حجج متنوّعة و علاقات حجاجية تربط بدقّة أجزاء الكلام ، و تصل بين أقسامه ، أمكن للمتكلّم تحقيق غايته من الخطاب أي قيادة المتلقي إلى فكرة ما ، أو رأي مُعيّن و من ثمّ توجيه سلوكه الوجهة التي يريد لها ، أي أنّ الحجاج لا غنى له عن الجمال ، فالجمال يرفد العملية الإقناعية و يسرّ على المتكلّم ما يرمي من نفاذ إلى عوالم المتلقي الفكرية و الشعورية " ¹.

نفهم من خلال القول إلى ارتباط الحجاج بالجمال و ما يؤثره على نفسية المتكلم و عقله ، فهو مرتبط بالجانب الإقناعي ، فالجمال مرتبط بالحجاج و الإقناع بهدف التأثير في السامعين و دغدغة مشاعره لتحقيق العملية التواصلية الإبداعية على أكمل وجه . إذن فالآليات البلاغية لها دور كبير و عملاق في الإقناع من خلال ارتباطها بالحجاج .

و نستهلّها بالاستعارة :

1-1- الاستعارة :

الاستعارة لغة هي رفع الشيء و تحويله من مكان إلى آخر ، كأن يُقال مثلاً على سبيل المثال لا الحصر : استعرتُ من فلان شيئاً ، أي حوّلتُه من يده إلى يدي ، أمّا اصطلاحاً فهي عموماً علم من علوم البلاغة المرتبطة بعلم البيان — أحد فروع علم البلاغة — إذ عرّفها كثير من الأدباء و البلغاء أمثال الجاحظ و الجرجاني ، و كلّ أقوالهم في ما يتعلق فيها تتلخّص في أنها استعمال كلمة أو معنى لغير ما وُضعت به أو جاءت له لوجود شبه بين الكلمتين ، أو أنّها تشبيه حُذف أحد أركانه ، كقول الشاعر : " وإذا المنية أنشبت أظفارها " إذ شبّه الشاعر هنا

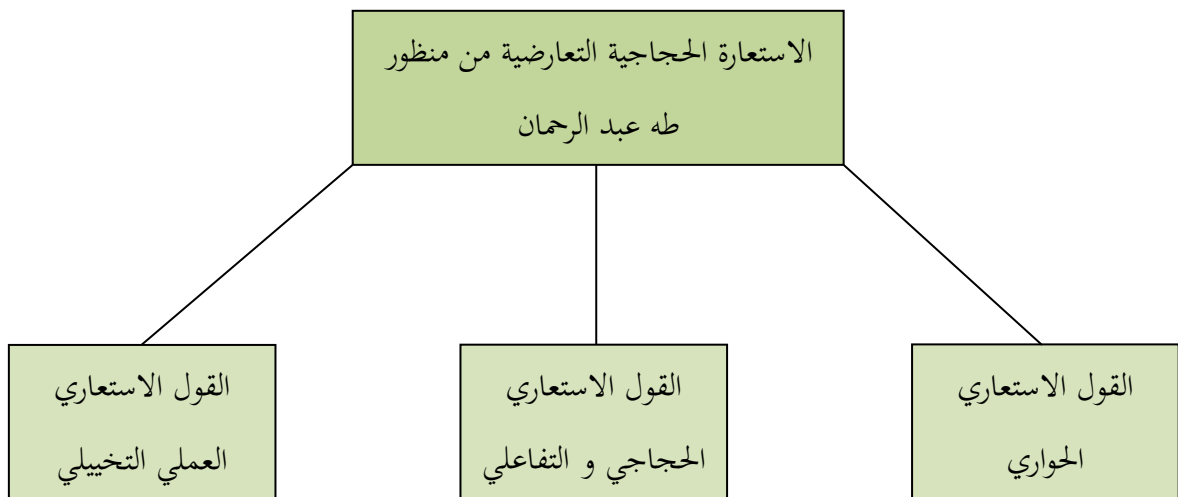
¹ - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص120.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

المنية (الموت) بالوحش الذي يملك أظافر ، إذ طبق فنّ الاستعارة هنا باستخدام كلمة في غير موضعها الصحيح .
و أركان الاستعارة كالاتي : المستعار ، المستعار منه ، المستعار له و القرينة ... و أصل الاستعارة موجود منذ
القديم إذ كانت العرب تستعير الكلمة فتضعها في مكان كلمة أخرى تشبهها في المعنى ، كأن تكون جزءًا منها ،
أو سببًا لها .

و لعلّ عبد القاهر الجرجاني قد أشار إلى الاستعارة حين اعتبرها أنّها ليست مجرد نقل الاسم عن الشيء و إنّما هي
ادّعاء معنى الشيء للاسم ، فيعرفها بقوله : " أنّ (الاستعارة) إنّما هي ادّعاء معنى الاسم للشيء ، لا نقل الاسم
عن الشيء ، و إذا ثبت أنّها ادّعاء معنى الاسم للشيء ، علمت أنّ الذي قالوه ... كلام قد تسامحوا فيه لأنّه إذا
كانت (الاستعارة) ادّعاء معنى الاسم ، لم يكن الاسم مُزالاً عما وُضع له ، بل مُقرّاً عليه " .¹
أمّا الباحث طه عبد الرحمان في كتابه الشهير : " اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي " فقد تحدّث عن أصول
المقاربة التعارضية للاستعارة الحجاجية و بنى نظريته عليها بواسطة مجموعة من القواعد أو الآليات التخاطبية و
تتمثل أصولها في النقاط الآتية :²

- أنّ القول الاستعاري قول حوارى و حواريته صفة ذاتية له .
 - أنّ القول الاستعاري قول حجاجى و حجاجيته من الصنف التفاعلى تخصّه باسم " التّحاج " .
 - أنّ القول الاستعاري قول عملي فصفته العملية تلازم ظاهره البياني و التخيلي .
- و نوضحه وفق المخطط الآتى:



¹ - عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، علّق عليه محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (د ، ط) ، (د ، ت) ، ص

² - طه عبد الرحمان ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، ص 310

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و إذا عُدنا إلى الوراء و تحديدًا إلى الحضارة الإغريقية القديمة اليونانية نجد جليًا البعد الحجاجي و اكتشاف القيمة الحجاجية للاستعارة إلى العالم الإغريقي " أرسطو " من خلال تقسيمه للاستعارة إلى نوعين هما : الاستعارة الشعرية و التي تتميز بالزخرفة الشكلية و الجمالية و استعارة أخرى - حجاجية بامتياز - و هي : " التي تهدف إلى الإقناع و إحداث تغيير في الموقف العاطفي و الفكري للمتلقي " ¹

إذ " تُعدّ البلاغة آلية من آليات الحجاج ، وذلك لاعتمادها الاستمالة و التأثير عن طريق الحجاج بالصور البيانية و الأساليب الجمالية أي إقناع المتلقي عن طريق إشباع فكره و مشاعره معًا حتى يتقبّل القضية أو الفعل موضوع الخطاب " ²

من هنا يتّضح أهمية الآليات البلاغية خاصة في مجال الخطاب الحجاجي و فكري الإقناع و التأثير و عملية إشباع فكر و عاطفة السامعين حول قضية ما .

1-2- الكناية :

تعدّ الكناية من أنواع المجاز الحجاجيّة ، فلا يمكن تصوّر مبحث حجاجي دون كناية و هي : " ما أخفي من الكلام و أصله الصّوت الخفيّ الذي لا يكاد يُفهم " ³ هذا تعريف قدامى بن جعفر حول الكناية فالكناية في اصطلاح البلاغيين : لفظ أُطلق و أُريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى .

و يكمن دورها الحجاجي في تعريف عبد القاهر الجرجاني للكناية في قوله : " و المراد بالكناية هنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، و لكن يجيء إلى معنى هو ثاليه و ردفه في الوجود، فيؤمى به إليه و يجعله دليلًا عليه " ⁴

و ما يقضي إلى حجاجية الكناية العلاقة التي تكون بين المعنى الذي يقصده المحاجج ، و المتلقي الذي يوجه إليه هذا المعنى ، على هذا النحو نستنتج أنّ الكناية ليست مجرد استخدام ألفاظ في الكلام و ترميز بل هي أداة و وسيلة من الوسائل الحجاجيّة في الخطاب الشعري خاصة .

1 - هاجر مدقن ، آليات تشكّل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان و نظرية البرهان ، مجلة الآداب و اللغات ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، الجزائر ، ع 5 ، مارس ، 2006 ، ص 191

2 - المرجع نفسه ، ص 191

3- قدامى بن جعفر (ابي الفرج)، نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط، 1995، ص 61.

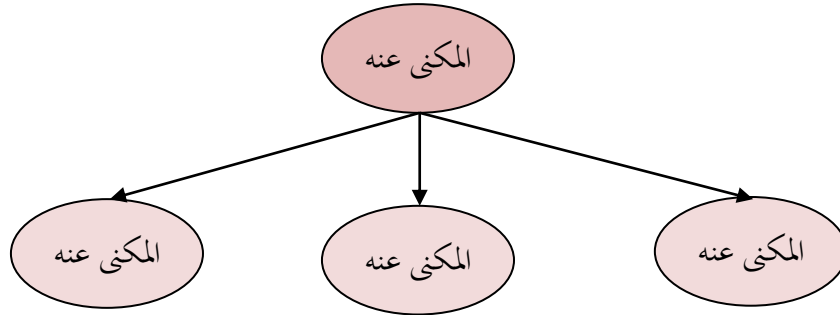
4- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 66.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و منه الكناية الحجاجية المفيدة بلاغة من الأنواع التي تقع تحت البيان المرادف للحجاج و هذا يوضح أهمية الحجاج في هذا الفنّ البلاغي ، بحيث يثبت أمرًا و يستدلّ عليه و إرسال المتكلم معنى مكني عن قصد فلا يذكره لأنّ الكناية أبلغ من ذكره ، و بهذا يرتبط الحجاج بالكناية بثلاثة عناصر¹:

- المتكلم المحاجج ← الرّمز لمعنى و غاية حجاجية.
- المتلقي المحاجج ← الموجه إليه المجاز.
- الخطاب و المجاز الحجاجي ← المحقق للغاية و المقصد.

نفهم من خلال هذا الطرح إستراتيجية الكناية فلم تُعد منظر إليها بمنظور جمالي أسلوبى فحسب ، بل تجاوزت ذلك إلى وسيلة حجاجية إقناعية تأثيرية و قصدية في آنٍ واحد . إلى جانب الجوانب الجمالية و الفنية التي لا غنى عنها في أيّ نص أدبي ، و تنقسم الكناية " باعتبار المكنى عنه ثلاثة أقسام : فإنّ المكنى عنه قد يكون صفة ، و قد يكون موصوفًا و قد يكون نسبة " .²



" الكناية لفظ أُطلق و أُريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى " ³

1-3- التّشبيه :

يُعد التّشبيه من بين الآليات البلاغية التي لا غنى عنها . " التّشبيه بيان أنّ شيئًا أو أشياء شاركت غيرها في صفةٍ أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة " .⁴

¹ - عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص 288.

² - مصطفى أمين علي الجازم، البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبديع، دار المعارف، القاهرة، ط 1 ، 1979، ص 125.

³ - المرجع نفسه ، ص 125

⁴ - المرجع نفسه ، ص 20

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

أركان التشبيه أربعة هي : المشبه ، و المشبه به ، و يُسميان طرفي التشبيه ، و أداة التشبيه ، و وجه الشبه ، و يجب أن يكون أقوى و أظهر في المشبه به منه في المشبه.¹

فالتشبيه عموماً ينحو منحى الاستعارة و ذلك من خلال الاستعمال فمنه ما يستعمل لإضفاء صورة جمالية فقط تعكس براعة و فطنة المتكلم و بلاغته ، و آخر يستعمل كشاهد أو مثال فالتشبيه غرضه الأساس هو الإيضاح الذي يقرب المعنى إلى ذهن المستمع ، و بالتالي يتحقق الإقناع الذي هو عماد و غاية كل حجاج ، و على هذا الأساس فإن " التشبيه يُمكن أن يستخدم كأداة توضيح في قول ما إلا أن دوره يكون أحياناً مهتماً بتوصيل الإحساس ، و قد كانت البلاغة القديمة متعمّدة على إقامة تمييز بين هاذين النوعين من التشبيهات ، إنّ أحدهما خطائية في حين أنّ الأخرى شعريّة ، الأولى مقدّمة كشاهد و لأجل العقل ، و هي نوع من الاستقراء المستخدم في الاستدلالات ، و الثّانية تقدم لتنوير الشيء و تلوينه ، و غرضها يتمثّل في جعل موضوع التّفكير حاضرًا في المخيلة " ² و يُوضّح الخطيب القزويني أهمية التشبيه و أغراضه و مكانته الرّفيعّة في التأثير و الإقناع و تحريك النفوس إذ يقول في هذا الصدد " اعلم أنّ التشبيه ممّا اتفق العقلاء على شرف قدره ، و أنّ تعقيب المعاني به لاسيّما قسم التّمثيل منه يكسبه أبهة و يُكسبها منقبة ، و يرفع من أقدارها و يشبّ من نارها ، و يضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، و يدعو القلوب إليها و يستثير لها من أقاصي الأفئدة صباغة و كلفا ، و يفسّر الطباع على أن تعطىها محبة و شغف فإنّ كان مدحاً كان أجهى و أحكم و أنبل في النفوس و أعظم و أهنز للعطف و أسرع للألفة ... و إن كان حجاجاً كان برهاناً أنور و سلطانه أقهر و بيانه أبحر " ³.

- إنّ قول الخطيب يؤكّد لا محالة أهمية التشبيه و قوّته في الإقناع و استمالة عقول المتلقين و عواطفهم .
- و يظهر الحجاج في التشبيه بكلّ أنواعه و يظهر أكثر في أجودها ، و التشبيه يؤسس حجاجاً من جهة أنّه : ⁴
- يُقرّب الصورة و ينقلها بمعناها في واقع حاضر ، و يكشف ما هو خفي من صفات ليقنع بها المتلقي .
 - التأثير على نفسية المتلقي ، لأنّ التشبيه قد يغير سلوكاً و يوجّه فكراً .

1 - حميد آدم أتويني ، البلاغة العربية المفهوم و التطبيق ، دار النشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ط1 ، 2007 ، ص 248

2- مورو فرانسوا ، البلاغة ، المدخل لدراسة الصور البيانية ، تر: محمد الولي وعائشة جرير ، إفريقيا ، الشرق ، المغرب ، (د.ط.) ، 2003 ، ص 54-55.

3- الخطيب القزويني (جلال الدين) ، التلخيص في علوم البلاغة ، شرح: عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط1 ، 1904 ، ص 238، 239.

4 - عباس حشاني ، خطاب الحجاج و التداولية ، ص 293

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

- و تزيد حجاجية التشبيه قوّة حين يأتي بإيجاز بدل الشروح و التوضيحات .
- تقريب المشبه إلى ذهن السامع ، و هذا يحصل لأنّ التشبيه ينقل المعنويات في صورة الحسيات .

1-4- المجاز المرسل :

تكمّن حجاجيته في تنوّع علاقاته و كونها مرسلّة و ليست مفيدة و في هذا يختلف المجاز المرسل عن الاستعارة في طبيعة العلاقة ، فالعلاقة بين المشبّه و المشبّه به في الاستعارة مفيدة بالمشابهة ، بينما تكون في المجاز المرسل غير مفيدة " ¹

و يكون المجاز المرسل بصورة حجاجية لأنّه " كلمة استعملت في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي " . ²

1-5- البديع :

للمحسنات البديعية دور حجاجي و لا يقتصر وظيفتها في الجانب الشكلي للخطاب حيث يوضّح الشهري : بأنّ " لها دورًا حجاجيًا لأعلى سبيل زخرفة الخطاب ، و لكنّه يهدف الإقناع و البلوغ بالأثر مبلغه الأبعد " . ³ فهي تضيف على الخطاب مجموعة من الدلالات و التأويلات التي تجعل العقول تدعي و النفوس تستميل ، و يقول في هذا الجانب " صابر الحباشة " إنّ محسنًا لهو حجاجيًا إذا كان استعماله ، و هو يؤدي دوره في تغيير زاوية النّظر، و يبدو معتادًا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة ، و على العكس من ذلك فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب ، فإنّ المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة ، أي محسن أسلوب ، و يعود لتقصيره عن أداء دور الإقناع " . ⁴

أ- الطّباق:

يُستعمل هذا المحسن للجمع بين الشيء و ضدّه في جزء من الأجزاء كالرسالة أو الخطابة ، و نجده يدعم المعنى بقوة الوضوح و يجعل الدلالة واضحة مقروءة غير مبهمّة " و الطّباق وسيلة حجاجية يوضّح الحس ، يُنمّق وقوع المعنى في ذهن القارئ موقعًا يجعله يقتنع و يحقق هذا حين يجمع الطّباق بين معنيين متقابلين ، و هذا يبين موضع

1 - عباس حشاني ، خطاب الحجاج و التداولية ، ص 293

2 - علي الجازم ، مصطفى الأمين ، البلاغة الواضحة ، ص 110

3- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 498.

4- صابر حباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص ، ص 51.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

الطَّباق في الحجاج و قيمته الإقناعية "1 فالطَّباق يهدف أيضا إلى الإقناع و التأثير في السامعين و إقناعهم و تغيير وجهات نظرهم .

فالبديع زينة للكلام و جمال في القول ، و هذه الزينة و الجمال يفعلان في المتلقي فعل التأثير للإقناع و تكمن حجاجية البديع في أمرين :

- أحدهما قدرة الألفاظ البديعية و المعاني الجميلة التأثير على المتلقي بموقعها الموقع الحسن من نفسية المتلقي ، و بسحرها تقوده إلى الاقتناع .

- و ثانيتهما أنّ كلّ قيمة جمالية في البديع تخصّ المعنى و تخصّ اللفظ ما يؤكّد اقتران الجمال بالإقناع ، فالمعنى يكون مقنعا ، و لزيادة هذا الإقناع يحتاج إلى لفظ يزيد جمالا فتزيد قدرته التأثيرية على المتلقي و حاصل النظر² أنّ:

- البديع يحمل عديد من الألفاظ القوية التي باستطاعتها التأثير و الإقناع و خاصة على نفسية المستمعين التي تقوده لا محالة نحو الاقتناع .

- ارتباط البديع بالألفاظ و المعنى في نفس الوقت و كلّما كان اللفظ قويا كلما استلزم بالضرورة معنى قوي إلى جانب الجانب الجمالي و السحري .

1-6- المقابلة :

و هي " أنّ يُؤْتَى بمعنى أو أكثر ، ثمّ يأتي بمقابل ذلك على الترتيب و المقابلة الحجاجية هي التي يقتضيها المعنى و لا تردّ متكلفة ، و بما أنّ المقابلة تعتمد على إيراد معاني ثمّ الإتيان بما يقابلها ، فذلك يُسهّم حتماً في توضيح المعنى ، و التّوضيح من التّقابل يساعد على تمييز الأشياء و منه الإقناع في ثوب جمال المقابلة "3.

1-7- الإيجاز والإطناب :

أ- الإيجاز :

الإيجاز هو أسلوب من الأساليب البلاغية التي تعتمد إلى تقليص الألفاظ في المقابل غزارة المعاني ، ممّا يجعل الكلام بليغاً ، فقد قرن القدماء الإيجاز بالبلاغة بل و جعلوه البلاغة نفسها ، أمّا دوره الحجاجي يكمن في

1- عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية ، ص296.

2- المرجع نفسه ، ص 296

3- مصطفى أمين ، علي الحازم، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، ص285.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

اتصاله بالبلاغة ، فالكلام الموجز أكثر قوة و بلاغة من الكلام العادي ، و بالتالي أسرع وقوعاً في النفس و أشد تأثيراً على الذهن ، و لذا كان معظم الأدباء و لاسيما الشعراء يميلون إلى الإيجاز في أشعارهم ، كي يكسبوا أكبر قدر ممكن من المعجبين و يقنعونهم بأفكارهم و آرائهم ، و نأخذ على سبيل المثال أنه " قيل للفرزدق : ما صبرك إلى القصائد القصار بعد الطوال ؟ فقال : لأني رأيتها في الصدور أوقع في المحافل أجول".¹

كما تتجلى القيمة الإيجازية للحجاج أيضا في كونه يشد انتباه المتلقي و يستحوذ على ذهنه ، خاصة و أنّ الإيجاز يعتمد إلى حذف الزوائد من الكلام و تركيزه على المهم منه فينقل المتكلم اهتمامه بشيء ما إلى المتلقي و يحاول إشراكه معه في هذا الاهتمام ، من خلال حذف ما لا يعينه من الكلام و اهتمامه فقط بما يعنيه.

" و المتلقي كلما مر بموضع الحذف تضاعفت يقظته إذا كان يقظا ، أو تنبيه إن كان غافلا أو تجدد نشاطه إن كان قد فتر نشاطه".²

و إلى جانب القدرة التي يمتلكها الإيجاز بالحذف في إثارة الاهتمام و لفت النظر لدى السامع المستمع ، و تحفيزه على التفكير في تقديره المحذوف ، يلعب الإيجاز على ثلاثة حبال : الأول كونه ظاهرة جمالية تفصح عن المستوى الإبداعي للمتكلم ، و الثاني أنه قدرة إيجازية تفجر في ذهن المتلقي شحنة فكرية يستوحي من خلالها المحذوف ، و الثالث أنه صيغ تعبيرية تتناسب و واقع الحال.³

و هذه الشؤون الثلاثة المجتمعة في الإيجاز ترفد بحث العملية الحجاجية و تدعم الطاقة الإقناعية ، إذن للإيجاز دور فعال في الحجاج من خلال جعل الكلام أكثر بلاغة و جمالا و كونه أيضا طارداً للملل دافعا للشروء ، و الفور الذي قد ينتاب المتلقي إبان عملية الإقناع.

ب- الإطناب :

¹ - أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله) ، الصنائع ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب الغربية ، سوريا ، 1952 ، ص 174.

² - مصطفى عبد السلام أبو شادي ، الحذف البلاغي في القرآن الكريم ، مكتبة القرآن للطبع و النشر و التوزيع ، (د ط) ، (د.ت) ، ص 152.

³ - محمد ديب الحاجي ، النسق القرآني دراسة أسلوبية ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، السعودية ، ط1 ، 2010 ، ص 418.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و قد عرفه السكاكي بقوله : " هو أداؤه بأكثر من عباراتهم ، سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الحمل أو إلى غير الحمل".¹

أما دوره الحجاجي فإنه يراعي النفس في حالة ارتياحها بيسط الكلام ، فالإطناب يسعى إلى بلوغ غاية الإفهام لدى المتلقي بإتباعه منهج الشرح و التفصيل ، كي يزيل اللبس.

لذا فالإطناب يأتي : " للإيضاح بعد الإبهام ليرى المعنى في صورتين مختلفتين و ليتمكن في النفس تمكن فإنّ المعنى إذا ألقى على سبيل الإجمال و الإبهام تشوقت نفس السّامع إلى معرفته على سبيل التفصيل و الإيضاح ، فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك فإذا ألقى كذلك تمكن ، و كان شعورها بما أتم ، أو لتكتمل اللذة بالعلم به ، فإنّ للشيء إذا حصل كمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به ، ألم و إذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوقت النفس إلى العلم بالمجهول فيحصل لها بسبب المعلوم لذة و سبب حرمانها عن الباقي ألم".²

فالإيضاح الذي يردّ على سبيل الإيضاح بعد الإبهام ، أو على سبيل التفصيل بعد الإجمال فإنه يخلق عنصر التشويق و الإثارة لدى السّامع.

ج- التعريض :

و نقصد به الجلسة الاعتراضية حيث يعرفها " الزركشي" هو أن تؤتي في أثناء الكلام أو كلامين متصلين معنى شيء يتم الغرض الأصلي بدونه.

و لا يفوت بفواته فيكون فاصلاً بين الكلام و الكلامين لنكتة.³

أما علماء البلاغة فيتناولون التعريض من باب ما تحققه من أغراض و تهدف إلى تقوية المعنى، حيث نجد ابن جني يقول " أعلم أنّ هذا القبيل من هذا العلم كثير ، و قد جاء في القرآن ، و فصيح الشعر ، و منشور الكلام ، و هو جار عن العرب مجرى التأكيد ، و لذلك لا يشيع عليهم ، و لا يستنكر عندهم ، إن يعترض به بين الفعل و فاعله ، و المبتدأ و خبره ، و غير ذلك مما لا يجوز الفصل فيه بغيره ، إلا شاذاً أو متأولاً".⁴

1- السكاكي (أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد)، مفتاح العلوم ، ص 277.

2- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبدع والبيان، ص 151، 152.

3- الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : أبي الفضل الدمياطي ، دار الحديث ، القاهرة ، (د.ط) ، 2006 ، ص 656.

4- ابن جني (أبو الفتح عثمان) ، الخصائص ، تحقيق : محمد النجار ، دار الهدى ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، د.ت ، ص 159.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

2- الآليات اللغوية :

تعتمد العملية الإقناعية الحجاجية على وسائل و أدوات يقدمها الأديب شاعرًا كان أو أدبياً أثناء طرح خطابه من أجل إكسابه طاقة حجاجية و تعتبر هذه الأدوات أو الآليات :

" بمثابة قوالب تنظم العلاقات بين الحجج و النتائج ، أو تعيّن المرسل على تقديم حججه في الهيكل الذي يناسب الخطاب السيّاق " ¹ . و بالتالي يصل إلى غرضه المنشود ، و تعدّ الآليات اللغوية في كل خطاب من الوسائل الأفضل لتحقيق الإقناع بما جاء فيه ، و يمكن أن نميّز بين عدد من الآليات اللغوية التي يمكن أن تُسهم بشكل فعال في عملية الإقناع لعلّ من أبرزها :

2-1- الوصف :

يُعدّ الوصف من الآليات اللغوية الفعّالة في وضع الحجج الواردة في الخطاب الحجاجي ، و من أدوات الوصف نذكر:

اسم الفاعل: و يُعرّف على أنه " ما اشتق من فعل لمن قام به بمعنى الحدوث " ² .

اسم المفعول: و هو ما اشتق من فعل لما وقع عليه " ³ .

2-2- أفعال التفضيل :

و هي اسم مشتق على وزن أفعال يدلّ في الأغلب على أنّ شيئين اشتركا في معنى ، و زاد أحدهما على الآخر فيه.

فالدّعائم التي يقوم عليها التّفصيل الاصطلاحي في أغلب حالاته " ⁴ :

- صيغة أفعال ، و هي اسم مشتق.

- شيئان يشتركان في معنى خاص.

ولا فرق في المعنى والزيادة فيه بين أن يكون أمراً حميداً أو ذمياً.

2-3- الصّفة المشبّهة بالفعل :

¹- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص 477.

²- يوسف حسن عمر ، شرح الرضى على الكافية ، منشورات جامعة فازيونس ، بنغاري ، ط2 ، 1996 ، ص 413.

³- المرجع نفسه ، ص 427.

⁴- عباس حسن، النحو الوافي ، دار المعارف ، مصر، ج3 ، ط3 (د.ت) ، ص 395.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و هي " كلّ صفة اشتقت منها غير اسمي الفاعل و المفعول به على آية هيئة كانت ، بعد أن تجرى عليها التثنية و الجمع و التأنيث".¹

2-4- الروابط و العوامل الحجاجية :

تعتبر الروابط و العوامل الحجاجية من أهمّ المفاهيم في الدرس الحجاجي الحديث و المعاصر ، أو يُمكن القول باختصار أنّ النظرية الحجاجية في جوهرها تقوم على هذه العوامل و الروابط ، و هو ما دفعنا إلى تبيانها و توضيح معناها.

لدينا في لغتنا العربية قاموسًا كبيرًا من العوامل و الروابط الحجاجية نذكر منها : لكن ، بل ، إذن ، إذ ، ربما ، تقريبا ، إنّما ... الخ.

فهذه العوامل و الروابط و غيرها من أهمّ المواضيع الحجاج فكيف تعرّف اللسانيات الحجاجية العامل و الرابط الحجاجي ؟ وما هي وظيفتهما في الخطاب الحجاجي ؟ و سوف نقوم بعرض كلّ من العامل و الرابط الحجاجي بالتفصيل .

أ- العامل الحجاجي :

إنّ الروابط الحجاجية تقوم بالربط بين ملفوظين ، و في المقابل نجد أنّ العوامل الحجاجية لا تربط بين متغيرات حجاجية ، بل تقوم بحصر و تقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما²

فاعامل الحجاجي يقوم على الاقتضاء ، فلو قلنا أنّ مقتضى الملفوظ (كدث أن أنجح) فهنا الاستجابة لم تحصل ، و هذا الملفوظ نقيض ذلك ، و وجود العامل (كدث) يوضّحه و يؤكّده ، أمّا عمله حجاجيا فإنّه يُتيح الربط بين أجزاء النص و بين الملفوظات داخل المقطع الواحد ، فحسب التحليل (كدث أن أنجح) تسير في الاتجاه الذي تؤدي إليه الحجة (نجحت) و يخدمان نتيجة واحدة.³

¹ - السكاكي، مفتاح العلوم، ص332.

² - حبيب منصور، آليات الحجاج اللغوية في المثل الشعبي - مقارنة أولية - ، مجلة التعليمية ، المجلد 10 ، العدد 2 ، جويلية 2020 ، ص

150

³ - أبو بكر العزاوي ، الخطاب و الحجاج ، مؤسسة الرحاب الحديثة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2010 ، ص 56

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

ب- الرابط الحجاجي :

الرابط الحجاجي " هو الذي يربط بين ملفوظين أو أكثر في إطار إستراتيجية حجاجية واحدة".¹

فإذا أخذنا المثال الآتي :²

زيدٌ مجتهد ، إذن سينجح في الامتحان.

فسنجد أنه يشمل على دقة هي (زيد مجتهد) و نتيجة (سينجح) و الرابط الحجاجي (إذن) الذي يربط بينهما.

و قد ميّز أبو بكر العزاوي بين أنماط عديدة من الروابط منها :

- الروابط المدرجة للحجج :

و تضم كل من (لأن ، مع ذلك) ، و الروابط المدرجة للنتائج و تضم (إذن ، لهذا ، و بالتالي) و الروابط التي

تدرج حججا قوية و تضم (حتى ، بل ، لكن) و روابط التعارض الحجاجي و تضم (بل ، لكن) و روابط

التساوق الحجاجي (حتى ...).³

نفهم من ذلك أنّ " الروابط الحجاجية تربط بين قوانين أو بين حجّتين أو أكثر و تسند لكل قول دورًا محددًا

داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة " ⁴

فكل من الروابط و العوامل الحجاجية لا استغناء عنهما في الدرس الحجاجي التطبيقي بصورة خاصة فالرابط

مهما كان نوعه لم نعد نتعامل معه بصورة اعتباطية عشوائية لا ميّز لها و إنّما يحمل في حوزته العديد من الدلالات

الحجاجية التي تساهم بشكل كبير في التأثير و الإقناع و التغيير ... الخ

2-5- السّلام الحجاجية :

يُعدّ السّلم الحجاجي من أساسيات النظرية الحجاجية اللسانية و سوف نتطرّق إلى قوانين هذه النظرية باختصار.

ملخص نظرية السّلام الحجاجية عند " ديكرو" من وجوب التّلازم في عمل الحاجة بين قول الحجة " ق" و

¹ - أبو بكر العزاوي ، الخطاب و الحجاج ، ص 29.

² - المرجع نفسه، ص 30.

³ - المرجع نفسه ، ص 30.

⁴ - حبيب منصور ، آليات الحجاج اللغوية في المثل الشعبي - مقارنة أولية ، 143

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

النتيجة" ن" ، و معنى ذلك أنّ الحجّة لا تكون حجّة بالنسبة للمتكلّم إلاّ بوجود النتيجة مع العلم أنّ النتيجة يُصرّح بها أو تبقى ضمنيّة و يتّضح ذلك في المثال التالي :¹

س : ماذا تريد أن تفعل اليوم ؟

ج : ألا ترى أنّ الطقس جميل ؟

فلاستفهام في القول (ج) يمثل حجّة لفائدة نتيجة ضمنيّة هي الخروج للنزهة و إن لم يقع التصريح بالنتيجة. و قد لاحظ "ديكرو" و هو يشرع في تحديد مفهوم هذه النظرية أنّ " كثيرا من الأفعال القولية ذات وظيفة حجاجية توجّه المتلقي نحو نتيجة معينة أو تحوّل وجهته عنها و إنّ لهذه الوظيفة علامات ، ذلك أنّ القيمة الحجاجية للمقول لا تنتج فقط المعلومات التي يحملها ، و إنّما يمكن للجملة أن تستخدم عبارات أو صيغ أسلوبية لإسناد الوجهة الحجاجية للمقول ، أي أنّ المقول يحمل في ذاته تعبيراً عن السمة الحجاجية ، و هي سمة تتوّع بتنوّع المتكلّمين ، و تبعا لأوضاع الخطاب فلا أحد يستطيع أن يتوّع النتيجة المقترحة من (م) المقدّمة بواسطة (ب) ".²

ثمّ بين أنّه بالإمكان توقع النتيجة بقوله : " بإمكاننا أن نتوّع انطلاقا من الجملة أنّ (م) و (ب) لا يقدمان لذاهما بل يوجهان إلى نفس النتيجة و إن كان لا يملك نفس الدّرجة من القوّة ".³

فنظرية السّلام الحجاجية من منظور "ديكرو" تقوم على معيار التّفاوت في درجة القوّة و الضّعف. و تبعا لذلك يمكن تعريف السّلم الحجاجي على أنّه " مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية ".⁴

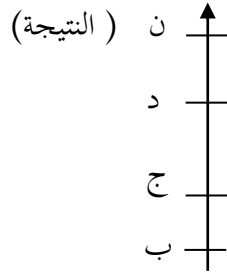
و يمكننا أن نرمز له بالرمز الآتي:

¹ - ينظر فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم عن شكوى المبحوث، نظرية الحجاج في اللغة، ص363.

² - محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية المنطقية و اللسانية ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2005 ، ص94.

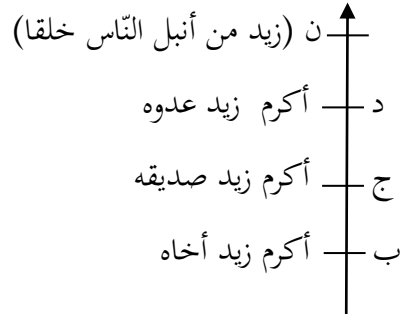
³ - المرجع نفسه ، ص 95.

⁴ - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج ، ص20.



حيث أنّ (ب ، ج ، د) تخدم النتيجة (ن).

- و قد ذكر طه عبد الرحمن شرطين أساسين للسلم الحجاجي و هما:¹
- كلّ قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته بحيث يلزم أنّ القول الموجود في الطرف الأعلى لجميع الأقوال التي تدوّنه.
 - كلّ قول كان في السلم دليلاً على مدلول معيّن كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى عليه و العكس ليس صحيحاً. و يبيّن ذلك بالرّسم التّالي:



و قد استخلص ثلاث قوانين أساسية للسلم الحجاجي :

أ- قانون الخفض :

ينتج قانون الخفض عن طريق النفي اللغوي ، و قد صاغه بالتعريف الآتي " إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم الحجاجي فإنّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها ".²

ب- قانون تبديل السلم :

¹- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 277.

²- المرجع نفسه ، ص 277.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

يعرّفه طه عبد الرحمن بقوله: " مقتضى هذا القانون أنّه إذا كان القول دليلاً على مدلول معيّن فإنّ دليل يقتضي هذا القول دليل على تقيض مدلوله " ¹.

و يكون بذلك هذا القانون مرتبط بالتّقي أي إذا كان قول (أ) مستخدم من قبل متكلّم ليخدم نتيجة معيّنة فإنّ فيه أي (أ) يكون حجّة لصالح النتيجة المضادة لها ، و بعبارة أخرى إذا كان (أ) ينتمي إلى الفئة الحجاجية بواسطة (ن) فإن (أ) ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحدّدة بواسطة (لأن). ²

ج- قانون القلب :

يرتبط هذا القانون أيضاً بالنفي ، و مفاده أنّ السّلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس الأقوال الاثباتية ، و بعبارة أخرى إذا كان (أ) أقوى من (أ) بالقياس إلى التّيجة (ن) فإنّ (أ) هو أقوى من (أ) بالقياس إلى النتيجة (لا- ن) ، و يمكن التّعبير عن هذه الفكرة بصيغة أخرى فنقول :

إذا كانت إحدى الحجّتين أقوى من الأخرى في التّدليل على نتيجة معيّنة فإنّ تقيض الحجّة الثّانية أقوى من تقيض الحجّة الأولى في التّدليل على النتيجة المضادة. ³

و لتوضيح هذا بالمثالين التاليين :

- حصل زيد على الماجستير و حتى الدكتوراه.

- لم يحصل زيد على الدكتوراه ، بل لم يحصل على الماجستير.

فحصول زيد على الدكتوراه أقوى دليل على مكانته العلميّة من حصوله على الماجستير في حين أنّ عدم حصوله على الماجستير هو الحجّة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على شهادة الدكتوراه. ⁴

من خلال تطرّقنا إلى مجمل الوسائل البلاغية و علاقة البلاغة بالحجاج تحديداً يتبيّن لنا : " أن الربط بين البلاغة و الحجاج ، ربط جدير بالتأثير المعتمد على التحليل لكشف العلاقة بينهما " ⁵

فهذا الرأى يدعّم و بقوة العلاقة المتينة بين البلاغة و الحجاج فهي علاقة تعاضدية شبيهة بالشبكة العنكبوتية المتعاضدة الخيوط فيما بينها .

¹ - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص278.

² - المرجع نفسه ، ص278.

³ - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج ، ص22.

⁴ - المرجع نفسه ، ص23.

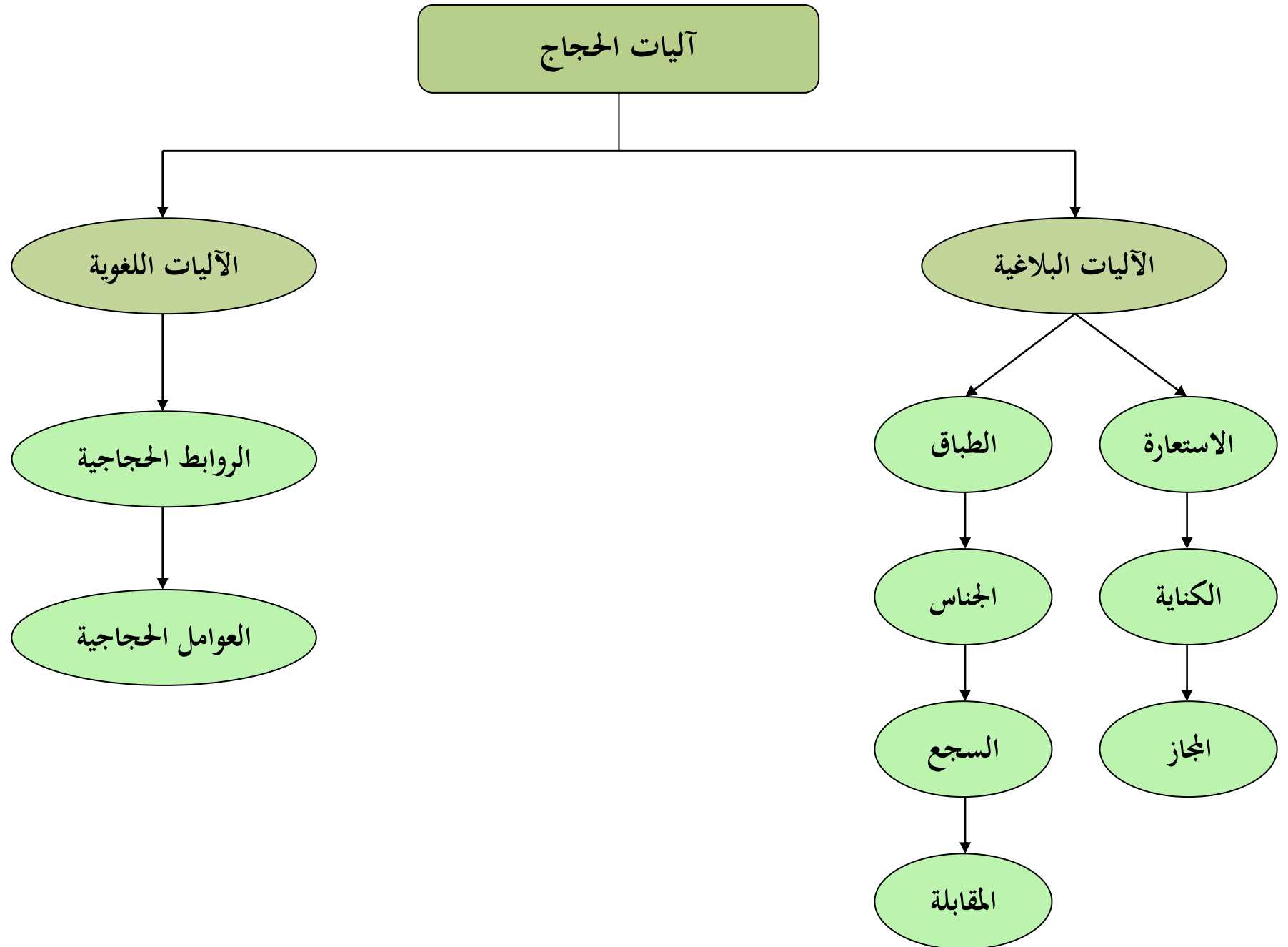
⁵ - عباس حشاني ، خطاب الحجاج و التداولية ، ص 281

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و هذا ما عبّرت عنه سامية الدريدي باعتبار العلاقة بين البلاغة و الحجاج علاقة معقدة و مثيرة للجدل في نفس الوقت بقولها : " و لا شكّ في أنّ علاقة البلاغة بالحجاج إشكال مثير و معقد " ¹ ، و يقوم الخطاب الحجاجي على إيصال المعنى المقصود إلى ذهن السامع ، و يقوم على مراعاة حاله و مخاطبته بقدر عقله ، مرتبا كلامه و حججه على نظام إقناعي ² و هذه كلها من خواص بلاغتنا العربية بلا منازع .
و يمكننا توضيح ما سبق ذكره وفق الخطاطة الآتية :

¹ - سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص 120

² - عباس حشاني ، خطاب الحجاج و التداولية ، ص 281



المبحث الثاني: تقنيات الحجاج في قصص الأمثال للميداني

توطئة

تسعى هذه الدراسة التطبيقية إلى الكشف عن طبيعة و ديناميكية اشتغال أنواع الحجج بمختلف أنماطها (الحجج شبه المنطقية ، حجج التعدية ، الحجج السببية ، حجة الشخص و أعماله ...) في خطاب الأمثال العربية القديمة - مجمع الأمثال للميداني أنموذجا - و تبيان مدى قدرتها على استمالة المخاطب و إشراكه في استنتاج الحجج و المقاصد المختلفة عن طريق تشغيل الفكر و دفعه إلى قبول النتائج مهما كانت . و جاءت هذه الدراسة لتبيان طبيعة اشتغال هذه الحجج التي ذكرناها سالفًا مزيلة للثام عن إشكالية طرحناها كآلاتي : كيف تمّ توظيف أنواع الحجج و أنماطها في خطاب المثل العربي القديم ؟ و فيما تتمظهر قوّتها الإقناعية؟

أولاً : الحجج شبه منطقية :

هي الحجج التي أخذت من المنطق بنيته و قبولها للصياغة المنطقية ، و افتقرت عنه في كونها غير ملزمة " أي أنها لا تلزم المرسل إليه بدعوى و نتيجة الحجج¹ " ، كما هو الحال في الحجج المنطقية " التي تجبر المرسل إليه على تقبل النتيجة "².

و تستمد الحجج شبه المنطقية قوتها الإقناعية من مشابقتها للطرائق الشكلية و المنطقية و الرياضية في البرهنة"³. و هذا ما يمنحها قالباً منطقياً شكلياً تجمع فيه المعطيات و تكيف فتجعلها شبيهة باستدلال منطقي صارم ، فما يميزها إذن حقيقتها اللاشكالية التي تجتهد في كونها شكلية أو تعدل أو تبدل لتكون كذلك"⁴ من خلال اعتمادها على البنى المنطقية.

و تنقسم هذه الحجج إلى : حجج شبه منطقية تعتمد على العلاقات المنطقية كالتناقض و التعدية و العدل ، و حجج شبه منطقية تعتمد على العلاقات الرياضية كإدماج الجزء في الكل و تقسيم الكل إلى أجزاء.

¹- حمدي منصور جودي، الحجج في كلية ودمنة لابن المقفع، مركز الكتاب الأكاديمي ، عمان، ط1، 2018، ص111.

²- المرجع نفسه، ص111 .

³- عبد الله صولة، الحجج وتقنياته من خلال مصنف في الحجج بالخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكا ضمن كتاب أهم نظريات الحجج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس، 1998، ص325.

⁴- سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي القديم، ص191.

الفصل الثالث ————— آليات الحجج في مجمع الأمثال

1- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات المنطقية :

1-1- التناقض :

و يقصد بالتناقض (**contradiction**) تقابل قضيتين إحداهما نفي للأخرى و نقض لها في نظام واحد¹. يقول بيرلمان (Perlman) عن هذه الحجج : " إنما حجج تدعي قدرا محمدا من اليقين من جهة أّما تبدو شبيهة بالاستدلالات الشكلية المنطقية أو الرياضية ، و مع ذلك فإنّ من يخضعها إلى التحليل ينتبه في وقت قصير إلى الاختلافات بين هذه الحجج و البراهين الشكلية"². نفهم من قول بيرلمان أنّ هذه الحجج مرتبطة بالاستدلالات المنطقية و الرياضية القائمة على التحليل في وقت وجيز .

و من نماذج حجة التناقض و عدم الاتفاق الموجودة في خطاب المثل القديم و تحديدا عند الميداني ، نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

" إِنْ الْعَصَا مِنَ الْعَصِيَّةِ " ³.

و مضمون القصة كما أوردها الميداني أبناء نزار و بناتهم وَ خَبَرَ إِحْتِكَاِمِهِمِ لِأَفْعَى الْجُرْهُمِيِّ حَكَمَ الْعَرَبِ فِي زَمَانِهِ، وَ رَأَيْنَا ذَلِكَ مَوْقِفَ أَبْنَاءِ نَزَارٍ مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي صَبَّحَ نَاقَتَهُ ، وَ قَدْ جَاءَ يَسْتَنْشِدُهُمْ فَوَصَّفُوا لَهُ نَاقَتَهُ ثُمَّ قَالُوا لَمْ نَرَهَا فَكَذَّبَ قَوْلُهُمْ وَ تَعَلَّقَ بِهِمْ ، وَ سَارَ مَعَهُمْ إِلَى الْأَفْعَى الْجُرْهُمِيِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ، وَ حِجَّتُهُ فِي ذَلِكَ " هَؤُلَاءِ أَخَذُوا جَمَلِي وَ وَصَّفُوا لِي صِفَتَهُ ثُمَّ قَالُوا لَمْ نَرَهُ " ⁴.

و هي حجة قامت على أساس التناقض في خطاب خصومه ، فهم يصفون البعير صفة من رآه ثم ينكرون ما شاهده.

و قد يظهر المتكلم في مواقف أخرى تناقض خطاب خصمه بين فعله و قوله و هناك أمثلة كثيرة في هذا الصدد من مثل :

¹- عبد الله صولة، في نظرية الحجج دراسات تطبيقية ، مسكيلياني للنشر ، تونس ، ط1 ، 2011 ، ص43.

²- سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي القديم، ص191.

³- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج1، ص44.

⁴-المصدر نفسه ، مج 1، ص45.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

" أَبِي الْحَقِينِ قُبُولَ الْعُذْرِ".¹

و مغزى القصة أنّ اللبّن موجود في الوطب يُكذّب قولهم و يخالف اعتذارهم ، ففعلهم يناقض تماما قولهم ، و هو الأساس الذي بين عليه حجته في ردّ قولهم.

و قصة المثل لتوضيحها أكثر :

" قال أبو زيد : أَصْلُهُ أَنَّ رَجُلًا ضَافَ قَوْمًا فَاسْتَسْقَاهُمْ لَبْنًا وَ عِنْدَهُمْ لَبَنٌ قَدْ حَقْنُوهُ فِي وَطْبٍ ، فَأَعْتَلُوا عَلَيْهِ وَ اعْتَذَرُوا ، فَقَالَ : أَبِي الْحَقِينِ قُبُولَ الْعُذْرِ ، أَيَّ أَنَّهُ يُكَذِّبُهُمْ".²

و قريبا منه ما ورد في قصة المثل القائل :

" تَطْلُبُ ضَبًّا وَهَذَا ضَبٌّ بِأَدِّ رَأْسِهِ".³

و قصة المثل كما أوردها الميداني كما يلي :

" زَعَمُوا أَنَّ رَجُلَيْنِ وَتَرَا رَجُلًا وَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُسَمَّى ضَبًّا ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَتَهَدَّدُ النَّائِي عَنْهُ وَ يَتْرُكُ الْمُقِيمَ مَعَهُ جُبْنًا فَقِيلَ لَهُ : " تَطْلُبُ ضَبًّا يَعْنِي الْغَائِبَ وَ هَذَا ضَبٌّ بِأَدِّ رَأْسِهِ يَعْنِي الْحَاضِرَ".⁴

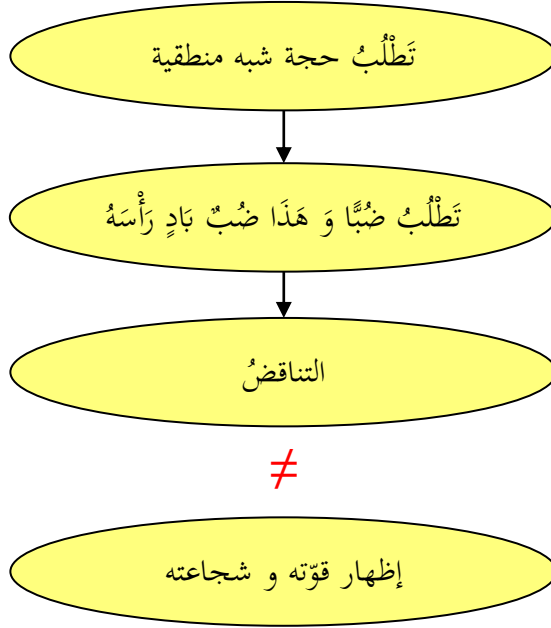
يندرج المثل ضمن الحجج القائمة على التناقض باعتبار النشاط السلوكي الذي يتسم بالعشوائية ، إذ يتناقض في طبيعته ما يظهر بفراسطه ، و قوته ، و من هذا الباب يحسب المثل بشروطه التداولية التي لا تتوافق في نشاطه مع حركة الواقع ، و مبادئه الإنسانية ، إذ يغدو التناقض هنا أحد مسارات المخالفة البشرية في تصوّرها للقيم المثالية ، و مضمراتها الفاعلة في الكون . تلك هي خاصية الحجاج التي نستقي فعاليتها من هذا الفعل الوظيفي و ردّة فعله العكسي المتناقض التي من شأنها تفويض الخطاب و هدم حججه و لذلك تنماز هذه الحجة في خانة الحجج شبه المنطقية لامتيازها بالطابع المنطقي في قوّة أدواته. و نوضحها وفق الشكل الآتي :

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج1، ص85

² - المصدر نفسه ، مج 1، ص 85.

³ - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص184.

⁴ - المصدر نفسه ، مج1 ، ص184.



و ما يدعم هذا الطرح كذلك المثل القائل :

" أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ إِجَابَةً " ¹

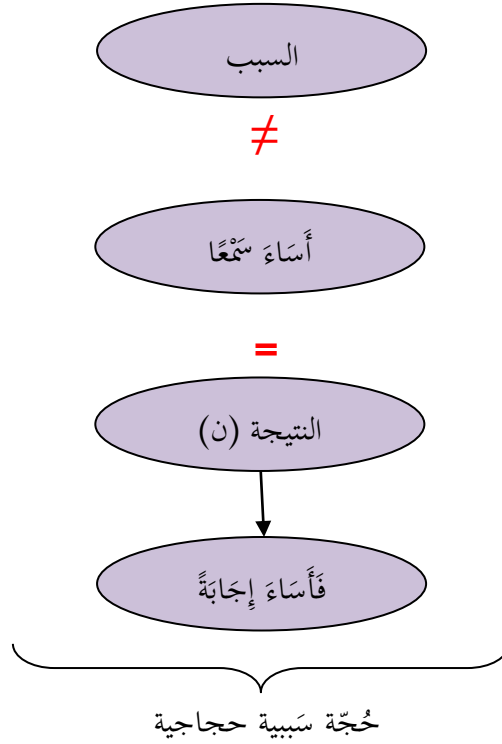
و ملخص قصته ... مَا قَالَهُ سُهَيْلُ بْنُ عُمُرٍ عِنْدَمَا اتَّقَى الْأَخْنَسَ الثَّقَفِيَّ، وَ كَانَ مَعَ سُهَيْلِ بْنِ عُمُرٍ فَحْيَاهُ الْأَخْنَسُ، فَرَدَّ الْفَتَى قَائِلًا: لَا وَ اللَّهُ مَا أُمِّي فِي الْبَيْتِ، فَرَدَّ وَالِدُهُ: أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ إِجَابَةً فَأَرْسَلَتْ مَثَلًا².

فالمتكلم هنا يعتذر لابنه و الاعتذار مسوغ لربط السبب بالنتيجة ، و منها يكتسب فعاليتها الوظيفية الحجاجية التي يدعن لها المتلقي باعتبار ما يُلقى إليه و ما يسمع ، أو ما يتلبسه أو يخامر تصوّره المتهالك نحو الإساءة و ما يُبنى عليه الواقع من التأسيس شبه المنطقي للحجاج . و من ثمّ فإنّ التفسير و البيان تُعدّ آليّة مناسبة لكشف الحجاب عن طبيعة الواقع و السياق الذي يُغذي المثل ، و يتطوّر به . على نحو ما يجعلنا أمام صورة جديدة من تمثّل الأشياء ، و مقارنة القيم بمعايير الإساءة و الإحسان أو الصدق و المغالطة ، و هكذا في كلّ سياق له ما يُبرزه من القول ، و الأدوات ، و كذلك له من الآليات ما يكشف جوهره ، و من هذا المنطلق فإنّ إلحاق الأسباب و وصلها بالنتائج الواقعية أو ظواهر مسلم بها ليس إلّا إستراتيجيات مرهونة بحيل حجاجيته حسب وجهة نظر أصحابها - المتكلمين - و سعيها لجعل المتلقي يُسلم و يدعن بها في نهاية المطاف .

و نلخصها وفق الخطاطة الآتية :

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج1، ص 343

² - المصدر نفسه ، مج1 ، ص 343



و من هذا الباب ما جاء في قصة "البغي" التي كانت تؤاجر نفسها و كانت لها بنات ، فخافت عليهن ، فقالت إحداهن : " تَنْهَانَا أُمَّنَا عَنِ الْغَيِّ وَ تَعْدُو فِيهِ " ¹.

فقد وضحت هذه الحجة خطاب الأم في حرصها الشديد على بناتها بأن أظهرت عدم توافق أقوالها مع فعلها و بالتالي حصل التناقض ، فيضع بذلك المتلقي أمام أمرين متناقضين تماما فيدفعه بذلك إلى دحض القضية الخاطئة و تقبل القضية الصحيحة المتمثلة في عدم إتباع سلوك الأم و بالتالي تنفيذ القضية الخاطئة و دفع المتلقين إلى أعمال عقولهم بالابتعاد عن السلوكات الشاذة هذا من باب اللوم الإرشادي.

و نقرأ في هذا الباب كذلك قصة الراعي و الحية :

" كَيْفَ أَعَاوِدُكَ وَ هَذَا أَنْزُ فَأَسِكَ " ² و هي قصة طويلة دارت بين طرفين هما : الراعي و الحية عندما طلب منها العفو عنه ، و كان اتفاق الصلح بينهما أن تعطيه الحية دينارا كل يوم مقابل أن لا يقتلها ، إلا أنه خلف العهد و الميثاق هذا ما جعلها ترسل المثل .

فخطاب الراعي يظهر متناقضا و غير متناسق ، فلقد تعاقد معها على الصلح في المرة الأولى ثم خان العهد و أراد قتلها بفأسه ، فكيف لها أن تثق به مرة أخرى ؟ فلاحظ جليا تناقض بين القول و الفعل ، فيضع المتلقي أمام

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج 1 ، ص 186.

² - المصدر نفسه ، مج2، ص184.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

أمريين متناقضين و بالتالي دحض الفكرة الخاطئة المتمثلة في عدم الوفاء بالعهد أو الميثاق و تقبل الفكرة الصحيحة و هي الالتزام بالعهد و الوفاء مهما كانت النتائج و إقناعه بالعمل وفقها.

كَيْفَ أَعَاوِدُكَ وَ هَذَا أَثْرَ فَأَسِيكَ ← تناقض ≠ القول ← الفعل

و نقرأ أيضا المثل القائل : " حَائِيَةٌ مُحْتَضِبَةٌ " ¹ التي تتحدث عن فعل امرأة مات عنها زوجها و تزعم أنها تحن على أولادها و تعطف عليهم و لا تتزوج ، و كانت في ذلك تحضب يديها فهنا تناقض بين قولها و فعلها ، فالمثل يصنف في خانة التناقض .

و قد يُظهر لنا المتكلم و هن خطاب خصمه من خلال إبراز تناقض بين أفعال الخصم نفسه ، و في أكثر الأحيان يكون المتكلم صاحب نفوذ و سلطة عليا على خصمه و ليس مساويا له فيستطيع بذلك تنفيذ حججه من خلال التناقض .

و مثالنا على ذلك القصة المعروفة في مجمع الأمثال :

" فِي الصَّيْفِ ضَيَّعَتِ اللَّبَنُ " ².

و فيها ما قاله عمرو بن عدس لجارية طليقته " دخنتوس " حين أرسلتها تطلب لبنا من عند طليقها ، فرد عليها بقوله : " فِي الصَّيْفِ ضَيَّعَتِ اللَّبَنُ " فهذه إشارة إلى تناقض أفعالها مع أقوالها ، ففي البداية كرهته لأنه صار شيخا كبيرا و بعدما اشتبهت حلوبة من عنده و القصة سنورها للاحقا مع أمثال أخرى.

فلقد أبرز المتكلم صورة التناقض بين الفعل و القول الذي زاد من إقناع المخاطب و التأثير فيه ، و هذا طبعا من أبرز سمات الخطاب الحجاجي الناجح.

و من هذا الباب أيضا المثل القائل : " أَضْرَطًّا وَ أَنْتَ الْأَعْلَى " ³.

و سنورد الآن قصة المثل كما أورده الميداني :

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 260.

² - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 83.

³ - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 525.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

" قَالَهُ سُلَيْكُ بْنُ سُلَيْكَةَ السَّعْدِيِّ ، وَ ذَلِكَ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ إِذْ جَثَمَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ اللَّيْلِ ، وَ قَالَ : اسْتَأْسِرْ فَرَفَعَ إِلَيْهِ سُلَيْكُ رَأْسَهُ فَقَالَ : " اللَّيْلُ طَوِيلٌ وَ أَنْتَ مُقَمَّرٌ فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا ، ثُمَّ جَعَلَ الرَّجُلُ يَلْهُزُهُ وَ يَقُولُ : يَا خَبِيثُ اسْتَأْسِرْ ، فَلَمَّا أَذَاهُ بِذَلِكَ أَخْرَجَ سُلَيْكُ يَدَهُ وَ ضَمَّ الرَّجُلَ إِلَيْهِ ضَمَّةً أَضْرَطَّتَهُ وَ هُوَ فَوْقَهُ ، فَقَالَ لَهُ سُلَيْكُ : أَضْرَطًّا وَ أَنْتَ الْأَعْلَى ؟ " يُضْرَبُ لِمَنْ يَشْكُو فِي غَيْرِ مَوْضِعِ الشُّكْوَى.¹

فلقد حاول الرجل أن يأسره و هو نائم ، فلما شعر به السليلك ضمّه إليه ضمّة شديدة ، هنا إشارة إلى تناقضه و تضارب أفعاله مع أقواله .

و ذلك نحو قصّة المثل : " أَخْرَقُ مِنْ نَاكِثَةٍ غَزَلُهَا " .²

و قصة المثل كما أوردها الميداني على النحو الآتي :

" وَ هِيَ امْرَأَةٌ كَانَتْ مِنْ قَرِيشٍ يُقَالُ لَهَا : " أُمُّ رَيْطَةَ بِنْتُ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةٍ " ، وَ هِيَ الَّتِي قِيلَ فِيهَا حَرْقَاءُ وَجَدَتْ صُوفًا ، وَ الَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَ لَا تُكُونُوا كَالَّذِي نَقَصَتْ غَزَلُهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَائِهَا) ، قَالَ الْمَفْسُورُونَ كَانَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ تَغْزُلُ وَ تَأْمُرُ جَوَارِيَهَا أَنْ يَغْزِلْنَ ثُمَّ تَنْقُضُ وَ تَأْمُرُهُنَّ أَنْ يَنْقُضَ مَا فَتَلْنَ وَ أَمْرُنَ فَضْرِبَ بِهَا الْمَثَلُ فِي الْحَرْقِ " .³

فَهُنَا يَظْهَرُ جَلِيًّا الْحَوَارِ غَيْرِ الْمُبَاشِرِ ، وَ هُوَ وَصَفَ الرَّأْيِي لِأَحَدِي الشَّخْصِيَّاتِ مَبْرُزًا تَنَاقُضُهَا فِي مَوْضِعٍ مَعْيَنٍ ، فَالْحِجَّةُ الَّتِي اسْتَظْهَرَهَا الرَّأْيِي فِي شَأْنِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ وَ وَصَفَ عَمَلَهَا بِالْحَرْقِ هِيَ التَّنَاقُضُ وَ دَعْوَى التَّعَارُضِ بَيْنَ أَفْعَالِهَا وَ أَقْوَالِهَا .

فهذه الأمثلة التي أوردها تبنى على التناقض فتتضح الأمور فيها بمناقضتها لقضية أخرى و تؤكد صدقها بمناقضتها للقضية الأولى فتصل بذلك إلى تأكيد حجتها و بطلان نقيضتها ، و تكون بذلك هي الحجّة الأقوى ، من خلال مخالفتها و مناقضتها لما سبقها و تؤكد صحتها و أحقيتها في القبول .

" وَ يَعْتَمِدُ هَذَا النُّوعُ مِنَ الْحُجْجِ فِي إِبْرَازِ قَضِيَّتَيْنِ مُتَنَاقِضَتَيْنِ فِي خُطَابٍ مَا إِحْدَاهُمَا صَحِيحَةٌ وَ الْأُخْرَى خَاطِئَةٌ ، لِدَفْعِ الْمُخَاطَبِ إِلَى الْمِيلِ لِلصَّحِيحَةِ وَ إِقْصَاءِ الْخَاطِئَةِ ، وَ بِالتَّالِيِ يَصِلُ إِلَى النَّتِيْجَةِ الْمَرْجُوعَةِ مِنَ الْحِجَاجِ ، فَيَتَحَقَّقُ بِذَلِكَ مَبْدَأُ الْاسْتِمَالَةِ وَ الْإِقْنَاعِ " .⁴

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 525 .

² - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 326 .

³ - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 326 .

⁴ - حمدي منصور جودي ، الحجاج في كلية ودمنة ، ص 112 .

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

تُعدّ الأمثال العربية من أشهر العادات القديمة التي ما زالت إلى يومنا هذا ، إذ أثّرت على الثقافة العربية و لاقت عناية كبيرة عند جلّ الأدباء و من أشهرها المثل الذي ضُرب في مجال الشّام في قولهم : " أَشْأَمُ مِنَ الْبَسُوسِ " ¹ وَ مَعْرَى الْقِصَّةِ أَنَّ كَلَيْبَ بْنَ رَبِيعَةَ رَأَى هَذِهِ النَّاقَةَ وَ هِيَ تَرَعَى فِي حِمَاهِ ، فَرَمَاهَا بِسَهْمٍ فِي ضِرْعِهَا فَقَتَلَهَا ، وَ قَدْ حَزِنَتْ عَلَيْهَا الْبَسُوسُ حُزْنًا كَبِيرًا وَ قَالَتْ أَبْيَاتًا مِنَ الشِّعْرِ سُمِّيَتْ بِأَبْيَاتِ الْفَنَاءِ فَسَمِعَ جَسَّاسُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ فَأَثَّارَتُهُ وَ دَفَعَتْهُ إِلَى قَتْلِ كَلَيْبَ ، مِمَّا أَدَّى إِلَى نُشُوبِ حَرْبٍ بَيْنَ الْقَبِيلَتَيْنِ ، وَ تَظْهَرُ مَرَامِسُ التَّنَاقُضِ مِنْ خِلَالِ مَحَاوِرَةِ جَسَّاسِ كَلَيْبِ بِقَوْلِهِ : " يَا جَسَّاسُ أَغْنِنِي بِشَرْبَةِ مَاءٍ ، فَقَالَ جَسَّاسٌ تَرَكْتُ الْمَاءَ وَرَأَيْتُكَ وَ انْصَرَفَ عَنْهُ " ²

إنّ ما قاله جَسَّاسٌ يندرج تحت حجّة التناقض من خلال عدم انسجام أقواله مع أفعاله و تناقضها بين ثنائية ترك الماء ثمّ البحث عنه ينجم عنه تقويض الخطاب و دحض حججه .

تناقض

قول جَسَّاسٍ ≠ فعله

1-2- الحجاج القائمة على قاعدة العدل (the rule of justice) :

القاعدة الأساسية التي تبنى عليها هذه الحجج هي قاعدة التماثل ، و المتكلم في هذا الصدد يتكئ على قاعدة منطقية خالصة قوامها العدل و التساوي دون وجود فروقات و هذا ما جعلها حجة شبه منطقية و هذا ما نجده في المثل القائل :

" تَأْتِي لَهُ ذَلِكَ بِنَاتُ الْبُيِّ " ³

و قصة المثل كما أورده الميداني كالآتي :

قالوا : " أصل هذا أنّ رجلاً تزوّج امرأةً و له أمّ كبيرة ، فقالت المرأة للزوج : لا أنا و لا أنت حتى تُخْرِجَ هذه العجوز عَنَّا ، فلمّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ احْتِمَالَهَا عَلَى عُنُقِهِ لَيْلًا ، ثُمَّ أَتَى بِهَا وَادِيًا كَثِيرَ السَّبَاعِ فَرَمَى بِهَا فِيهِ ، ثُمَّ تَنَكَّرَ لَهَا ، فَمَرَّ بِهَا وَ هِيَ تَبْكِي ، فَقَالَ : مَا يُبْكِيكِ يَا عَجُوزُ ؟ قَالَتْ : طَرَحَنِي ابْنِي هَهُنَا وَ ذَهَبَ وَ أَنَا

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 473

2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 484

3- المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 182.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

أَخَافُ أَنْ يَفْتَرِسَهُ الْأَسَدُ ، فَقَالَ لَهَا : تَبْكِينَ لَهُ وَ قَدْ فَعَلَ بِكَ مَا فَعَلَ ؟ هَلَا تَدْعِينَ عَلَيْهِ ؟ قَالَتْ : تَأْتِي لَهُ ذَلِكَ بَنَاتُ أَبِي .¹

مَعَزَى هذه القصة عقوق الابن لوالدته العجوز إرضاءً لطلبات و أوامر زوجته ، هنا استخدام متناقض تمامًا لحجة المعاملة بالمثل فملتكم يستغرب من مخالفة والدته لقاعدة العدل المتمثلة في عقابه بدل العفو عنه ، لكنها خالفت القاعدة و ظلت تبكي خوفاً عليه. يظلّ المتكلم هو صاحب القرار في جعل الأشياء المختلفة تتشابه و تتساوى دون فروقات بينها ليصوغ بذلك تمرير الأحكام²

و من شواهد ذلك في مدونة الأمثال قولهم :

" إِنَّ أَخِي كَانَ مَلِكِي " ³

قال أبو عمرو : " إِنَّ أَبَا حَنْشِ التَّغْلِبِيِّ لَمَّا أَدْرَكَ شَرْحَبِيلَ عَمَّ إِمْرِي الْقَيْسِ ، وَ كَانَ شَرْحَبِيلَ قَتَلَ أَخَا أَبِي حَنْشِ قَالَ : يَا أَبَا حَنْشِ قَالَ : يَا أَبَا حَنْشِ اللَّبْنُ اللَّبْنُ ، أَيُّ حُذْمِي الدِّيَّةِ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو حَنْشِ : هَرَقْتَ لَبْنَا كَثِيرًا ، أَيُّ قَتَلْتَ أَخِي ، فَقَالَ لَهُ شَرْحَبِيلُ : أَمَلِكًا بِسُوقِهِ ؟ أَيُّ أَتَقْتُلُ مَلِكًا بَدَلَ سُوقِهِ ، فَقَالَ أَبُو حَنْشِ : إِنَّ أَخِي كَانَ مَلِكِي " ⁴

فدعوة المتكلم بضرورة القصاص تُصنّف كحجة قائمة على العدل و المساواة و تطبيق القصاص من خصمه و اللآفت للنظر محاولة تفويض الحجة المستخدمة في عدم وجود مساواة بين الحاكم و الرعية (الشخص) في قوله : أملكاً بسوقه ؟ هُنا تصريح بهدم الحجة و تجريدها من ميثاق العدل في مقابل ذلك نلحظ في إلحاح المرسل على وجوب تحقيق المساواة بين الطرفين (القاتل و المقتول) و الحجة في ذلك : إذا كان القاتل (مَلِكًا) فَإِنَّ المقتول (كان مَلِكِي)

و مثالنا أيضا : " لَا تُهْدِي إِلَى حِمَاتِكَ الكَتِفِ " ⁵

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 182

² - عادل بن علي الغامدي ، الحجاج في قصص الأمثال القديمة ، مقارنة سردية تداولية، المملكة الأردنية الهاشمية، الأردن، ط1، ص 151

³ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 77

⁴ - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 77

⁵ - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 288

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

يُضْرَبُ لِمَنْ يُبَاسِطُ إِخْوَانَهُ بِالْحَقِيرِ الرَّدِيِّ . وَ أَصْلُهُ أَنَّ امْرَأَةً وَصَّتْ بِنْتَهَا فَقَالَتْ : " لَا تُهْدِي إِلَى حِمَاتِكَ الْكَتِفَ ، فَإِنَّ الْمَاءَ يَجْرِي بَيْنَ أَلْيَهِهَا قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : الْأَلَلَانِ هُمَا اللَّحْمَتَانِ الْمُطَارِقَتَانِ مِنْ عَلَى يَمِينِ الْبَعِيرِ وَ يَسَارِهِ ، وَ قَالَ أَبُو الْهَيْثَمِ : لِأَنَّ بَيْنَهُمَا رَجْرَجَةً أَيْ مَاءً غَلِيظًا " ¹ .

فهو ردّ لهدم و تقويض الحجة المنطقية من خلال دعوتها إلى التماثل و المساواة بين الحماية و الأم على سبيل الحجة القائمة على قاعدة العدل بين الحماية و الأم .

1-3- حُجُجُ التَّعْدِيَةِ (Arguments of transitivity) :

ثالث أنواع الحجج شبه المنطقية المؤسسة على البنى المنطقية (الشكلية) الحجج القائمة على التعدية ، إن التعدية خاصية شكلية تتصف بها ضروب من العلاقات التي تتيح لنا أن نمر من إثبات أن العلاقة الموجودة بين أ و ب من ناحية ، و ب و ج من ناحية أخرى هي علاقة واحدة إلى استنتاج أن العلاقة نفسها موجودة بالتالي بين أ و ج ، و ضروب العلاقات التي تقوم على خاصية التعدية هي علاقات التساوي و التفوق *supériorité* و التضمن *Inclusion* ².

إنّ من أهمّ علاقات التعدية ذات الصيغة الحجاجية شبه المنطقية علاقة التضمن *Relation d'implication* و هي العلاقة المنطقية التي تبين أنّ قضية ما تتضمن قضية أخرى ، و يبدو هذا خاصة في الاستدلال القياسي *Raisonnement Syllogistique* القائم أساساً على التعدية في القياس الخطابي الذي يسميه أرسطو ضميراً *Enthymème*.

فالضمير ليس من بعض الوجوه حسب بيرلمان إلاّ حجة أو دليلاً شبه منطقي يقدم في شكل قياسي ، و يؤدي إلى ظهور علاقة التعدية من قبيل :

قضى سقراط حُبُهُ لَأَنَّهُ إِنْسَانٌ .

(النتيجة المسكوت عنها: كلّ إنسان فانٍ)

← علاقة تعدية

← سننتصر لأننا الأقوى .

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 288

² - عبد الله صولة، في نظرية الحجاج ، ص 46.

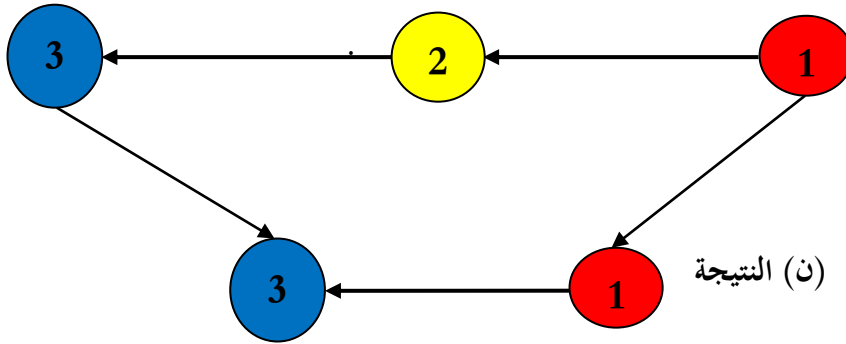
الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

← الأقوى ينتصر¹.

و مثالنا على ذلك المثل القائل :

" إِمَّا أَكَلْتُ يَوْمَ أَكَلُ الثَّورَ الْأَبْيَضُ " ².

تظهر النتيجة الحتمية و النهائية و المصيرية في استخدام المتكلم لحجة التعدي ، فالثور المتحدّث لم يأكل حين أكل الثور الأبيض و إنما كانت العلاقة على هذا النحو.



فأكل الثور الأبيض (1) كان سبباً في أكل الثور الأحمر (2) و الثور الأحمر (2) كان سبباً في أكل الثور الأسود (3).

إذن النتيجة النهائية أنّ كل (1) هو سبب لأكل (3).

و من هذا الباب أيضا ما ورد في مجمع الأمثال :

" عَلَى أَهْلِهَا تَجْنِي بَرَاقِش " ³.

و قصّة المثل تُورِدُهَا كَالآتِي لِاسْتِخْلَاصِ حِجَّةِ التَّعْدِيَةِ.

و قال الشَّرْقِي بِنُ بِنِ الْقُطَّاسِ : بَرَاقِشُ امْرَأَةٌ لُقْمَانَ بِنُ عَادَ ، وَ كَانَ لُقْمَانُ مِنْ بَنِي ضَدَّ ، وَ كَانُوا لَا يَأْكُلُونَ حُومَ الْإِبِلِ ، فَانزَلَ مَعَ لُقْمَانَ فِي بَنِي أَبِيهَا ، فَأَوْلَمُوا وَ نَحَرُوا الْجَزْرَ ، فَراحَ ابْنُ قِرَاشِ إِلَى أَبِيهِ بَعْرِقٍ مِنْ جَزُورٍ فَأَكَلَهُ لُقْمَانُ ، فَقَالَ يَا بُنَيَّ مَا هَذَا ؟ فَمَا تَعَرَّفْتُ قَطُّ طَيِّبًا مِثْلَهُ ، فَقَالَ جَزُورٌ نَحَرُهَا أَحْوَالِي ، فَقَالَ : وَ إِنَّ حُومَ الْإِبِلِ فِي الطَّيِّبِ كَمَا أَرَى ؟ فَقَالَتْ بَرَاقِشُ : جَمَلْنَا وَ اجْتَمَلْ ، فَأَرْسَلْتَهَا مِثْلًا ... وَ كَانَتْ بَرَاقِشُ أَكْثَرُ

1 - عبد الله صولة، في نظرية الحجاج ، ص 47.

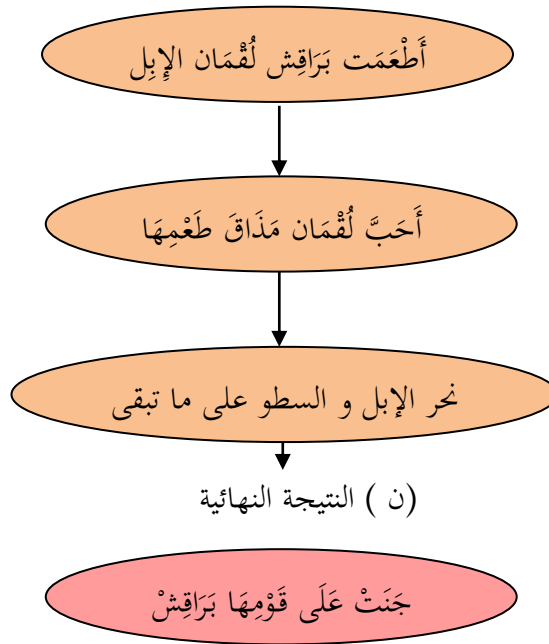
2 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 56

3 - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 18 - 19.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

قَوْمَهَا إِبْلًا ، فَأَقْبَلَ لُقْمَانَ عَلَى إِبْلِهَا فَاسْرَعَ فِيهَا ، وَ فِي إِبْلِ قَوْمِهَا ، وَ فَعَلَ ذَلِكَ بَنُوا أَبِيهِ لَمَّا أَكَلُوا حُومَ الْجُرُورِ ، فَقِيلَ " عَلَى أَهْلِهَا تَحْنِي بَرَاقِشٌ " ¹.

فلقد اتكأ المتكلم على حجة التعدي في تمرير الحكم إلى براقش فهي لم تحن على أهلها في البداية و لكنها فعلت ما سبب لهم الضرر فأرسلت مثلاً.



و شواهدنا على ذلك كثيرة ، مثل قولهم : " أَجْنَاؤُهَا أَبْنَاؤُهَا " ² خير دليل على حجة التعدي و أصل المثل : أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الْيَمَنِ عَزَا وَ خَلَفَ بِنْتًا ، وَ أَنَّ ابْنَتَهُ أَحَدَّتْ بَعْدَهُ بُنْيَانًا قَدْ كَانَ أَبُوهَا يَكْرَهُهُ ، وَ إِذَا فَعَلَتْ ذَلِكَ بِرَأْيِ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ أَشَارُوا عَلَيْهَا وَ زَيْنُوهُ عِنْدَهَا ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَلِكُ أَخْبَرَ بِمَشُورَةِ أَوْلَادِكِ وَ رَأَيْهِمْ أَمْرُهُمْ بِأَعْيَانِهِمْ أَنْ يَهْدِمُوهُ " ³ فالذي كان سببا مباشرا في بنائه كان سببا أيضا في هدمه .

و نمثله وفق الشكل الآتي :

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 18 - 19

2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 221

3 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 221

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

مَنْ قَامَتْ بِالْبَنِيَانِ ← حَطَّأَ مَا فَعَلْتَهُ ← هَدَمَ الْبَنِيَانِ
 (البنت) (فقد جنى عليها)
 =
 (ن) من قامت بالبنيان ← قَدْ جَنَّتْ عَلَيْهَا

و يُضْرَبُ الْمَثَلُ فِي سُوءِ الْمَشُورَةِ وَالرَّأْيِ وَ عَدَمِ الْأَخْذِ بِنَصِيحَةِ الْأَبِ مِمَّا أَدَّى إِلَى النَّتِيجَةِ الْحَتْمِيَّةِ .

" وَ جَزَاءُ سِنِمَّارٍ " ¹ خير شاهدٍ على ذلك ، " وَ هُوَ رَجُلٌ رُومِيٌّ بَنَى الْخُورَزْمِيَّ الَّذِي بَطَّهَرَ الْكُوفَةَ لِلنُّعْمَانِ بْنِ إِمْرِيٍّ الْقَيْسِ فَلَمَّا فَرَعَ مِنْهُ أَلْقَاهُ مِنْ أَعْلَاهُ فَخَرَّ مَيِّتًا وَ إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِئَلَّا يَبْنِي مِثْلَهُ لِغَيْرِهِ " ²
 أي الذي بناه و تعب من أجله هو الذي تسبب في حتفه و موته ، فالمتكلم استخدم حجة التعدي في نقل الحكم من علاقة إلى علاقة أخرى بهذا الشكل :

مَنْ بَنَاهُ ← أخطأ ← وَ مِنْ أخطأ مات
 إذن (ن) مَنْ بَنَاهُ ← مات

و قولهم : " سُرِقَ السَّارِقُ فَانْتَحَرَ " ³

و أصله : " أَنَّ سَارِقًا سَرَقَ شَيْئًا فَجَاءَ بِهِ إِلَى السُّوقِ لِيَبِعَهُ ، فَسَرِقَ ، فَنَحَرَ نَفْسَهُ حُزْنًا عَلَيْهِ ، فَصَارَ مَثَلًا لِلَّذِي يُنْتَرَعُ مِنْ يَدِهِ مَا لَيْسَ لَهُ فَيَجْرَعُ عَلَيْهِ وَ تَقْدِيرُ الْمَثَلِ سُرِقَ السَّارِقُ سِرْقَتَهُ فَانْتَحَرَ : أَي صَارَ مَنْحُورًا كَمَدًا " ⁴

فالمتكلم يتكئ على حجة التعدي في تمرير الحكم إلى السارق ، فهو لم يجن على نفسه في أول الأمر و لكنّه في النهاية فعل ما سبب الضرر لنفسه مما أدى إلى حتفه و انتحاره بنفسه .

سُرِقَ السَّارِقُ ← أَحَبَّ السَّرْقَةَ ← سُرِقَ السَّارِقُ (جنى على نفسه)
 إذن السارق ← انتحَرَ

و العلاقة التي سوّغت هذا الانتقال هي العلاقة السببية المرهونة بحجة التعدي .

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 212

2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 212

3 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 430

4 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 430

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و هناك حجج التعديّة المبنية على أساس التّفوق مثلما هو الحال في قصّة " صحيفة المتلمّس " و ما يهّمنا هو الحديث الذي انعقد بين الطّرفين و نقصد " المتلمّس " و " طرّفة " حين رحلا إلى البحرين فحين وصلا ، رؤية المتلمّس لشيخ كبير يأكل تمرًا فقال له : " تالله رأيتُ شَيْخًا أَحْمَقَ و أضعف ، قال الشيخ : و ما رأيتَ من جهلي؟ أخرج حَبِيثًا و أدخل طَبِيبًا و أقتل عدوًّا، و أَحْمَقَ مِنِّي و الأمُّ حَامِلٌ حَتْفُهُ بِمِمينه لا يَدْرِي مَا فِيهِ " ¹ فالشيخ هنا اتّكأ على حجّة التعديّة في قوله أجهل منّي و المرسل أجهل منه .

المرسل (المتلمّس) ← أجهل من الشيخ

الشيخ (المرسل إليه) ← أجهل من الناس

(ن) المتلمّس ← أجهل من الشيخ و من الناس .

2- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية :

تعتمد هذه الحجج في واقع الأمر قواعد رياضية تشكل خلفيتها العميقة و نسيجها الداخلي بل تؤسس طاقتها الحجاجية و تعد معينها الإقناعي.²

و في مجمع الأمثال لا نجد الكثير من هذه الحجج ، ما وجدنا إلا القليل قد يكون السبب في ذلك عدم تواجد الأشكال المنطقية في تراثنا العربي القديم ، و قد يكون إلى طبيعة البيئة الصحراوية و الفكر العربي آنذاك الذي يميل نحو البساطة ، فالعرب أبناء بيئتهم على نقيض ثقافة المدينة التي تميل نحو الأشكال الرياضية.

و تكون العلاقة في إدماج الجزء في الكلّ منظورا إليها عادة من زاوية كمية فالكل يحتوي الجزء و تبعاً لذلك فهو أهمّ منه ، وهو ما يجعل هذا الضرب من الحجاج في علاقة بمواضع الكم أو معاني الكم.³

و مدوّنتنا فقيرة في هذا الجانب كما ذكرنا سالفاً و ما وجدنا إلا القليل الذي يعتمد هذه الحجّة اعتماداً دقيقاً للعيار و مثل ذلك ما وجدناه في قول النّعمان للعيار بن عبد الله الضبي في قصة المثل :

" أَكُلُّ حَمِيٍّ وَلَا أَدْعُهُ لِأَكِلٍ " ⁴.

و قصّة المثل كما أوردتها الميداني :

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج1، ص503

2- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص203.

3- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات، ص48.

4- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج1، ص86.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ الْعِيَّارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الضَّيِّيِّ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي السَّيِّدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ بَكْرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ ضَبَّةَ ، وَ كَانَ مِنْ حَدِيثِهِ فِيمَا ذَكَرَ الْمُفْضَلُ أَنَّ الْعِيَّارَ وَفَدَ وَ هُوَ حُبَيْشُ بْنُ دُلْفٍ وَ ضِرَارُ بْنُ عُمَرُو الصَّبَّيَّانَ عَلَى النُّعْمَانَ ، فَأَكْرَمَهُمْ وَ أَجْرَى عَلَيْهِمْ نُزُلًا ، وَ كَانَ الْعِيَّارُ رَجُلًا بَطَلًا يَقُولُ الشِّعْرَ ، وَ يُضْحِكُ الْمَلُوكَ ... وَ كَانَ النُّعْمَانُ بَادِيًا فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ بِحَزْرٍ فِيهِنَّ تَيْسٌ فَأَكَلُوهُنَّ غَيْرَ التَّيْسِ ، فَقَالَ ضِرَارٌ لِلْعِيَّارِ وَ هُوَ أَحَدُهُمْ سِنًا : إِنَّهُ لَيْسَ عِنْدَنَا مَنْ يَسْلُخُ هَذَا التَّيْسَ فَلَوْ ذَبَجْتَهُ وَ كَفَيْتَنَا ذَلِكَ ، قَالَ الْعِيَّارُ : مَا أَبَالِي أَنْ أَفْعَلَ ، فَذَبَحَ التَّيْسَ وَ سَلَخَهُ ، فَانْطَلَقَ ضِرَارٌ إِلَى النُّعْمَانَ فَقَالَ : أَبَيْتُ اللَّعْنَ ، إِنَّ الْعِيَّارَ يَسْلُخُ تَيْسًا ، ... فَقَالَ لَهُ أَيْنَ قَوْلُكَ : لَا أَذْبَحُ النَّازِي الشُّيُوبَ ؟ فَخَجَلَ الْعِيَّارُ وَ ضَحِكَ النُّعْمَانُ مِنْهُ سَاعَةً ، وَ عَرَفَ الْعِيَّارُ أَنَّ ضِرَارًا هُوَ الَّذِي أَخْبَرَ النُّعْمَانَ بِمَا صَنَعَ ، وَ كَانَ النُّعْمَانُ يَجْلِسُ بِالْهَاجِرَةِ فِي ظِلِّ سَرَادِقَةٍ ، وَ كَانَ كَسَا ضِرَارًا حُلَّةً مِنْ حِلَلِهِ ، وَ كَانَ ضِرَارٌ شَيْخًا أَعْرَجَ بَادِيًا كَثِيرَ اللَّحْمِ ، قَالَ : فَسَكَتَ الْعِيَّارُ حَتَّى كَانَتْ سَاعَةُ النُّعْمَانَ الَّتِي يَجْلِسُ فِيهَا فِي ظِلِّ سَرَادِقَةٍ وَ يُؤْتَى بِطَعَامِهِ عَمَدَ الْعِيَّارِ إِلَى حِلَّةِ ضِرَارٍ فَلَبَسَهَا ، ثُمَّ خَرَجَ يَتَعَارَجُ حَتَّى إِذَا كَانَ بِجِبَالِ النُّعْمَانَ كَشَفَ عَنْهُ فَحَزِي ، فَقَالَ النُّعْمَانُ مَا لِضِرَارٍ قَاتَلَهُ اللَّهُ لَا يَهَانِي عِنْدَ طَعَامِي ؟ فَغَضِبَ عَلَى ضِرَارٍ .

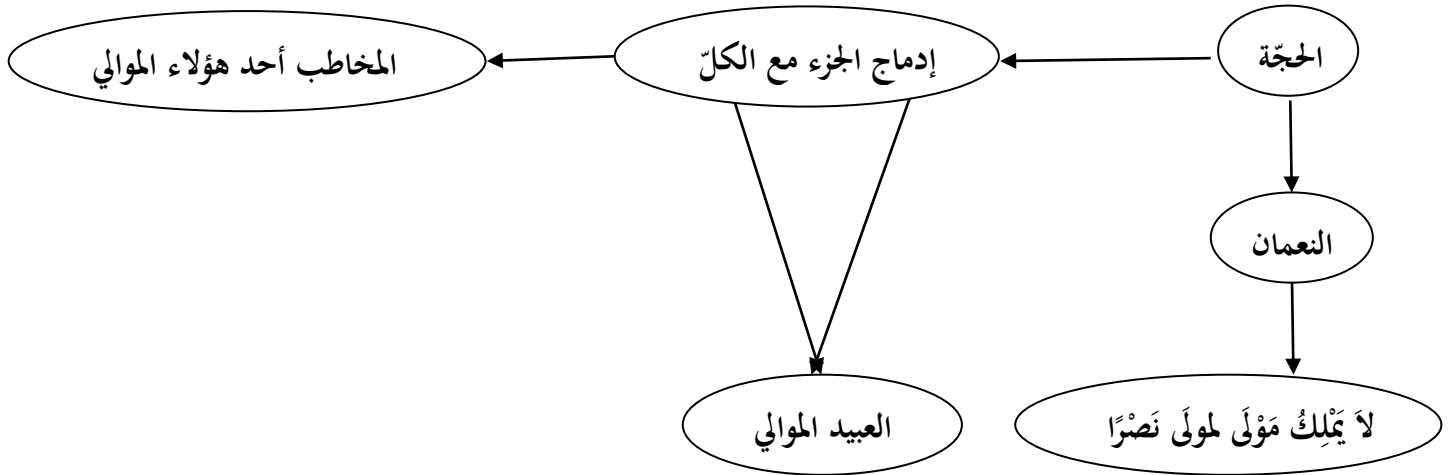
فَحَلَفَ ضِرَارٌ مَا فَعَلَ ، قَالَ : وَ لَكَيْتِي أَرَى أَنَّ الْعِيَّارَ فَعَلَ هَذَا مِنْ أَجْلِ أَبِي ذَكَرْتَ سَلَخَهُ التَّيْسَ ، فَوَقَعَ بَيْنَهُمَا كَلَامٌ حَتَّى تَشَاءَمَا عِنْدَ النُّعْمَانَ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ وَ وَقَعَ بَيْنَ ضِرَارٍ وَ بَيْنَ أَبِي مُرْحَبِ أَخِي بَنِي يَرْبُوعَ مَا وَقَعَ تَنَاوُلَ أَبُو مُرْحَبِ ضِرَارًا عِنْدَ النُّعْمَانَ وَ الْعِيَّارُ شَاهَدَ فَشَتَمَا الْعِيَّارُ أَبَا مُرْحَبِ فِي ضِرَارٍ وَ قَدْ سَمِعْتِكَ تَقُولُ لَهُ ثَمْرًا مِمَّا قَالَ لَهُ أَبُو مُرْحَبِ ؟

فَقَالَ الْعِيَّارُ : أَبَيْتُ اللَّعْنَ وَ أَسْعَدَكَ إِلَهُكَ أَكُلُ لَحْمِي وَ لَا أَدْعُهُ لِأَكْلِ ، فَقَالَ النُّعْمَانُ : لَا يَمْلِكُ مَوْلَى لِمَوْلَى نَصْرًا.¹

و الملاحظ عليه استخدام النُّعْمَانَ حِجَّةَ إدماج الجزء في الكلّ ذلك أن العبيد و الجواري ، و الموالي لا يستطيعون نصرة بعضهم البعض بحكم أنّهم ضعفاء لا حول و لا قوّة لهم ، و المخاطب أحد هؤلاء الموالي فيترقّب ما يحدث له ما يحدث لجماعته.

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج1، ص88.

الفصل الثالث — آليات الحجج في مجمع الأمثال



و هذا ما نجدُه في المثل القائل : " إِنَّهَا الْإِبِلُ بِسَلَامَتِهَا " ¹.

و قصة هذا المثل : " قال يونس : زَعَمُوا أَنَّ الصَّحَّ أَخَذَ تَفْصِيلاً رَازِمًا فِي دَارِ قَوْمٍ قَدِ ارْتَحَلُوا وَ حَلَّوْهُ ، فَجَعَلَتْ تَحْلِيهِ لِلْكَأَلِ ، وَ تَأْتِيهِ فَتَغَارُهُ إِيَّاهُ حَتَّى إِذَا امْتَلَأَ بَطْنُهُ وَ سَمِنَ أَتَتْهُ لِتَسْتَأْقَهُ ، فَرَكَّضَهَا رَكْضَةً دَقَمَ فَاهَا ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَتْ الصَّبَّعُ : " إِنَّهَا الْإِبِلُ بِسَلَامَتِهَا " ².

فالمتكلم هنا ينسب الفصيل إلى جماعة الإبل حتى يقوم بتمرير الأحكام بين الطرفين ، فالفصل إذن ليس إلا جزءا من كل إذ يجري عليه ما يجري على جماعته.

ثانيا : الحجج المؤسسة على بنية الواقع :

لئن كانت الحجج شبه المنطقية ترمي إلى صحة الموضوع و مشروعيته بفضل ما لها من بعد عقلائي تستمد من علاقاتها ببعض الصيغ المنطقية و الرياضية فإن الحجج القائمة على بنية الواقع تستخدم الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مسلم بها و أحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها و تثبيتها و جعلها مقبولة مسلما بها. ³

إن الحجج التي تعتمد فيها بنى الواقع لا تصف الواقع وصفا موضوعيا و إنما هي طريقة في عرض الآراء المتعلقة بهذا الواقع و يمكن أن تكون هذه الآراء وقائع **Des faits** أو حقائق **Des vérités** أو افتراضات **Des**

présomptions ⁴.

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1، ص 91

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 91.

³ - عبد الله صولة، في نظرية الحجج دراسات وتطبيقات ، ص 49.

⁴ - المرجع نفسه ، ص 49.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و نجد تحت هذه الحجج : الحجة السببية ، البراغماتية ، حجة التبذير ، حجة السلطة ، حجة الشخص و أعماله.

و أهم هذه الحجج نجدها في مدونة قصص الأمثال نحاول ذكر أهمها التي تقوم على مبدأ التتابع.

1- الحجة السببية :

و هي حجج تقوم على التتابع ، و قد جعلها بيرلمان على ثلاثة ضروب :

- حجج تسعى إلى الربط بين حدثين متتابعين بواسطة علاقة سببية.
- حجج تسعى إلى الربط الكشف عن سبب وقوع حدث معين.
- حجج تسعى إلى استنتاج الأثر الذي سيظهر من حدث معين.¹

ففي المجموعة الأولى شواهد كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

المثل القائل : " إِذَا عَزَّ أَحُوكَ فَهِنَّ " .²

إن المثل لهذيل بن هبيرة التغلي ، و كان قد أغار على بني ضبة فغنم فاقبل بالغنائم ... " .
تظهر لنا الأحداث مترابطة برباط سببي فهو قد غنم لأنه أغار على بني ضبة.

و هذا ما نجده في قصة المثل : " دَهَبُوا أَيِّدِي سَبَأً " .³

و يظهر ذلك في رواية الراوي و هو يحكي قصة سبأ : " وَ ذَلِكَ أَنَّ الْمَاءَ كَانَ يَأْتِي مِنَ الشَّجَرِ وَ أَوْدِيَّةِ الْيَمَنِ ،
فَرَدُّوا رَدْمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ وَ حَبَسُوا الْمَاءَ ... فَأَخْصَبُوا وَ كَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ " .
فلقد أخصبوا نتيجة ما صنعوه من حبس الماء و ما ردموه بين الجبلين⁴.

¹ - perlman and tyteca, the new rhetoricb , translated by john wilkinson and purcell weaver ,

university of votre dame , 2008 , p 263 نقلا عن د. عادل بن علي الغامدي ، الحجاج في قصص الأمثال القديمة، مقارنة سردية

تداولية ، ص 170

² - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج1، ص53.

³ - المصدر نفسه ، مج1، ص351.

⁴ - عادل بن علي الغامدي ، في قصص الأمثال القديمة ، مقارنة سردية تداولية ، ص 170

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

" أَخْلَى مِنْ جَوْفِ حِمَارٍ " ¹

و قصّة المثل : و " أَخْرَبُ مِنْ جَوْفِ حِمَارٍ " قَالُوا : هُوَ رَجُلٌ مِنْ عَادَ ، وَ جَوْفُهُ : وَادٍ كَانَ يَجْلُهُ ، ذُو مَاءٍ وَ شَجَرٍ ، فَخَرَجَ بَنُوهُ يَنْتَصِدُونَ ، فَأَصَابَتْهُمْ صَاعِقَةٌ فَأَهْلَكَتْهُمْ ، فَكَفَرَ وَ قَالَ : لَا أَعْبُدُ رَبًّا فَعَلَّذَا بِنَبِيِّ ، ثُمَّ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى الْكُفْرِ فَمَنْ عَصَاهُ قَتَلَهُ ، فَأَهْلَكَهُ اللَّهُ وَ أَخْرَبَ وَادِيهِ ، فَضَرَبَتِ الْعَرَبُ بِهِ الْمَثَلَ فِي الْحَزَابِ وَ الْحَلَاءِ " ²

فهنا رابط سببي أدّى بالأولاد إلى السّاقطة و الهلاك بسبب كفر الأب و سخطه يتحتّم على المخاطب تقبّل النتيجة (و نقصد الأب) و هلاك الأبناء كحقيقة مسلّم بها .

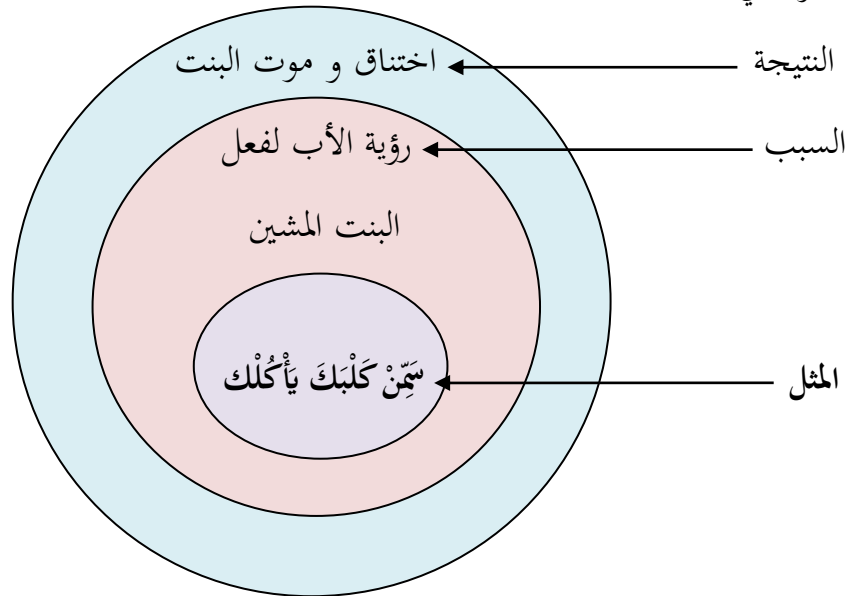
تظهر الحجة السببية في المجموعة الثانية التي ذكرناها سابقا (الكشف عن سبب وقوع الحدث) في قول العرب "

سَمِّنْ كَلْبُكَ يَا كُكُلُكُ " ³

و قصّته طويلة في المدوّنة ففيها يُشاهد حازم ابنته مع جُحَيْش على سوء و جُحَيْش هذا فتى كان قد وجده حازم و هو صغير فرّباه و أحسن إليه فلمّا علمت الفتاة بأبيها اختنقت و ماتت ⁴ قال حازم " هَانَ عَلَيَّ الثُّكُلُ لِسُوءِ

الفِعْلِ " ⁵

نلاحظ من خلال هذه الأطروحة ربط المتكلم النتيجة بالسبب ممّا أدّى إلى قبول النتيجة الحتمية و التسليم بها . و تمثّلها على النحو الآتي :



1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 328

2 - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 328

3 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 423

4 - عادل بن علي الغامدي ، الحجاج في قصص الأمثال القديمة ، مقارنة سردية تداولية ، ص 173

5 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 425

الفصل الثالث _____ آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و مثالنا على حجة استنتاج الأثر قولهم : " إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا " ¹
و قصّة المثل : " قَالَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ وَفَدَ عَلَيْهِ عُمَرُو بْنُ الْأَهْتَمِ وَ الزَّبْرِقَانُ بْنُ بَدْرٍ وَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ ، فَسَأَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَ السَّلَامَ عُمَرُو بْنُ الْأَهْتَمِ عَنِ الزَّبْرِقَانِ ، فَقَالَ عُمَرُو : مُطَاعٌ فِي أُذُنَيْهِ شَدِيدُ الْعَارِضَةِ ، مَانِعٌ لِمَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، فَقَالَ الزَّبْرِقَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَيَعْلَمُ مِنِّي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، وَ لَكِنَّهُ حَسَدِي ، فَقَالَ عُمَرُو : أَمَا وَ اللَّهُ إِنَّهُ لَزَمَرُ الْمُرْوَةِ ، صَيِّقُ الْعَطَنِ ، أَحْمَقُ الْوَالِدِ ، لَنِيمُ الْحَالِ ، وَ اللَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَذِبْتُ فِي الْأُولَى وَ لَقَدْ صَدَقْتُ فِي الْأُخْرَى ، وَ لَكِنِّي رَجُلٌ رَضِيْتُ فَقُلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتُ وَ سَخِطْتُ فَقُلْتُ أَقْبَحَ مَا وَجَدْتُ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَ السَّلَامَ : إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا " ²
أراد المتكلم تبيان حدث الواقعة في تقليل عمرو بن الأهتم من الزبرقان و التقزيم من مكانته و أهميته و في الأخير تم استنتاج ذلك بدافع الحسد " و ما يشدها إلى الواقع هو ربطها بسبب يتوقع منها هذا الأثر " ³
فهذه حجة تسعى إلى استنتاج الأثر ، إذ يمكن القول أنه نوع من التكهّن بالمستقبل .

2- الحجة البرغماتية The pragmatic Argument :

هي حجة تستند على التابع أيضا و تقوم عليه ، وحدها أنها الحجة التي يحصل بها تقويم عمل ما أو حدث معين باعتبار نتائجه الايجابية أو السلبية ، و من هنا كان لهذه الحجة تأثير مباشر في توجيه السلوك و عدت من أهم وسائل الحجاج. ⁴

و معنى ذلك أنها تقوم النتائج إما سلبا أو إيجابا ، و تظهر فاعلية هذه الحجج من خلال دورها في الحجاج الذي يقتصر فقط على مجرد ذكر النتائج التي يحصل عليها من خلال تقويم عمل ما بل و توجيه ذلك العمل نحو الوجهة التي يريدتها المتكلم أو الخطاب ككل ، بمعنى آخر هذه الحجج تكون موجهة بمقاصد المتكلم و غاياته ، أي أنها تعتمد على مبدأ نفعي تداولي يقوم على هدف التواصل أولا ثم توجيه الخطاب ثانيا ، و بالتالي يكون الإقناع و يتحقق الاقتناع ، و من الأمثلة التي تظهر فيها هذه الحجة : تَجُوعُ الْحَرَّةِ وَ لَا تَأْكُلُ بِثَدْيِهَا. ⁵

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 35

2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 35

3 - علي عادل الغامدي ، الحجاج في قصص الأمثال ، مقارنة سردية تداولية ، ص 176

4- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات ، ص 50.

5- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج 1، ص 170.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

إذ حاولت الأم إقناع ابنتها بضرورة الزواج من شيخ كبير في السن تقدم لخطبتها ، فتقول مفضلة الشيخ عن الشاب " إِنَّ الْفَتَى يُغَيِّرُكَ ، وَ إِنَّ الشَّيْخَ يَمَيِّرُكَ ، وَ لَيْسَ الْكَهْلُ الْفَاضِلُ ، الْكَثِيرُ النَّائِلُ ، كَالْحَدِيثِ السَّنِّ ، الْكَثِيرِ الْمَنِّ " ¹.

فترد عليها الفتاة كالاتي : " ... إِنَّ الشَّيْخَ يُبْلِي شَبَابِي ، وَ يُدْنِسُ ثِيَابِي ، وَ يَشْمِتُ بِي أَتْرَابِي ... " في هذا المثل يتضح استخدام الحجة البراغمية إذ يحاول المتحدث (كل من الأم وال بنت) استنتاج مصير كل قرار و تبيان عواقبه و نتائجه حتى يقنع به مخاطبه و هذا ما فعلته الأم و البنت.

و هذا ما نجده في المثل القائل : " تَرَكْنُهُ تُغْنِيهِ الْجَرَادَاتَانُ " ².

يُضْرَبُ لِمَنْ كَانَ لَاهِيًا فِي نَعْمَةٍ وَ دِعَةٍ.

عندما نزل معاوية بن بكر أخواله من قوم عاد ليستسقوا لقومهم فنسوا ما جاءوا له و انشغلوا بأكلهم و شربهم قال : " هَلَكَ أَخْوَالِي ، وَ لَوْ قَلْتُ هُوَ لَاءَ شَيْئًا ظَنُّو بِي بِخَلَا ... " ³

إن المتكلم يقوم بتقييم عمله من خلال الغاية و العاقبة التي سيصير إليها ، فهو يريد حث أخواله و تذكيرهم بعملهم و مهمتهم التي حضروا من اجلها ، و لكنه في نفس الوقت يخشى العاقبة ، و إن يرضوا به بخلا ، إن الحجة السببية و الحجة البراغمية يميلان من الطاقة الحجاجية و الإقناعية ما يؤهلها إن تكون من الحجج الفاعلة في الخطاب الإقناعي لما لهما من قدرة على عقد العلاقات بين المقدمات و النتائج و ربطهما ، و هذا هو دور الحجاج في الخطاب ككل.

3- حجة التبذير (The argument of waste) :

و هي حجة تقوم أيضا على التتابع و لكنها لا تعتمد العلاقة السببية. ⁴
يقول بيرلمان : " بما أننا شرعنا في انجاز هذا العمل و ضحينا في سبيله بما لو أعرضنا عن تمامه لكان مضيعة للمال و الجهد ، فَإِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَوَاصِلَ إِجْزَاءَهُ " ⁵.

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 170.

2 - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 180.

3 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 180.

4 - عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات ، ص 50

5 - المرجع نفسه، ص 50.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و لعل القصة الواردة في هذا المثل خير شاهد على ذلك :

" إِنَّ غَدًا لَنَاظِرُهُ قَرِيبٌ " ¹

و في قصة المثل يقول الملك النعمان للطائي :

" وَ اللَّهُ لَوْ نَسَجَ لِي فِي هَذَا الْيَوْمِ قَابُوسَ ابْنِي لَمْ أَجِدْ أَبَدًا مَنْ قَتَلَهُ ، فَاطْلُبْ حَاجَتَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَ سَلْ مَا بَدَا لَكَ فَإِنَّكَ مَقْتُولٌ " ²

بنى النعمان قوله على حجة التبذير ، فهو يعمد إلى قتل أي شخص حتى و إن كان من المقربين إليه في سبيل العادات و التقاليد لذلك اليوم دون النظر إلى العواقب و النتائج .
فلقد غدا القول مقنعا لما يتمتع به النعمان من سلطة ، و قوة و نفوذ جعلت المثل مقنعا و مؤثرا و بالتالي يتحقق البعد الحجاجي فلو كان النعمان شخصية عادية لما حصل ذلك .

و هذا ما نجده في قصة المثل بين الراعي و الحية الذي أراد أن يأخذ و يثار لأخيه بسببها و يظهر ذلك جليًا في قوله بعد أن نهشت الحية أخاه فقتلته : " وَ اللَّهُ مَا فِي الْحَيَاةِ بَعْدَ أَخِي خَيْرٌ ، فَلَا أَطْلُبَنَّ الْحَيَّةَ وَ لَا أَقْتُلَنَّهَا أَوْ لِأَتَبَعَنَّ أَخِي ، فَهَبْطَ ذَلِكَ الْوَادِي وَ طَلَبَ الْحَيَّةَ لِيَقْتُلَهَا ، فَقَالَتْ الْحَيَّةُ لَهُ : أَلَسْتَ تَرَى أَنَّ قَتَلْتُ أَخَاكَ ؟ فَهَلْ لَكَ فِي الصُّلْحِ ... " ³

يظهر لنا المتكلم متكئًا على حجة التبذير لإقناعنا بالثار من أخيه و الوصول إلى هدفه المنشود مهما كانت الأسباب و مهما كانت النتائج ، فحجة التبذير ركيزة من ركائز سلطة المتكلم و هدفه .

4- حجة الشخص و أعماله (The person and his acts) :

هذه الحجة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالشخص و صفاته و أعماله ، فهو يعتبر " منشأ لأعمال و أحكام معينة ، و كذلك هو موضوع تقويم من قبل الآخرين في ضوء ما يصدر عنه من أفعال " ⁴ .
فنجاعة هذه الحجة مرتبطة بجوهر الشخص ، فالإنسان العاقل لا يصدر منه إلا أفعال عقلانية ، و العكس صحيح ، فالشخص هو بؤرة العمل و توجيهه ، " إن علم الأخلاق و القضاء يعتمدان مفهومي " الإنسان و أعماله " .

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 106.

2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 106.

3 - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 174

4 - عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات ، ص 51.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

من حيث هما مفهومان مترابطان متواشجان لإفكاك لأحدهما عن الآخر فعلم الأخلاق و القضاء يحكمان على العمل و صاحبه في الوقت نفسه و ليس في وسعهما الاكتفاء بالحكم على واحد منهما دون الآخر و هما إذا يحكمان على الشخص دون أعماله فإنهما يحكمان عليه في ضوء أعماله فهي جزء منه لا يتجزأ ، و هكذا فإن الشخص هو مجمل المعلوم من أعماله أي بتعبير أدق هو العلاقة بين ما ينبغي أن نعتبره جوهر الشخص و بين أعماله التي هي تجليات ذلك الجوهر".¹

و مثالنا على ذلك المثل القائل : " حُذِّ مِنْ جِذْعٍ مَا أَعْطَاكَ".²

فالحكم على جذع بالشجاعة ، و البطولة ، و العزة ، جاء بعد عرض أعماله البطولية ، و جرأته في نبذ الذل ، فما أوردته القصة أن سليحا ظهرت على غسان فألزمتهم تأدية دينارين على كل رجل منهم ، فأتى الجابي إلى رجل من غسان اسمه "جذع" يطلبه الإتاوة التي عليه ، فقام جذع بضربه حتى هلكه ، فلقد قدمت أعمال جذع حتى يقنع المتلقي بشجاعته و بطولاته.

فمن الأمثلة الواضحة في هذا المسار المثل القائل : " جَوْعٌ كَلْبِكَ يَتَّبِعُكَ".³

التي تتحدث عن ملك من ملوك الحيرة " كان عنيفا على أهل مملكته يغضبهم أموالهم ، و يسلبهم ما في أيديهم ، و كانت الكهنة تخبرهم أنهم سيقتلونه فلا يحفل بذلك ، و إنّ امرأته سمعت أصوات السؤال فقالت : إني لأرحم هؤلاء لما يلقون من الجهد و نحن في العيش الرغد ...

فرد عليها : " جَوْعٌ كَلْبِكَ يَتَّبِعُكَ " .

فلقد أورد المتكلم بعضا من أعمال الشخصية لتجعلنا نحكم على الشخصية نفسها ، فالشخصية في نهاية القصة معروفة بالظلم و العنف و القسوة ، و لذلك استحقت مصير القتل ، فالأعمال هي التي تقوم على الشخصية و تجعلنا نحكم عليها بالإيجاب أو السلب.

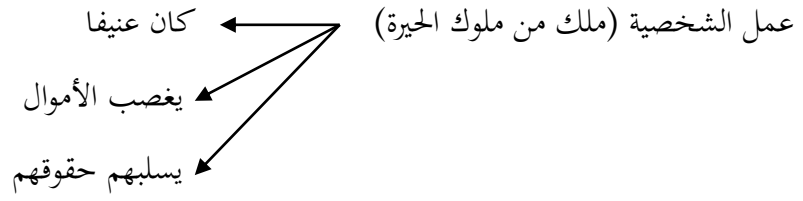
و نوضحها على الشكل الآتي :

¹ - عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات ، ص 51.

² - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج 1، ص 299.

³ - المصدر نفسه ، مج 1، ص 219.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال



النتيجة النهائية (ن) = القتل و الفتك .

المثل العربي كما أسلفنا في مقام آخر يقتضي من التجربة الإنسانية فاعلية الممارسة و تنفيذ النشاط سلبا أو إيجابا، على نحو يضعنا في مقامات متباينة على مستوى البنية و السياق و الدلالة ، في منطوق الأمثال العربية و معنى ذلك أنّ قول العرب : " خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيْقِ الْعَصَا " ¹ منوط بحالة التنازل عن الحقوق مقابل التعويض الذي يفنى، و توهم الشخص بما ينال من مسالك الحياة الوعرة و أخلاقياتها السالبة ، و هذا كله يجعل المثل العربي محملا و مثقلا بطاقة حجاجية خالصة تنص على أعمال الشخص و أعماله في مقام غير محمود و هي الحجة التي رسمتها حجاجية بيرلمان بالأدهونيم أو ما يسمى طبقا لتجربتها بحجة الشخصية القدوة أو المثل و ما يتلبسها في مقامنا هذا من حالة الشعور بالقدوة السيئة ، و هذا السياق لا محالة يقرنا من المراد و ينص على الحجة المؤسسة على بنية الواقع ؛ لكنه في سياق التأهيل الحجاجي لأخلاق الناس يضعنا في إطار الحجج المؤسسة لبنية الواقع في مقام كشف الغمة نحو التضحية التي تؤهل الشخص للقدوة الحسنة و الصبر و الثبات في سياقات تستحق ذلك التأهيل الأخلاقي بامتياز .

و أمثلتنا على ذلك في مجمع الأمثال :

– أَحْمَقُ مِنْ جُحَا²

– أَحْمَقُ مِنْ بِيَهَس³

– أَحْمَقُ مِنَ الضَّبِّع⁴

فالمثل الأول : أَحْمَقُ مِنْ جُحَا ، مِنْ حُمِّهِ أَنَّهُ دَفَنَ دَرَاهِمَ فِي صَحْرَاءٍ وَ جَعَلَ عَلَامَتَهَا سَحَابَةً تَطْلُهَا .

و الأمثلة على ذلك كثيرة كقولهم :

– أَحْمَقُ مِنْ تُرْبِ الْعَقْدِ

– أَحْمَقُ مِنْ رِجْلَةٍ

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 70

2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 288

3 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 288

4 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 289

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

— أحمق من رَحْمَةٍ ... و غيرهم من أمثال العرب فوصف الشخصية بصفة الحمق ، جعلت المتلقي يربط بينها و بين أفعالها . فكلّ ما هو صادر عن الأحمق أحمق ، و كلّ ما هو صادر عن الغبي غباء ، و كلّ ما هو صادر عن السّارق فهو سارق...

و نمثله كما يلي :

أحمق من جحاً ← عمله ← الحمق
أحمق من الضّيع ← عمله ← الحمق
أحمق من رجلة ← عمله ← الحمق

و قول العرب " أسرع من المهثّثة " ¹

و هي التّمامة ، و مغزى حجّتها واحد ، بمعنى الانتقال من الشخص إلى أعماله و أفعاله بقصد توجيهها و الحكم عليها ، فوصف الشخصية هنا بالتّمامة و هي سريعة نقل الكلام من شخص لآخر إنّما هو استدراج للمتلقي حتى يربط بين شخصيتها و أفعالها ، فكلّ ما يصدر عن التّمام و المهثّث فهو تّمّام

أسرع من المهثّثة ← عمله ← تّمّامة

5- حجة السّلطة (Argument from Authority) :

حجج عدة تغدوها هيبة المتكلم و نفوذه و سطوته ، فعلى سبيل المثال وعد الشرف يأتي على لسان شخص باعتباره شاهد إثبات على ما يقول إنّما يكون وقفا على القيمة التي لهذا الشخص في عيون الناس ، و إذا باء الحجاج بالفشل في هذه الحالة فان مرد ذلك أن المثال **modèle** ليس له من النفوذ و الهيبة مما يجعل كلامه مقنعا. ²

و تختلف السّلطة في حجة السّلطة و تتعدد تعددا كبيرا فقد تكون "الإجماع" أو "الرأي العام" أو العلماء أو "الفلاسفة" أو "الكهنوت" أو "الأنبياء" و قد تكون هذه السّلطة غير شخصية **impersonnelle** مثل "الفيزياء" أو "العقيدة" أو "الدين" أو "الكتاب المقدس" ، و قد يعتمد في الحجاج بالسّلطة إلى ذكر أشخاص

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، 443

² - عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص52.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

معينين بأسمائهم على أن تكون سلطة هؤلاء جميعا معترفا بها من قبل جمهور السامعين ، في المجال الذي ذكرت فيه.¹

و هذا ما نجده في بعض الأمثلة من المدونة تظهر لنا قدوة و سلطة المتكلم التي يعترف بها المخاطب أو يرفضها و بالتالي يسقط الحجاج و يفشل، ما يهمنا هو النوع الأول الذي يبين قوة و نفوذ المتكلم و لعل قصة المثل : " **إِنَّمَا أَكَلْتُ يَوْمَ أَكَلِ الثَّورِ الْأَبْيَضِ**"² خير دليل على ذلك

" **يُرَوَى أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : إِنَّمَا مِثْلِي وَ مِثْلُ عُثْمَانَ كَمِثْلِ أَثْوَارِ ثَلَاثَةِ كُنَّ فِي أَجْمَةِ أَبْيَضٍ وَ أَسْوَدٍ وَ أَحْمَرَ ، وَ مَعَهُنَّ فِيهَا أَسَدٌ ، فَكَانَ لَا يَقْدِرُ مِنْهُنَّ عَلَى شَيْءٍ لِاجْتِمَاعِهِنَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لِلثَّوْرِ الْأَسْوَدِ وَ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ : لَا يَدُلُّ عَلَيْنَا فِي أَجْمِنَا إِلَّا الثَّوْرُ الْأَبْيَضُ فَإِنَّ لُونَهُ مَشْهُورٌ وَ لَوْ بُنِيَ عَلَيَّ لَوْنِكِمَا ، فَلَوْ تَرَكَتُمَا بِي أَكَلُهُ ، صَفَّتْ لَنَا الْأَجْمَةُ ، فَقَالَ : دُونَكَ فَكَلُهُ ، فَأَكَلَهُ ، ثُمَّ قَالَ لِلأَحْمَرِ لَوْ بِي عَلَيَّ لَوْنِكَ ، فَدَعَنِي أَكُلَ الْأَسْوَدَ لِتَصْنُفُو لَنَا الْأَجْمَةَ ، فَقَالَ : دُونَكَ فَكَلُهُ ، فَأَكَلَهُ ، ثُمَّ قَالَ لِلأَحْمَرِ : إِنِّي أَكَلْتُكَ لَا مَحَالَةَ ، فَقَالَ : دَعَنِي أَنَا دِي ثَلَاثًا ، فَقَالَ : أَفْعَلْ ، فَنَادَى : " أَلَا إِنِّي أَكَلْتُ يَوْمَ أَكَلِ الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ" .³**

و مضمون قصة المثل رغبة الأسد في أكل الأثوار الثلاثة دفعة واحدة فحاول إقناع الثور الأسود و الأحمر على الثور الأبيض بترك نصرته ، و قام بنفس الأمر مع الأحمر بترك نصرته الأسود فالتوازن كانت لديهما سلطة و نفوذ أقوى حيث قالا "دونك فكله" و المخاطب (الأسد) كان على علم بذلك لهذا استأذن منهما ، و حين أصبحت السلطة في يد الأسد قال للثور (إِنِّي أَكَلْتُكَ لَا مَحَالَةَ) فقام الثور بتصديق كلامه لأنه معترف بسلطته و جبروته و هذا ما يؤكد قول الثور في خاتمة القصة " **دَعَنِي أَنَا دِي ثَلَاثًا**".

عندما نأخذ هذا المثل : " **رُبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ لِصَاحِبِهَا دَعَنِي**"⁴

ومغزى هذه القصة أن " **مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ حَمِيرِ حَرَجٍ مُتَّصِدِيًّا وَ مَعَهُ نَدِيمٌ لَهُ فَأَشْرَفَ عَلَى صَخْرَةٍ مَلْسَاءٍ ، وَ وَقَفَ عَلَيْهَا " فَقَالَ لَهُ النَّدِيمُ : لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا ذُبِحَ عَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَى أَيْنَ كَانَ يَبْلُغُ دَمُهُ؟ فَقَالَ الْمَلِكُ :**

إِذْجُوهَ عَلَيْهَا لِيرَى دَمَهُ أَيْنَ يَبْلُغُ"¹.

¹ - عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ، ص53.

² - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 56 - 57.

³ - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 56-57.

⁴ - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 389.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

فتصريح الملك له مصداقية لدى المخاطب و ذلك لاستناده على سلطة القدرة ، و دليلنا على ذلك نهاية القصة و كيف كان مصير الرجل إذ ذبح على تلك الصخرة الملساء .

هذا فيما يتعلق عن حجة السلطة بالنسبة للأقوى و الذي يتجلى بالقدرة كالأمثلة التي أوردناها سالفاً .

و هناك حجج لا تنضوي تحت سلطة القدرة ، إذ نلاحظ جليا حضور لسلطة الاجتماع ، و الجماعة أو بالأحرى الصوت الجماعي و هي سلطة السائد و المتعارف عليه في مواجهة القليل أو الشاذّ و مثالنا على ذلك ما ورد في قصة المثل القائل : "جَارٌ كَجَارِ أَبِي دَاوُدَ"² .

فكان كعب يفعل به ذلك ، فضربت العرب المثل في حسن الجوار .

فالراوي أو المتكلم هنا يحتج بحجة اجتماع العرب على صحة مقولته ، في أَنَّ كَعْبًا أَحْسَنُ النَّاسِ جَوَارًا فَضْرَبَ بِهِ الْمَثَلُ وَ شَبَّهَ بِهَذَا الْمَثَلِ الْقَائِلُ :

" أَحْسَرُ صَفْقَةً مِنْ شَيْخٍ مَهْوٍ"³ .

و قصة المثل كما عرضها الميداني :

" فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ إِيَادٍ بِسُوقِ عُكَازِ ذَاتِ سَنَةِ وَ مَعَهُ بُرْدًا حَبْرَةً ، وَ نَادَى أَلَا إِيَّيَّ مِنْ إِيَادٍ ، فَمَنْ الَّذِي يَشْتَرِي عَارَ الْفَسْوِ مَنِّي بِبَرْدِي هَذَيْنِ : فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ هَذَا الشَّيْخُ الْعَبْدِيُّ وَ قَالَ: هَاتِمَا ، فَاتَزَرَ بِإِحْدَاهِمَا وَ ارْتَدَى بِالْآخَرِ ، وَ اشْهَدَ الْإِيَادِي عَلَيْهِ أَهْلُ الْقَبَائِلِ بِأَنَّهُ اشْتَرَى لِإِيَادٍ لِعَبْدِ الْقَيْسِ ..."⁴

إذ يظهر لنا سر القوة في مصداقية هذا القول هو اشتهاره و ذيوعه بين الناس و اتفاقهم عليه و هذا ما جعل الأيادي يشهر ذلك بين الناس في السوق ثم تشهد عليه القبائل فهو يندرج تحت سلطة الاجتماع و الاشتهار .

و في نفس الحجة نقرا أيضا قصة المثل :

" أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهْرًا بِنَوْمٍ"⁵ .

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 389.

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 216.

³ - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 322.

⁴ - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 322.

⁵ - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 110.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

التي تروي قتل الملك عمرو لأخيه الملك حسان ، و كان هذا الأخير ملكا لحمير ففرقت عنه لسوء سيرته و مالوا إلى أخيه ، فلما استقر الملك عمرو في سلطانه سلط عليه السهر و صعوبة في النوم ، فاجمع كل من الكهان و الأطباء ، و العرافين ، و المنجمين و أخبرهم بقصته ، و شكوا إليهم ما به فقالوا له :

" مَا قَتَلَ رَجُلٌ أَخَاهُ أَوْ ذَا رَجْمٍ مِنْهُ عَلَى نَحْوِ مَا قَتَلْتَ أَخَاكَ إِلَّا أَصَابَهُ السَّهْرُ وَ مَنَعَ مِنْهُ النَّوْمُ".¹

فالملاحظ عليه ما جعل الملك يقتنع بكلامهم و يقوم بتصديقهم امتلاكهم لسلطة العلم ، و هي سلطة يعترف بها المخاطب و يوافق عليها ، و دليلنا على موافقته على قولهم و كلامهم انه قام باستدعائهم و قام بتصديق قولهم أنه أمر بقتل من أشار عليه بقتل أخيه و يظهر ذلك في : " فلما قالوا له ذلك اقبل على من كان أشار عليه بقتل أخيه و ساعده عليه".

ثالثا : الحجج المؤسسة لبنية الواقع :

1- تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة :

و من هذه الحالات الخاصة المثل **l'exemple** و يؤتى به في الحالات التي لا توجد فيها عادة مقدمات **Des prémisses** ، إن المحاجة بواسطة المثل تقتضي وجود بعض الخلافات في شان القاعدة الخاصة التي جيء بالمثل لدعمها و تكريسها ، يمكن لنا أن نضرب مثلا من عندنا يعتمد مثال أرسطو عند الحديث عن المثل فإن نقول : زيد الملك جنح للطغيان لأنه طلب أن يكون له حرس خاص هو قاعدة خاصة يؤتى لدعمها بمثل ملكين سابقين هما عمرو و الحارث فقد طلبا حرسا خاصا و أصبحا بواسطته طاغيتين.²

في هذه الحالة نحن مررنا من حالة خاصة زيد إلى حالة خاصة أيضا هي عمرو و الحارث و هو ما يسميه بيرلمان بالحجاج من الخاص إلى الخاص.³ **Argumentation du particulier au particulier**

و من بين الأمثلة التي نجدتها في مدونتنا نحو قول صخر بن عمرو أخي احتساء في قصة المثل:

"قَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَ النَّزْوَانِ".⁴

وقصة هذا المثل يتم عرضها على النحو الآتي كما وردت في مجمع الأمثال.

¹- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، ج 1 ، ص110.

²- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات)، ص54.

³- المرجع نفسه، ص54.

⁴- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج2، ص117.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و قصته كما يلي :

" وَ أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ امْرَأَةٌ كَانَتْ فِي زَمَنِ لُقْمَانَ بْنِ عَادَ ، وَ كَانَ لَهَا زَوْجٌ يُقَالُ لَهُ الشَّجِي ، وَ خَلِيلٌ يُقَالُ لَهُ الْحَلِي فَنَزَلَ لُقْمَانٌ بِهِمْ ، فَرَأَى هَذِهِ الْمَرْأَةَ ذَاتَ يَوْمٍ انْتَبَدَتْ مِنْ بُيُوتِ الْحَيِّ ، فَارْتَابَ لُقْمَانٌ مِنْ أَمْرِهَا ، فَتَبِعَهَا فَرَأَى رَجُلًا عَرَضَ لَهَا وَ مَضِيًا جَمِيعًا وَ قَضِيًا حَاجَتَهُمَا ، ثُمَّ إِنَّ الْمَرْأَةَ قَالَتْ لِلرَّجُلِ : إِنَّنِي أَتَمَّوْتُ فِإِذَا أَسَدُونِي فِي رَجْمِي فَأْتِنِي لَيْلًا فَأَخْرِجْنِي ثُمَّ أَذْهَبُ إِلَى مَكَانٍ لَا يَعْرِفُنَا أَهْلُهُ ، فَلَمَّا سَمِعَ لُقْمَانٌ ذَلِكَ قَالَ : وَيْلٌ لِلشَّجِيِّ مِنَ الْحَلِيِّ ، ثُمَّ رَجَعَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى مَكَانِهَا وَ فَعَلَتْ مَا قَالَتْ فَأَخْرَجَهَا الرَّجُلُ وَ انْطَلَقَ بِهَا أَيَّامًا إِلَى مَكَانٍ آخَرَ ، ثُمَّ تَحَوَّلَتْ إِلَى الْحَيِّ بَعْدَ بُرْهَةٍ ، فَبَيْنَمَا هِيَ ذَاتَ يَوْمٍ قَاعِدَةٌ مَرَّتْ بِهَا بِنَاتُهَا ، فَتَنَظَّرَتْ إِلَيْهَا الْكُبْرَى فَقَالَتْ : أُمِّي وَ اللَّهُ ، قَالَتْ الْوَسْطَى : صَدَقْتِ وَ اللَّهُ ، قَالَتْ الْمَرْأَةُ : كَذَبْتُمَا مَا أَنَا لَكُمَا بِأُمِّ ، وَ لَا لِأَبِيكُمَا بِامْرَأَةٍ ، فَقَالَتْ لهُمَا الصَّغْرَى : أَمَا تَعْرِفَانِ مَحْيَاهَا ، وَ تَعَلَّقْتِ بِهَا وَ صَرَخْتِ فَقَالَتْ الْأُمُّ حِينَ رَأَتْ ذَلِكَ : "صُغْرَاهُنَّ شَرَاهُنَّ" ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ اجْتَمَعُوا فَعَرَفُوهَا فَرَفَعُوا الْقِصَّةَ إِلَى لُقْمَانَ بْنِ عَادَ ، وَ قَالُوا لَهُ : اِقْضِ بَيْنَنَا ، فَلَمَّا نَظَرَ لُقْمَانٌ إِلَى الْمَرْأَةِ عَرَضَهَا وَ قَالَ :

عِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبْرِ الْيَقِينِ ، يَعْنِي نَفْسَهُ وَ مَا عَايَنَ مِنْهَا ، فَأَخْبَرَ لُقْمَانَ الزَّوْجَ بِمَا عَرَفَ ، فَقَصَّ عَلَى الْمَرْأَةِ قِصَّتَهَا كَيْفَ صَنَعَتْ وَ كَيْفَ قَالَتْ لِصَدِيقِهَا ... ¹

فلقمان حين طلب منه الحكم على هذه المرأة التي خانت زوجها و ذهبت مع خليلها قال المثل المعروف (عند جهينة الخبر اليقين) فهنا ربط الواقع الخاص بواقع آخر من قصة جهينة ، فيؤسس بذلك واقعا جديدا يدعم به أطروحته و يقنع به المخاطب بأنه يمتلك المعلومة و الدليل القاطع و الخبر اليقين مثل امتلاك جهينة له في القصة المعروفة.

و من الحالات الخاصة "حجة الأتمودج" و مداره على كائن نموذج يصلح على صعيد السلوك لا لتأسيس قاعدة عامة أو دعمها فحسب و إنما يصلح كذلك للحض على عمل ما اقتداء به و محاكاة له و نسجا على منواله ... إن قيمة الشخص المعترف بها مسبقا يمكن أن تكون مقدمة (prémisse) تستنتج منها نتيجة تدعو إلى توخي سبيل من السبل.

و مثلما أن لكل إنسان نمودجه فلكل قطر نمودجه كذلك و كذلك كل عصر.²

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، مج 1، ص 501.

² - عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، ص 55.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و لعل قصة هذا المثل " لا مَحْبَبًا لِعِطْرِ بَعْدَ عَرُوسٍ " ¹.

وكان لها زوج من بني عمها يقال له " عروس " فمات عنها ، فتزوجها رجل من غير قومها يقال له نوفل ، و كان أعسر بخيلا ذميما ، فلما أراد الطعن بما قالت : لو أذنت لي فرثيت ابن عمي و بكيت عند رسمه ، فقال : افعلي : فشرعت في الثناء عليه و بكائه ، حتى فهم زوجها في نهاية القصة أنها تعرض به و بحاله. فرثاء المرأة هنا و بكائها على زوجها هو نوع من الدعاية النموذجية فهو شكل تود المخاطب الاحتذاء و الاقتداء به ، لذلك كثرت من مدحه فهو نموذج للزوج المثالي الذي ترغب به ، و تتمناه أن يحذوا حذوه المتلقين أو السامعين هدفها الإقناع و التأثير في السامعين و بذلك تتحقق الغاية الحجاجية.

و هذا ما نجده في قصة المثل : " ماءٌ وَ لا كَالصِّدَاءِ " ².

قال المبرد : يَرُوي عَنْ ابْنَةِ هَانِي بْنِ قُبَيْصَةَ أَنَّهَا لَمَّا قَتِلَ لَقِيظُ بْنُ زَرَّارَةَ مِنْ دَارِمٍ فَتَزَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِهَا ، فَكَانَ لَا يَزَالُ يَرَاهَا تَذْكُرُ لَقِيظًا فَقَالَ لَهَا ذَاتَ مَرَّةٍ : مَا اسْتَحْسَنْتَ مِنْ لَقِيظٍ ؟ قَالَتْ : كُلُّ أُمُورِهِ حَسَنٌ ، وَ لَكِنِّي أَحَدَيْتُكَ أَنَّكَ خَرَجْتَ إِلَى الصَّيْدِ مَرَّةً وَ قَدْ أَبْتَنَيْتَنِي فِي ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ وَ بِقَمِيصِهِ نَضَحْتُ مِنْ دِمَائِ صَيْدٍ ، وَ الْمِسْكُ يَضُوعٌ مِنْ أَعْطَافِهِ ، وَ رَائِحَةُ الشَّرَابِ مِنْ فِيهِ فَضَمَّنِي ضَمَّةً ، وَ سَمَّنِي سَمَّةً ، فَلَيْتَنِي مِثْلُ ثَمَّةٍ ، قَالَ فَفَعَلَ زَوْجُهَا : مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ ضَمَّمَهَا ، وَ قَالَ لَهَا : أَيْنَ أَنَا مِنْ لَقِيظٍ ؟ قَالَتْ : ماءٌ وَ لا كَصِدَاءِ ³.

فصاحبة المثل تمدح أفعال و مميزات زوجها و تخرجه في أحلى و أجمل صورة وذلك لشدة انتباه القارئ ، و تغريه بهذه الصفات المثالية و حثنا على الحذو حذوه ، فالزوج هنا أصبح أنموذجا مثاليا و بالتالي دفع المتلقين أيضا على السير في خطاه.

2- الاستدلال بواسطة التمثيل Analogie :

و هو من الحجج القائمة على الاتصال المؤسس لبنية الواقع.

و يشترط في حجة التمثيل أن يكون الموضوع و الحامل من ميدانين مختلفين فإذا كانت العلاقتان -أي العلاقة بين عنصري الموضوع من ناحية ، و بين عنصري الحامل من ناحية أخرى تنتميان إلى مجال واحد و تشملهما بنية

¹- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج2، ص250.

²- المصدر نفسه ، مج2 ، ص239.

³- المصدر نفسه ، مج2 ، ص239.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

واحدة لم تسم الظاهرة تمثيلاً و إنما هي استدلال بواسطة المثل أو الاستشهاد ، يجب أن يكون الموضوع و الحامل ههنا حالتين خاصتين تؤسسان قاعدة أو تدعماها.¹

و القصة الواردة في هذا المثل : تَجُوعُ الحَرَّةِ و لا تَأْكُلُ بِتَدْيِيهَا.²

خير دليل على ذلك قصة المثل كما أورده الميداني كالآتي : وَ أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ الحَارِثُ بْنُ سُلَيْلِ الأَسَدِيِّ ، وَ كَانَ حَلِيفًا لِعَلْقَمَةَ بْنِ حَفْصَةَ فَرَارُهُ فَنَظَرَ إِلَى ابْنَتِهِ الرِّبَاءِ وَ كَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ أَهْلِ دَهْرِهَا فَأَعْجَبَ بِهَا فَقَالَ لَهُ : أَتَيْتُكَ حَاطِبًا ، وَ قَدْ يَنْكَحُ الحَاطِبُ ، وَ يُدْرِكُ الطَّالِبُ ، وَ يَمْنَعُ الرَّاعِبُ ، فَقَالَ لَهُ عَلْقَمَةُ : أَنْتَ كُفءٌ كَرِيمٌ ، يُقْبَلُ مِنْكَ الصَّنُوءُ ، وَ يُؤْخَذُ مِنْكَ العَفْوُ ، فَأَقْمِ نَظْرَ فِي أَمْرِكَ ، ثُمَّ انْكَفَا إِلَى أُمِّهَا فَقَالَ : إِنَّ الحَارِثَ ابْنَ سُلَيْلِ سَيِّدَ قَوْمِهِ حَسَبًا وَ مَنْصِبًا وَ بَيْتًا ، وَ قَدْ حَاطَبَ إِلَيْنَا الرِّبَاءَ فَلَا يَنْصَرِفُنْ إِلَّا بِحَاجَتِهِ ، فَقَالَتْ المَرْأَةُ لِابْنَتِهَا : أَيُّ الرِّجَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟

الكَهْلُ الحِجَاجُ ، الوَاصِلُ المَنَاحُ ، أَمْ الفَتَى الوَضَّاحُ ؟ قَالَتْ : لَا .

قَالَتْ : إِنَّ الفَتَى يُعِيرُكَ ، وَ إِنَّ الشَّيْخَ يُمِيرُكَ ، وَ لَيْسَ الكَهْلُ الفَاضِلُ الكَثِيرُ النَّائِلُ ، كالحديث السنن ، الكَثِيرُ المِنْ ، قَالَتْ : يَا أُمَّتَاهُ إِنَّ الفَتَاةَ تُحِبُّ الفَتَى كَحُبِّ الرِّعَاءِ أُنَيْقُ الكِلَاءِ ، قَالَتْ : أَيُّ بُنْيَةِ أَنَّ الفَتَى شَدِيدَ الحِجَابِ ، كَثِيرَ العِتَابِ ، قَالَتْ : إِنَّ الشَّيْخَ يُبْلِي شَبَابِي ، وَ يُدَسُّ ثِيَابِي وَ يَشْمُتُ بِي أَتْرَابِي ، فَلَمْ تَزَلْ أُمُّهَا بِهَا حَتَّى غَلَبَتْهَا عَلَى رَأْيِهَا ، فَتَزَوَّجَهَا الحَارِثُ عَلَى مَائَةِ وَ حَمْسِينَ مِنَ الإِبِلِ وَ حَادِمٍ وَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ... فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ بِفِنَاءِ قَوْمِهِ وَ هِيَ إِلَى جَانِبِهِ إِذْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ شَبَابٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يَعْتَلِجُونَ ، فَتَنَفَّسَتْ صُعْدَاءً ، ثُمَّ أَرَحَتْ عَيْنَيْهَا بِالبُكَاءِ ، فَقَالَ لَهَا : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَتْ : وَ مَا لِي وَ لِلشُّيُوخِ النَّاهِضِينَ كَالْفُرُوحِ فَقَالَ لَهَا : تَكَلَّنْتَ أُمُّكَ تَجُوعُ الحَرَّةُ وَ لَا تَأْكُلُ بِتَدْيِيهَا.³

فالتكلم بهذه الحجة (مالي و للشيوخ الناهضين كالفروخ) فهناك تداخل بين أطراف العلاقة ، أي علاقة الشيوخ (علاقة الموضوع بالحامل) (أي النهوض) فهي تماثل تماما علاقة الموضوع (الفروخ) بالحامل (النهوض) فكلاهما اكتسبا الضعف بهذا التشابه فحمل الطرف الأول قيمة سلبية ، كذا الحال بالنسبة للطرف الثاني لأنه جعل أصلا

¹ - عبد الله صولة، في نظرية الحجاج (دراسات و تطبيقات) ، ص 58.

² - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج 1، ص 160.

³ - المصدر نفسه ، مج 1، ص 160.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

في هذه الصفة و غاية فيها. فالمعنى هنا انتقل من المشبه إلى المشبه به أي من (نخوض الشيوخ) إلى المشبه به (نخوض الفروخ) و ذلك لاستمالة المخاطب و التأثير فيه و إقناعه.

و مثالنا على هذا النوع من الحجج المثل الآتي :

" تَرَى الْفِتْيَانَ كَالنَّخْلِ وَ مَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ"¹.

يضرب لذي المنظر الأخير عنده.²

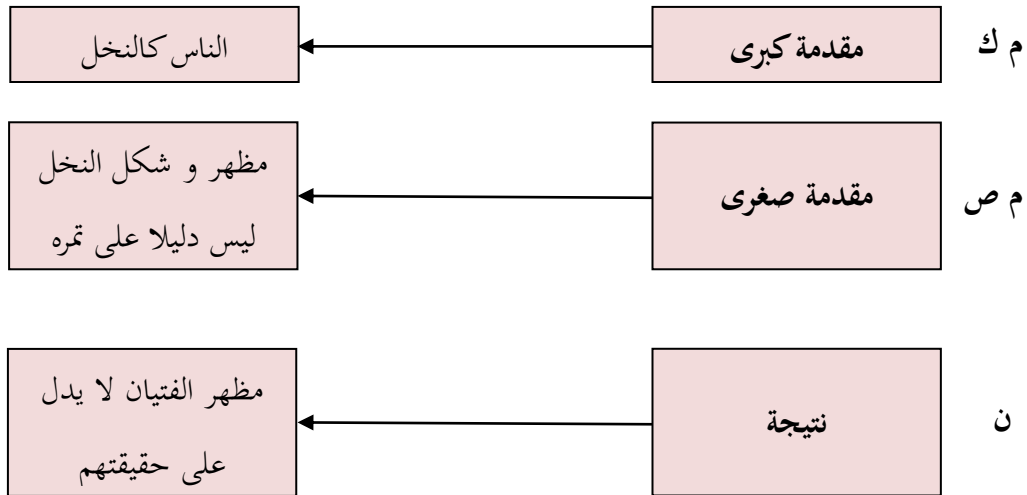
و حجة هذا المثل في قول " عَتَمَةٌ لِأُخْتِهَا جُودَ عِنْدَمَا تَقَدَّمَ لَهَا فِتْيَانٌ كَثُرَ لِطَلْبِ يَدِهَا ، فَأُعْجِبَتْ بِهِمْ ، فَاسْتَشَارَتْ أُخْتَهَا ، فَحَدَّرَتْهَا مِنَ الزَّوْاجِ خَارِجِ قَوْمِهَا ، وَ قَالَتْ (تَرَى الْفِتْيَانَ كَالنَّخْلِ ، وَ مَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ).

فقد استقت حجتها لبناء واقع جديد و استمالة المخاطب و إقناعه بخصوص هذه القضية من خلال عملية الاستدراج للتسليم بالمقدمات حتى يلتزم بالنتيجة النهائية.

فالتشبيه كما هو معلوم و متداول عليه أنه ضرب من القياس نستطيع رده إلى مقدمتين أساسيتين و نتيجة في نهايته ، هذا ما نجده عند الجرجاني : " و التشبيه قياس و القياس فيما تعيه القلوب و تدركه العقول و تستفتي فيه الإفهام و الأذهان لا الأسماع و الآذان"³.

فقول صاحبة المثل الأخت الكبرى (عتمة) يستند إلى تمثيل مصحوب بمقدمة كبرى و أخرى صغرى و نتيجة على

الشكل الآتي:⁴



1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، مج1، ص167.

2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص167.

3 - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، اعتنى به محمد الفاشلي ، أبحاث للنشر و الترجمة و التوزيع ، ط 1 ، 2007 ، ص15.

4 - عادل بن علي الغامدي ، الحجاج في قصص الأمثال القديمة ، مقارنة سردية تداولية ، ص 203

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

فالقياس هنا يظهر من خلال مقدمته فقط ، و في شكله الضمني يحمل قوة إقناعية أكبر من التصريح به .
" لأنّ الشكل الصريح يهدم طاقة التشبيه الإيحائية و يهدد بشكل قاطع قدرة الصورة على الفعل والتأثير.¹

و سنورد مثالا آخر :

مَنْ صَدَقَ اللَّهُ نَجَا .²

و أطروحة هذا المثل كما جاء عند الميداني :

" روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

إِنَّ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ انْطَلَقُوا إِلَى الصَّحْرَاءِ ، فَمَطَرَتْهُمُ السَّمَاءُ فَلَجَّوْا إِلَى كَهْفٍ فِي جَبَلٍ يَنْتَظِرُونَ إِقْلَاعَ الْمَطَرِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ هَبَّتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ وَ جَثَمَتْ عَلَى بَابِ الْغَارِ ... فَقَالَ أَحَدُهُمْ : لِيَنْظُرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ إِلَى أَفْضَلِ عَمَلٍ عَمَلَهُ فَلْيَذْكُرْهُ ثُمَّ لِيَدْعَ اللَّهُ تَعَالَى عَسَى أَنْ يَرْحَمَنَا وَ يُنَجِّنَا ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَبِي كُنْتُ بَارًا بِوَالِدِي ، وَ كُنْتُ أُنِيَهُمَا بِغُيُوبِهِمَا فَيَحْتَبِقَانِهِ فَأَتَيْتُ لَيْلَةً فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا ، وَ كَرِهْتُ أَنْ أَوْقِظَهُمَا فَلَمْ يَزَلْ ذَاكَ ذَائِبِي حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتُ عَمِلْتُ ذَلِكَ لَوَجْهِكَ فَأَفْرِجْ عَنَّا فَمَالَتْ الصَّخْرَةُ عَنْ مَكَانِهَا " .³

وَ قَالَ الْآخَرُ : " اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَبِي هَوَيْتُ امْرَأَةً ، وَ لَقَيْتُ فِي شَأْنِهَا أَهْوَالًا حَتَّى ظَفَرْتُ بِهَا وَ قَعَدْتُ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنَ الْمَرْأَةِ ، قَالَتْ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ كَانَ تَقْضِي خَائِمَتِي إِلَّا بِحَقِّهِ ، فَقُمْتُ عَنْهَا ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ مَا حَمَلَنِي عَلَى ذَلِكَ إِلَّا مَخَافَتَكَ فَأَفْرِجْ عَنَّا ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ حَتَّى لَوْ شَاءَ الْقَوْمُ أَنْ يَخْرُجُوا لِقَدَرُوا ، وَ قَالَ الثَّالِثُ :

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجْرَاءَ ، فَعَمَلُوا لِي ، فَوَفَيْتُهُمْ أُجُورَهُمْ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا تَرَكَ أَجْرَهُ عِنْدِي وَ خَرَجَ مُغَاضِبًا ، فَرَبَّيْتُ أَجْرَهُ حَتَّى نَمَا وَ بَلَغَ مَبْلَغًا ، ثُمَّ جَاءَ هَذَا الْأَخِيرَ فَطَلَبَ أَجْرَتَهُ ، فَقُلْتُ هَاكَ مَا تَرَى مِنَ الْمَالِ ، فَإِنْ كُنْتُ عَمِلْتُ ذَلِكَ لَكَ فَأَفْرِجْ عَنَّا ، فَمَالَتْ الصَّخْرَةُ وَ انْطَلَقُوا سَالِمِينَ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ صَدَقَ اللَّهُ نَجَا " .⁴

¹ - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص253.

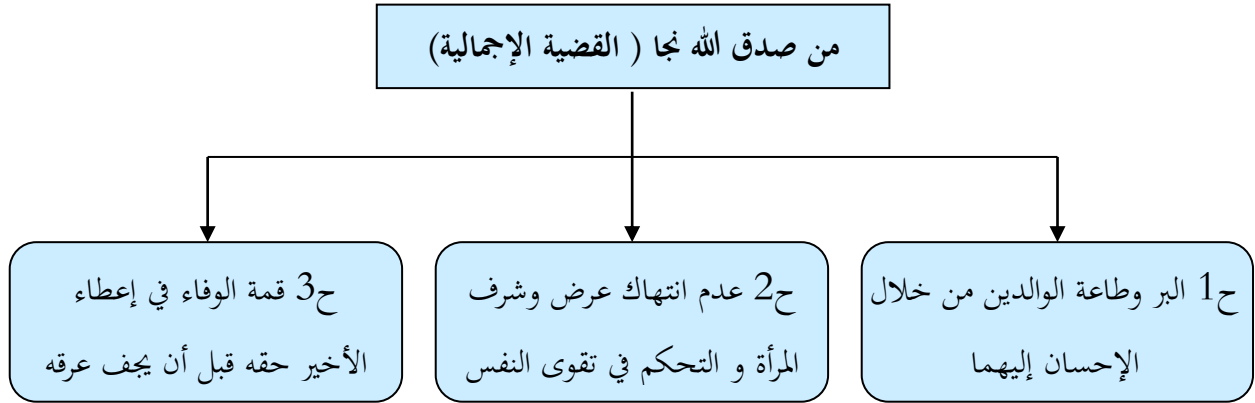
² - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج2، ص350.

³ - المصدر نفسه ، مج2، ص350-351.

⁴ - المصدر نفسه ، مج2، ص350.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

ينطوي هذا المثل على قضية الصدق ، إذ جاء بلفظ صريح لكون المتكلم هو سيد البشرية (الرسول ﷺ) أراد أن يؤثر في المتلقي و ما مصير الصادقين إلا النجاة و العبور بسلام فاستخدم حججا ثلاثة لتقوية المعنى ، فهذه القضية التي طرحها الرسول (ﷺ) جزءها إلى مجموعة أجزاء ، كل جزء منها يدعم هذه القضية ، فالقضية المطروحة هي نتيجة نهائية و حتمية ، و كل فروع منها هو حجة يخدم هذه النتيجة و يمكننا عرضها بالشكل الآتي :



جاء هذا المثل بشكل صريح ، فهو يندرج في خانة الحجاج التمثيلي من أروع و أرقى أنواع الحجاج في الإقناع. فالمتكلم هو الرسول (ﷺ) أراد التأثير في المتلقي إذ استعمل التمثيل وفق الخطاطة التالية :

من صدق الله نجا (القضية الإجمالية).

م/ك (مقدمة كبرى) = الصدق منجاة.

م/ص (مقدمة صغرى) = الصالحون صادقون.

ن = الصالحون ناجون.

إذ بدا الرسول صلى الله عليه وسلم بمقدمة كبرى تليها مقدمة صغرى إلى أن وصلنا إلى نتيجة حتمية و نهائية تمثلت في قوله (ﷺ) " من صدق الله نجا " أي الصالحون ناجون.

و هذا ما نجده في القياس المنطقي الذي طرحه أرسطو فهو في غاية الإقناع و التأثير في السامع.

رابعاً : الحجج التي تستدعي القيم (Arguments basé sur les valeurs) :

يتخذ الحجاج أحيانا كثيرة أشكالا أقل موضوعية يراها الكثيرون ، ملزمة إذ تهدف إلى فرض الرأي و تسعى إلى إظهار الفرضيات على أنها حقيقة لا لبس فيها بحيث تجبر المتلقي على اختيار ما و لا تتوزع عن استعمال التهريب

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و الترغيب و حمل الجميع على الإذعان اعتمادا على حجج ذات سلطة فاتنة فيدخل الحجاج عندها و بسهولة فاتقة باب التوجيه (manipulation)¹.

" فالمتحج لتبرير الآراء و إثبات المواقف يعتمد قيما ينتقيها بدقة بحيث تلائم أهدافه الحجاجية و غايات خطابه المنشودة ، فنرى المتكلم يرفض فكرة ما بحجة أنها تعرض قيمة معينة ، و يدعو إلى موقف ما باسم قيمة محددة و ينبغي على الخصم سلوكا ما لأنه يتنافى مع قيمة واحدة أو مجموعة قيم"².

و تعدد القيم و تنوع في ثقافات المجتمعات و أنظمتها ، فهناك القيم الكونية التي تشترك فيها ثقافات الشعوب و تعتبر مرجعيات إنسانية عامة ، نحو قيم الحق و الخير و الجمال ، فربط القول أو الأطروحة بقيمة من هذه القيم كفيل بإعطائه قوة إقناعية و تظل قوة الاتصال بين الرأي و القيمة مجالاً للمناورة في خطاب المتكلم و قبوله من المخاطب.

فالحجاج اعتمادا على القيم الكونية يعني استدعاء الخير ، و الحق و الجمال و اتخاذها مراجع في الكلام و خلفيات إليها يستند القول و عليها يتأسس الرأي أو الموقف³.

فالجميل كما هو معروف مرغوب فيه عكس القبيح المستبعد، ولعل شعرنا وأدبنا القديم حافل وغني بذكر المحبوبة ووصف جمالها وخاصة في مقام الغزل وهذا ما نجده في قصص الأمثال فهي حافلة بعناصر الجمال والعلو من شأنه وقيمته فهو يحتل الصدارة في أمثالنا العربية القديمة، ومثالنا على ذلك المثل الآتي:

" ما وَرَاءَكَ يا عِصَامُ"⁴.

فهنا وصف الراوي لجمال ابنه عرف بن محلم الشيباني، وذلك أن الحارث بن عمرو من ملوك كندة أراد خطبتها فبعث إليها امرأة تسمى عصام حتى تنظر إليها وتعلم علمها.

فتمهيد صاحب المثل بذكر جمال ومفاتيح الفتاة مرهونة بقيمة الجمال من موافقة وقبول، فهو بهذا الوصف قد هيا المخاطب لقبول حكم عصام" فهي ذات جبهة كالمرأة المصقولة، يزينها شعر حالك كأذنان الخيل، إن أرسلته خلته السلاسل ، و إن مشطته قلت عنا قيد جلاها الواابل و حاجبين كأنما خطا بقلم ، أو سوادا بحمم تقوسا مثل

1 - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص270.

2 - المرجع نفسه ، ص270.

3 - المرجع نفسه ، ص 271

4 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج2، ص309

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

عين ظبية عبهرة ، بينهما أنف كحد السيف الصنيع¹ "كلها حذت حذو الموافقة و سطوة عنصر الجمال الذي أطلقه الراوي في بداية القصة.

و مثالنا على ذلك المثل القائل :

" مَنْ يَشْتَرِي سَيْفِي وَ هَذَا أَثْرُهُ."²

في وصف الراوي للحارث بن ظالم المري ، حين خرج الحارث بن ظالم إلى النعمان ليأخذ ثأره من خالد بن جعفر الذي قتل زهير بن جذيمة العبسي ، إذ يقول الراوي في هذا الصدد :

" فَأَقْبَلَ الْحَارِثَ وَ مَعَهُ تَابِعٌ لَهُ بَنِي مُحَارِبٍ ، فَأَتَى بَابَ النُّعْمَانَ ، فَاسْتَأْذَنَ ، فَأَذِنَ لَهُ النُّعْمَانُ وَ فَرِحَ بِهِ ، فَدَخَلَ الْحَارِثُ وَ كَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا وَ حَدِيثًا ، وَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ تَمْرٌ يَأْكُلُونَهُ ... "³

فالقصة كما يبدو ظاهرها تبرز لنا إقبال النعمان على ضيفه الحارث بكل احترام و مودة ، و حب و كرم لأنه من أحسن الناس وجها و حديثا ، و جمالا ، فالتكلم اتكأ على حجة تستدعي قيمة الجمال و أثره لدى المخاطب أو المتلقي الذي حتما سيقبل سلوك النعمان الذي يعلي من شان الجمال في مقابل القبح.

و هذا ما رأيناه عند : دختنوس بنت لقيط بن زرارة في قصة المثل :

" فِي الصَّيْفِ ضَيَّعَتِ اللَّبَنُ "⁴

هذا المثل كما هو معروف يقال لمن يضيع الفرصة بسبب الطمع و هي قصة واقعية حدثت في العصر الجاهلي ، حين تزوجت بعمرو بن عداس فكان سخيا و كريما عليها لكنها لم تقنع بحالها ، فقد كرهت كبره و هرمه كانت دوما تقارن حالها بحال صويجاتها اللاتي تزوجن من شباب يقاربوهن سنا ، و كانت تندب حظها حين تزوجت من شيخ مسن ، و تضيع شبابها و جمالها. فكرهته و طلبت منه الطلاق ، ثم تزوجت برجل وسيم الوجه إلا أنه كان فقيرا ومعدما فاشتتهت شرب الحليب فبعثت إلى زوجها الأول تطلب منه الحلوبة ، فقال في الصيف ضيعت اللبن فلما عاد الرسول بقول عمرو ضربت يدها على منكب زوجها و قالت :

" هَذَا وَ مَدَأُهُ خَيْرٌ "⁵ بمعنى هذا الزواج مع انعدام اللبن خير من زوجها السابق.

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، مج2، ص209.

² - المصدر نفسه ، مج2، ص261- 262

³ - المصدر نفسه ، مج2، ص262.

⁴ - المصدر نفسه ، مج2، ص62

⁵ - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص62.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

الملاحظ عليه من خلال عرضنا لقصة هذا المثل أنّ الحجة التي اعتمدت عليها الزوجة في فراق زوجها الأول و استبداله بزوج آخر جميل و وسيم هي حجة الجمال و هذا ما وضحته القصة في الزوج الجديد ، فالجمال هو دافع أساسي و مقنع لميلنا نحو شخص و نفورنا من شخص قبيح ، و هذا ما نجده في حياتنا اليومية منذ العصر الجاهلي إلى يومنا هذا.

و هناك حجج تستدعي القيمة المضادة للجمال و هي القبح المتضمنة لنتيجة النفور و البعد.

" ذَكَرَنِي فُوكَ حِمَارِي أَهْلِي " ¹.

و قصة المثل كما أورده الميداني :

" أَصْلُهُ أَنَّ رَجُلًا خَرَجَ يَطْلُبُ حِمَارَيْنِ صِلًا لَهُ ، فَرَأَى امْرَأَةً مُنْتَقِبَةً فَأَعَجَبَتْهُ حَتَّى نَسِيَ الحِمَارَيْنِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَطْلُبُ إِلَيْهَا حَتَّى سَفَرَتْ لَهُ ، فَإِذَا هِيَ فَوْهَاءٌ ، فَحِينَ رَأَى أَسْنَانَهَا ذَكَرَ الحِمَارَيْنِ فَقَالَ : ذَكَرَنِي فُوكَ حِمَارِي أَهْلِي ، وَ أَنشَأَ يَقُولُ :

لَيْسَتْ النَّقَابُ عَلَى النِّسَاءِ مُحْرَمٌ ***** كَيْلًا تَغْرِ قَبِيحَةَ إِنْسَانًا" ².

فبؤرة تركيز قائل المثل على حجة الجمال و القبح و كل ما له علاقة بالنظام القيمي ، فالخطاب في مجمله تعلق بالنفور مما هو قبيح و مستهجن فالجمال مرغوب فيه و مستحب ، و ضده القبيح الغير مستحب فالقصة بأكملها تدم هذه المرأة القبيحة من خلال تشبيهها بالحمار.

لقد لاقت هذه الحجة قوة و إقناعاً لأنها مستمدة من العرف و المشترك الجمعي المطروح في مرجعياتنا و منظوماتنا منذ القديم .

خامسا : الآليات البلاغية في مجمع الأمثال :

1- حجاجية الاستعارة :

إنّ ولوج القارئ إلى عالم الاستعارة الحجاجية يجعله لا يقف عند حدود الرّخارف اللفظية فقط ، بل يتجاوزها إلى القدرات الإقناعية ، و الطاقات الحجاجية ، فلا مرء أنّ كلّ الخطابات الإنسانية تكتسي بعداً حجاجياً لكن درجة الحجاج تختلف من خطاب إلى آخر ، و لا غرو أن ينهض الخطاب الأدبي الأرقى مُثلاً في النشر بدوره على

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 351.

2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 351.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

مقومات حجاجية ، و يقوم على أسس إقناعية ، لذا تنزّح الاستعارة الحجاجية من سياستها الجمالية إلى سمات حجاجية تواصلية.

و قبل عرض هذه النماذج من الاستعارات الواردة في المدوّنة يجدرُ التعريف بالاستعارة لغة و اصطلاحاً باختصار. ينصرف المعنى اللّغوي للاستعارة عادةً إلى قولهم : استعارَ المالَ إذا طلبه عارية ، أيّ طلب شيء ما للانتفاع به دون مُقَابَلٍ ، على أن يرُدَّهُ المُسْتَعِيرُ إلى المعير عند انتهاء المادّة الممنوحة له أو عند الطّلب ، أمّا الاستعارة في معناها الاصطلاحي فهي استعمال اللفظ في غير ما وُضِعَ لَهُ لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول و المعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الحقيقي.

تحتلّ الاستعارة مكانة في التّراث البلاغي العربي ، كما تتبوأ مكانة في أعلى هرم الآليات اللّسانية المعاصرة ، فقد نعتها عبد القاهر الجرجاني (471هـ) بقوله " اعْلَمْ أَنَّ الاستعارة في الجملة أن يَكُونَنَّ للفظ أصل في الوضع اللّغوي معروف تدلّ الشواهد على أنّه اختص به حين وُضِعَ ثم يستعمله الشّاعر أو غير الشّاعر في غير ذلك الأصل و ينقله إليه نقلاً غير لازم " ¹.

و يذهب شاييم بيرلمان (ch.Perelman) إلى انتقاد أيّ تصوّر للاستعارة لا يضع في حسابه بعدها الحجاجي ، إذ يقول في هذا الصّدّد " على أنّ أيّ تصوّر للاستعارة لا يلقي الضوء أهمّيّتها في الحجاج لا يمكن أن يحظى بقبولنا ، إلّا أنّنا نعتقد أنّ دور الاستعارة سيّضح أكثر بربطه بنظرية التّناسب الحجاجي ... إنّنا لا نستطيع في هذه اللّحظة وصف الاستعارة إلّا بتصورها على الأقلّ من وجهة نظره فيما يتعلّق بالحجاج باعتبارها تناسباً مكتفياً ناتجاً عن ذوبان عنصر المستعار منه في عنصر المستعار له. ²

و لكنّ الاستعارة الواحدة تتأسّس على استعارات عديدة ، و هي ليست فقط أشياء ينظر في أسبابها ، إنّنا لا نستطيع تجاوز الاستعارة الواحدة إلّا باستعمال استعارات أخرى ، و يبدو أنّ القدرة على فهم التّجربة من خلال الاستعارة عبارة عن حاسّة ، شأنها في ذلك شأن البصر أو السّمع أو اللمس ، و هذا معناه أنّه لا يمكننا إدراك العالم و ممارسته تجربته إلّا بالاستعارة ، و بناء على ذلك يتمظهر الدور الحجاجي للاستعارة متراوحاً بين استعمال اللفظ في الوضع الأصل ، و توظيفه في غير الأصل ، و الذي يهّمنا الاستعارة الحجاجية و تحقيق البعد الإقناعي ، و لعلّه من الصّعوبة تعداد كلّ الاستعارات التي اشتملت عليها المدوّنة ، لكنّنا أرحبنا الحديث عن بعضها إلى المقام

¹ - عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 31

² - المرجع نفسه ، ص 30.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

المناسب ، إذ فصلنا التذكير بمجمل الاستعارات ذات الصيغة الحجاجية في معرض انتقائنا لأثر حجاجية الاستعارة في الأمثال القديمة و من شواهد ذلك نذكر هذه الأمثال :

✓ أُمُّ سَقَّتِكَ الْغَيْلُ مِنْ غَيْرِ حَبْلِ.

✓ الدَّهْرُ أَبْلَغُ فِي التَّكْرِيرِ.

✓ بَيْتِي يَبْخُلُ لَا أَنَا.

✓ إِنَّكَ لَا تَجْبِي مِنَ الشَّوْكَ الْعِنبِ.

✓ إِذَا زَحَفَ الْبَعِيرُ أُعْيِنْتَهُ أُذُنَاهُ.

✓ تَجَنَّبَ رَوْضَةً وَ أَحَالَ يَعْدُو.

✓ لَا عَيْشَ لِمَنْ يُضَاجِعُ الْخَوْفَ

— أُمُّ سَقَّتِكَ الْغَيْلُ مِنْ غَيْرِ حَبْلِ¹.

يُضْرَبُ فِي " لِمَنْ يُدْنِيكَ ثُمَّ يَجْفُوكَ وَ يُقْصِيكَ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ " ²

يحملنا النظر في بنية المثل إلى الاستعارة المؤسسة على بنية الواقع ، و يتمثل في التناقض بين إرضاع الطفل قصداً أو جهلاً - اللبن الفاسد الذي انتهت صلاحيته بالجهل الجديد ، و ذهب نجاته و فائدته الصحية و بين من يدنيك ثم يجوفك أو يقصيك من غير ذنب على نحو يعزز في الوعي الإنساني حالة من التقارب و التباعد و التداخل و التخرج و الحالات الايجابية و السلبية في العلاقات الإنسانية ، و هو تناقض يعكس الطباع الشاذة و المتحولة بين الآدميين من أقرب الناس قصداً أو جهلاً ، و لا جرم أنه يندرج ضمن سياق حجاجي ضمني لرسم الصورة المثالية في علاقة الأسرة بأبنائها.

يحتوي المثل على استعارة حجاجية ، تُمَثِّلُ حِجَّةً تدعم نتيجة من قبيل (لا تنتظر الودّ من أحدٍ) ، و قد لجأ إليها المتكلّم لما لها من سلطة حجاجية أقوى من غيرها ، فلو قال (لا تنتظر من المحسن خيراً) لما كان لهذا الوقع في النفس الذي نتج عن الاستعارة التمثيلية حين استعار لحاله معهم و ظلّمهم له دون سبب مقنع بحال المرأة القاسية التي ترضع ابنها الغيل من غير حبلٍ.

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج 1، ص 68.

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 105

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

فحجاجية الاستعارة هنا أبلغ من الحقيقة حين أومأ صاحب المثل صورة الظلم الذي تعرّض له في حياته من قبل هؤلاء الأشخاص بصورة الأم القاسية التي تُرُضع طفلها لبنًا مضرًا هدفها إقناع المتلقي و التأثير فيه بحالة العلاقات الأسرية الشاذة غير المألوفة في المجتمع العربي ، فالأم من طبعها الحب و الحنان لا الشفقة و القسوة ، عملت الصورة على الرفع من تمثيلية المعنى و تقريبه ، و رفع درجته الإقناعية من خلال تجسيده التابض لحسن المتلقي و إدراكه.

و يمكن تمثيل صورة المثل وفق السلم الحجاجي على هذا النحو :

| | | | |
|--|---|--------------------------|------------|
| | ↑ | ن | النتيجة |
| | | عدم انتظار الودّ من أحدٍ | |
| | | ق 2 | (القضية 2) |
| | | من غير حبلٍ | |
| | | ق 1 | (القضية 1) |
| | | أم سفتك الغيل | |

و قولهم : **لَا عَيْشَ لِمَنْ يُضَاجِعُ الْخَوْفَ**.¹

يحتوي المثل على استعارة مكنية شبه فيها الخوف بامرأة خنقت و تركت أحد لوازمها و هي المضاجعة ، إذ يظهر البعد الحجاجي لهذا المثل من خلال جعل المضاجعة من خصائص الخوف عن طريق الخيال ، مما يزيد الخطاب قوة و نجاعة في حيز التأثير ، لأن هذا التوظيف البياني له قيمة تواصلية تساعد على تسهيل عملية التلقي و الإدراك لدى المرسل إليه.

و المثل القائل : **" الدَّهْرُ أَبْلَغُ فِي التَّكْبِيرِ "**.²

و **يُضْرَبُ بِالتَّكْبِيرِ - الإِنْكَارَ وَ التَّغْيِيرَ - يُرِيدُ أَنَّ الدَّهْرَ يَغَيِّرُ مَا يَأْتِي عَلَيْهِ**.³

يتضمن المثل استعارة حجاجية تُدعم نتيجة واحدة من قبيل (صعوبة الفراق) ، إذ تحتوي على سلطة حجاجية أقوى ، فلو قال (الدهر يداهنا) لما كان لهذا الوقع ، فقد استعار كلمة (أبلغ) و وضعها في غير موضعها حين شبه فيها الدهر إنسانا بليغا ، و حذف المشبه به فهي استعارة مكنية شكّلت حجة قوية استطاع مرسلها إقناع القارئ أو السامع بويلات و عقبات الدهر ، و بذلك فإنّ للاستعارة سلطان لا يضاهيه أي سلطان لأنّ المتكلم يتعمّد استخدامها لتغيير رأي القارئ أو إقناعه بقضية ما " فالمستعير يقصد أن يغير المقاييس التي يعتمدها المستمع

1- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 285

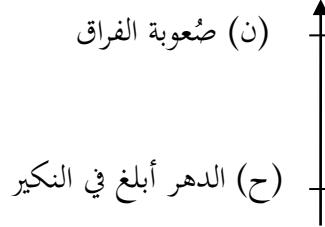
2- المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 246.

3- المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 246.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

في تقويم الواقع و السلوك و أن يتعرّف المستمع على هذا القصد منه ، و على معنى كلامه ، و ما يلزم عنه ، و أن يكون هذا التعرّف سبيلاً لقبول خطابه و إقباله على توجيهه "1.

و مُثَلِّهَا وفق السّلم الحجاجي الآتي :

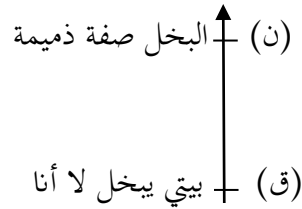


عندما نتمعّن في المثل القائل: "بَيْتِي يَبْخَلُ لَأَنَا"2.

و يضربُ في قضية البخل وعواقبها بصفة عامة.

بالنظر في بنية المثل نجد الاستعارة هي التي منحته هذا الجمال و ليس الجمال متخيلاً في سياق جمالي تزييني فحسب و إنّما بعثت فيه الطّاقة الإقناعية إذ أسهمت في بناء الحجّة لتحقيق الإقناع فالمثل تلفظت به امرأة على سبيل التّحاجج ، إذ تعدّر عليها منح سائلها مراده و لكي ترفع عن نفسها الحرج و تدفع عنها صفة البخل نسبته إلى البيت محاولة أن ترفع على نفسها هذا الخلق الذّميم فاحتجت بهذا المثل على سبيل الاستعارة المكنية.

فلاستعارة هنا تخرج إلى قصد المحاججة ، و تهدف إلى إحداث تغيير في الموقفين الفكري و العاطفي للمتلقّي ، فقد أوردت صاحبة المثل الحجّة عن طريق اللبس حتى تصل إلى مقاصدها الحجاجية ، و تجعل المتلقّي يغوص أكثر في باطنها و يكتشفها عن طريق اللامباشرة من خلال نزعها لصفة البخل التي تتّصف بها و إضافتها بالبيت. و يمكن تمثيلها على هذا النحو :



و في قولهم: "إِنَّكَ لَا تَجْنِي مِنَ الشُّوكِ الْعِنَبِ"3.

1- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 312-313.

2- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج 1، ص 134.

3- المصدر نفسه، مج 1، ص 86.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

يُبيّ المثل على توجيهات حجاجية أتجاه المتلقي ، و المثل في طبيعته يحمل شحنات دلالية و خطابية لا يُضاهيه من كلام العرب إلا القرآن أو الحديث ، أو الشعر ، فلقد جمع بين كثير من الآليات اللغوية و البلاغية و المنطقية ، و الطبيعية و ارتباط السبب بالمسبب .

2- الآليات البلاغية :

المثل في أصله استعارة تمثيلية بين مورده و مضربه ، و متى قيل هذا المثل فإنه يسترجع العلاقة التاريخية و التشبيه المعنوي بين الموضوعين و بمجرد إلقائه على السامع يحقق وظيفته الحجاجية دون جهد .
أما إذا استقل عن مورده نكون أمام كناية بمعنى ذكر القريب الصريح و لكن المراد هو البعيد ، فنتقل من المذكور إلى المسكوت عنه أو المتروك .

و المثل يوضح معنى المثابرة و الجدّ و الإتقان في كسب الرزق و من يرجو الخير من غير أهله ، أو لمن يُصلح شخصًا سيئ الخلق ، و حجة هذا المثل الوصول إلى المراد من أقرب طرق ، و إبهامها أبلغ من تصريحها و إفصاحها ، مع الإيجاز في اللفظ أو القول باستحضار معاني مكثفة دلاليًا و تاريخيًا و مرتبطة بحياتنا اليومية تعبر عن واقع المجتمع ، فالإنسان لا يُتعب نفسه في إصلاح ما لا يُرجى إصلاحه أصلًا .

2-1- الجملة الخبرية:

و هي من الوسائل الحجاجية في المثل الذي يكون في الغالب جملة خبرية تحتمل الصدق و الكذب ، و يتخلل المثل نفي حقيقي لا يقبل إلا اتجاهًا واحدًا ، فاستحالة جني العنب من الشوك كاستحالة طلب المعروف من غير أهله .

3- الآليات اللغوية :

3-1- التوكيد:

من الآليات اللغوية التي تُدعم الكلام و تزيد من قوته و إثباته ، و هو من الأضرب الطلبية التي يكون فيها المتلقي مترددًا في قبول الخبر ، فنأتي بمؤكد لنزيل عنه الشكّ و الارتباك ، و الابتداء بأداة التوكيد " إن " علامة نفسية فارقة للمتلقي في تقبل الخبر و إزالة شكّه في القضية المطروحة .

4- الآليات المنطقية :

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

يكون المثل حجة إذا وافق العقل والمنطق والعرف الاجتماعي والديني وهو ما نلتزمه في المثل ، إذ هو من واقع الإنسان اليومي ، ومن أعرافه الاجتماعية والدينية ألا يكون الإصلاح إلا من كانت نفسه طيبة قابلة للتوبة أو الإصلاح ، فلا خير فيمن لا خير فيه ، والنماذج الاجتماعية والدينية كثيرة في تاريخنا ، وهي ما شككت في حجاجية هذا المثل قوة منطقية لتقبله دون تردد.

و في قولهم: " إِذَا زَحَفَ الْبَعِيرُ أَعَيْتَهُ أُذُنَاهُ" ¹.

و يُضْرَبُ لِمَنْ " يُثْقَلُ عَلَيْهِ حِمْلُهُ فَيَضِيقُ بِهِ ذَرْعًا ²

يشتمل المثل على استعارة حجاجية متمثلة في تشبيه حال البعير الموهق المحمل بالأحمال الثقيلة و المشي المستمر دون توقف حتى خيّل لنا أنّه يزحف بحال المهموم الذي يحمل ما لا طاقة له من مصائب و أهوال و أحزان ، على سبيل الاستعارة التمثيلية التي زادت من قوة المعنى و حجاجيته ، إذ نلمح قوة الاستعارة الحجاجية إذا قمنا بتحويلها إلى كلام عادي يحمل معناها فلو قيل مثلا : " إذا زحف الإنسان أعيته همومه و مصائبه " لكان الكلام أضعف وقعا على نفس المتلقي ، لذلك استخدمت الاستعارة هنا لغرض حجاجي إقناعي مفادته تصوير حجم الحزن و الألم الذي يحمله الإنسان المهموم على عاتقه فكان التصوير الاستعاري أوجز و أبلغ في التأثير و تحقيق البعد الحجاجي من خلال المشاركة الوجدانية و التعاطف مع هذا الرجل المهموم المنقل بالأحزان ، إذ جعلت الاستعارة من نص المثل حجة بلاغية أثرت أيما تأثير في المتلقي ، فهو ينجذب إليها لحسن تشبيهها ، و هذا ما جعلها تؤدي دورها الحجاجي الإقناعي على أكمل وجه.

و قد تعدّو الاستعارة فعلا حجاجيا أبلغ أثرا من الحقيقة نفسها ، و ذلك حين يريدُ بها المرسل أن يفعل فعل الإقناع في نفس المتلقي ، إذ يُقدّر أنّها ستكون أكثر حجاجية من اللفظ الحقيقي ، فيعمدُ إلى انتهاجها أثناء صياغة خطابه جاعلا منها أداة محاجة في ذاتها يمنح بها الخطاب درجته من الإقناع و التأثير لذلك :

" تُعَرَّفُ الاستعارة الحجاجية بكونها الاستعارة التي تهدفُ إلى إحداث أثر في الموقف النفسي أو العاطفي للمتلقي" ³.

هذا ما نجده في المثل القائل: " تَجَنَّبَ رَوْضَةً وَ أَحَالَ يَعْدُو" ⁴.

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج 1، ص 55.

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 56

³ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص 495.

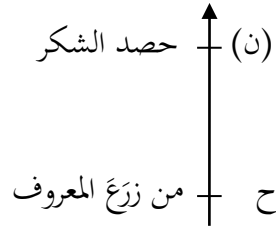
⁴ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج 1، ص 122.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

إنّ ما عمّق البعد الحجاجي في المثل هو التّصوير الاستعاري حيث جعل المتكلّم من الرّجل الذي يهرّب من حياة الطمأنينة و الهناء ليقتمح نفسه في المشاكل و بالتّالي العيش في حيرة و ضيق دائمين ، مثله مثل الشّخص الّذي يترك نعيم الرّوضة و يعدّو إلى مكان موحش و مُقفر ، و هذا ما زاد من قوّة الاستعارة الّتي تصبّ في مصلحة المتكلّم ، و هو من أراد إقناعنا بتلك الحالة المتذبذبة و غير المتوقفة لذلك الرجل الّذي فضّل حياة الشّقاء على التّعيم.

و قولهم : " من زرع المعروف حصّد الشكر" ¹.

يحتوي المثل على استعارة مكنيّة تُخدم نتيجة واحدة ، و هي حصّد الشكر فالشكر جاء بعد صنع المعروف مثلما هو الحال للحصاد فهو نتيجة للزراعة فحجاجية الاستعارة تظهر في مهارة تصوير صناعة المعروف و تلقي الشكر عليه بزرع البذر ثم حصاده ، و تمثلها وفق السّلم الحجاجي :



من خلال ما سبق ذكره نرى أنّ أغلب الأمثال العربية تحمل استعارات فهي كثيرا ما تقدّم الواقع و تشبّهه بأسلوب مجازي ، فيأتي سهل الفهم و الاستيعاب ، و عذب النطق ، و جميل التّركيب ، هذا ما يجعل من المثل مؤثرا في ذهن المتلقي و عقله ، و مساهما في إقناعه على صحّة قضية أو موقف ما أو عدمها.

4-1- الكناية :

تعدّ الكناية من الوسائل البلاغية التي تُعتمد في التّحجج يقول الجرجاني " أمّا الكناية فإنّ السبب فإن كان للإثبات بها مزية لا تكون للتصريح إنّ كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه ، إنّ إثبات الصّفة بإثبات دليلها و إيجابه بما هو شاهد في وجودها أكد و أبلغ في الدّعوة من أن تجيء إليها هكذا ساذجًا غفلاً" ².
نفهم من كلام الجرجاني أنّ الكناية هي وسيلة نعير بها عن معاني اللغة بمعاني مرادفة لها من الوجود فهي من وسائل الإبداع في إثبات المعنى و الاحتجاج له.

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص305.

² - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص72 .

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و قد ذهب ابن الأثير إلى الفكرة نفسها عندما وضع حدًّا للكناية بقوله : " فخذ الكناية الجامع لها أمَّا كلّ لفظ دلّ على معنى يجوز حمله على الحقيقة و المجاز و الدليل على ذلك أنّ الكناية في أصل الوضع إن تتكلم بشيء و تريد غيره " ¹.

إذن فللكناية دوراً فعالاً في المحاجة فهي بمثابة الدليل الذي يلجأ إليه المتكلم لإثبات معانيه و إقناع قارئه. يقول ابراهيم النّظام رمز المعتزلة في شأن المثل : " يجتمع في المثل أربع لا تجتمع في غيره من الكلام ، إيجاز اللفظ و إصابة المعنى و حسن التشبيه و جودة الكناية ، فهو نهاية البلاغة " ².

و قد تفتنّ النقاد و الأدباء و الفلاسفة لقيمة الكناية ، حيث اهتموا بها و درّسوها ، و حلّلوا بنيتها و وظيفتها اللغوية ، و البلاغية و الثقافية و النفسية و الاجتماعية و الإيديولوجية ، كما أسهموا في تعريفها ، حيث وردت تعريفات قديمة و حديثة نذكر منها قول أبو هلال العسكري حيث يقول : " أنّ يُريد المتكلم الدلالة على معنى ، فيترك اللفظ الدال عليه الخاص به ، و يأتي بلفظ هو ردفه و تابع له ، فيجعله عبارة عن المعنى الذي أرادته " ³. فبين المثل و الكناية علاقة وطيدة ، حيث أهتمت المبدعين بالقوّة الإبداعية الفنيّة للقول ، ما قد يعجز عن قوله علانية و صراحة لأسباب أخلاقية أو عقائدية ، أو إيديولوجية.

إنّ تبني هذه الطريقتين جعلت المجال واسعاً للأمثال العربية لاقتحام الفضاءات الممنوعة ، حيث تحدّثت عن الممنوع و الملفوظ بلغة واضحة و بسيطة ، تاركة المجال واسعاً للمتلقّي ليؤوّل ما يقدر على تأويله ، فالكناية تُساعد المتلقّي للوقوف على الدلالة المسكوت عنها ، و بالتالي تربطه مع المتكلم عقوداً ذاتية و أخلاقية و نفسية و إيديولوجية و يتكلمان اللغة الرمزية نفسها و ينهلان من المنهل المرجعي نفسه ، الأمر الذي يؤهلهما للتّحليق بالنّص بين ثنائية الحقيقة و المجاز.

و سنحاول أن نتمعن في هذا الجزء كيف تكون للكناية أبعاداً و رؤى حجاجية مثل : " كَانَ كُرَاعًا فَصَارَ ذِرَاعًا " ⁴.

¹ - ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج3، ص52.

² - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج ، ص05

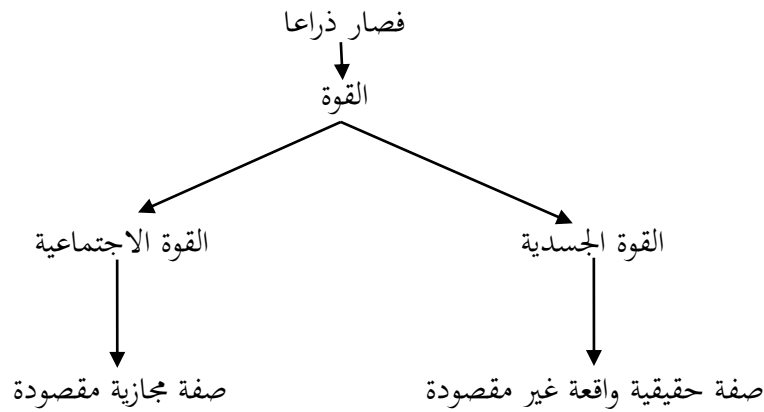
³ - عفيف عبد الرحمن، الأمثال العربية القديمة، مجلة العلوم الإنسانية، الكويت، 1983، ص18. نقلا عن محمد السعدي ، التشاكل الإيقاعي و

الدلالي في نص المثل الشعبي الجزائري ، ص 62

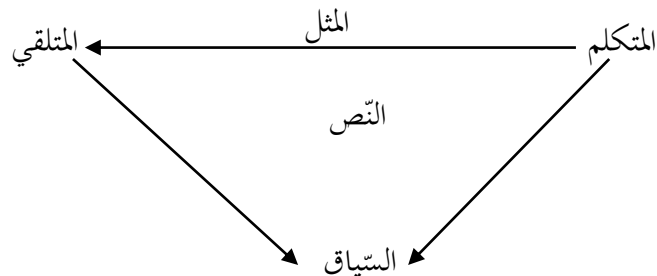
⁴ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج 2 ، ص106.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

قَدْ يَقِفُ المتكلم عند المستوى الظاهر السطحي للنص ، فيأخذه على واقعيته و حقيقته، لتصبح الدلالة حقيقة بيولوجية جسدية ، مَفَادُهَا أَنَّ هذا الإنسان يمتاز ببنية جسمانية قوية (فصار ذِرَاعًا) ، و هي صورة حقيقية تراها العين ، غير أَنَّ مضمون النص و ما يحتويه من كناية تتعدى الطرح الحقيقي الواقعي إلى طرح آخر ، إذ لا بدَّ من البحث عنه على المستوى الرمزي الذي يريد المتلقِّط دعوة المتلقِّي إلى المساهمة في بنائه ، و هو مستوى مجازي إيجائي ، ذو دلالات مستمدَّة عناصرها من المرجع النفسي و الاجتماعي، و الأخلاقي ، و الثَّقافي الذي ينتمي إليه المتكلم و المتلقِّي في نفس الوقت ، فمضمون النص يتمثل في الحديث عن هذا الإنسان ذي المعارف و النُفوذ و التَّدعيمات و المساعدات بطرق شرعية أو العكس من أطراف أقوى قرينة له ، فهو يمتاز بقوة حصول على أيِّ شيء يُريدُه في المجتمع و بالتَّالي يقضي شؤونه بطريقة سَهْلَة ، فعبارة (فَصَارَ ذِرَاعًا) تدلُّ على المعرفة و الرِّشوة و غيرها من الظواهر الاجتماعية و الاقتصادية و الإيديولوجية التي تُترجمُ لنا أَنَّ صاحب (فَصَارَ ذِرَاعًا) له من القوة المادِّية و المعنويَّة ما تحوله إلى الحصول على أيِّ شيء و لا يمنعه أي أحد من قضاء حوائجه.



أيّ أنّ استعمال النص للكناية في تحديد الغاية الحجاجية له ما يبرزه على مستوى القول و قابله و متلقيه ، و مناسبته نوضحها كالآتي :



و كان بين هذه الأقطاب الأربعة اتفاق معرفي ، و عرُفي و ثقافي .

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

فالكناية إذًا لها دورٌ هام في الحجاج ، إذ هي بمثابة الدليل الذي يلجأ إليه المتكلم لإثبات معانيه و إقناع قارئه ، قال الزركشي : " وَ هِيَ عِنْدَ أَهْلِ الْبَيَانِ أَنْ يُرِيدَ الْمُتَكَلِّمُ إِثْبَاتَ مَعْنَى مِنَ الْمَعْنَى ، فَلَا ذَكَرَهُ بِاللَّفْظِ الْمَوْضُوعِ لَهُ مِنَ اللَّغَةِ ، وَ لَكِنْ يَجِيءُ إِلَى مَعْنَى هُوَ تَأْلِيهِ ، زَيْدُهُ فِي الْوَجُودِ ، فَيُؤَمِّرُ إِلَيْهِ وَيَجْعَلُهُ دَلِيلًا عَلَيْهِ ، فَيَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ مِنْ طَرِيقٍ أَوْلَى " .¹

المتكلم أوردَ هذا المثل في صفة كناية ليَصِلَ إلى هدفه الحجاجي و تقرب المتلقي إلى أطروحته بهدف إقناعه و حتى يجعله يكشفُ ذلك بتأويله و متى اكتشف ذلك أقرَّ بصحة الأطروحة و هذا ما يطمحُ إليه المتكلم.

تأويل

ح = فَصَّارٌ ذِرَاعًا ← ن = المكانة الاجتماعية

المتلقي

فعبارة (فَصَّارٌ ذِرَاعًا) هي حجة في صورة كناية ، و نتيجة المقولة الضمنية من قبيل (المكانة الاجتماعية).
" فالنجاعة الحجاجية للكناية مستمدة كما هو الشأن في الصورة عامة من ظاهرة دفعها المتلقي إلى الإبهام في إنتاج قسم من كلام الصورة هو القسم الضمني و ذلك بالانطلاق من القسم المصرح به " .²

و المقصود من هذا الكلام الانطلاق من اللفظ الذي أطلق إلى المعنى اللازم المراد وهو القسم الضمني المكني عنه ، فمتى اكتشف القارئ الكناية أقر بصحة الأطروحة لأنه لا المتكلم أورد صراحة و لا المتلقي يسعى لتخطئة تصوره.
كذا الحال بالنسبة للمثل القائل : " سَقِطٌ فِي يَدِهِ " ³ و هي كناية عن الندم تظهر حجاجية المثل في طريقة تصوير سقوط اليد فهي تجسد حالة الإنسان النادم على فعله ، و تكمن حجاجيتها أيضا في كونها لا يمكن الاكتفاء فيها بالمعنى الحقيقي المصرح به ، بل تبعث المتلقي على تدبر المفهوم الذي هو المعنى اللازم و توجيهه نحو استنتاج المكنى عنه بنفسه ، و ما تم استنتاجه لا يستطيع أن يعترض عليه ، و لا يسعى لتخطئة تصور القائل و بالتالي تتحقق إستراتيجية الإقناع فضلا عن كونها تعطي الحقيقة مصحوبة بدليلها.

¹ - بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ج2، ط2، ص301.

² - عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ج 2 ، ص 657

³ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 420

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

إنّ هذه الحياة العقلية التي تحول بها الكناية تأتي من إثارة الدوال التي لا تكون مقصودة لذاتها ، و لكنها تأتي بوصفها دليلاً يسير في نفس المتلقي في سيرورة مراوغة حجاجية تتجاوز المعنى الحرفي ليكون المعنى المضمر في أغوار هذه المعاني هو المعنى المقصود ، إذ يتناقل المعنى عبر سلسلة استدلالية تتظافر فيها الصياغة مع المعاني التي تتحول بالملفوظ إلى الكناية.

4-2- التشبيه :

يُعدّ التشبيه من الآليات البلاغية التي يسلّطها المتكلم على المتلقي لتحقيق غايات حجاجية ، فهو " عقد الصلّة بين صورتين ليتمكّن المرسل من الاحتجاج و بيان حُججه".¹ و لم يعد مجرد " وسيلة تتوصّل و نتوسّل به إلى معرفة أسلوب آخر ، و إنّما هو مقصود لذاته ، فإذا كان الهدف من علم البيان التأثير في النفوس فإنّ من أكثر أبوابه تأثيراً التشبيه".²

غير أنّ فضل حسن عبّاس يرى عكس ذلك ، فهو يعتبر التشبيه من أقوى الأشكال البيانية تأثيراً حين يقول : " التشبيه كغيره من وسائل القول و فنونه جيء به ليؤدّي رسالة ذات أثر ، و ليحقّق أغراضه النفسية المقصودة من علم البيان ، فهو من هذه الناحية لا يقلّ عن الاستعارة و الكناية ، بل نظنّ أنّ ما يحدثه التشبيه في النفس ربّما يزيد على ما يحدثه غيره من الأساليب ، ذلك أنّ المجاز و الكناية لا تدركهما النفس بيسرٍ و سهولة ، أضف إلى ذلك أنّ التشبيه يمكن أن يكون أوسع دائرة من حيث الجمهور الذي يتأثر به".³

و هناك مجموعة من الأسباب التي جعلت التشبيه يؤثّر في النفوس أهمّها :
اعتماد النفوس على الحسن ، فالنفس البشرية أكثر تأثراً بالمحسوس من المعقول ، لذلك نجد المشبّه به غالباً ما يكون من المحسوسات ، كما أنّ الجمع بين الأشياء المتباعدة تستريح له النفس".⁴

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، ص 497.

² - فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفانها، دار العرفان للنشر والتوزيع، ط10، 2005، ص 18.

³ - المرجع نفسه ، ص 17-18.

⁴ - المرجع نفسه، ص 76.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و العلماء قد اختلفوا في نظرهم للتشبيه و التمثيل ، فبعضهم يرى أنه لا فرق بينهما ، فكليةما شيء واحد و منهم ابن الأثير ، و البعض الآخر يفرق بينهما و منهم عبد القاهر الجرجاني ، فهو يعتبر التشبيه أعم من التمثيل فكلّ تمثيل تشبيه ، و ليس كلّ تشبيه تمثيلاً.¹

و قد تنبّه عبد القاهر الجرجاني إلى القيمة الحجاجية للتمثيل ، و بيّن دوره في التأثير ، و ذلك في قوله : " و اعلم أنّ ممّا اتفق العقلاء عليه أنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، و أبرزت هي باختصار في معرضه ، و ثقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أئمة ، و كسبها منقبة و رفع من أقدارها ، و شبّ من نارها ، و ضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، و دعا القلوب إليها و استشار لها من أقاصي الأفئدة صباغة و كلفاً و فسر الطباع على أنّ تُعطيها محبة و شعفاً".²

و يُعدّ التشبيه في مجمع الأمثال من الآليات الحجاجية التي تهدف إلى الإقناع ، و الحجاج بألية التشبيه كثير في المدونة ، و قد كانت صورة مستمدة من مخزون حجاجي واسع ، و متنوع بتنوع البيئة الطبيعية و الصحراوية ، و الاجتماعية و الثقافية ... كما وظّف في مختلف المقامات و الأحوال ، و أمثلتنا على ذلك قولهم :

" العقوقُ تُكلُّ من لم يُنكَلْ".³

تعدّ الأمثال من الحجاج الضمني الذي يخلو من المقدمات و النتائج و تكمن حجاجيته الضمنية أنه يؤسس لبنية الواقع من القياس و الاستدلال البلاغي لمعالجة تشوهات الواقع و جبر كسوره و منها المثل الذي نتأمله في هذا المقام و هو مرشح للحجاج ببنيته المتماسكة جمالا و قصدا. إذ يضرب المثل في عقوق الوالدين لتشخيص الواقع المشوه و جبر الكسر الاجتماعي اتجاه الأسرة و بالأخص اتجاه الوالدين .

إنّ كلاً من المشبه و المشبه به قد تشابها في توليد الإحساس بالحزن و ألم الفقد ، فالمرأة الثكلى تشبه في حزنها على ابنها الميت حزن من يعقها ابنها و لا يتذكرها بل يهجرها. و بالتالي تكون قد ثكلته و إن كان حياً. فبعد هذا الحجاج ليس أمام القارئ إلاّ الإذعان بحجاج خاطب القلب فلان فكيف لا يلين قلب و لا تتحرك عاطفة أمام مشهد الفقد و الصورة التشبيهية مشهد حقيقي يراه المتلقّي و يعيشه في بيئته.

¹ - فضل حسن عباس، البلاغة فنونها و أفنانها ، ص59.

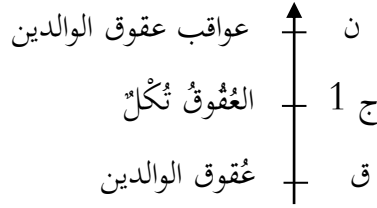
² - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص115.

³ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج2، ص20 .

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

فالمتلقي من خلال هذا المثل ينظر إلى كَلِّ عَاقٍ منظر ازدراء و نكران ، و من الطَّبَّيعي أن يتَّخذ موقفاً نفسياً و عدائياً للمعاقين و صفاتهم اللا أخلاقية.

فلو قال مرسل المثل " اخذَرُ عُقُوقَ الوَالِدِينَ " لما اتَّضحت الفكرة ، و لكن وظَّف الصورة التَّشبيهيَّة الحجاجية سمح للخطاب بأن يكون مؤثِّراً و مُقنَعاً .
و يُمكن تمثيلها وفق السِّلْم الحجاجي الآتي :



الأمثال العربيَّة تمثيل و تشبيه قبل كلِّ شيء ، فهي تصوير الواقع عن طريق تشبيهه بشيء أو حدث ، فنجد الأمثال تمثِّل تلك المواقف و الحوادث التي ضربت و قيلت فيها ، من خلال تشبيهها بمواقف أخرى ، للتشبيه إذن أهميَّة بالغة في التَّأثير على المتلقي أثناء الخطاب و هذا ما سنوضِّحه من خلال هذا التَّمُودج في قول العرب :

" طَعْنُ اللِّسَانِ كَوَخَزِ السَّنَانِ " ¹

و يضرب هذا المثل : " إِيَّ وُصُولِ الكَلِمَةِ إِيَّ القَلْبِ وَ الطَّعْنِ يَصِلُ إِيَّ القَلْبِ وَ اللَّحْمِ " ² إذ تُعدّ من الأمثال التي بدت على قدر كبير من التشبيه الحجاجي و تقريب المسافة بين المشبه و المشبه به يضعنا أمام رغبة ملحة من المتكلم لمقاربة الواقع طبقاً لهذا التشابه بين الحسي و المعنوي و الانتقال بالمتلقي في حالة إقناعية لترسيخ الوعي بالأثر السليبي لمنطوق الكلام الفاحشي الذي يجرح النفس و يؤذي الإنسانية و يوغر الصدور كما يجرح السنان و يوعز في الجسد أو يعمق النفاذ و يدمي ، تلك هي لازمة الحجاج التي تؤسس في بنية الواقع للعلاقة السليمة في المجتمع بين الذات و الآخر ، بين الأنا و التَّحَن
فلولا الملفوظ الحجاجي المتمثل في التشبيه لما اقتنع المتلقي بحجم ذلك الألم الذي يشعره صاحب المثل ، فجاء التشبيه في محله لتحقيق الغاية الحجاجية المتمثلة في الابتعاد عن أذى الآخرين .

و يمكننا تمثيلها وفق السِّلْم الحجاجي الآتي :

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1، ص 542

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 542

| | | |
|-------------------------------------|---|-----|
| عدم تكرار التجربة التي عاشها صاحبها | ↑ | ن |
| طعن اللسان كوخز السنان | — | ج 1 |
| انتقاء الكلمات المناسبة. | — | ق 2 |
| الابتعاد عن إلحاق الضرر بالآخرين | — | ق 1 |

و من بين الأمثال التي تبرز حجاجية التشبيه و دوره في الإقناع و التأثير نذكر نصّ المثل القديم :

" سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ " ¹

يتضمّن المثل تشبيها شكّل حجّة تخدم نتيجة ضمنيّة مفادها اللوم و الذمّ ، و الشتم ، حيث يحاول قائل المثل إقناع السامعين بما فعله خصومه فصوّروهم في أبشع صورة حتى ينفر الآخرين منهم و ما زاد الحجّة قوّة هو التشبيه الوارد في هذا الملفوظ بحيث أخبرنا عن تساويهم في العيوب و الصّفات الدنيئة حتّى لا نجد تمييزا بينهم في تلك الصّفات مثلما هي متساوية أسنان الحمار.

فهذه الصّورة زادت في القوّة الحجاجية و جعلتها أكثر تأثيراً و إقناعاً و مصداقيّة ، حيث أتت هذه الحجّة أُكلّها و استطاعت أن تبلغ مرادها ، فأثّرت فينا و أقتننا بحجم الصّفات القبيحة التي يتّصف بها أعداءه و خصومه فهي متساوية لا محالة كأسنان الحمار و اللافت للانتباه أنّ مرسل المثل قد نفرنا بما فيه الكفاية و جعلنا نذهب إلى مثال آخر.

عندما نتمعّن في المثل الآتي:

" الْمِكْتَارُ كَحَاطِبِ اللَّيْلِ " ²

إنّ الصورة التشبيهية التي قربت المسافة للمتلقّي بين الثرثرة و حاطب الليل يكمن في غياب البصيرة و قلة الفائدة إذ يبسط المثل حالة من التأمل في النجاعة و عدمها و المقصود ترسيخ مفهوم الأنفع للناس من الكلام و النشاط الحسي من وراء جمع الحطب في ليل بهيم و من ثم فإن قانون الأنفع في المسار الحجاجي يقتضي ترشيد الكلام خشية زلة اللسان في عرض أحد أو تغييب صورة المتكلم و ذهاب هيئته و كذلك ما يخفى على الحاطب في الليل

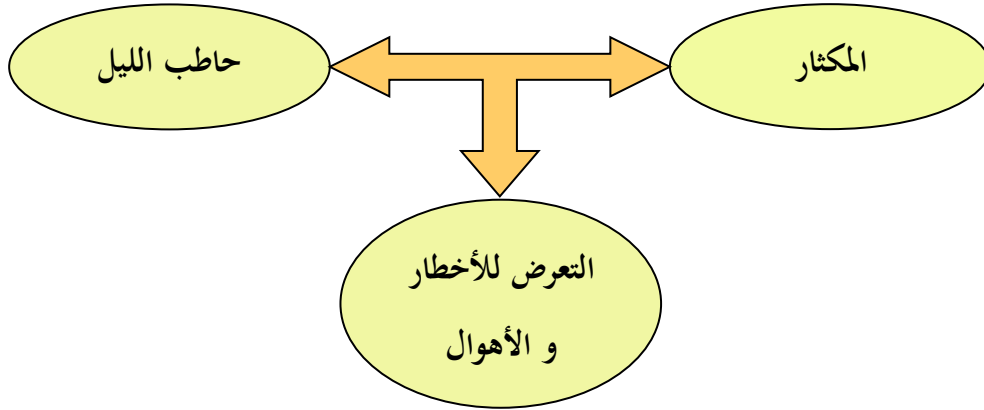
¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، مج1، ص 419 .

² - المصدر نفسه ، مج1، ص303.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

من الأذى ، فالحاطب قد تقع يده على أفعى تنهشه أو أهوال أخرى ، و كذلك الذي لا يصون لسانه و يهجوا الناس و يذمهم ، ربما كان ذلك سببا في حتفه و هلاكه.

فالتشبيه حقق هذا الجمال بإبرازه حدين متناظرين يعمل كلا منهما اتجاه يلتقي فيه مع الآخر ، لكنهما لا يتحدان اتحادا تاما ، إذ أبرز لنا المعقول في صورة المحسوس ، فيتقبله العقل ، و يستقر في الذهن لأنّ الصورة الحسية في تقريب البعيد و تجسيده و توضيح الغامض منه و نجد الحدين المتناظرين على النحو الآتي :



فالحَدَّانِ المتناظران هُنَا هُمَا : (المكثار و حاطب اللَّيْلِ) فالَّذِي يكثر كلامه معرّض للأخطار ، و قد يكون كلامه سبب هلاكه ، و حاطب اللَّيْلِ هو أيضا معرّض للخطر ، فقد تأكله السَّباع ، أو تلدغه الحيات ، و وجه الشَّبه بينهما التعرّض للأخطار و المصاعب برغم إمكان البعد عنها¹.

فالتصوّر هنا تستشير العقول ، و تحرك الأذهان ، و تعكس جزءا من الحياة الجاهلية آنذاك ، و تحاول جمع الكثير من المعاني في القليل من الألفاظ لتبني صورة حجاجية خاصّة بها أساسها إيجاز اللَّفظ و تكثيف الحجّة ، خاصة أنّ صاحب المثل لجأ إلى التَّشبيه الذي يجعل الحجّة في أعلى درجات السَّلم الحجاجي².

و من نماذج ذلك قوله : " مَنْ فَسَدَتْ بِطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِالْمَاءِ " ³.

و يُضرب في اقتداء الرَّجل بخليته ، و مقصد المثل : " إِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ فَلَا دَوَاءَ لَهُ ، لِأَنَّ الْغَاصَّ بِالطَّعَامِ يَلْجَأُ إِلَى الْمَاءِ فَإِذَا كَانَ الْمَاءُ هُوَ الَّذِي يَعْصُهُ فَلَا حِيلَةَ لَهُ ، فَكَذَلِكَ بِطَانَةُ الرَّجُلِ وَ أَهْلُ دِخْلَتِهِ " .

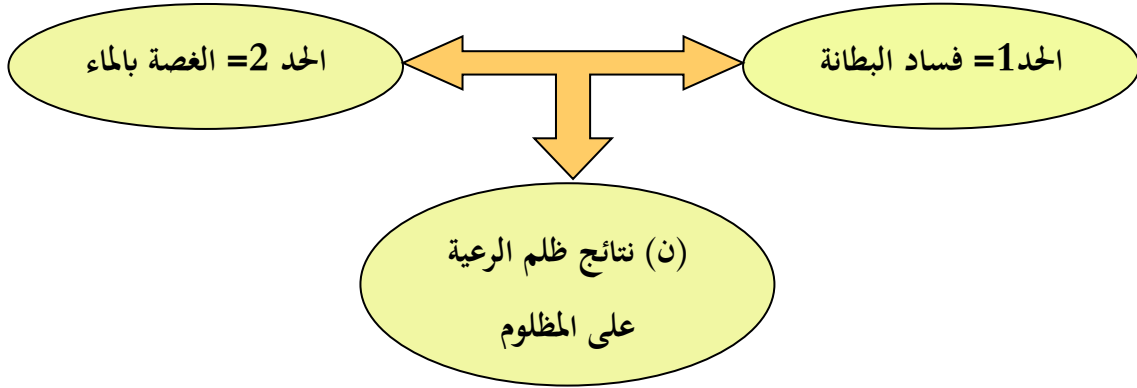
¹ - بدر بن علي العبد القادر ، حجاجية المثل عند أكنم بن صيفي -دراسة تحليلية- ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، العدد 19 ، جوان 2016 ، ص 106

² - المرجع نفسه ، ص 106

³ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج2 ، ص 317.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

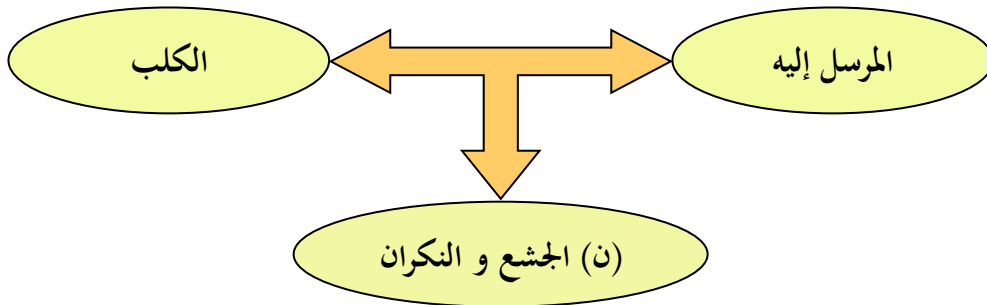
و تظهر حجاجيته في التشخيص البليغ للحالة المقصودة ، و لعلنا نلاحظ التناسب بين ركني التشبيه ، فظلم الرعية، و الغصة بالماء لها آثار واضحة على الجسم فاختيار البطانة الصالحة مما يعين الملك على العدل و الإنصاف في رعيته¹ ، و يمكن توضيح هاذين الحدين المتناظرين في المخطط الآتي :



و المثل القائم : " أَحَبُّ أَهْلِ الْكَلْبِ إِلَيْهِ الظَّاعِنُ"².

و ذلك : " أَنَّهُ إِذَا سَافَرَ زُبْمًا عَطِبَتْ رَاحِلَتُهُ فَصَارَتْ طَعَامًا لِلْكَلبِ ، يُضْرَبُ لِلْقَلِيلِ الحِفاظِ كَالْكَلبِ يَخْرُجُ مَعَ كُلِّ ظَاعِنٍ ثُمَّ يَرْجِعُ".

و حجاجيته تبرز في الإستراتيجية التي بُني عليها المثل إذ افتتح بالتهي و أردف بالتشبيه الذي حمل الحجة بينما كانت النتيجة مضمرة يصل إليها المنصوح عن طريق فك شفرة التشبيه الذي يكشف عن الحقيقة ، و يقرب الصورة الغائبة الحاضرة ، فتبرز الحقائق السامية في معانيها و أهدافها التي تقرّبها إلى الأذهان ، و ذلك بقياسها على صورة معلومة³ ، و يمكن توضيح الحدّين المتناظرين في الشكل الآتي :



و من نماذج ذلك قوله : " رِضًا النَّاسِ غَايَةٌ لَا تُدْرِكُ"⁴.

¹- بدر بن علي العبد القادر ، حجاجية المثل عند أكرم بن صيفي -دراسة تحليلية- ، ص 106

²- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، مج1، ص262.

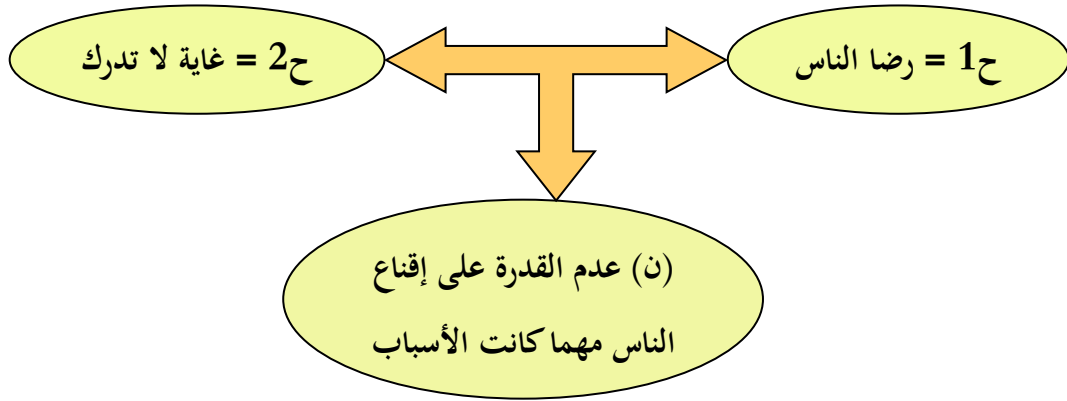
³- بدر بن علي العبد القادر ، حجاجية المثل عند أكرم بن صيفي -دراسة تحليلية- ، ص 108

⁴- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص301.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و معناه : " أَنَّ الرَّجُلَ لَا يَسْلَمُ مِنَ النَّاسِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَعْمَلَ مَا يُصْلِحُهُ وَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى قَوْلِهِمْ " .¹

و تكمن حجاجية المثل في حرص أكثرهم على تزويد أبناء المجتمع بكل ما يضمن للقبيلة بقاءها و مكانتها و تماسكها في عصرهم القائم على مبدأ التكتلات القبلية ، فالفرقة داء مستعصٍ ، و شقاء ميمت ، و هذا ما شكّل هاجساً لديه ، فجعله يولي تلك الجوانب عناية لا مثيل لها. و نمثله كالاتي :



جاء الحثّ على التّواصل بين أفراد القبيلة لتماسكها ، و بقاء المودة و المحبة ، و تفويت الفرصة على المتربّصين ، ولا تعدم وجود بعض التوجيهيات التي تنظّم التّواصل ، و تزيد من استمراره ، فجاء المثل للإقناع و التأثير في المتلقّي أكثر فأكثر.

و من نماذج ذلك أيضا : " الْمَرْءُ يَعْجِزُ لَا مَحَالَةَ " .²

أي : لَا تَصِيقُ الْحَيْلُ وَ مَخَارِجُ الْأُمُورِ إِلَّا عَلَى الْعَاجِزِ وَ الْمَحَالَّةُ : الْحَيْلَةُ .³

و تبرز حجاجيته في ترسيخ فكرة العجز فلا يوجد شخص كامل أكيد يصادف العجز في أمور كثيرات غايتها دوما حمل الشخص على ضرورة تقبل الفكرة (فكرة العجز).

4-3- حجاجية التعبير المثلي :

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 301

2- المصدر نفسه ، مج1، ص301.

3- المصدر نفسه ، مج1، ص301.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و هو ما يكون المثل فيه غالبا على وزن أفعل¹ و قد يفترق التعبير المثلي عن المثل في أنه لا يعرض أخبارا معينة عن طريق حالة بعينها ، و لكنه يبرز أحوال الحياة المتكررة و العلاقات الإنسانية في صورة يمكن أن تكون جزءا من جملة " .²

و من نماذجه المثل القائل : **أَوَّلُ الْحَزْمِ الْمَشُورَةُ**.³

يُضْرَبُ فِي الْأَخْذِ فِي الْأُمُورِ بِالْمَشُورَةِ وَ النَّظَرِ⁴ ، و تكمن وظيفته الحجاجية في حرص قائل المثل " اكنم بن صيفي " على القيام بدوره الاجتماعي العملاق و الإنساني على وجه التحديد في حث الملوك بالتشاور و الاحتكاك في أمور القبيلة مع الرعية ، و نبذ الظلم و الاستبداد و تحذيرهم مما تكون به نهايتهم ، و زوال ملكهم لأنّ في الشورى صلاح للرعية و مادة للرأي ، و هي نبرة صادقة و تجربة خيرة قصد بها رؤساء القبائل لتجنب قبائلهم ويلات الحرب و التفرق ، و التشتت ، و إشعارهم أنهم شركاء في الفعل و النتائج و لا يمكن أن يصنع مجد القبيلة شخص واحد فلكل واحد منهم مهامه و عليه واجباته و يجب عليه تحمل مسؤولياته وفق طاقاته .

4-4- التمثيل :

يرتكز المتكلم على آلية التمثيل لتسهيل عملية إدراك المتلقي لمعاني خطابه ، و إقناعه بما يحمله من مقاصد ، و ذلك " عن طريق عقد الصلة بين صورتين ، ليتمكن المرسل من الاحتجاج و بيان حُججه " ⁵ و يمكن أن نمثّل لهذه الآلية من التراث العربي القديم من خلال بعض الأمثال .

المثل 1 : و هو من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " **مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ الْحَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ تُفِيئُهَا الرِّيحُ مَرَّةً**

هَهْنًا وَ مَرَّةً هَهْنًا ، وَ مَثَلُ الْكَافِرِ مَثَلُ الْأَرْزَةِ الْمُحْدَبَةِ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى يَكُونَ إِنْجَعْفُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً " ⁶

يُضْرَبُ المثل لبيان مكانة الرجل المؤمن من الرجل الكافر ، و الفرق الشاسع بينهما ، فقد صوّر لنا المؤمن بالخامة التي تميلها الريح ، و أما الكافر فمثل الأرزة التي لا تميلها الريح ، و الكافر لا يبرز شيئاً حتى يموت ، إن أرزى لم

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 52

2 - أبو عبيد القاسم بن سلام ، كتاب الأمثال ، تج : محمد عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ط 1 ، 1374 هـ ، ص 228

3 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج 1، ص 52-53 .

4 - المصدر نفسه ، مج 1 ، 53

5 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، ص 497

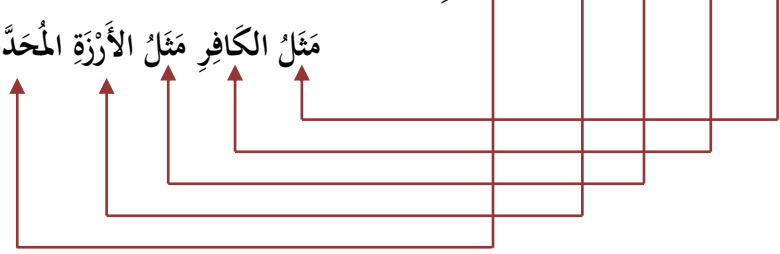
6 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 327

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

يؤجر عليه فشبهه موته بانجعاف تلك حتى يلقي الله بذنوبه ، عكس الإنسان المؤمن تماما ، إذ ارتكز المتكلم على آلية التمثيل ، فعقد الصلة بين صورة المؤمن و صورة الكافر و كيفية سير الريح لكلاهما

مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ الْحَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ *

مَثَلُ الْكَافِرِ مَثَلُ الْأُرْزَةِ الْمُحْدَبَةِ عَلَى الْأَرْضِ



5- الآليات البديعية :

إنَّ المحسنات البديعية هي الأخرى يمكن أن تؤدي وظيفة حجاجية ، هذا ما نجده عند صابر الحباشة في كتابه " التداولية و الحجاج " بقوله :

" إنَّ مُحْسِنًا لهُ حجاجي إذا كان استعماله ، و هو يؤدي دوره في تغيير زاوية النَّظَر، يبدو معتادا في علاقته بالحالة الجديدة المفتوحة ، و على العكس من ذلك فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب ، فإنَّ المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة ، أي باعتباره محسن أسلوب ، و يعود ذلك إلى تقصيره عن أداء دور الإقناع".¹

نفهم من خلال القول أنَّ المحسنات نوعان ، هناك محسنات تزيينية زخرفية متعلقة بالأسلوب غرضها جمالي بالدرجة الأولى ، و هناك محسنات حجاجية متعلقة بالإقناع و التأثير في السامعين . و نجد في مجمع الأمثال مجموعة من المحسنات كآلية بلاغية حجاجية ، أي من أجل محاولة التأثير في المخاطب و استمالاته ، و إقناعه ، و سوف تقتصر على الطَّباق و الجناس ، و السجع لدورهم الأساس في العملية الحجاجية إلى جانب التكرار كذلك.

5-1- الجناس :

يُعدّ الجناس من الظواهر التي تمنح النص الذي ترد فيه إيقاعا واضحا و ذلك بما تقوم عليه من اشتراك صوتي يجمع بين الألفاظ في الجملة أو النص الواحد بدلالات مختلفة. فالجناس في الاصطلاح : " أن يتشابه اللفظان في النطق و يختلفان في المعنى".²

¹-صابر الحباشة، التداولية والحجاج ، ص51.

²- عبد الرحمن حسن، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم والدار الشامية، دمشق، بيروت، ج2 ، ط 1 ، 1996 ، ص485.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

إذ يلّمح المتأمل في الأمثال سواء كانت أمثالاً عربية أو شعبية كثرة استخدامها للجناس ، فكأنّ هذه الظاهرة آلية من الآليات التي يبنى عليها المثل ، بما يضمن لمعانيه إيقاعية تساهم في تداولها و سيرها ، و هناك نوعان من الجناس : الجناس التام و الجناس الناقص .

أ- الجناس التام :

هو أن يتفق اللفظان في أنواع الحروف و أعدادها و هيئتها و ترتيبها.¹

ب- الجناس الناقص :

و هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة التي هي من شروط الجناس التام هي اختلاف اللفظتين في أنواع الحروف و عددها ، و هيئتها ، و ترتيبها.²

قد يحتاج المتكلم في إرسال مقاصده إلى استخدام هذه الآلية بذكر اللفظ في موضعين بحيث يحمل اللفظ الأول معنى مغاير لما يحمله اللفظ الثاني ، و الهدف من هذا التوظيف التأثير و الإقناع و شدّ انتباه المستمعين يمكن أن تمثل الآلية (الحجاج) الجناس من خلال الأمثال الآتية المنتقاة من المدونة .

الجارُّ ثُمَّ الدَّارُ.³

قال أبو عبيد : كان بعض فقهاء أهل الشام يحدث بهذا الحديث ، و يقول معناه : إِذَا أَرَدْتَ شِرَاءَ دَارٍ فَسَلِّ عَنْ جَوَارِهَا قَبْلَ شِرَائِهَا.⁴

إنّ المحسنات البديعية تُحسّن شروط التلقي و تهيئ المتلقي للإذعان أو التسليم بما يسمع ، على نحو يجعل الجناس بوصفه أحد المحسنات حالة من هذه المواصفات لهيمنة الصوتية و مضاعفة الدلالة معانيه الخالصة بين الجار و الدار ، إذ يمثل الضغط الصوتي على المقطع الأخير (ار) مسوغاً للنظر و التأمل في المسألة الحجاجية بين المدرك الذهني للعلاقة الاجتماعية و البعد الإنساني الذي يتأسس بوعي حجاجي عميق على بنية شبه منطقية في تصورنا للجار المثالي ، و كذلك ما ينشأ عن الجار المؤذي ، و بذلك فإنّ الجار الصالح مصدر للاستقرار و السكينة ، و الجار المؤذي مصدر للقلق و الأذى و على هذا النحو تتماهى صورة الدار و الجار في هيئة حسية و خصائص

¹ - بن عيسى بالطاهر، البلاغة العربية، مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الجديد، ط1، 2008، ص319.

² - المرجع نفسه ، ص319.

³ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج1، ص228.

⁴ - المصدر نفسه، مج 1 ، ص228.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

معنوية متقاربة في المهدهد و السکن المريح و الأمن و الراحة النفسية و غيرها ... و بالتالي يتحقق البعد الحجاجي و الغاية التأثيرية المتمثلة في اختيار الجار الصالح قبل الدار.

و في مثل ذلك المثل القائل :

إِذَا جَاءَ الْحَيْنُ حَارَتِ الْعَيْنُ¹.

قال أبو عُبيد : و قد رُوي نحو هذا عن ابن عباس ، و ذلك أَنَّ نَجْدَةَ الْحَرَوِيَّ أَوْ نَافِعًا الْأَزْرَقَ قَالَ لَهُ : إِنَّكَ تَقُولُ إِنَّ الْمَهْدَهْدَ إِذَا نَفَرَ الْأَرْضَ عَرَفَ مَسَافَةَ مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْمَاءِ وَ هُوَ لَا يُبْصِرُ شَعِيرَةَ الْفَحِّ ، فَقَالَ : إِذَا جَاءَ الْقَدْرَ عَمِيَ الْبَصْرُ².

يُضْرَبُ الْمَثَلُ لِمَنْ يَشْتَكِي مَشَاكِلَ الْحَيَاةِ ، وَ الَّذِي يَعْتَقِدُ أَنَّهُ الْوَحِيدُ الَّذِي يُوَاجِهُ مَصِيرَ الْقَدْرِ ، وَ أَهْوَالَهُ فَيَسْتَعْمَلُ تَدَاوُلِيًّا لَتَنْفِيذِ حَقِيقَةِ الْإِعْتِقَادِ السَّابِقِ وَ يَعَزِّزُ فِي نَفْسِ السَّمَاعِ حَقِيقَةَ بَصْرَةِ الْقَدْرِ وَ مَا يَتَّبِعُهُ إِذْ سَاعَدَ الْجِنَاسَ الَّذِي يَتَخَلَّلُهُ الْمَثَلُ فِي بَثِّ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ وَ تَرْسِيخِهَا فِي ذَهْنِ السَّمَاعِ وَ ذَلِكَ بِاسْتِمَالَتِهِ لِلْإِصْغَاءِ وَ هُوَ مَا يَحْفَقُهُ التَّضَادُّ بَيْنَ اللَّفْظَتَيْنِ الْمُتَمَاثِلَتَيْنِ فِي الشَّكْلِ فَاللَّفْظَةُ الْأُولَى الْحَيْنُ : وَ هِيَ إِشَارَةٌ إِلَى قَدْرِ الْإِنْسَانِ وَ مَصِيرِهِ الْمُحْتَمِ وَ اللَّفْظَةُ الثَّانِيَةُ الْعَيْنُ وَ هِيَ إِشَارَةٌ إِلَى الْإِنْسَانِ فِي حَدِّ ذَاتِهِ فَتَمَاثِلُ اللَّفْظَتَيْنِ وَ تَقَارُبُهُمَا شَكْلًا وَ اخْتِلَافُهُمَا فِي الْمَعْنَى شَكْلًا بَعْدًا حِجَاجِيًّا وَ وَسِيلَةً لِلْإِقْنَاعِ.

و المثل القائل : " التَّقَدُّمُ قَبْلَ التَّنَدُّمِ " ³.

يُضْرَبُ فِي لِقَائِكَ مَنْ لَا قِيَامَ لَكَ بِهِ ⁴.

لَقَدْ ضُرِبَ الْمَثَلُ لِلْحَثِّ عَلَى اخْتِيَارِ الصَّدِيقِ الْمُنَاسِبِ لِأَنَّ حَسْنَ الْإِخْتِيَارِ يَضْمَنُ لَكَ الْعَيْشَ دُونَ مَلَلٍ أَوْ تَعَبٍ ، وَ لَا تَكُونُ النَّهَايَةُ وَخِيمَةً فَالِيَّةَ الْجِنَاسِ مِنْ خِلَالِ اللَّفْظَتَيْنِ (التَّقَدُّمُ وَ التَّنَدُّمُ) حَقَّقَتِ التَّمَاثِلَ الصَّوْتِيَّ وَ الْإِقْنَاعِيَّ فِي نَفْسِ الْمُتَلَقِّينَ وَ وُلِّدَتْ لَدَيْهِمْ ضَرُورَةَ الْحَذَرِ قَبْلَ النَّدَمِ وَ فَوَاتِ الْأَوَانِ ، وَ بِالتَّالِي حَقَّقَتِ الْغَايَةَ الْحِجَاجِيَّةَ وَ الْإِقْنَاعِيَّةَ مِنْ خِلَالِ تَشَابُهِمَا فِي اللَّفْظِ وَ اخْتِلَافُهُمَا فِي الْمَعْنَى.

و تظهر أيضا القيمة الحجاجية للجناس في المثل : " إِذَا حَانَ الْقَضَاءُ ، ضَاقَ الْفَضَاءُ " ⁵.

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 51.

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 51.

³ - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 185.

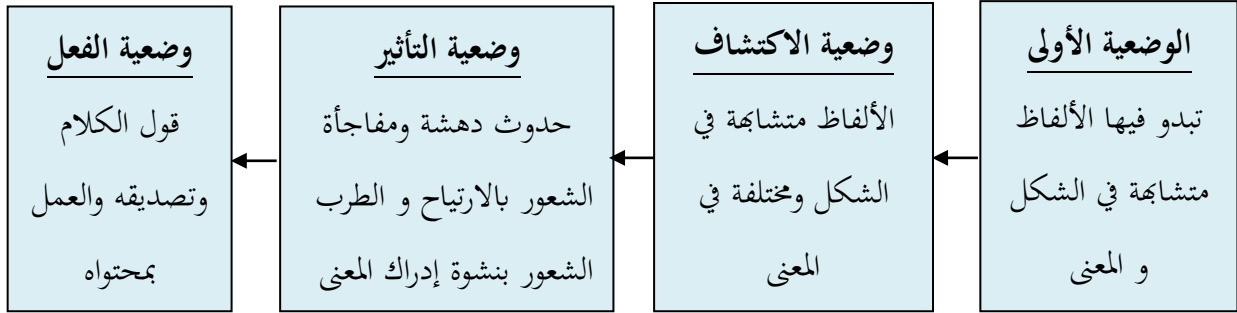
⁴ - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 185.

⁵ - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 55.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

يحتوي المثل على حجة ضمنية مفادها حث المتكلم المستمع على أخذ الحيطة والحذر مما هو مخبوء حتى لا يفاجئ بعقبات القدر فلا بدّ من الاستعداد له بإيجابياته و سلبياته ، لذا عمد المثل إلى تقوية حججه بالجناس الذي زين الملفوظ ، و أضاف إليه قوّة حجاجية استطاع من خلالها التأثير في المخاطب و إقناعه مما جعل النتيجة المتوخّاة تتحقّق لا محالة.

تعود حجاجية هذه الجناسات جميعها إلى ما أحدثته في الكلام من نغمة موسيقية بديعة و تشابه صوتي يضرب الأذان و يؤثر في القلوب ، و يحدث في النفس ميلا إلى التلذذ و الإصغاء من جهة ، و إلى دفع المخاطب إلى الوقوف على حقيقة المعاني الكامنة وراء هذا التشابه الصوتي من جهة أخرى و يتم هذا الوقوف من خلال قيام المخاطب بسلسلة من الانتقالات الحجاجية و المرور عبر وضعيات و هي:¹



إنّ هذه الانتقالات هي ما يعطي للجناس قوة حجاجية ، و يجعله قادرا على إصابة مواطن العقل و القلب معا، فهو يحدث في الكلام تشابها صوتيا و اختلافا دلاليا ، فإنّه يدفع بالمخاطب إلى القيام بالانتقالات و أبعاده، فيكون هو من توصل بنفسه إلى هذا الاكتشاف و هو من بلغ هذا الإدراك ، الشيء الذي يجعله بعد ذلك يجد صعوبة في دحض و إبطال ما توصل إليه بنفسه² .

للجناس طاقة حجاجية لا يمكن إنكارها ، إذ يحتوي على معنى ظاهر و آخر خفي يتم اكتشافه من السياق العام و قرائن الأحوال هذا ما يزيد من قوته الحجاجية و يجعله فعالا و مؤثرا على المستمعين .

¹ - كمال الزماني ، حجاجية السجع و الجناس في الخطاب المقدماتي ، مقدمة المقدمة لابن خلدون أمودجا ، كلية اللغة العربية ، مراكش ، المغرب ، العدد 3 ، المجلد 7 ، ديسمبر ، 2018 ، ص 81

² - المرجع نفسه ، ص 81

5-2- المَقَابِلَةُ :

يَجْتَنِحُ المتكلم أحيانا في خطابه إلى توظيف المقابلات عمداً منه لزيادة الإفهام و الإقناع ، حيث يجمع بين أمرين متوافقين أو أكثر ، و بين ضدّيهما ¹.

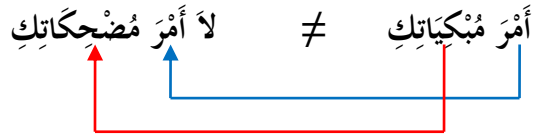
و يكمن تأثير هذه الآليات في اعتمادها على مبدأ التّضاد الحقيقي ، فكما يقال : تُعْرِفُ الأشياءُ بِأَصْدَادِهَا ، و هو ما يتّخذهُ المتكلم حجّة له ليبيّن مقاصده في ذهن المتلقّي ، و يمكن أن نمثّل هذه الآلية بالمثال الآتي :

أَمْرٌ مُبْكِيَاتِكَ لَا أَمْرٌ مُضْحِكَاتِكَ².

و قصّة المثل : قال المفضّل : " بَلَعْنَا أَنَّ فِتَاةً مِنْ بَنَاتِ الْعَرَبِ كَانَتْ لَهَا خَالَاتٌ وَ عَمَّاتٌ فَكَانَتْ إِذَا زَارَتْ خَالَاتَهَا أَهْلَيْهَا وَ أَضْحَكُنَّهَا ، وَ إِذَا زَارَتْ عَمَّاتَهَا أَذْبَنَهَا وَ أَخَذْنَا عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ لِأَبِيهَا : إِنَّ خَالَاتِي يُلَطِّفَنِي ، وَ إِنَّ عَمَّاتِي يُبْكِينِي فَقَالَ أَبُوهَا أَمْرٌ مُبْكِيَاتِكَ لَا أَمْرٌ مُضْحِكَاتِكَ"³.

يُضْرَبُ المثل إذن للأخذ بالرأي النافع مهما كانت عواقبه و أنّ الرأي الذي لا تشتهيهِ النَّفس كثيرا ما يكون هو الرّأي السّليم و الصّائب ، حتّى قيل : اتبع الرّأي الذي يُبْكِيكَ و لا تتبّع الرّأي الذي يضحكك. و هي مقابلة مفادها إقناع المتلقي باتباع الرّأي السليم حتى و إن كان ذلك يُبْكِيهِ ، و يثقل على نفسه و يؤذيه و لا يُطع من أمره بما يهوى و يحبّ و إن كان ذلك يضحكه و يسعده كما حال هذه الفتاة ، هذا ما أدّى إلى جذب المتلقي و الإقناع بكلام المتكلم .

أَمْرٌ مُبْكِيَاتِكَ ≠ لَا أَمْرٌ مُضْحِكَاتِكَ



فالمقابلة عُدّت كحجة للاقتناع و التّأثير في المتلقين بضرورة الأخذ بالنصيحة و الاقتداء بالرّأي الصحيح.

و ممّا جاء من ذلك أيضا : قولهم : " عَدُوُّ الرَّجُلِ حُمُقُهُ ، وَ صَدِيقُهُ عَقْلُهُ"⁴.

تظهر حجاجيّة المقابلة في رغبة المتكلم توصيل قضية معيّنة للسّامع أو المتلقّي بضرورة التمسك بالعقل و الحوار لأنّه سبيل النجاة ، و الابتعاد عن الحمق لأنّه سبيل الهلاك في لفظي (عدو ، صديق) (حُمقه ، عقله) ، و واضح كيف بيّن لنا دلالة (العدو) واضحة و معروفة و قد قرنها صاحب المثل بـ (الحمق) ، ثم عمد على إقران

¹ - السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، ص424.

² - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج 1، ص62.

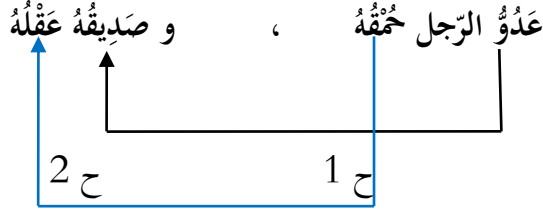
³ - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص62.

⁴ - المصدر نفسه ، مج 2، ص28.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

دلالة الصِّدِّيقِ بـ (العقل) و ما يحمل ذلك من تأثير و إقناع لدى القارئ ، كل ذلك عن طريق المقابلة ، فليس غرضها جمالي أو ذوقي فقط بل تحمل أبعادا حجاجية و إقناعية في آن واحد.

فالمقابلة لها أثر قوي في النفوس ، و في تثبيت المعنى بالإناابة عن وجوه الاختلاف ، و نمثلها كما يلي :

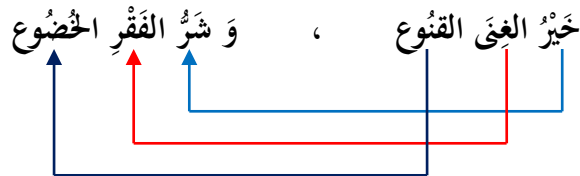


ن = الابتعاد عن الحمق و التمسك بالعقل

تظهر المقابلة في المثل العربي :

" خَيْرُ الْغِنَى الْقُنُوعُ ، وَ شَرُّ الْفَقْرِ الْخُضُوعُ " ¹

في ظلّ ما يعيشه الإنسان من تقلبات الدَّهر و عواقبه تكون القناعة فنطرة للعبور إلى جسر الأمان ، فانقسم المثل إلى شطرين متقابلين متضادين بين الخير و الشر ، الغنى و الفقر ، القنوع و الخضوع فحجاجية المقابلة هنا في حثّ مرسل المثل المتلقي على التحلي بالقناعة لأتّما خير الغنى و يجذّر و يُرهّب من الذلّ و الهوان لأنّه شرّ الفقر فالغنى نعمة يُورثُ القناعة و الصبر و السعادة ، في حين الفقر و ما يحمله من مساوئ و عيوب مرهون بالذلّ و الهوان و الاستسلام و هو ما أراد المتكلم إبلاغه في ذهن المتلقي و عقله ، و من ثمّ إقناعه ، فالقسم الأوّل يحمل دلالات إيجابية مفعمة بالطاقة و الحيوية ، أما القسم الثّاني مُثقل بالدلالات السّلبية (الشرّ ، الفقر ، الخضوع) ما جعل الشّطرين متناقضين و متضادين بين ثنائية المرغوب فيه و المرغوب عنه ، بين الحسن و القبح ، بين المنقّر و المرغّب ، الغنى و الفقير ... و يُجذّر من التهور و الطمع ، كما يُرهّب من الذلّ و التسكّع في التسول الذي يورث الهوان و يقوض آدمية الإنسان ، و هو ما أراده المتكلم ترسيخه في ذهن المتلقي و بناء واقع جديد يتوسل بالقناعة و الرضا و المروءة في الطلب و ما يتبعه من العلاقات الدينامية الباذخة بالايجابية ... و نوضّحه كالآتي :



¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 313

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و حين نتمعن في الأمثال المرتبطة بركوب الخطر سواء أكانت النتيجة نجاحًا أم خسارة يصادفنا المثل القائل : " إِمَّا عَلَيَّهَا وَ إِمَّا لَهَا " ¹

على سبيل المقابلة ، فكلاً من الجزأين إِمَّا عَلَيَّهَا ≠ وَ إِمَّا لَهَا ، تقابل مفعم بالاجيائية و الطاقة و الحيوية مرهون بالنجاح الذي يأتي بعد عناء و جهد كبيرين في مقابل الفشل و الخسارة أيضا تأتي بعد جهد مبذول و عطاء ، فهو مرهون بالطريقة المعمول بها .

فالثنائية الفشل و النجاح ، الربح و الخسارة ملازمة للإنسان العربي في أيّ عصر أو مكان ما فهي تصاحبه في حياته العملية و الاجتماعية فمرة تكون بوتقة النجاح في يده و مرة العكس تماما و عليه تقبل فكرة النجاح و الفوز و الخسارة كذلك .

فالتقابل في الثنائيات و الأضداد موجود في القرآن الكريم بكثرة . من مثل قوله تعالى :
" ... وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " ² يظهر التقابل بين الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ضدان متقابلان من نفس العينة . و غيرها كثير في قرآنا الكريم .
إنّ تلك المحسنات على حسب مصطلحها المتوارث إذا لم تتواشج مع البنية اللغوية تركيبيا و يقاعا و دلالة فلا قيمة لها ³

5-3- التكرار :

يعتبر أسلوب التكرار من أبرز الأساليب الحجاجية التي يقدمها المتكلم لفائدة أطروحة ما ، و كما يرى العزاوي في هذه المسألة أنّ التكرار " ليس هو ذلك التكرار المولّد للرتابة و الملل ، أو التكرار المولّد للخلل و الهلهلة في البناء ، و لكنّه التكرار المبدع الذي يدخل ضمن عملية بناء النصّ أو الكلام بصفة عامّة ، إنّه التكرار الذي يسمح لنا بتوليد بنيات لغوية جديدة باعتباره أحد ميكانيزمات عملية إنتاج الكلام ، و هو أيضا التكرار الذي يضمن انسجام النصّ و توالده و تناميّه " ⁴.

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 88

2 - سورة آل عمران ، الآية 104

3 - رجاء عيد ، فلسفة البلاغة بين التقنية و التطور ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، ط2 ، دت ، ص 497

4 - أبو بكر العزاوي ، الخطاب والحجاج ، ص 49.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و إذا نظرنا إلى مجمع الأمثال نجد التكرار يشمل عناصر عديدة منها : تكرار الروابط الحجاجية ، تكرار الألفاظ ... و غيرها.

و مثال ذلك ما جاء في نصّ المثل : **التُّكْلَى تُحِبُّ التُّكْلَى**.¹

تكرار لفظة التُّكْلَى مرتين في بداية الكلام و عند الانتهاء منه له غاية حجاجية مفادها أنّ التُّكْلَى ليست وحيدة في مصيبتها و حزنها فهناك من يشاركها في البكاء و التوجّع و هي التُّكْلَى نفسها ، ممّا زاد من القوة الحجاجية بداية و انتهاء المثل بنفس الكلمة مرادها أنّ وجع التُّكْلَى لا يضاهيه أيّ وجع آخر ، فكان التكرار هنا له بعد حجاجي تأثيري و إقناعي في آنٍ واحد ، جعل المتلقّي أو السامع يتوجّع و يتحسّر لحال هذه التُّكْلَى.

و عندما نأخذ المثل الآتي : "**أَطْعِمَ أَخَاكَ مِنْ عُنُقِ الصَّبِّ إِنَّكَ إِنْ تَمْنَعُ أَخَاكَ يَغْضَبُ**".²

نلاحظ تكرار لفظة " أَخَاكَ " مرتين ليس لدافع جمالي أو زخرفي و إنما لدافع حجاجي ، إقناعي تكمن حجته في توثيق أواصر الأخوة و التحذير من مغبة المنح لأنّه سيورث البغضاء و الضغينة بين الأخوة لذا وقع التكرار في لفظة الأخ بدافع تثبيت المعنى في ذهن المتلقّي و إقناعه بالترابط الأخوي و الأسري.

5-4- الإيجاز :

لقد أشار البلاغيون القدامى إلى أهمية الإيجاز و دوره الكبير في العملية الحجاجية تحديدا ، كما أشار إليه روبول حين قال : " الإيجاز هام من زاوية تغنى بالحجاج لأنّه يشكل سلاحًا نواجه به العدو بين القاتلين ، النسيان و عدم الانتباه ، فالإيجاز في الوصف و التصوير و الإسهاب في الشرح و التعليل ينتهيان بالمتلقّي إلى الملل فتضعف قدرته على الانتباه و لا يحتفظ من القول إلّا بأقله ، و حتّى هذا القليل معرّض إلى النسيان لبعده عن الإيجاز".³ لذلك سوف نقدّم بعض النماذج عن الإيجاز باعتباره ميزة من مميّزاته و مثالنا على ذلك إيجاز التقدير في قولهم :

- " إِذَا جَاءَ الْحَيْنَ حَارَتِ الْعَيْنُ " .⁴

- "تَعْجِيلُ الْعِقَابِ سَفَاةٌ" .⁵

¹- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج1، ص205.

²- المصدر نفسه ، مج 2، ص237.

³- أوليفي روبول: هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي، نقلا عن سامية الدريدي، الحجاج في الشعر، ص123.

⁴- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج1، ص31.

⁵- المصدر نفسه ، مج1، ص188.

- " تَرَكَ الشَّرَّ يَتْرُكُكَ " ¹.

فالأمثال الثلاثة نعتبرها حُجَجًا لِحتمية القدر و تقبله كما هو.

فكلَّ حُجَّةٍ في هذه الأمثال استعملها المتكلم هي في حقيقة الأمر اختصار لجمل و أقوال كثيرة ، فجاء الاختصار و الإيجاز لإقناع المتلقي من ناحية و لا يدفعه إلى الرتابة و الملل ، و يفسح له باب المجال للتوسُّع أو التعمُّق في تأويل و شرح هذه الحجج من ناحية أخرى حتَّى يقنع نفسه بنفسه فالمثل الأوَّل يتحدَّث عن القدر الَّذي لا مناص للإنسان منه و المثل الثَّاني تحدَّث عن تسفيهه من يعجِّل العقاب و كذا الحال للمثل الأخير بالابتعاد عن الشرِّ حتَّى يبتعد عنه.

5-5- الطَّباق :

يستعمل المتكلم الثنائيات للإقناع ، عن طريق الطَّباق ؛ " الجمع بين متضادَّين " ² في الجملة ، و هذا النوع البديعيُّ يعتبر من الآليات البلاغية الأكثر إقناعاً لما فيه من التلاؤم بينه و بين تداعي الأفكار في الأذهان ³. و يمكن أن نمثِّل لهذه الآلية بالأمثال الآتية :

المثل 1 :

الخيرُ عَادَةٌ و الشرُّ لِحَاجَةٌ ⁴.

فملاحظ ثنائية (الخير ≠ الشر) فلقد وضع الطَّباق بين هاتين الكلمتين إذا أوضح المثل ما في الخير من قبول و عزة و شموخ في النَّفس و حلاوة في الطَّبَع إذا اعتاد عليه الإنسان ، و طَوَّع نفسه على العمل به. و جعل من الشرِّ لِحَاجَةٌ لما فيه من الخروج عن الفطرة السَّليمة فاستخدام الطَّباق هنا كان ضرورياً لإثبات غاية المتكلم من خلال التَّصريح بالصَّورتين الخير و الشرِّ ، يجعل مقصده أكثر قبولا و تأثيراً لدى المتلقي من خلال الرِّفَع و الرِّقْي يغفل الخيرات على عكس الشرِّ و تبعاته. و يظهر الطَّباق في قولهم : " إِنَّ الكَذُوبَ قَدْ يَصْدُقُ " ⁵

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1، ص 209.

² - بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر (بيروت)، ج 2، ط 1، 2003، ص 225.

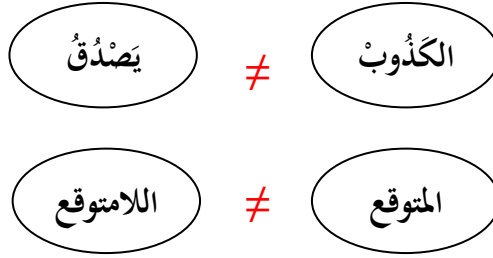
³ - عبد الرحمن حسن البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، ص 378.

⁴ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 317

⁵ - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 46

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

فالتطابق هنا تجاوز الزخرف اللفظي و الجمالي إلى الغرض الحجاجي و من ثمّ تحقق الإقناع ، فالكذب جاء على صيغة المبالغة في الإفراط في ممارسة الكذب و تكرار هذا الفعل الوشين ، و ما يقابله دلالة الصدق مع قلته من خلال حرف التقليل " قد " ، إنّ المبالغة في الكذب قد كسرت أفق توقع المتلقي في دخول فعل الصدق فجأة كعمالة حسنة تظهر حيناً من الشخص الكذوب و استمرارية كذبه في موقف فجائي فالتوقع هو عكس ذلك . فقد انتقل الفعل من المباشرة إلى اللامباشرة ، من المتوقع إلى اللامتوقع و بالتالي تحقق الحجاج و الإقناع ، و نمثله كما يلي :



و المثل الآتي : " إنّ البيع مُرْتَحَصٌ وَ غَالِيٌ " ¹

ثنائية (مرتخص و غالي) قد اجتمعا ليشكلا تضاداً قائماً على حجاجية الإقناع و التأثير إلى حدّ كبير في قول أُحِيْحَة بُنُ الْجَلَاخِ الْأَوْسِيِّ : أتاه و كان صديقاً له لما وقع الشرّ بينه و بين بني عامر و خرج إلى المدينة ليتجهر لقتالهم حيث قتل خالد بن جعفر زهير بن جُذَيْمَة فقال قيس لأُحِيْحَة : يا أبا عمرو نُبُأت أنّ عندك درعا فبعنيها أو هبها لي ، فقال : يا أبا بني عبسَ ليس مثلي يبيع السلاح و يفضل عنه و لولا أنّي أكره أن أستلم إلى بني عامر لو هبته لك و حملتك على سوابق ... و لكن اشتراها بابن لبون فإنّ البيع مرتخص و غالي. ²

إنّ قول أُحِيْحَة المنوط بحلال البيع في الواقع فهو في مقابل ذلك من خلال الموقف الذي حصل للرجل من ناحية إكرامه لضيفه - و هذه خصال حميدة يتميز بها العربي قديماً - من خلال ذرعه التي تحمي كلّ ضيف يطرق بابه ، فلفظة المرتخص دلالة على الانحطاط و الهوان ، و لفظة غالي دلالة على السموّ و الرفعة. فلقد حقق الطباق الإيجاب هنا حجاجاً إقناعياً.

5-6- حجاجية السجع :

للسجع أهميّة بالغة في كافّة فنون القول جعلته يحتلّ : أرفع مراتب الكلام و أعلاها ، و أجلّ علوم البلاغة و أسناها ³ .

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 49

2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 49

3- ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص211.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

إذ لولا أهميته البلاغية و الحجاجية لما وجدنا أنّ كافة فنون القول تحفل به ، حيث لا تخلو منه خطبة أو رسالة ، أو وصية أو مقامة أو غيرها من الفنون الأدبية.

إذ عرّف من قبل ابن الأثير بقوله : " تواطؤ الفواصل المنثور على حرف واحد " ¹ ، بالإضافة إلى عدّة من المحسنات اللفظية التي تُضفي جمالاً على الأسلوب و ما تحلّفه من إيقاع صوتي .

و هذا الكلام كلّه يصدّق على مدوّنتنا فهي حافلة بهذا المحسن البديعيّ ، إذ نجد هيمنة مطلقة للسجع تحمل غاية و بعداً حجاجياً كبيراً.

و من أمثلة ذلك ما يلي :

"أَكَلْتُمْ ثَمْرِي وَ عَصَبْتُمْ أَمْرِي" ².

إنّ السجع في هذا المثل يُحدّث إيقاعاً موسيقياً يُطربُ الأذان ، و يأسرُ العُقولَ و القلوبَ معاً ، إذ يمنح كذلك بُعداً إقناعياً بفضل ما يُحقّقه من وظائف حجاجية ، إذ تظهر الوظيفة الحجاجية في محاولة المتكلّم إثارة لعواطف المخاطب و استمالاته من خلال نبرة المتكلّم المتوجّعة و الغاضبة التي لقيها من حُصومه ، فمن المفترض الذين أكلوا من ثمره الشكر و الطّاعة لا العصيان و الخروج عن طاعته ، و يظهر ذلك جلياً في الكلمات المسجوعة (أكلتم / عصيتم) ، (ثمري / أمرِي).

إذ نلاحظ أنّ مبدع المثل لم يوظّف السجع المتكلف الذي يستكره الطّبع و إنّما وظف السجع الذي تتشوّق إليه النفس و ترتفع إلى إعادة النظر في المعصية ، و لا شك أنّ قصر هذا السجع و اعتدال جملة و تناسقها هو ما جعلها قادرة أكثر من غيرها إلى إثارة عواطف المخاطبين و ترغيبهم في الكلام و جذبهم إلى ضرورة الطّاعة لا العصيان ، إذ بالإثارة و التشويق تتحقّق استمالاتهم إلى عالم الخطاب ، إذ هُما - الإثارة و التشويق - رافدان أساسيان من روافد الحجاج و بالتالي تتحقّق الغاية الحجاجية.

و من أمثلتنا على حجاجية السجع ما يلي :

- أَقْلِلْ طَعَامَكَ تُحْمَدُ مَنَامَكَ. ³

- حَالِ الْحَرِيضِ دُونَ الْقَرِيضِ. ⁴

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، ص 210

² - المصدر نفسه ، مج 1، ص 115.

³ - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 129.

⁴ - المصدر نفسه ، مج 1، ص 251.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

— حَالٌ صَبُوحِهِمْ دُونَ غَبُوقِهِمْ.¹

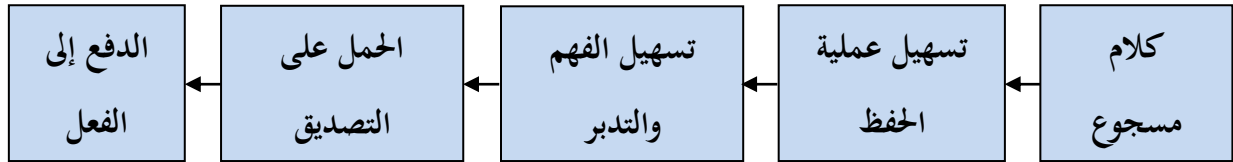
— زُرْ غَبًّا تَزِدُّ حُبًّا.²

تظهرُ حجاجية السجع في الأمثال في تسهيل عملية الحفظ و التذكّر.

فحفظ الكلام و الأنس به و قبول النفس له مرتبط بمدى وجود السجع فيه ، إذ يردُّ في الكلام فإنه يُحَقِّقُ بفضل توافق فواصله و انسجامها الصوّتي ، تماثلاً صوّتياً و إيقاعاً رثائياً يجعل النفس تنجذب و تميلُ إليه كلّ الميل ليس فقط بالإصغاء و السّماع ، و لكن بحفظه و تمثله³ ، فالحفظ تكمن وراءه أهداف حجاجية كالفهم و التدبّر و الدّفع إلى الفعل و العمل.

فحفظ النفس للكلام مدعاة لجعله قريباً من القلب و العقل معاً ، و كلّما كان الكلام قريباً كان مدعاة للفهم ، و التأمل و التدبّر و العمل بمحتواه و الامتثال به ، و اجتناب ما ينهي عنه⁴ و بالتالي يؤدي لا مناص إلى الرّفْع من الطّاقة الحجاجية للكلام و من قدرته على الإقناع.

و بناءً على ذلك فالسجع قد يرد في الكلام و يسهّل حفظه ، فإنه يجعل هذا الكلام يحقّق أغراضاً حجاجية كما يلي :⁵



و قولهم : " أجودُ من حاتمٍ".⁶

¹— أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج1، ص269.

²— المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 408

³— كمال الزماني ، حجاجية السجع و الجناس في الخطاب المقدماتي ، مقدمة المقدمة لابن خلدون ، ص 70

⁴— المرجع نفسه ، ص 71

⁵— المرجع نفسه ، ص 71

⁶— أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، مج1، ص240.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

" ... هو حاتم بن عبد الله بن سعد ... كَانَ جَوَادًا ، شُجَاعًا ، شَاعِرًا ، مُظْفِرًا ، إِذَا قَاتَلَ غَلَبَ ، و إِذَا غَنِمَ نَهَبَ ، و إِذَا سُئِلَ وُهِبَ ، و إِذَا ضَرَبَ بِالْقِدَاحِ سَبَقَ ، و إِذَا أَسَرَ أَطْلَقَ ، و إِذَا أَثْرَى أَنْفَقَ ، و كَانَ أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَا يَقْبَلُ وَاحِدًا أُمَّه " ¹.

يُحاولُ المتكلمُ إقناعَ الجمعِ بِجُودِ و كَرَمِ حاتمِ ، و قد أتى بمجموعة من الحُجج المذكورة أعلاه التي تُخدم النتيجة (ن) المتمثلة في إظهار محاسن هذا الرجل العملاق ، و الملاحظ إذن اعتماده على السجع لتقوية حُججه ، لأنَّه يعلم أنَّه في موضع يحتاج إلى هذا النوع من الأساليب المسجوعة ، و قد نجح في تحقيق النتيجة المرجوة بأسلوبه البليغ ، حيث تأثر الجمع بقوله و التُصِفَت صفة الكرم و الجود بحاتم على مرِّ الزَّمان ، فالسجع لا يقتصر دوره على الزخرف اللفظي ، فهو يحمل بُعدًا حجاجيًا يهدف إلى إقناع المستمعين و التأثير في نفوسهم - لنصل إلى النتيجة النهائية أنَّ حاتم رجل مِعطاءٌ ذو أخلاق فاضلةً.

و مُثِّلُهَا وَفَقَ السَّلْمُ الحجاجي الآتي :

(ن) حاتم رجلٌ مِعطاءٌ (حُسْنُ خُلُقِ حاتمِ)

| | | |
|-----|---|------------------------|
| ح 9 | ↑ | إِذَا أَثْرَى أَنْفَقَ |
| ح 8 | — | إِذَا أَسَرَ أَطْلَقَ |
| ح 7 | — | إِذَا ضَرَبَ سَبَقَ |
| ح 6 | — | إِذَا سُئِلَ وُهِبَ |
| ح 5 | — | إِذَا غَنِمَ نَهَبَ |
| ح 4 | — | إِذَا قَاتَلَ غَلَبَ |
| ح 3 | — | شَاعِرًا مُظْفِرًا |
| ح 2 | — | شُجَاعًا |
| ح 1 | — | كَانَ جَوَادًا |

نجدُ السجع أيضا في قصَّة المثل الشهير : مَوَاعِيدُ عَرْقُوبِ ².

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1، ص 240.

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 367.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

" قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : هُوَ رَجُلٌ مِنَ الْعَمَالِقِ ، أَتَاهُ أَخٌ لَهُ يَسْأَلُهُ فَقَالَ لَهُ عَرْقُوبُ : إِذَا أَطْلَعْتَ هَذِهِ النَّحْلَةَ فَلَكَ طَلْعُهَا ، فَلَمَّا طَلَعَتْ أَتَاهُ لِلْعِدَّةِ فَقَالَ : دَعَهَا حَتَّى تَصِيرَ بَلَجًا ، فَلَمَّا أَبْلَجَتْ ، قَالَ : دَعَهَا حَتَّى تَصِيرَ زَهُوًا ، فَلَمَّا زَهَتْ قَالَ : دَعَهَا حَتَّى تَصِيرَ رَطْبًا فَلَمَّا أَثْمَرَتْ عَمَدَ إِلَيْهَا عَرْقُوبُ مِنَ اللَّيْلِ فَجَذَبَهَا ، وَ لَمْ يُعْطِ أَخَاهُ شَيْئًا"¹.

تظهر القيمة الحجاجية للسجع في قول أبو عبيدة إذ يتضمّن المثل مجموعة من الحجج التي تخدم نتيجة ضمنية وهي سوء خلق عرقوب فقد أراد مرسل المثل كشف حقيقة عرقوب وإخلافه للوعد، فعمد إلى تقوية حججه بالسجع، الذي زين الملفوظ من جهة، وأضاف إليه قوة حجاجية استطاع من خلالها التأثير في المخاطب وإقناعه، وبالتالي تتحقّق النتيجة المتوخّاة وهي (ن) : عرقوب سيئ الخلق وذميم.

و قولهم : " تَقْدِيمُ الْحَرَمِ مِنَ النِّعَمِ " ²

من المعلوم بالضرورة البلاغية أنّ السجع في وضعية البديع يسهم في توليد طاقة موسيقية و يحقق إيقاع اللفظ و يزيد من حيوية الكلام و ديناميته ، و من ثمّ فإنّ استدعاء صورة المرأة في سياق الحرمة أو الحرم و مقارنتها على سبيل المثل التاريخي بالنعم يرفع من قيمتها و يلفت الانتباه إلى شأنها الاجتماعي بين الذكور.

و مثل هذا المثل : " بَعْتُ دَارِي وَ لَمْ أَبِغْ جَارِي " ³

في إحالة ضمنية إلى الزهد في المقام بسبب أذية جاره ، الأمر الذي دفعه لبيع منزله و هو في أغلب الظنّ و منطوق العبارة يبيع للجار قبل الدار ، و قد مدّ السجع أسباب الإيقاع في سياقه الصوتي و الإيقاعي المؤثر حاملا أبعادا حجاجية غايتها الإقناع و التأثير .

و هذا ما نجده في المثل الآتي : " عِشْ رَجَبًا تَرَى عَجَبًا " ⁴

فالسجع ظاهر بين لفظي (رجبا) و (عجبا) تظهر حجاجيته التأثيرية من خلال ارتباطها بعمر الإنسان ، و ما يراه مستقبلا من أنور كثيرات تستلزم منه بالضرورة الصبر و القوّة حتّى لا يرضخ لجبروت الحياة و قسوتها .
و تمثّلها كالاتي :

عِشْ رَجَبًا ← تَرَى عَجَبًا

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 367.

2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 183

3 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 148

4 - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 20

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و لذلك فإنّ للأشكال الصّوتية والموسيقية إذن قيمة حجاجية، حيث تلعب دوراً فعّالاً في الإقناع والتأثير، فهي تشكّل أدوات هامة في بناء حجاجية النصّ لما لها من قدرة على استمالة النفوس، وجذب العقول.

هذه الأسجاع و ما يماثلها ليست من الأسجاع المستنكرة التي يابأها الطبع و ثقيلة على السّمع ، لأنّها لا يمكن الاستغناء عنها ، أو إبعادها عمداً ، كون السجع ، بكلّ أقسامه ظاهرة لغوية مميزة ، و خصيصة أصيلة من خصائص العربية ، تتجاوز الطرح الإجمالي إلى الطرح الحجاجي (الإقناعي) .

و بذلك نلاحظ أنّ علم البديع علم جمالي يهتمّ بجمالية الكلام ، من حيث معناه و ألفاظه ، إلاّ أنّ دوره لا يقف عند حدود هذه الوظيفة الشكلية ، بل يتجاوزها إلى وظيفة حجاجية إذ له :

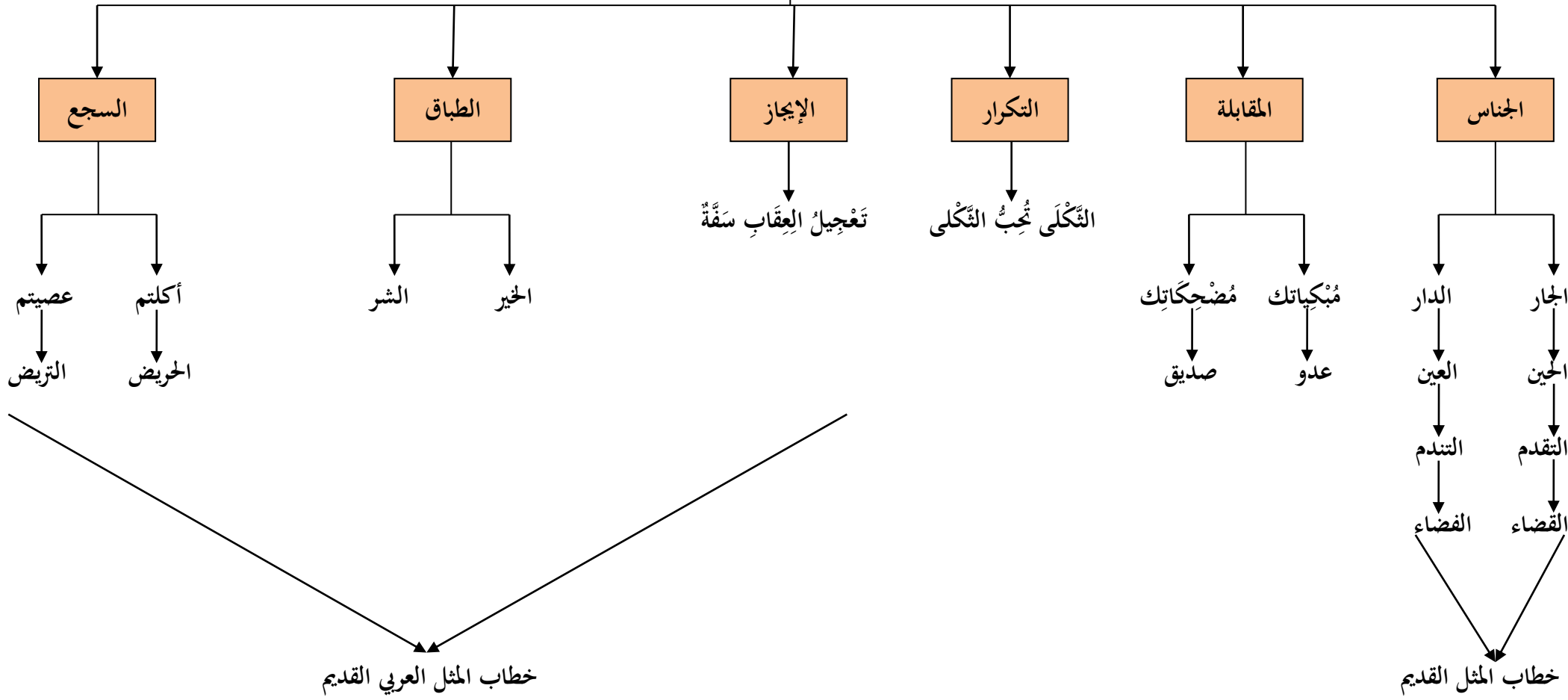
" دوراً حجاجياً لا على سبيل زخرفة الخطاب و لكن بهدف الإقناع و البلوغ بالأثر مبلغه الأبعد " ¹

نستنتج من خلال ما قدمناه حول الآليات البلاغية بصفة عامة في مجمع الأمثال للميداني قد عمد إلى توظيف أغلب آليات الحجاج ، التي سوّغت له تقديم الحجج و الأدلّة المؤدبة للنتائج ، قصد إبلاغها إلى المتلقي لإقناعه ، و من ثمّ التأثير فيه و تمثلت هذه الآليات في الوسائل البلاغية مثل : التشبيه و الاستعارة ، و الكناية ، و المجاز ، و البديع بمختلف أنواعه .

و يمكن تلخيص هذه الأشكال البديعية في الشكل الآتي :

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب (مقارنة لغوية تداولية) ، ص 498

علم البديع



سادسا : الآليات اللغوية في مجمع الأمثال :

1- الروابط و العوامل الحجاجية :

عندما كان للغة وظيفة حجاجية، إلى جانب التسلسلات الخطابية التي حدّدت بواسطة بنية الأقوال اللغوية، والعناصر والمواد التي تمّ تشغيلها فقد اشتملت في اللغات الطبيعية على المؤشرات اللغوية وخاصة الحجاج ، فاللغة تحمل عدد كبير من الروابط و العوامل التي لا يمكن عدّها ، و لا يمكننا فهمها إلاّ بالإحالة على قيمتها الحجاجية سواء مباشرة أو غير (طرق) مباشرة.

1-1- الروابط الحجاجية :

تقوم الروابط في مجملها على الربط بين وحدتين ، أو حجّتين أو أكثر في إستراتيجية حجاجية واحدة ، فالروابط الحجاجية لها وظيفتان إذ تشمل على حجة ونتيجة مستنتجة منها و الرابط الذي يربط بينهما ، و يمكن تمثيلها بأدوات شتى منها : (بلّ ، لكنّ ، حتىّ ، لاسيّما ، إذنّ ، إذا ، لا ، إلّا ، و غيرها ...) .

و نستطيع دراستها بالشكل الذي قدّمه أبو بكر العزاوي في كتابه (اللغة و الحجاج) .

و هو : الروابط المدرجة للحجاج ، الروابط المدرجة للتأجج ، روابط التعارض الحجاجي ، و روابط التساوق الحجاجي¹ .

و نشير إلى أنّ مجمع الأمثال لا يخلو من بعض هذه الروابط ، و سوف نحاول أن نقتصر على البعض منها ، و ندرس استعمالاتها الحجاجية فقط دون اللجوء إلى الجوانب التركيبية و النحوية و المعجمية .

- الروابط المدرجة للحجج :

هي الروابط التي تدرج حججًا ، أي أنّ ما بعدها يكون حجّة ، و الذي يأتي قبلها يكون نتيجة نهائية ، و منها :

* الرّابط (لَوْ كَانَ) :

يُعدّ الرّابط الحجاجي (لَوْ كَانَ) من ألفاظ المبالغة ، و قد استعمل كثيرا في الأمثال العربية ، ذلك أنّ المبدع يقدم لنا الفكرة أو الأطروحة و يأتي بحجّته متأخّرة عنها ، و يربط بينهما برابط كما سنرى في المثل الآتي :

- لَوْ كَانَ ذَا حِيلَةٍ لَتَحَوَّلَ² .

¹ - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص26-27.

² - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج 2، ص259.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

نصّ الأطروحة :

" يُقَالُ جَلَسَ رَجُلٌ فِي بَيْتٍ ، وَ أَوْقَدَ فِيهِ نَارًا ، فَكَثُرَ فِيهِ الدُّخَانُ حَتَّى قَتَلَهُ ، فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ : أَيُّ فِتْنَى قَتَلَهُ الدُّخَانُ ؟

فقال لها رَجُلٌ : لَوْ كَانَ ذَا حِيلَةٍ لَتَحَوَّلَ¹ .

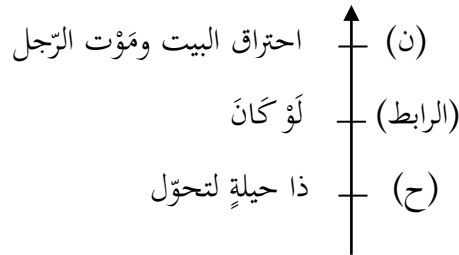
النتيجة (ن) = جَلَسَ رَجُلٌ فِي بَيْتٍ وَ أَوْقَدَ فِيهِ نَارًا فَكَثُرَ فِيهِ الدُّخَانُ حَتَّى قَتَلَهُ .
الرابط = لَوْ كَانَ .

الحجّة (ح) = ذَا حِيلَةٍ لَتَحَوَّلَ .

فالرابط الحجاجيُّ (لَوْ كَانَ) ربط بين النتيجة و الحجّة ، كما جاءت الحجّة قبله ، و قد كانت قوّة الحجّة مستمدّة من هذا الرابط الذي يفيد المبالغة .

إذ نلاحظ أنّ الحجّة جاءت مدرجة بعد الرابط ، لتؤكد النتيجة النهائية ، فالرجل لو كان عاقلاً و ذكياً لتحوّل من ذلك البيت و سلّم قبل أن يحترق .

و نمثلها وفق السّم الآتي :



* الرابط الحجاجي لام الجرّ (ل) :

تُعْتَبَرُ لَامُ الْجَرِّ مِنَ الْحُرُوفِ الَّتِي تَدْخُلُ عَلَى الْاسْمِ الظَّاهِرِ وَ الْمَضْمَرِ فَتَجْرُءُ ، أَي أَهْمَا تَجْرُءُ مَعْنَى الْفِعْلِ إِلَى الْاسْمِ الظَّاهِرِ بَعْدَهَا ، فَقَدْ أَشَارَ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ الشَّيْخُ "مُصْطَفَى الْغِيلَانِي" فِي جَامِعِ الدَّرُوسِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَى مَعَانِيهَا وَ عَدَّ جُمْلَةً مِنْهَا : الْمَلِكُ ، الْإِخْتِصَاصُ ، التَّبَيُّنُ ، التَّعْلِيلُ ، التَّقْوِيَّةُ وَ غَيْرَهَا مِنَ الْمَعَانِي وَ الْوُضَائِفِ² .

و قد تعمل لام الجرّ حجاجياً انطلاقاً من معانيها و وظائفها ، و نأخذ مثلاً على ذلك المثل الشهير : لِكُلِّ مَقَامٍ

مَقَالٍ³ .

ن = (مقال) مقام .

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 259.

² - حبيب منصورى ، محمد بن سعيد ، آليات الحجاج اللغوية في المثل الشعبي - مقارنة تداولية - ، ص 144

³ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 235.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

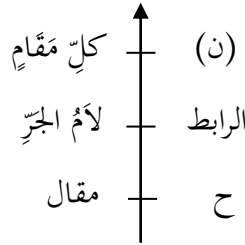
الرّابطة : لام الجرّ .

ح = مقال .

فقد استعمل المتكلم هذا الرّابط في هذا المثل لتوضيح قضية للمتلقّي أنّ المقام هو ما يفرضه واقع الحال فمقام الفرح مثلاً لا يضاهي ، و لا يُماثل مقام الحزن ، و مقام الشكر لا يُماثل مقام العتاب و اللوم ، فما يُجمل في موطن قد يُفبح في موطن آخر و ما يجب في مقام قد يمتنع في مقام آخر ، و أنّ لكلّ أمرٍ أو فعلٍ أو كلامٍ موضعاً لا يُوضَع في غيره .

و بذلك حجّ المتكلم المتلقّي انطلاقاً باستعمال هذا الرّابط المدرج الحجج ، فنلاحظ جلياً أنّ الحجج دائماً تأتي مدرجة بعد هذا الرّابط لتدعم النتيجة المطروحة .

و نمثلها كما يلي :



و المثل القائل : **لِكُلِّ جَوَادٍ كَبُوءَةٌ**¹ .

نلاحظ أنّ الرّابط (اللامّ) ربط بين النتيجة و الحجّة ، كما جاءت الحجّة متأخّرة على النتيجة ، لتعلّلها و تفسّرها ، و تكون هذه الأخيرة دائماً متقدمة على الرّابط ، و تكون الحجّة بعده مباشرة .
فقد استعمل مرسل المثل هذا الرّابط لبيّن للمتلقّي أو المستمع أنّ كل جواد أو حصان مهما كانت قوته و مهارته ممكن أن يتعثّر و يسقط ، و فعلاً شاهدنا بعض الخيول تتعثّر و تسقط ، و كذلك حال الإنسان .

و عندما نأخذ المثل القائل : **" لِكُلِّ سَاقِطَةٍ لَاقِطَةٌ "**² .

استعمل المتكلم الرّابط الحجاجي (لام الجرّ) لتوضيح قضية معينة أنّ لكلّ مزهودٍ فيه راعبٍ يرعب فيه ، و لكلّ كلمة سقطت من فم الناطق لاقط بمعنى سامعٍ يسمّعها و يُذيعها .
الحجّة : لَاقِطَةٌ .

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني مجمع الأمثال ، مج2، ص221 .

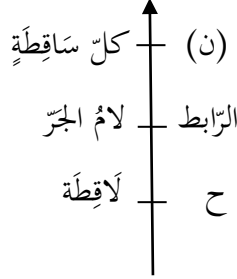
² - المصدر نفسه ، مج2، ص229 .

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

الرّابطة : لآم الجرّ .

النّتيجة : كلّ ساقطةٍ

و يمكننا توضيحها وفق السّلم الآتي :



نستنتج أنّ الرّابطة الحجاجي (اللامّ) ، لام الجرّ تعمل عمل (لام التعليل) في إدراج الحجج و ربطها بالنتائج ، و تكون هذه الأخيرة دائما متقدمة على الرّابط ، و تكون الحجّة بعده مباشرةً.

1-2- الروابط المدرجة للنتائج :

* الرّابط الحجاجي (خيرٌ من) :

هذا الرّابط موجود بكثرة أيضا في نص المثل القديم ، و هو شبيه بأفعال التفضيل في اللّغة العربية ، يقوم بربط الحجّة و النّتيجة ، كما جاءت هذه الأخيرة مدرجة بعده.

مثال ذلك : عُنْكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينٍ غَيْرِكَ.¹

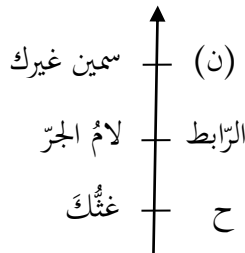
الحجّة : عُنْكَ.

الرّابطُ : خيرٌ من.

النّتيجة (ن) : سَمِينٍ غَيْرِكَ.

نجد في هذا المثال الرّابط (خيرٌ من) قام بربط الحجّة مع النّتيجة و جاءت النّتيجة مدرجة بعده.

فالمتكلّم من خلال هذا الرّابط الحجاجي (خير من) وضّح أطروحة القناعة و الرّضا بالقليل من الحظّ ، فقليلك إذا قنعت به فهو خيرٌ من كثير غيرك.



¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج 2 ، ص 70.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

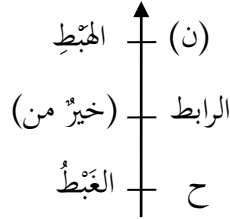
و هذا المثل: العَبْتُ خَيْرٌ من الهَبْتُ.¹

ح = العَبْتُ.

الرَّابِط : خَيْرٌ من

النَّيْجَة (ن) = الهَبْتُ.

الرابط (خيرٌ من) ربط بين الحِجَّة و النَّيْجَة وأدرجها بعده مباشرة.



1-3- روابط التساوق الحجاجي :

تعمل هذه الروابط على تساوق الحجاج ، أي أنّ الحجج كلّها قبلها و بعدها تُخدم نتيجة ضمنيّة واحدة ، و أنّ الحجج التي تكون بعد هذه الروابط أقوى من الحجج التي تأتي قبلها نذكر منها على سبيل المثال :

* الرَّابِط الحجاجي (حتى) :

أشار ابن هشام إلى معاني هذا الحرف ، حيث يقول : " و حتى للغاية و التدرج و معنى الغاية : آخرُ الشّيء ، و معنى التدرُّج : أنّ ما قبلها ينقضي شيئاً فشيئاً إلى أن يبلغ الغاية ، و هو الاسم العطوف و لذلك وجب أن يكون المعطوف بما جزأ من المعطوف عليه ، أمّا تحقيقاً كقولك : أكلت السمكة حتى رأسها " و إمّا تقديراً كقوله :

أَلْقَى الصَّحِيفَةَ كِي يُخَفِّفَ رِجْلَهُ ***** وَ الرَّأْدُ حَتَّى نَعْلُهُ أَلْقَاهَا.

فعطف نعله بـ (حتى) و ليس جزأ بما قبلها تحقيقاً ، لكنّها جزأ تقديراً لأنّ معنى الكلام ألقى ما يثقله حتى نعله".²

و لقد قدّم كلّ من "ديكرو" و "انسكومبر" وصفا للأداة "Même" المقابل لـ(حتى) الحجاجية في اللّغة العربية لذلك أقرّ بأنّ الحجج المربوطة بواسطة هذا الربط ينبغي أن ينتمي إلى فئة حجاجية واحدة ، أي أنّها تُخدم

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 81.

² - محمد محي الدين عبد الحميد ، شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ، مكتبة السعادة ، ط 11 ، 1963 ، ص 303 - 304 .

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

نتيجة واحدة ، و الحجّة التي ترد بعد هذا الرّابط تكون هي الأقوى ، لذلك فإنّ القول المشتمل على الأداة (حتّى) لا يقبل الإبطال والتّعارض الحجاجي.¹

و نُصّوَص الأمثال كالعادة لا تخلّوا من هذه الرّوابط ، و سوف نُبرز ذلك من خلال هذا المثال :

" أَسْتَنْتِ الْفِصَالُ حَتَّى الْقَرَعَى " .²

يُضْرَبُ مَثَلًا لِمَنْ تَعَدَّى طَوْرَهُ وَ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ .

فالرّابط الحجاجي (حتّى) ربط بين حُجَّتَيْنِ يخدمان نتيجة واحدة من قبيل (عدم التعجّل و الادّعاء بما ليس فيك).

فالحجّة الأولى ح 1 : اسْتَنْتِ الْفِصَالُ .

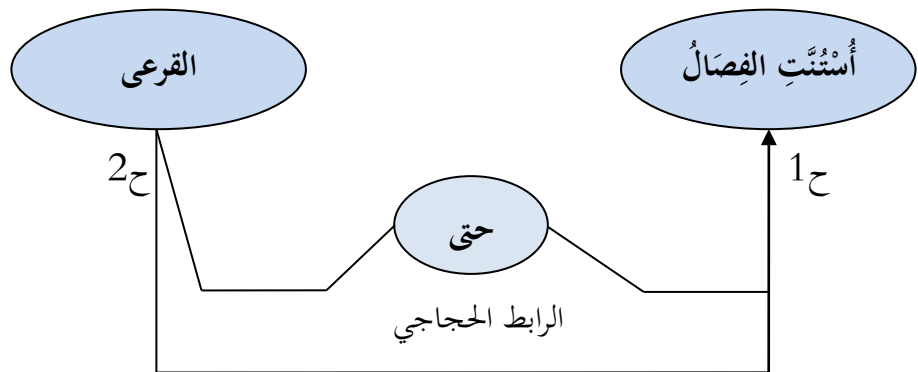
و الحجّة الثانية ح 2 : القرعى* .

الرّابط : حتّى .

النتيجة النهائية (بلوغ التجربة طورها الأقصى) أو (تمام الصّورة) أو (اكتمال الهيئة) ... الخ.

فجاءت هذه الحجج متساوقة أي أنّها تخدم نتيجة واحدة كما رأينا أنّ الحجّة الثانية هي الأقوى ، لأنّها تزيد في تأكيد الحجّة الأولى.

نستنتج من خلال هذا التحليل أنّ الرّابط (حتّى) يعمل على التساوق الحجاجي ، بمعنى أنّ الحجج كلّها قبله أو بعده تخدم نتيجة ضمنيّة واحدة ، و الحجّة الأخيرة بعده تكون هي الأقوى دومًا.



¹ - عبد الهادي ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، ص472.

² - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج 1 ، ص 423 .

* القرعى : جمع قريع مثل مرضى مريض و هو بئر أبيض يخرج بالفصال و دواؤه الملح و حباب ألبان الإبل. (أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 423).

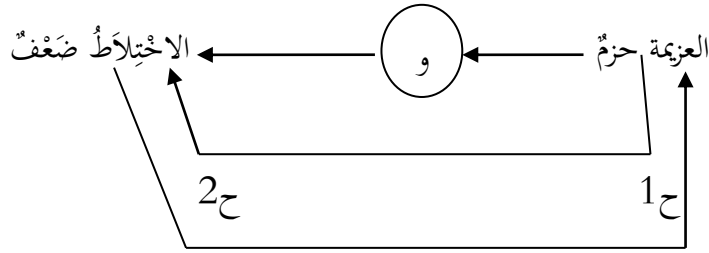
الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

* الرابطة الحجاجي (الواو) :

أشار ابن هشام إلى وظيفة هذا الحرف " الواو " إذ يقول : و هي لمطلق الجمع و أقول : إذا قيل : جاء زَيْدٌ و عمرو فمعناه أنهما اشتركا في المحيىء ... بل رُوي عن بعض الكوفيين أن الواو للترتيب¹ و هنا يكمن دور الروابط الحجاجية و استثمار دلالاتها في ترتيب الحجج ، و نسجها في خطاب واحد متكامل ، إذ تُفصل مواضع الحجج ، و تقوي كل حجة منها الحجة الأخرى... ثم إن وظائف الروابط الحجاجية لا تنحصر في الربط النسقي على المستوى الأفقي ، بل تتجاوز ذلك إلى الترتيب العمودي² ، و مثالنا على ذلك ما يلي :

- العزيمة حَزْمٌ و الإختلاطُ ضَعْفٌ³.

فالرابط الحجاجي قام بالوصل بين الحجج و ترتيبها لتقوية النتيجة المطروحة و هي من قبيل (الإصرار على العزم و نبذ الاختلاط) ، كما عمل على ربط الحجج و ترتيبها ترتيباً أفقياً ، فالحجج جاءت كما يبدو متسقة غير منفصلة فكل حجة جاءت لتدعم الأخرى بفضل هذا الرابط (الواو).



* الرابط الحجاجي (الفاء) :

قال ابن هشام : " و الفاء للترتيب و التعقيب ، فإذا قيل : جاء زيدٌ فعمرو ، فمعناه أن مجيء عمرو وقع بعد مجيء زيد من غير مُهْلَةٍ ، فَهِيَ مَقِيدَةٌ لثلاثة أمور : الشريك في الحكم ، الترتيب و التعقيب⁴ . مثال ذلك :

إِذَا نَزَلَ بِكَ الشَّرُّ فَاقْعُدْ بِهِ.⁵

¹ - أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري ، قطر الندى و بلّ الصدى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، مج 2 ، ط 4 ، 2004 ، ص 282 .

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب - مقارنة لغوية تداولية- ، ص 472 - 473

³ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج 2 ، ص 42.

⁴ - أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري ، قطر الندى و بلّ الصدى ، ص 283

⁵ - المرجع نفسه ، ص 51.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

فالرّوابط الحجاجي هنا (الفاء) قام بوصفِ الحجتين و ترتيبهما ترتيباً أفقيّاً ، لتقويّة النّتيجة المرجّوة و هي من قبيل (ترك التسرّع و التّحذير من وقوع ما هو أسوأ) ، كما أنّ الحجّة الثانية (فاعد) أقوى من الحجّة الأولى (إذا نزل بك الشّر) لأنّ الثّانية مفادها التّحكّم في النّفس لتجنّب الوقوع في المصائب . نستنتج ممّا سبق أنّ هذه الرّوابط (الواو) و (الفاء) لا تقتصر على عملها النّحوي فقط ، بل لها دور و وظيفة حجاجيّة هي وصل الحجج و ترتيبها ترتيباً أفقيّاً ، و كل حُجّة هي بمثابة دعم للأخرى .

1-4- روابط التعارض الحجاجي :

جاءت لكن و بل عند التّحوّين لنفي كلام و إثبات غيره ، يقول الرماني :
" تقع لكن بين كلامين لما فيها نفي و إثبات لغيره ، فهي تتوسّط بين كلامين متغيّرين ، نفيًا و إيجابًا ، يستدرك بها النّفي الإيجاب ، و الإيجاب بالنّفي"¹ .
ويقول في شأن " بل " و هي من الحروف الهوامل ، و معناها الإضراب عن الأوّل و الإيجاب للثّاني"² .

تعدّ " لكن " و " بل " من الرّوابط الحجاجية التداؤلية التي لعبت دورا كبيرا لاسيما عند ديكرو و انسكومبر الذين ميّزا في دراستهما العديدة لأداة (Mais) بين الاستعمال الحجاجي و الاستعمال الإيطالي ، فاللّغة الفرنسية تشمل على أداة واحدة تستعمل للحجاج و الإبطال ، و في المقابل نجد أنّ اللّغات الأخرى تتوفّر على أداتين للحجاج و أخرى للإبطال ، و من بين هذه اللّغات نذكر اللّغة الاسبانية (Sino/pero) و الألمانية (Sondem/Abert) و العبرية (Eloy/Avol) و العربية (لكن و بل) ، لكن اللّغة العربية و إن كانت تلتقي مع الاسبانية و الألمانية في توفّرها على أداتين ، فإنّها تختلف عنهما (تلتقي مع الفرنسية) ، لأنّ كلّ من (لكن و بل) تستعملان للحجاج و الإبطال³ ، و يجدر بنا أن نُشير أنّ التلقّظ بأقوال من نمط (أ) لكن (ب) يستلزم أمرين :

أن المتكلم يقدم (أ) و (ب) باعتبارهما حجتين، الحجّة الأولى موجهة نحو نتيجة معيّنة (ن) و الحجّة الثانية موجهة نحو النّتيجة المضادّة لها لأنّ : المتكلم يقدم لنا الحجّة الثانية باعتبارها حجّة أقوى توجه القول أو الخطاب برؤيته .

¹ - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص57.

² - السيد احمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، إشراف صدي محمد جيل، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2005، ص113.

³ - المرجع نفسه ، ص 113

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و هذا يعني أنّ كل من (لكن) و (بل) الحجاجيتين تعملان تعارضا حجاجيا بين ما يتقدّم الرّابط و ما يتبعه فالقسم الأوّل (أ) يتضمّن حُجّةً تخدم نتيجة (ن) و القسم الثّاني (ب) يخدم نتيجة مضادة (لأنّ) و تكون الحجة الثّانية أقوى من الأولى ، و بهذا توجّه القول بمجمله نحو النتيجة (لأنّ).¹

سنحاول أن نسقط هذه الدّراسة على المثل العربي الذي لا يخلو من هذه الرّوابط و إن كان يتعدّد وجود لفظة بل في المثل ، لهذا سنقتصر على لفظة لكن.

* الرّابط الحجاجي لكن :

و مثالنا على ذلك : " لَكِنْ خِلَالِي قَدْ سَقَطَ " .²

و قصة المثل كما أورده الميداني كالآتي :

" أَنْ شَيْخًا وَ عَجُوزًا جُمِلَا عَلَى جَمَلٍ وَ خَلُوا بَيْنَهُمَا بِخِلَالٍ ، فَقَالَ الشَّيْخُ للعَجُوزِ : خِلَالُكَ ثَابِتٌ ؟ قَالَتْ :

نعم، فقال : لَكِنْ خِلَالِي قَدْ سَقَطَ ، وَ انْتَزَعَ خِلَالُهُ فَسَقَطَ وَ مَاتَ " .³

إذ يُمكننا تأويل المثل كما وُردَ في القصة :

خِلَالُكَ ثَابِتٌ لَكِنْ خِلَالِي قَدْ سَقَطَ .

في المثل نجد الرّابط (لكن) تعمل تعارضا حجاجيا بينما يتقدّم الرّابط و ما يتلوه ، فالقسم الأوّل (خِلَالُكَ ثَابِتٌ) هذه حُجّة أولى تخدم نتيجة ضمنيّة من قبيل (الأمان - التّجاة ... الخ) إلى غير ذلك من النّتائج الضمنيّة، أمّا القسم الثّاني (خِلَالِي قَدْ سَقَطَ) هي حُجّة ثانية تخدم نتيجة ضمنيّة مضادّة للأولى من قبيل (عدم التّجاة ، و عدم الشّعور بالأمان ، الخِلَالُ غيرُ نافع ... الخ) فتكون الحجة الثّانية أقوى من الأولى ، لأنّ القول بمجمله يؤول نحو النتيجة المضادّة و هي النتيجة الضمنيّة التي جاءت بعد الرّابط (لكن).

و نأخذ مثالا آخر :

كَالًا وَ لَكِنْ لَا أُعْطَاهُ .⁴

و قصّته كما أوردها الميداني : قَالَ رَجُلٌ لِإِمْرَأَتِهِ وَ رَأَى ابْنَهُ مِنْ غَيْرِهَا ضَيْلًا : مَا لَا بُنْيَ سَبِيَّ الْجِسْمِ .

¹ - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص58.

² - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، مج2 ، ص233.

³ - المصدر نفسه ، مج 2 ، 233

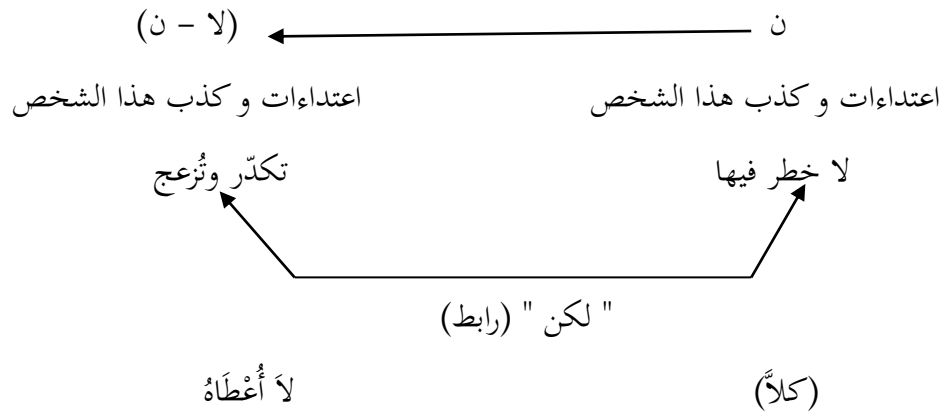
⁴ - المصدر نفسه ، مج2، ص190.

الفصل الثالث ————— آيات الحجاج في مجمع الأمثال

قالتُ : إني لأُطعمُهُ الشَّحْمَ فَيَأْبَاهُ ، قال الإِبْنُ : " كَلَّأٌ وَ لَكِنْ لَأَ أُعْطَاهُ " ¹.

في المثل نجد (لكن) تربطُ بين حُجَّتَيْنِ ، فالحجة الأولى التي جاءت قبله مختصرة بلفظة (كلاً) تُخدم نتيجة ضمنيّة من قُبيل (الاعتداءات و الكذب الصادرة من شخص تافه لا يأبئه له) ، أمّا الحجة الثانية (لا أُعْطَاهُ) جاءت بعد لكن تُخدم نتيجة ضمنيّة معارضة للنتيجة الأولى و هي من قُبيل (اعتداءات و كذب هذه المرأة لا حَظَرَ فيها و لكن تُزَعِّجُ وَ تُكَدِّرُ)

فَهَاهُنَا الحُجَّةُ الثانية أقوى من الأولى و معارضة لها فيكون الكلام بِرُؤْيَتِهِ مؤوّل عليها ، و يمكن أن نمثّل لها بهذا الشكل :



النتيجة بمجملها تؤول إلى (لا - ن).

نستنتج من خلال هذا التحليل أنّ الرّابط (لكن) ربط بين حُجَّتَيْنِ متعارضتين و أقام علاقة حجاجية بين الحجة و الحجة ، أو الحجة و النتيجة ، فتكون الحجة التي ترد قبله ، تحمل نتيجة ضمنيّة نرّمز لها بـ (ن) ، و تكون الحجة التي ترد بعده تحمل نتيجة ضمنيّة معارضة للنتيجة التي ترد قبله و نرّمز لها بـ (لا - ن).
الحجة التي تأتي بعد الرّابط الحجاجي تكون دائماً أقوى من الحجة التي ترد قبله و مجمل القول يؤول إلى النتيجة المضادة.

2- العوامل الحجاجية :

لقد رأينا سابقاً أنّ الرّوابط الحجاجية تقوم بالرّبط بين ملفوظين ، و في المقابل نجد أنّ العوامل الحجاجية لا تربط بين متغيّرات حجاجية بل تقوم بحصر و تقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما.

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج2، ص190.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

فالعامل الحجاجي يقوم على الاقتضاء ، فلو قلنا أن مقتضى الملفوظ (كِدْتُ أَنْ أُنْجِحَ) فهنا الاستجابة لم تحصل ، و هذا الملفوظ نقيض ذلك ، و وجود العامل (كِدْتُ) يوضّحه و يؤكّده ، أمّا عمله حجاجيًا فإنّه يتيح الرّبط بين أجزاء النّص و بين الملفوظات داخل المقطع الواحد ، فحسب التحليل (كِدْتُ أَنْ أُنْجِحَ) تسير في الاتجاه الّذي تؤدي إليه الحجّة (نجحت) و يخدمان نتيجة واحدة.¹

و سوف نأخذ نماذج من الأمثال توضّح ذلك أحسن توضيح :

* العامل الحجاجي (إذا الشرطية) :

قال صاحب المثل :

إِذَا اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ رَجُلٍ يَدًا فَانْسُوهَا.²

نلاحظ أنّ العامل الحجاجي (إذا) قيّد لنا الإمكانيات الحجاجية إذن :

ح 1 = إذا اتخذتم عند رجلٍ يدًا ← ن 1 فانسوها.
| الحجّة
| النتيجة

و في المثل :

إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ فَيْكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَيْسَ فَيْكَ فَلَا تَأْمَنَنَّ أَنْ يَقُولَ فَيْكَ مِنَ الشَّرِّ مَا لَيْسَ فَيْكَ.³

فالمتكلّم في هذا النّص يصرّو لنا حالة الشّخص المسرف في المدح بما ليس فيك من أوصاف نبيلة فلا تأمنه بأنّ يقول فيك شرًّا.

فالعامل الحجاجي (إذا) قيّد لنا الإمكانيات الحجاجية :

ح 1 : إذا سمعت الرجل يقول فيك من الخير ما ليس فيك.

ن 1 = يقول فيك من الشرّ ما ليس فيك.

فالمثل إذا يخدم نتيجة واحدة بفضل العامل الحجاجي (إذا).

يقول فيك من الشرّ ما ليس فيك حتمًا
↑ ن
 العامل الحجاجي إذا
↓ ح
 إذا سمعت الرجل يقول فيك من الخير ما ليس فيك.

¹ - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 27.

² - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج 1، ص 60.

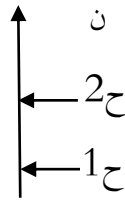
³ - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 61.

3- السُّلم الحجاجي :

يعرفه ديكرود بقوله : أنَّ كثيراً من الأفعال القوليّة ذات وظيفة حجاجية فتوجه المتلقي نحو نتيجة معيّنة ، أو تحويل وجهته عنها ، و أنَّ لهذه الوظيفة علامات في بنية الجملة نفسها ، ذلك أنَّ القيمة الحجاجية للمقول ، لا تنتج فقط من المعلومات التي يحملها ، و إنّما يكن للجملة أن تستخدم صرفاً أو عبارات أو صيغاً أسلوبية لإسناد الوجهة الحجاجية للمقول ، أي أنَّ المقول يحمل في ذاته تعبيراً عن السمة الحجاجية ، و هي سمة تتنوع حسب المتكلمين و تبعاً لأوضاع الخطاب ، فلا أحد يستطيع أن يتوقّع¹.

نلاحظ من خلال كلام ديكرود أنَّ جميع أقوالنا لها وظيفة حجاجية ، و أنَّ القيمة الحجاجية لهذه الأقوال لا تنتج فقط من الملفوظ وحده ، و إنّما يتدخل في ذلك أشياء أخرى كالأسلوب و كيفية صياغة العبارات و إدراجها في قالب لغوي و هذا يختلف من شخص إلى آخر.

و تمثل السُّلم الحجاجي كالاتي :



(ح) هي الحجّة الأقوى دليلاً ، و بالتالي فهي تعلو عن (ح) و كلاهما يؤدّيان إلى نفس النتيجة (ن) ، و بالتالي فهما تنتميان إلى نفس الفئة الحجاجية.

و للسُّلم الحجاجي ثلاث قوانين و هي :

3-1- قانون النفي :

إذا كان قول ما مستخدماً من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معيّنة فإنّ نفيه (لا) سيكون حُجّة لصالح النتيجة المضادة.²

- زيدٌ مجتهدٌ لقد نجحَ في الإمتحانِ.

- زيدٌ ليسَ مُجتهدٌ ، إذا لمْ ينجح في الامتحانِ.

¹- قدور عمران، البعد التداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل ، ، عالم الكتب الحديث ، ط1 ، إربد ، الأردن ، 2012 ، ص 35.

²- المرجع نفسه ، ص35.

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

3-2- قانون القلب :

و هو إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التّدليل على نتيجة معيّنة فإنّ نقيض الحجّة الثانية أقوى من نقيض الحجّة الأولى في التّدليل على الحجّة المضادّة.¹

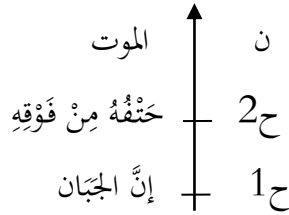
و نوضّح ذلك بالمثالين التاليين : - حصل زيد على الماجستير و حتّى الدكتوراه.

- لم يحصل زيد على الدكتوراه بل لم يحصل حتى على الماجستير .

فحصول زيد على الدكتوراه أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على الماجستير في حين أنّ عدم حصوله على الماجستير هو الحجّة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على شهادة دكتوراه.²

و هذا ما نتلمّسه في قول العرب : " إِنَّ الْجَبَانَ حَتْفُهُ مِنْ فَوْقِهِ " ³

فهذه متوالية أخرى من النماذج المتعلقة بالسلم الحجاجي و تحديدا قانون القلب الذي نستشفّ من خلاله كفاءة المتكلم و قدرته على التعبير عن الحدث و تمثيل المواقف ، بما يمكن تصورها ذهنيا و ماديا ، إذ تمنحها القبول و دينامية في الانتشار ، و ثمرة ذلك أن يجعلها نابضة بالحياة أو حيّة للتأثير في المتلقي ، فالحجّة الثانية المنوطة بالحتف ، و الهلاك و ما يُستدعى في سياق الموت ، أقوى من الحجّة الأولى المتعلقة بالجبن ، إذ ينجم عنه بالضرورة نقيض الحجّة الثانية التي هي أقوى من نقيض الحجّة الأولى ، فكلّ مَنْ يُوصف بالجبن قد أسلم نفسه للخنوع و الدّلّ و من ثمّ بَحَثَ عن حتفه بيده لا يبيد غيره . و نوضّحها كما يلي :



و قولهم : " إِنَّ الْهَرَبِلَ إِذَا شَبِعَ مَاتَ " ⁴

نُصنّف المثل ضمن قانون القلب ، يظهر ذلك جليّاً في ثنايا و خبايا هذا المثل ، فأحدى الحجّتين أقوى من الأخرى ، و نقيض الحجّة الثانية أقوى من نقيض الحجّة الأولى ، فالأكل الكثير بعد الجوع الطويل يؤدّي إلى

¹ - أبو بكر العزاوي اللغة والحجاج، ص22.

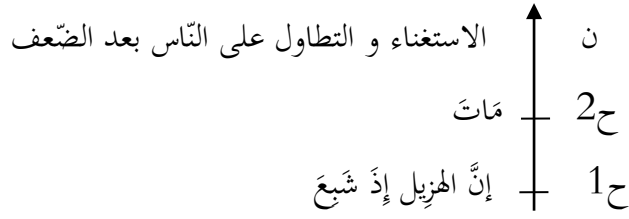
² - المرجع نفسه ، ص23.

³ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج1 ، ص 39

⁴ - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 90

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

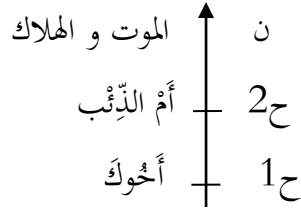
الموت ، فحجّة الموت - الحجّة الثانية - أقوى من الحجّة الأولى - الهزيل - و هكذا . إذ نوضّحها بالشكل التالي :



نقيض الحجّة الثانية (الموت) أقوى من الحجّة الأولى (إنَّ الهزيل)

و قولهم أيضا : " أَخُوكَ أَمَ الدَّئِبُ " ¹

و يتمثّل قانون القلب في قوّة الحجّة الثانية على الحجّة الأولى من خلال الدّئب فهو حيوان من فصيلة السباع بمعنى أنّه وحش مفترس و استدعاء هذا الحيوان في مقام الصّداقة مؤشّر بامتياز في سياق الإستراتيجية التلميحية بأنّ ثمة خللا في التعامل مع الأقارب و التباعد عنهم ، و البحث عن بدائل العلاقة غير السويّة ، فكيف نصاحب من هم أعدائنا و نترك الأقارب فالنتيجة الحتمية الموت و الهلاك . كما هو موضح في السّلم :



3-3- قانون الحفض :

إذا قلنا السماء صافية فإننا نستبعد التّأويلات التي ترى أنّ الحرارة المرتفعة فإذا لم تكن السماء صافية فهي ممطرة أو غائمة.

و هذا القانون ينتج عن طريق النّفي اللّغوي " و مقتضى هذا القانون أنّه إذا كان القول دليلا على مدلول معيّن فإنّ دليل نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله " ².

نستنتج مما سبق ذكره أنّ السّلم الحجاجي :

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 85

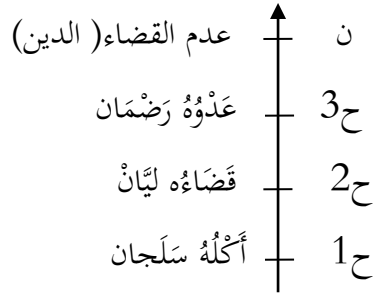
² - طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 278.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

يقوم على ترتيب الحجج عموديا ، من الحجّة الضعيفة إلى الحجّة القوية في فئة حجاجية واحدة ، كما يكون كل قول في السلم دليلا على مدلول معين ، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى منه و سنحاول إسقاط هذا التعريف على نص المثل الآتي :

إِنَّ أَكْلَهُ لَسَلْجَانُ ، وَ إِنَّ قَضَاءَهُ لَلْيَأْنُ وَ إِنَّ عَدُوَّهُ لَرَضْمَانُ ."

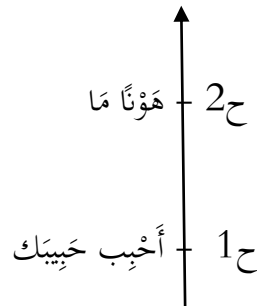
في المثل الآتي أراد المتكلم أن يبرز للمتلقي الشخص الذي يأخذ و لا يريد أن يقضي ، فقد قدم حججا مرتبة ترتيبا عموديا ، و قد بدأ بالحجّة الضعيفة المتمثلة في طريقة الأكل السريع ثم الأقوى المتمثل في قضاء الدين و التأخر في ذلك أو عدم الرغبة في القضاء وصولا إلى أقوى الحجج في قوله : " (عَدُوَّهُ لَرَضْمَانُ) بمعنى البطئ الشديد ، و تمثلها وفق السلم الحجاجي الآتي :



و قول العرب : " أَحِبِّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَا "¹

فمرسل المثل استهله حديثه بالحجّة الأضعف وصولا إلى الحجّة الأقوى ، بعدم الإفصاح عن كل ما تملكه ، فرمما يتغيّر عليك يوما ما . و تمثلها وفق السلم الحجاجي الآتي :

(ن) عدم الإخبار بجميع أسرارك



و قولهم : " إِنَّكَ لَا تَعْدُو بِغَيْرِ أَمْلِكَ "²

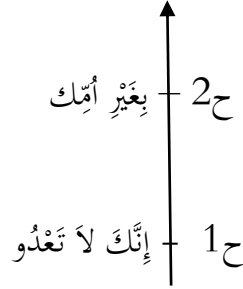
¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، مج1، ص281

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 112

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

حاول صاحب المثل تذكير المستمع أو المتلقي بضرورة الحفاظ على الأّم فهي قبلة الإنسان الأولى ، فلا يُمكن التقدّم و النجاح في الحياة بدون دعواتها فعلينا الحفاظ عليها بدءا بالحجّة الأضعف إلى الحجّة الأقوى و هي في أعلى درجات السّلم الحجاجي. و يتمّ تمثيل هذا المثل كما يلي :

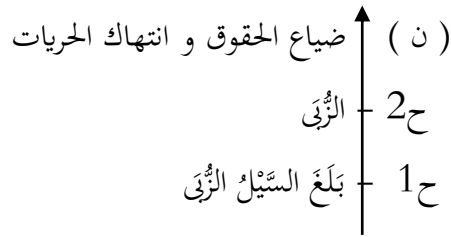
(ن) النجاح و الاستقرار في الحياة



و قولهم : " بَلَغَ السَّبِيلُ الرَّبِّيُّ " ¹

إنّ المثل يحمل في حوزته حجّة تداولية ، انطلاقا من الحجّة الأضعف وصولا إلى الحجّة الأقوى ، هذه الأخيرة تُفهم من سياق الكلام و قرائن الأحوال. إذ تُحوّل السبيل هنا عن اتجاهه المعتاد و جراه المعلوم إلى اتجاهات أخرى تمثّلت في ضياع الحقوق و انتهاك الحرّيات بمعنى الوصول إلى الحجّة الأقوى .

و نمثّله كما يلي :



كذا الحال بالنسبة للمثل القائل : " رَمَنِي بِدَاهِمًا وَ انْسَلَّتْ " ²

فالرّمي غايته الإصابة ، و الإصابة بالأذى و الجبروت يُلحق الأذى بصاحبها فاستهلها المرسل بالحجّة الأضعف إلى الحجّة الأقوى - وَ انْسَلَّتْ - و بالتالي حكم على نفسه بالزّوال و الدّمار و مهلكة للقيم الإنسانية . و يتمّ تمثيلها كما يلي :

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 132

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 367

الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

| | | |
|---------------------------------------|---|----|
| الحُكْمُ عَلَى النَّفْسِ بِالرَّوَالِ | ↑ | ن |
| وَ انْسَلَّتْ | | ح2 |
| رَمَتْنِي بِدَاثِهَا | | ح1 |

و المثل القائل : " لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا وَ أَنْتَ تُلُومٌ " ¹

فمغزى المثل " ضرورة التماس الأعذار للآخرين " فجميعها قوانين اجتماعية بين طرفي الخطاب (المتكلم) و (المستمع) مرهونة بسياق التواصل الاجتماعي . و بالتالي الشعور بالآخر و تحقيق العدالة الاجتماعية بدءًا بالحجة الأقوى إلى الحجة الأضعف. و تمثل المثل وفق السلم الحجاجي التالي :

| | | |
|------------------------|---|-----|
| التماس الأعذار للآخرين | ↑ | (ن) |
| وَ أَنْتَ تُلُومٌ | | ح2 |
| لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا | | ح1 |

عندما نأخذ هذا المثل : " لِكُلِّ صَارِمٍ نَبْوَةٌ ، وَ لِكُلِّ جَوَادٍ كِبْوَةٌ ، وَ لِكُلِّ عَالِمٍ هَفْوَةٌ " ².

أراد المتكلم في هذا القول توضيح أطروحة الكمال ، فهي ليست مطلقة و لا يوجد شخص كامل و فيه جميع الصفات ، و إنما هناك نقائص و أدرجها من أضعف حجة إلى أقوى حجة نوضحها في السلم الآتي :

| | | |
|--------------------------|---|----|
| الكمال نسبي وليس مُطلق | ↑ | ن |
| لِكُلِّ عَالِمٍ هَفْوَةٌ | | ح3 |
| لِكُلِّ جَوَادٍ كِبْوَةٌ | | ح2 |
| لِكُلِّ صَارِمٍ نَبْوَةٌ | | ح1 |

فالسيف قد يتجافى عن الضريبة ، و الجواد قد يعثر وصولاً إلى العالم قد يزلّ لسانه.

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 238

² - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 221.

الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و في قولهم :

" أَبْعَدُ مِنَ النَّجْمِ وَ مِنَ مَنَاطِ الْعِيُوقِ ، وَ مِنَ بَيْضِ الْأُنُوقِ ، وَ مِنَ الْكَوَاكِبِ " .¹

في هذا المثل حاول المتكلم أن يبرز للمتلقي حال بُعْد الشيء الذي يصعب تحقيقه ، لاسيما أنّ هذا المثل صادر بلا شك عن العرب قديما و اتصاهم بالطبيعة. فقد جاءت الحجج مرتبة ترتيبا عموديا بدءا بالحجّة الأضعف لأن النجم كما هو معلوم حتى و إن كان بعيدا إلّا أنّنا استطعنا رؤيته و خاصة ليلا و كأنّه قريب منّا ، مروراً إلى الحجّة الأقوى إلى أن وصل إلى أقوى الحجج لأن الكواكب ليس من السهل الوصول إليها أو رؤيتها فهي صعبة المنال و يمكننا تمثيل هذه الحجج بالشكل التالي لتتضح الرؤية أكثر .

النتيجة(ن) " الشيء الصعب المنال "

| | | |
|-----|---|-------------------------|
| ح 4 | ↑ | مِنَ الْكَوَاكِبِ |
| ح 3 | — | مِن بَيْضِ الْأُنُوقِ |
| ح 2 | — | مِن مَنَاطِ الْعِيُوقِ |
| ح 1 | — | أَبْعَدُ مِنَ النَّجْمِ |

و قولهم : " أَذْكَى مِنَ الْوَرْدِ ، وَ مِنَ الْمِسْكِ الْأَصْهَبِ ، وَ الْعَنْبَرِ الْأَشْهَبِ " .²

أراد المتكلم إبراز ممدوحه في أحسن صورة و أهبى حلّة المتمثلة في الفطنة و الذكاء الشديد ، فقدّم حججاً مرتبة ترتيباً عمودياً من أضعف حجّة إلى أقوى حجّة كالآتي :

| | | |
|-----|---|----------------------------------|
| (ن) | ↑ | الوصول إلى الحد الأدنى من الذكاء |
| ح 3 | — | وَ الْعَنْبَرِ الْأَشْهَبِ |
| ح 2 | — | مِنَ الْمِسْكِ الْأَصْهَبِ |
| ح 1 | — | أَذْكَى مِنَ الْوَرْدِ |

فصاحب المثل بدأ بالحجّة الأضعف في قوله (أَذْكَى مِنَ الْوَرْدِ) ذلك أن الورد رائحته لا تدوم طويلاً ، لكنّ الحجّة الثانية أقوى من الأولى (من المسك الأصهب) ، ذلك أنّ المسك رائحته زكية و تبقى لمدة معينة ، و يأتي بالحجّة الأقوى (العنبر الأشهب) ، ذلك أنّ رائحته تدوم لمدة طويلة و تترك رائحة لا تزول فهي تنطبق على الشخص

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1، ص 159.

² - المصدر نفسه ، مج 1، ص 263.

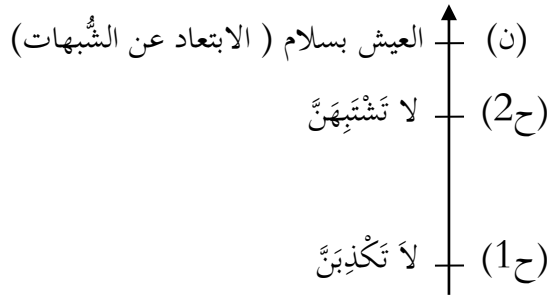
الفصل الثالث ————— آليات الحجاج في مجمع الأمثال

الدكيّ و الفطن الذي يستمر في ذكائه و فطنته مهما كانت الأسباب و الظروف، فالعنبر كما هو معروف رائحته دائمة على عكس الورد و المسك مقتصرة على مدّة معيّنة وهذا في قمة البقاء ، و هي التي أوردها المتكلم في أعلى درجة السلم الحجاجي .

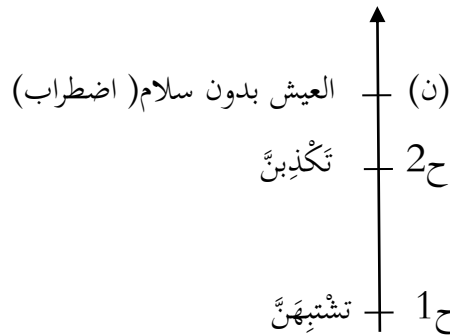
و لناخذ مثالا آخر في النفي :

لَا تَكْذِبَنَّ ، لَا تَشْتَبِهَنَّ¹

نجد أنّ الحجج المستعملة في هذا المثل حُججٌ مَنْفِيَّةٌ ، كما أنّها جاءت مُتَدَرِّجَةً من الحجّة الأنقص مدلولاً ، إلى الحجّة الأقوى مدلولاً لتؤوّل بمُجمليها إلى نتيجة ضمنيّة مفادها العيشُ بِسَلَامٍ و الابتعاد عن الشُّبُهَاتِ و يمكن أن نمثّل لها بسلم حجاجي على هذا النحو :



و لو مثلنا هذه الحجج بدون نفي فإنّه يتغيّر مجمل الخطاب فتصبح الأنقص مدلولاً هي الأقوى ، و النتيجة المنفيّة تصبح نتيجة مناقضة تماما للنتيجة غير المنفية و يمكننا تمثيلها كما يلي :



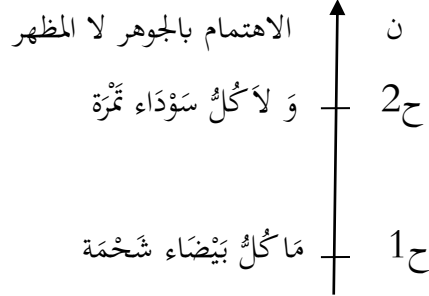
فالحجّة (أ) (تكذب) تؤوّل إلى نتيجة (ن) و هي العيش بدون سلام هي أقوى الحجج بالنسبة لـ (ن) (تكذب) (أ) تؤوّل إلى النتيجة المضادة (العيش بدون سلام) (لا - ن) فتصبح (أ) هي الحجّة الأضعف بالنسبة (لا - ن). فقوة النفي تترتب ترتيباً عكسياً ، فمدام (لا تكذب) فكيف (تشبه) فتصبح الحجّة (لا تكذب) هي الأقوى على أنّه (يعيش بسلام بعيداً عن الشُّبُهَاتِ).

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال ، مج1 ، ص61.

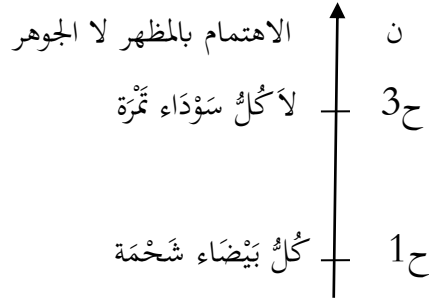
الفصل الثالث — آليات الحجاج في مجمع الأمثال

و قولهم : " مَا كُلُّ بَيْضَاءِ شَحْمَةٍ ، وَ لَا كُلُّ سَوْدَاءِ تَمْرَةٍ " ¹

إنّ الحجج المستعملة في هذا المثل هي حجج منفية و جاءت متدرجة من الحجّة الأنقص مدلولاً ، إلى الحجّة الأقوى لتؤول إلى نتيجة حتمية مغزاها نرك ما هو ظاهر و الاهتمام بجوهر الإناث. و تمثّلها كالاتي :



و لو مثلنا هذه الحجج السابقة بدون نفي فإنّه يتغيّر مضمون الخطاب ، فتصبح الأنقص مدلولاً هي الأقوى ، و النتيجة المنفية تصبح متناقضة هي الأخرى مع غير المنفية كما يلي :



هذا النوع من السّلم يسمّيه " طه عبد الرحمن " قانون تبديل السّلم. ²

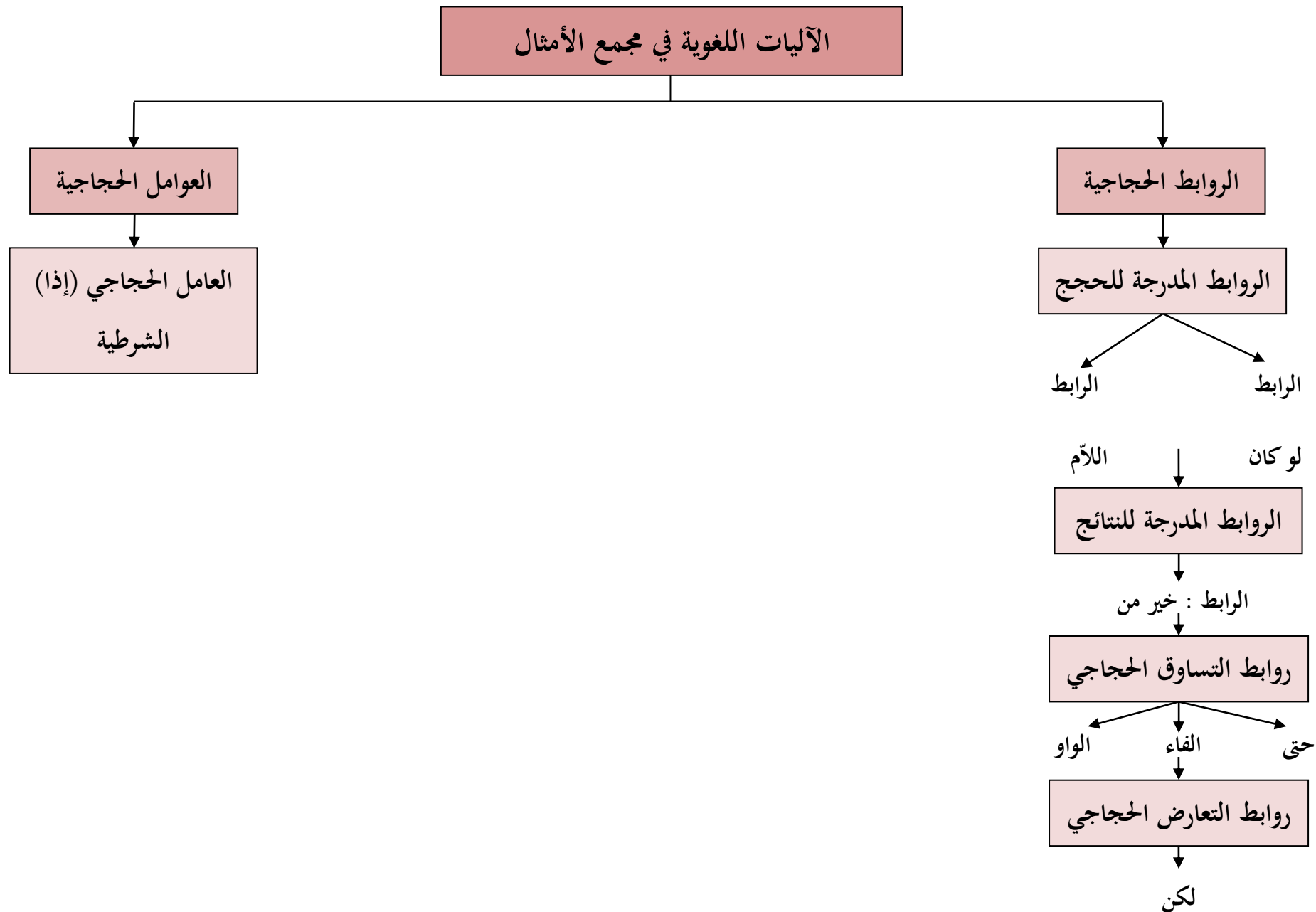
و نشير كذلك إلى مسألة أخرى تتعلق بالسّلم الحجاجي و هي مفهوم القوة الحجاجية ، فهناك علاقة وطيدة بين مفهوم السّلم و مفهوم القوّة.

و قد رأينا جلياً أنّ الحجّة التي تقع في أعلى السّلم هي الحجّة الأقوى و بعبارة أخرى أن الحجج تكون متفاوتة من حيث القوة الحجاجية ، فالأقوال الاستعارية تكون أعلى و أقوى حجاجاً من الأقوال العادية ، و قد رأينا ذلك في المبحث المتعلّق بآليات الحجاج البلاغية.

و يمكن تلخيص هذه الآليات اللغوية في المخطط الآتي :

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 333

² - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 278.



الفصل الرابع : تجليات القصدية في مجمع الأمثال

المبحث الأول : القصدية (مفاهيم أولية)

توطئة

1- مفهوم القصدية

2- أنواع القصدية :

3- القصدية و أفعال الكلام :

4- علاقة الملفوظ بالقصد :

5- أهمية المقاصد

المبحث الثاني : إستراتيجية المقاصد الموضوعية

1- الإستراتيجية التلميحية (المفهوم و الإجراء) :

2- إستراتيجية قصد الإقناع :

3- الإستراتيجية التضامنية

4- السياق و علاقته بمقاصد الخطاب

5- تعالق السياقات و المقاصد الخارجية

الفصل الرابع _____ تجليات القصدية في مجمع الأمثال

المبحث الأول : القصدية (مفاهيم أولية)

توطئة :

تحتل القصدية موقعا مركزيا في الفعل التخاطبي واللغوي بشكل عام ، هذا ما جعل مجموعة من عمالقة الفكر الغربي الاهتمام بها وتقصي أبعادها وآثارها ، وفي مقدمتهم جون سيرل (John searle) في كتابه الشهير القصدية ، بحث في فلسفة العقل (intentionality an essay in the philosophy of mind)، جل ما اهتمت به المعنى المضمّر أو المسكوت عنه الكامن وراء النص فهي من أبرز أهدافها إنتاج نص غير معنن يسعى إلى خلق ذاته الخاصة به في سياق لغوي ومعرفي مضبوط ومحكوم متعلق بحثيات النص وداخله و بالجوانب اللواعية التي تأتي من الخارج النصي لتساهم في تحديد الدلالات وتوجيهها نحو ما هو سليم ، وبالتالي تجمع القصدية بين ما هو داخل النص وخارجه ، أي الوعي و اللاوعي ، المباشر و اللامباشر ، و بين ما هو وسيط و عميق .

و هي بذلك تجمع بين هذه التناقضات لتشكل رؤية فلسفية التي أفرزتها الفلسفة المعاصرة بدءًا من أوستين (Austin) مرورًا إلى سيرل (Searle) و غرايس (Grice) الذي أعطى لمقاصد المتكلمين مقاصدهم مكانة عالية حيث يعتبر أنّ كل حدث مهما كان لغويا أو غير لغوي ، يحتوي على دلالة و قصد ما قد يكون حقيقيا أو غير حقيقي لأنّ منتج الخطاب يخفي مقاصده ليجعل من المتلقي يقوم بتأويلها وفق إستراتيجيته الخاصة لتصل في الأخير إلى القصد و غاياته الدلالية المبطنة أو تتجاوزها إلى أبعد من ذلك ، و هذا ما نراه خلال هذا الفصل عن أهم أبعاد القصدية في مجمع الأمثال و نركز تحديدا على الجانب التطبيقي و الإستراتيجيات المعتمدة ، كالإستراتيجية التلميحية ، و التضامنية ، و السياق الثقافي و الاجتماعي و أبعاد كل إستراتيجية من هذه الإستراتيجيات.

الفصل الرابع _____ تجليات القصدية في مجمع الأمثال

1- مفهوم القصدية

1-1- لغة :

مصطلح حديث من مصطلحات فلسفة اللغة، يعود في الأصل إلى مادة (ق-ص-د) ، و يجمع حسب ابن فارس " ثلاثة أصول في اللسان العربي يبرز منها القصد التوجه و إليه يغزى الإرادة و العزم ، و القصد و الكمال و إليه يغزى الاعتدال¹ و المتوجه إنما يسعى للوصول إلى المتوجه إليه حسب إرادته.

وردت القصدية في لسان العرب: " القصد": استقامة الطريق، وطريق قاصد سهل مستقيم، والقصد في الشيء: خلاف الإفراط، والقصيد من الشعر ما شطرت أبياته، سمي بذلك لكماله وصحة وزنه².
و جاء لفظ القصد في القرآن الكريم بمفهوم الاعتدال والوسطية لقوله تعالى: "واقصد في مشيك"³ وقوله كذلك: "وعلى الله قصد السبيل"⁴.

و معنى ذلك على الله تبيان الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة، يتضح من خلال المعنى اللغوي ل"قصد" بمعنى الاستقامة والاعتدال كما جاء -لفظة قصد- مرادفا للفظ "معنى" وهذا ما أشار إليه أبو هلال العسكري في قوله:

"المعنى هو القصد الذي يقع به القول على وجه دون وجه، فيكون معنى الكلام في اللغة ما تعلق به القصد"⁵.
و المقصود من كلامه هذا المعنى الذي يقصده المتكلم، ولذلك فالمعنى والغرض والهدف عنده مرادفات للقصد وهذا ما نسميه بإشكالية المصطلح النقدي.

1-2- اصطلاحا:

من أبرز التعريفات التي تربعت على عرش القصدية تعريف جون سيرل (John searle) بقوله :

¹ - ابن فارس، مقاييس اللغة ، ص 95 .

² - ابن منظور ، لسان العرب ، ص 3668 .

³ - سورة النحل ، الآية 08 .

⁴ - سورة لقمان ، الآية 19 .

⁵ - أبو هلال العسكري ، الفروق اللغوية ، تحقيق : محمد إبراهيم سليم ، دار العلم و الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 1997 ، ص 33 .

الفصل الرابع ————— تجليات القصدية في مجمع الأمثال

" هي تلك الخاصية لكثير من الحالات والحوادث العقلية التي تتجه عن طريقها الأشياء وسير الأحوال في العالم أو تدور حولها أو تتعلق بها".¹

فالقصدية من وجهة نظر سيرل (Searle) مرتبطة بحالات ذاتية و عقلية تتم من خلالها التوجه إلى العالم الخارجي، إذ من خصائص العقل ربط الذات عبر القصد بعالمها الخارجي عن طريق اللغة ، فالقصدية تبعاً لهذا التعريف تتضمن ظواهر عقلية كثيرة من بينها : الاعتقاد ، الرغبة ، القصد ، الأمل ، الخوف الخ .

و هناك خلط كبير بين مصطلح القصدية و المقصدية ونشير إلى التداخل الموجود بينهما ، و الذي ولد بين الدارسين عدداً من المفاهيم المختلفة تعود جميعها إلى الجذر اللغوي ل (ق-ص-د) فالمقصدية مصدر ميمي مبدوء بهيم زائدة على وزن (مفعل) ، على غرار القصدية فهي مصدر صناعي من الفعل الثلاثي (قَصَدَ) على وزن (فعل) في كونها نشاط قصدي متعلق بمنتج الخطاب (أي المتكلم) و توجهه نحو الهدف المقصود في حين القصدية مرتبطة بالتص تحديداً .

هناك صنف من الدارسين يرى بأن القصدية متعلقة بالمؤلف أو المبدع في حين المقصدية مرتبطة بالموضوع. و هناك طريق آخر أراد أن يساوي بين القصدية و المقصدية بدليل لا يمكن فهم قصدية المؤلف منفصلة عن قصدية النص .

فالقصدية إذن في أبسط تعريفاتها هي نشاط عقلي أساسها الهدف النصي من وراء العمل الأدبي تسطر به الأساس المؤلف أي منتج النص و متلقيه للمساهمة في تكوين نص لغوي بهدف تحديد الدلالات وفك شفراتها و توليدها.

فلا يمكن فصل قصدية المؤلف عن النص أو المتلقي الذي يقوم بتأويله و إخراج الدلالات الكامنة و بالتالي المساهمة في تكوين النص و تحقيق مقصدية المبدع أو المؤلف .

و عليه فلا يسمى الفعل فعلاً ما لم يصحبه القصد ، ينطبق هذا الفعل الذهني أو الجسدي و لا ريب أنّ كلّ فعل من هذه الأفعال يأتي لتحقيق هدف معين.²

و قد تعددت دلالات مفهوم القصد في المعالجات النظرية ، فهو دالٌّ على أحد ثلاثة :

¹ - صلاح إسماعيل ، فلسفة العقل ، دراسة في فلسفة سيرل ، د.ط، دار قباء الحديثة ، القاهرة ، 2007 ، ص 229 .

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب (مقارنة لغوية تداولية) ، ص 188 .

الفصل الرابع _____ تجليات القصدية في مجمع الأمثال

1- دال على هدف الخطاب.¹

2- دال على الإرادة ؛

3- دال على معنى الخطاب ؛

و اشتق (طه عبد الرحمن) مبدأ تداوليا من التراث الإسلامي، سمّاه مبدأ التصديق وقد صاغه كما يلي²:

- لا تقل لغيرك قولاً لا يصدقه فعلك.

و جعل قاعدة القصد من القواعد التي تفرعت عن هذا المبدأ .

و من هذا المبدأ نستطيع أن نصنّف دالتين لمفهوم القصد و هما :

القصد بمفهوم الإرادة.

القصد بمفهوم المعنى.³

أ- القصد بمفهوم الإرادة:

يكون القصد أو المقاصد مرتبطة بالمعنى الإرادة إذا عكست رغبة صاحبها في اختياراته الواعية لموضوع كلامه، " فلا يكون المنطوق به كلاماً حقاً حتى تحصل منه هذه الإرادة ، فلا يمكن أن يعدّ متكلماً حقاً و لو صادف ما لفظ به فهما من النقطة ، لأنّ المتلفظ لا يكون مستمعاً حقاً حتى يكون قد فهم ما فهم ، سواء أوافق الإفهام أم خالفه " .⁴

فالمتكلم إذن هو المسؤول التّهائي عن تكوين هذه الرغبات أو إهمالها في نفس الوقت .

يؤثر القصد بمعنى إرادة فعل الشيء في الحكم على الفعل نفسه ، فتصبح الأفعال تابعة للمقاصد الباطنة لدى فاعلها ، لا تابعة لشكلها الظاهري فقط ، و ذلك مثل بعض الأفعال المتعلقة بالصدّاق ، فعندما ينوي المتزوج أن يدفع الصدّاق إلى المرأة فإنّه يأخذ بذلك حكم الزوج أمّا عند ورود النية بعدم الوفاء ، فإنّه يتّصف بحكم آخر ، و كذلك من استدان ديناً و لم ينوي الوفاء به فإنّه يعتبر سارقاً.⁵

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب (مقارنة لغوية تداولية) ، ص 188 .

2- المرجع نفسه ، ص 188 .

3- المرجع نفسه ، ص 189 .

4- طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، ص 214 .

5- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، ص 189 .

الفصل الرابع ————— تجليات القصدية في مجمع الأمثال

و لنا أمثلة في التراث العربي حافلة بارتباط المقاصد بالإرادة فعلى سبيل المثال كتاب البخلاء للجاحظ يمكن عده خطابا مقصديا موجهاً إلى جمهور المستمعين أو القراء عبّر فيه بكلّ مصداقية عن ظاهرة البخل التي راجت في عصره آنذاك .

ب- القصد بوصفه المعنى :

ارتبطت المقاصد بالمعاني التي أراد المتكلم إيصالها للمتلقي أو السامع و هذا ما عبر عنه ابن خلدون في مقدمته بقوله :

" اعلم أنّ الكلام هو العبارة و الخطاب ، إنّما سرّه و روحه في إفادة المعنى " .¹

و المقصود من قوله أنّ الهدف الأساسي من التّخاطب هو التّعبير عن المقاصد بإفادة المعنى ، وذهب العديد من الباحثين بهذا المذهب إذ " ذهب كثير من العلماء إلى أنّ المقاصد هي المعاني ، و أنّ الألفاظ إنّما وضعت من أجل الوصول إلى معان معيّنة ، فكانت وسيلة لإدراكها ، فالمعنى هو المقصود " .²

لا يتجسّد القصد إلّا باللّغة ، إذ جعلت عليه دليلا ، لأنّ الله تعالى وضع الألفاظ بين عباده تعريفا ودلالة على ما في نفوسهم ، فإذا أراد أحدهم من الآخر شيئا عرف بمراده وما في نفسه بلفظه ، و رتب على تلك الإرادات و المقاصد أحكامها بواسطة الألفاظ و لم يرتب تلك الأحكام على مجرّد ما في النفوس من غير دلالة فعل أو قول ، و لا على مجرد ألفاظ " .³

و لذلك، فهناك من يعتبر أنّ المقاصد هي المعاني نفسها مثل (الشّاطبي) الذي عقد فصلا تحت عنوان " المعاني المقصودة (...) " .⁴

لا يتوقّف الحديث عند الشّاطبي فحسب بل يتجاوزه إلى ابن فارس في كتابه الصّاحي يرى أنّ " المعنى هو القصد والمراد ، يقال : عنيت بالكلام كذا أي :

¹ - عبد الرحمان ابن خلدون : المقدمة ، تحقيق : خليل شحادة ، مراجعة سهيل زكارة ، ط 1 ، 2001 ، ص 799 .

² - وشن دلال ، القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، العدد 6 ، جانفي 2010 ، ص 32 .

³ - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، ص 195 .

⁴ - المرجع نفسه ، ص 198 .

الفصل الرابع _____ تجليات القصصية في مجمع الأمثال

" قصدت و عمدت " ¹.

فهذه المعاني قد تكون مباشرة يفهمها المتلقي مباشرة من الخطاب و قد تكون غير مباشرة تفهم من السياق العام للخطاب .

و لهذا فالقصد بوصفه المعاني ، هو المحور الرئيسي الذي يتجلى في الإستراتيجية التلميحية خصوصا لانجاز أفعال لغوية متعدّدة في سياقات متنوعة ، بخطاب ذي شكل لغوي واحد مثل : خطاب الاستفهام إذ يمكن أن ينجز المرسل به أفعالا كثيرة مثل : فعل الطّلب أو الإخبار ².

إذن فنحن أمام إستراتيجيتين للخطاب بين التّصريح و التّلميح المباشرة و اللامباشرة ، و المقاصد بهذا التّحديد هي معاني للخطاب .

يرتبط القصد بالمرجع العام القائم على التعرف على المستويات اللغوية البانية للنص و المرجع الخاص القائم على فهم العناصر التوجيهية و تأويلها قصد ضبط الوظيفة الاتصالية التي يهدف إليها النص ، و يرتبط القصد بالعلامة عند الاستعمال ، و كذلك بالمكونات البراغماتية التي تشكّل عالم الخطاب و النص ، و تبقى مسألة القصد نسبية باعتبارها تقوم على قدرات القارئ اللسانية و الثقافية و المعرفية ، و لذلك تتعدّد القراءات و تختلف المقاصد وفقها رغم محاولة الضبط المنهجي و المقاربات التحليلية و المدارس النقدية ³.

نفهم من خلال الطرح السابق أنّ القصد مرتبط ارتباطا وثيقا بالمرجع و بالنص على حدّ سواء ، و مرتبط أيضا بالعلامة ، فالنص مؤوّل و قائم على تقاطعات بين المرسل و البنية النصية و متلقي الخطاب ، و لم يعد مجرد بنية نصية مقوقعة على ذاتها كما فعلت من قبل التصورات الشكلانية.

إذ يتوقف فهمنا للخطاب على فهم القصد جيدا من خلال توقف بناءه و هيكلته على طبيعة المعرفة المشتركة بين المتكلم و المتلقي .

¹ - ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة العربية و ماثلها و سنن العرب في كلامها ، ص 144 .

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب (مقارنة لغوية تداولية) ، ص 198 .

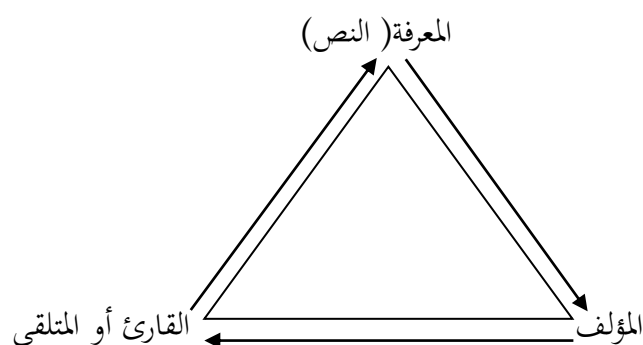
³ - خليفة الميساوي ، المصطلح اللساني و تأسيس المفهوم ، منشورات ضفاف ، المغرب ، الرباط ، ط 1 ، 2013 ، ص 192

الفصل الرابع ————— تجليات القصصية في مجمع الأمثال

2- أنواع القصصية :

من المعارف عليه أنّ أطراف العملية التواصلية أي الأقطاب الثلاثة (المؤلف ، النص ، و القارئ) هم عماد الإستراتيجية النصية ، فالعملية تبدأ من المؤلف باعتباره منتجا للنص ثم النص وصولا إلى القارئ ، هذا ما رأيناه في المناهج النقدية المعاصرة و خاصة ما بعد النيبوية .
فتصورت أنّ لا فرق بين محوري عملية التّخاطب إلّا من حيث الأخذ بزمام المبادرة ، و ذهبت أبحاث أخرى إلى أن تجعل المتكلم لعبة في يد متلقيه " ¹.

هذا ما لاحظناه ضمن الدّراسات الأدبية و النقدية والبلاغية ، يمكننا اعتبار ثلاثية (النص ، المبدع و القارئ) أساس و جوهر العمل الأدبي، و لا يمكننا فهمه إلّا تحت ما يسمى بالمثلث الديدانتيكي الموضّح في المخطط الآتي:



لذلك سنقف في بادئ الأمر على منتج النص (المتكلم) وعلى المادة المعرفية (النص) القابلة للتغيير والتّجديد باعتبارها مخزونا ذهنيا مكثّفا لعدد لا متناهي من التّأويلات والتّخمينات، وعلى القارئ الذي يحاول دوما استنطاق ما لا يقال وتفكيك دلالاته الخفية.

فالقصدية عامل مشترك بين هذه الأقطاب الثلاثة و إستراتيجية مبطنة تستوعب داخلها نوايا المؤلف و فاعلية المتلقي و جبلية النص ، و بالتالي نكون أمام ثلاث قصديات (قصصية المنتج، قصصية النص ، و قصصية القراءة المؤولة " ².

¹ - محمد مفتاح ، دينامية النص ، (نظير و إنجاز) ط 1 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1987 ، ص 46 .

² - محمد بازي ، التاويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص ، الخطابات ، ط 1 ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2010 ، ص 71 .

الفصل الرابع _____ تجليات القصصية في مجمع الأمثال

أ- قصصية المؤلف (المتكلم) :

هو طاقة الإبداع في العملية التخاطبية ، و أهم العناصر الداخلية للنص ، تصلح لصلاحه و تضعف بضعفه ، بحيث يتمكن من توصيل مراده و غاياته المتلقي فهو يجوز :

" إلى جانب مقاصده التواصلية الموضوعية مقصدا تواصليا إجماليا ، يدرك من خلال مجموع بني الخطاب "1 .
فمقاصد المتكلم إذن لا تخرج عن جزئيات و حيثيات النص و ما ينصب فيه ، فالمعاني المختلفة التي يطرحها المؤلف باعتباره الفاعل الأول في العملية التواصلية و دافعها الأساسي لتحقيق قصصية النص هي في حقيقة الأمر حصيلة جزئيات متفاعلة و متحركة داخل نظام و نسق عام متعلق ببنية النص ، و عليه فإن محاولة فهم مقاصد المؤلف تستدعي بناء إستراتيجية إنسيابية خاصة تسمح بخلق مبدأ الاحتمالية الذي ينتج نسج شبكة علاقات فاعلة تقوم على حملة من التخمينات و الافتراضات التي تشكل جوهر المعنى ، و مكن تنشيط الدلالات لأن النص لا يقوم بلا مقصدية واعية "2 .

نفهم من خلال هذا الطرح أنّ المؤلف هو المحرك الأساس للنص لتأدية وظيفة إقناعية حجاجية قصد التأثير في المتلقي و دفعه نحو الاقتناع ، يعد النص إستراتيجية تواصلية و فعلا كلاميا بين طرفين و عملا لغويا ذا بعد حجاجي تواصلية يحتوي على معنى و قصصية ما .

" و الشيء الذي لا شك فيه هو أنّ المتكلمين يؤدون أفعالا قصصية للمعنى توضحها النظرية القصصية حسنا ، و أنّ بنية هذه الأفعال تصورها النظريات الصورية كأحسن ما يكون التصوير "3 .

فالمؤلف لا يكتب نصّه وفق رؤى اعتباطية و زلات هشة ، و إنّما ينسجه وفق معطيات و قواعد دلالية محكمة تمنح للنص زادا لغويا و معنويا ، و تكسبه معاني و دلالات جديدة و الوقوف على مقاصده الخفية ، و من المؤكد أنّ هذه المقاصد تتحرك على مستويات مختلفة من حيث هي إستراتيجية " تسبق بناء النص و تشكيل معناه "4 .

1- آن رويول ، جاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص 206 .

2- عصام شرّح ، الشعر وتأنيث العالم ، قراءة في تجربة الشاعر شوقي بزيع ، ط 1 ، دار الخليج للصحافة و النشر و التوزيع ، الأردن ، 2013 ، ص 84 .

3- إسماعيل صلاح ، النظرية القصصية في المعنى عند جراس (حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية) ، دار المنظومة الكويت ، مجلد 25 ، الرسالة ، 230 ، 2005 ، ص 70 .

4 - Walfang Iser , l'acte de la lecture , théorie de l'effet esthétique , traduit poue evalque scerycer, pierre , 1ère édition , paris ,1985 , p162.

الفصل الرابع ————— تجليات القصصية في مجمع الأمثال

ب- قصصية النص:

من أهم أساسيات القصصية النص باعتباره جزءًا لا يتجزأ من عمودها ، فهو فعل دلالي أو تدللي ذو مقصد و قيمة مرجعية له نمطه اللغوي الخاص به ، و ما يفرضه نمط النص اللغوي و شكله الظاهر قد لا يعبر أحيانا عن مقصدية المرسل ، إذ له من التكتيف الدلالي و المخزون الخفي الباطن ما يتجاوز اللغة الظاهرة ، فيتوجب علينا فهم أحد القاصدين للوصول إلى معاني النص ، من خلال معتقدات و تصوّرات و مرجعيّات المتكلم الفكرية المختلفة و هذا ما عبّر عنه طه عبد الرحمن بالمعرفة المشتركة.

إنّ النصّ عموما ليس عملية وصفية أو سردية حقائق و إنّما هو عملية إنتاج للمعاني ما يجعل منه نظاما متّسقا و كلا متكاملًا في جزئياته اللغوية و الدلالية و عليه يمكننا تعريف القصصية النصية على أنّها الإستراتيجية التي يتّخذها منتج النصّ في استغلال النصوص من أجل متابعة مقاصدهم و تحقيقها.¹

فكل نص هو نتاج تراكمات و مرجعيّات متعدّدة يصعب في الكثير من الأحيان الوصول إلى بواطنها و إدراك مكوناتها الداخليّة لها التي تتعدّد و تتّسع باتّساع الدائرة التأويلية المفتوحة على المغامرة اللانهاية التي تحيط بالنص بالنسبة لحركته و وظيفته.

إنّ النصّ بهذا المعنى و البناء يستطيع أن يجسّد الإسقاطات الذاتية للمؤلف أو المنتج ، فمهما حاول المبدع أن يتملّص من هذه الخاصيّة يجد نفسه مقيدًا في تأويل النصّ بل يصبح ناقدا بالدرجة الأولى ، من خلال فكّ رموز النصّ و شفراته وخلق نوع من الدينامكية و الحركية بين النصّ و المبدع و المتلقي أو ما يعرف بالثالوث الثلاث فهي فعالية تداوليّة ديناميكية على وجه الخصوص و حالة ذهنيّة يصاحبها وعي باطني سابق على التفكير في وسعها أن تتحكّم في الخطاب و في قطبي العملية التواصلية اللذان يحتكمان إلى ميثاق تواصلية مما يؤدي إلى فهم إستراتيجية التخاطب و التفاعل و تحقيق الغاية القصصية المرجوة .

ج- قصصية القارئ أو المتلقي :

لقد اهتمّت القصصية بالقارئ باعتباره طرفًا أساسيًا و جوهريًا في العمليّة التداولية عموما و القصصية على وجه الخصوص ، أدّت استراتيجيات التأويل إلى بروز أسئلة جديدة حول قصصية القارئ المنطلقة من تغيرات التأويل

¹ - الهام أوغزاله علي خليل ، مدخل إلى علم لغة النص ، ط 2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1999 ، ص 157 .

الفصل الرابع _____ تجليات القصصية في مجمع الأمثال

القائم أساسا على قصد المتكلم و النص ، حيث يعتمد القارئ بناءا على قرائن نصية إلى خلخلة ثوابت النص الذي لا يمكنه البقاء خارج حدود التأويل ، و لا نقصد هنا التأويل الذي هدفه استرجاع تجربة المؤلف ، بل الذي يمكنه تجديد النص و زحزحة مساره فهو في النهاية مغامرة في طبقات النص و بين تفاصيله ، تستدعي من القارئ المساهمة في تجديد النص و تخصيب معانيه و محاولة تمثّل فضائه المتداخل و المشتبك وفق آلية تؤمّن إنتاج القصد و تحويله إلى رؤية تقبل إعادة الهندسة¹.

إنّ مهمة المتلقي تكمن في الكشف عن القصد اللامباشر من خلال السياق التفاعلي بين قصد النص و قصد المتلقي ، فالنص بعدّه بنية يملك قابلية التلقي و التأويل يحتاج إلى قارئ يكشفه و يغوص في ثناياه المبطنّة ، من خلال متابعة حركة القصد المنتجة للنص فهناك علاقة تكامل بين العناصر الثلاث .
فهذه الثلاثية (المؤلف ، المتلقي و النص) متعاوضة فيما بينها مثل شبكة العنكبوت لا يمكن أن نفهم النص بدون وجود منتج له و متلقي يقوم بكشف مكوناته الداخليّة و إسقاطها على النصّ .

3- القصصية و أفعال الكلام :

يعدّ القصد أساس العمليّة التداولية و جوهرها فلا يمكننا أن نفصل بينهما باعتبارهما أساس العمليّة التخاطبية للوصول إلى الغاية المرجوة الإقناع و التأثير فلا وجود لتداوليات دون مقاصد و العكس صحيح هذا ما دفعنا إلى التطرق إلى هذا العنصر بالتحديد لأهميته .

إذ تحتل القصصية مركزا متقدّما في الدّراسات التداولية الحديثة بعدها مفهوما مفتاحيا لا يمكن الاستغناء عنها في أي تحليل تداولي فهذا المفهوم بحاجة ماسة إلى الاستجلاء و المعاينة وتحديد موقعه في خريطة الدّرس التداولي لذا ذهب فلاسفة التداولية إلى أنه يجب التّراجع عن دراسة بنية اللّغة إلى دراستها على أنّها أفعال قصصية: لأن المتكلم يريد تحقيق ما يسعى إليه من خلالها ، أي أنّه بكلامه يقصد شيئا ، و عندما يتعرف القارئ و السّامع على هذا

¹ - وسام مرزوقي ، فونال فضيلة ، القصصية و أثرها في توجيه الخطاب الشعري ، مجلة إشكالات في اللغة و الأدب ، العدد 1 ، تمنغاست ، الجزائر ، 2019 ، ص 178

الفصل الرابع _____ تجليات القصديّة في مجمع الأمثال

الشيء يكونان قد توصلنا إلى فهم اللّغة فالمفردات المجرّدة من القصد مجرد لغو ، لأنّ القيمة الفعلية للغة تظهر في قصديتها¹.

و ظهر هذا المفهوم بداية على يد فيلسوف اللّغة الظاهرية أدوموند هوسرل (Edmund husser) الذي عدّ القصديّة صفة أساسية لكلّ شعور ، و الفكرة الرّئيسية التي تبناها هوسرل هي أنّ " كلّ وعي هو وعي بشيء أو موضوع ما "².

أي أنّ عبارة القصد عبارة عن العلاقة التي تربط الوعي بموضوع ما.

و هذا المفهوم استفاد منه فلاسفة أكسفورد ليبينوا على أساس نظرياتهم اللّغوية كمنظريّة أفعال الكلام عند مؤسسها المعروف أوستين (Austin) و سيرل (Searle) ، و نظرية الاستلزام الحواري عند غرايس (Grice). و لعل نظرية أفعال الكلام لها نصيب كبير في ارتباطها بالمقاصد في ممارسة العملية الإبداعية إذ ربطت الحدث بالقوّة الانجازية و الفعل اللّغوي و تأثيراته و علاقاته بمقاصد الكلام فالفعل الكلامي هو عبارة عن حدث مؤثّر له بعد و غاية قصديّة التي " لا يمكنها أن تعلن دون تدخّل عنصر القصد "³ و هذا هو مغزى نظرية الأفعال الكلامية.

و الدليل على ذلك ما قدمه أوستين في نظرية أفعال الكلام إذ يركّز على فكرة التّمييز بين ثلاثة أفعال أساسية من خلال القصد ، فالفعل الكلامي من منظوره الشّخصي هو الكلام المنتظم في تركيب نحوي سليم ، و المحمل مقاصد معينة في سياق محدد و هذه الأفعال الثّلاث هي كالآتي :

- 1- فعل الكلام : يقصد تبليغ الرسالة عبر التّطق السّليم بالحروف التي تمثّل المعنى اللّغوي الصحيح.
- 2- فعل الانجاز : يقصد انجاز فعل بواسطة القول و هو الحدث الذي يقصده المتكلّم من الجملة.
- 3- فعل التّأثير : يقصد التّأثير العملي على المتلقي كالإقناع و الإغراء و التّضليل و التّحذير.⁴

¹- عز العرب ، الحكيم بناني ، الظاهرية و فلسفة اللّغة ، تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية ، المغرب ، افريقيا الشرق ، (د ، ط) ، 2003 ص 22 .

²- سعيد توفيق ، الخبرة الجمالية (دراسة في فلسفة الجمال الظاهرية) ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ط 1 ، 1992 ، ص 30 .

³- بول ريكو ، التواصل و الخطاب ، تر : عز الدين الخطابي ، مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث ، البحرين ، 2017 ، ص 19 .

⁴- وشن دلال ، القصديّة في الموروث اللساني العربي (دراسة في الأسس النظرية و الإجرائية للبلاغة العربية) ، رسالة دكتوراه ، جامعة محمد خيرصر ، بسكرة ، 2015-2016 ، ص 96

الفصل الرابع _____ تجليات القصدية في مجمع الأمثال

و من جملة ما اتفق عليه " أوستين " مع تلميذه " سيرل " أنّ مفهوم القصد يعدّ وسيلة للتفرقة بين الفعلين الإنجازي و الكلامي فهو يقدّم لنا معيارا جيّدا لتميز الفعل الإنجازي عن الفعل الكلامي : لأنّه ما نفعله بقولنا لشيء ما ، يختلف عمّا نفعله انطلاقا من قولنا له : لأنّ الفعل الإنجازي يقتضي عمليّة المعرفة من جديد ، بينما يرتبط الفعل الكلامي فقط بخطاطة المنبر والاستجابة الواردة بعلم النفس السلوكي و من خلال هذه الملاحظة تزداد الروابط مكانة بين نظرية المقاصد و نظرية أفعال الكلام .¹

نفهم من خلال هذا القول أنّ الفعل الكلامي مرتبط بالقصدية من خلال تعبير المتكلم حين ينطق أفعالا كلامية حين يتلفظ بالفعل الكلامي ، في حين الفعل الإنجازي يقتضي عملية من جديد فهو مرتبط بالقصد التّواصلي الذي بني عليه الغرض الذي يريد المتكلم من المتلقّي انجازه .

في حين سيرل ربط القصد بمفهوم المعنى " لأن المعنى برأيه ليس حصيلة فردية فحسب ، و إنّما نتيجة للممارسات الاجتماعية أيضا " ² ، لذا ذهب إلى أنّ القصد هو مفتاح فهم المعنى ، فهو يمثّل فكر المتكلم عن طريق الكلمات و الجمل و العلامات و الرّموز التي لا تنطوي على معنى لغوي مجرّد ، بل على معنى يقصده المتكلم ³ إذ فرّق بين القصد و المقصدية على الشكل الآتي :

3-1- القصد:

هو ما كان وراءه وعي ، و هو شرط أساسي و خاص لعملية التّواصل اللّساني ، فصوت خفيف الشجر و بقعة اللّون على الورق لا يمكن أن تعدّ نموذجا للأعمال اللّغوية ، لأنّهما لم ينجما عن سلوك لغوي قصدي .⁴

3-2- المقصدية:

هي التي تجمع بين الوعي و اللاوعي معا، وعرفها بأنّها : " هي تلك الخاصيّة للكثير من الحالات و الحوادث العقلية التي تتّجه عن طريقها إلى الأشياء ، أو الأمور التي تدور حولها أو تعلق بها ، فتظنّ ظواهر عقلية كثيرة ، كالحبّ و الخوف و الأمل و الرّغبة و غيرها " .⁵

¹ - بول ريكو ، التواصل و الخطاب ، ص 21 .

² - John searl , consciousness and language , p155 .

³ - جون سيرل ، العقل و اللغة و المجتمع الفلسفة في العالم الواقعي ، ص 207 - 208 .

⁴ - المرجع نفسه ، ص 39.

⁵ - دلال وشن ، القصدية من فلسفة العقل الى فلسفة اللغة ، ص 05 .

الفصل الرابع ————— تجليات القصدية في مجمع الأمثال

و الحالات العقلية التي سبق ذكرها في التعريف يرى سيرل أنّها قد تكون مقصودة بيد أنّ هناك حالات قد لا تكون مقصودة مثل (الاكتئاب و الغضب ... الخ) ، لأنّ الرغبات و المعتقدات يجب أن تكون حول شيء موجود ، بينما الغضب و الاكتئاب قد لا يكونان دائما حول شيء معين ، و أكدّ "سيرل" أن بعض الحالات و الحوادث العقلية و ليس جميعها تملك مقصدية ، فاعتقادي و رغباتي لا بد أن تكون دائما حول شيء ما و لكن عصبتي و قلقي لا يكون بهذه الطريقة حول شيء ما ، فما كان منها موحيا فهو ذا قصد و ما لم يكن موحيا فلا يملك مقصدية أبدا " ¹.

و قسم "سيرل" فيما بعد المقصدية إلى قسمين (لغوية - غير لغوية) ، و المقصدية غير اللغوية هي التي تضمّ المشاعر و الأحاسيس و هلم جرا ، أما المقصدية اللغوية فهي المتحكّمة بتحديد أشكال الأفعال الكلامية و معانيها" ².

و على هذا الأساس يكون القصد صورة جزئية من المقصدية و المتمثل في الجانب اللغوي منها. و ليوضح المقصدية اللغوية فرق بين نوعين منها هما : مقصدية الدلالة و مقصدية اللفظ و ذلك على النحو الآتي:

أ- مقصدية اللفظ:

و هي صفة العقل تمكنه من التوجه نحو الأشياء و الحالات الواقعة في العالم الخارجي.

ب- مقصدية الدلالة:

و هي صفة تخصّ الجمل و القضايا و الموجودات اللغوية المعينة" ³. و لقد اتخذ سيرل من مفهوم القصد وسيلة للتفرقة بين الأفعال الإنجازية و التأثيرية فذهب إلى أنّ الأفعال الإنجازية قصدية في جوهرها فهي إما أن تعطي وعدا أو تصدر حكما ، أو توصل خيرا ... الخ بينما الأفعال التأثيرية قد تكون قصدية و قد لا تكون" ⁴.

¹- صلاح اسماعيل ، فلسفة العقل ، دراسة في فلسفة سيرل ، ص 193 .

²- محمد مفتاح ، تحليل النص الشعري (إستراتيجية التناص) ، ص 165 .

³- المرجع نفسه ، ص 166 .

⁴- جون سيرل ، العقل و اللغة و المجتمع ، الفلسفة في العالم الواقعي ، ص 103 .

الفصل الرابع ————— تجليات القصديّة في مجمع الأمثال

كما أشار إلى أنّ المتكلّم يمكنه التّعبير عن مقاصده من الأفعال الإنجازية عبر الوسائل اللّغوية المختلفة مثل (التنغيم، و ترتيب الكلمات و الجمل ، و صيغة الفعل ، و علامات التّقييم ، و الأفعال الأدائية) ، كما أكّد سيرل في ظل تفرّقه بين الأفعال القضيوية و الانجازية، أنّ الأفعال الكلامية قد تحتوي على مقاصد مختلفة بيد أنّها قد تشترك في نفس الموضوع كما في الجمل الآتية (أعتقد أنّك تحب المساعدة ، أشعر أنّك تحب المساعدة ، أمل أنّك تحب المساعدة) ، فهذه الجمل وردت بأنماط و أشكال نفسية متباينة تمثّلت في (الاعتقاد ، و الشّعور و الأمل) في حين أنّها تحمل القصد نفسه (و هو حبّ المساعدة) ، و هذا ما يعرف في نظرية أفعال الكلام بالمحتوى القضيوي و القوى الانجازية " ¹.

نفهم من خلال هذه الأقوال أنّ الفعل التّأثيري مرتبط بالقارئ أو المرسل إليه في حين الفعل الإنجازي مرتبط بالمتكلّم إلى جانب ما ينطوي عليه من مقاصد كلامية فهو يسعى جاهدا لإيصال الفكرة للمتلقّي و التّأثير فيه و إقناعه و هذا من صميم الدّرس التداولي عبر سلسلة من المعارف المشتركة بينهما أو ما تعرف بالمعرفة التداولية : " و هي جملة من الاعتقادات و التّصورات و التّفويحات عن الدّات و التّغير و الأشياء و المعاني ، و التي يشترك فيها المتكلّم و المخاطب مع جمهور النّاطقين " ² و هي أربعة أقسام :

1- معرفة لغوية : ترتبط بالدلالات المصرح بها للعبارات اللّغوية ، و التي يكون بمقدور كل واحد منا استنتاجها.

2- معرفة ثقافية : ترتبط بالمعلومات المرتبطة بالعالم الخارجي ، و التي يتمكّن كل متكلّم من تحصيلها و استعمالها.

3- معرفة عملية : ترتبط بكل ما يصاحب العبارات من أدوار عملية تجعل بعضها لازما عن بعض ، فإذا قال القتال : قام زيد للصّلاة ، فإنّ هذا القول يفيد أنّ المتكلّم و المستمع يشتركان في إدراك أنّ زيدا قد توجّأ و أنّه قد نوى الصّلاة.

4- معرفة حوارية : هذه المعرفة ترتبط بكل معرفة تعلقت سواء بمقتضيات الكلام أم بما سبق من مخاطبات بين المتحاورين في المقام نفسه أم في غيره عن مقامات الكلام. ³

¹ - جون سيرل ، العقل و اللغة و المجتمع ، الفلسفة في العالم الواقعي ، ص 135 .

² - طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، ص 152 .

³ - المرجع نفسه ، ص 152 .

الفصل الرابع ————— تجليات القصدية في مجمع الأمثال

أكد سيرل في نهاية كتابه (اللغة ، العقل ، و المجتمع)¹ إلى أنّ التوصل إلى صور لأفعال الإنجازية الخمسة تتم عبر نقطة تمريرية تتمثل في الحالة القصدية المعبر عنها بواسطة أداء الفعل الكلامي ، فإذا وعد المتكلم مثلا بمجيء الحفلة ، فإنه من الضروري أن ينوي صدق المجيء إلى الحفلة.

و هذا يعني أنّ المتكلم يمرر حالة من القصدية تتمثل في صدق المحتوى القضوي للفعل الكلامي ، و الذي ينبنى عليه تحديد نوع الفعل الإنجازي و هو الوعد كما في المثال السابق ، و عليه فالقصد في النظرية التداولية يعتمد على نوعين من المقاصد هما :

أ - القصد الإخباري :

الذي يكمن في رغبة المتكلم في إظهار مجموع ما يصطنع عليه المخاطب.

ب - القصد التبليغي :

و هو أن يعلن المتكلم صدقه الإخباري.²

أما الفيلسوف اللغوي بول غرايس فحاول تقديم القصد بمنظور أكثر عمقا و تحليلا من أوستين (Austin) و تلميذه سيرل (Searle) فاقترح رؤية جديدة تقوم على مبدأ التعاون لكل من طرفي الخطاب (مرسل و مرسل إليه) و فحواه وجود تعاون كلي بين المتكلمين لتسهيل عملية التواصل الكلامي من أجل بلوغ القصد و يضم (مبدأ التعاون) إستراتيجية خاصة لا بد أن يحتكم إليها المتلقي في فهم قصد المرسل ، و حديث غرايس عن القصد و المقاصد كان أثناء دراسته للدلالات الطبيعية و غير الطبيعية و هي على الشكل الآتي :

1- الدلالات الطبيعية:

و هي كل حدث سواء أكان لغويا أم غير لغوي ، و هو إما أن يكون محتويا على نية الدلالة أولا ، فتراكم الغمام يدل على أنّ السماء قد تمطر، واحمرار وجنتي العذراء يدل على خجلها ، و هذان الحدثان لهما دلالة و لكن ليس وراءهما قصد ، إما قول (اقرأ وأغلق الباب) للمتلقي فيتحمم فيها القصد.³

¹ - جون سيرل ، العقل و اللغة و المجتمع الفلسفة في العالم الواقعي ، ص 104-105 .

² - احمد كروم ، مقاصد اللغة و أثرها في فهم الخطاب الشرعي ، دار كنوز المعرفة ، الأردن ، (د ، ط) ، 2015 ، ص 158 .

³ - محمد مفتاح ، تحليل النص الشعري إستراتيجية التناص ، ص 164 .

الفصل الرابع ————— تجليات القصديّة في مجمع الأمثال

2- الدلالات غير الطبيعية:

و هي النيات التي تدفعنا إلى تكوين جملة أو قول ما . فهو يرى أنّ القائل ينوي و هو يتلقّظ بالجملة إيقاع التأثير في المستمع ليفهم قصده من الخطاب ، و هذه المقاصد ليست في الواقع صريحة بين أطراف التّواصل و التّبادل ، و إنّما هي عبارة عن عناصر خفيّة ، تظهر في شكل اتفاق ضمّني بين المتخاطبين الّذين يعملون على عمليّة التّواصل الجيّد بموجب الاستنتاجات الذكيّة .¹ و العمليّة التّواصلية تتطلّب وجود ركنين أساسيين هما (المتكلّم والمتلقّي) فهما اللّذان يحدّدان المقاصد و التي تتمثّل عند غرايس في ثلاثة أنواع هي :

1- أوليّة : تتمثّل في المعتقدات و الرّغبات الّتي تكون عند المتكلّم.

2- ثانوية : تتمثّل فيما يعرفه المتلقّي من مقاصد المتكلّم.

3- ثلاثية : تتمثّل في هدف المتكلّم الذي يتجلى في أن يجعل المتلقّي يعترف بأنّه يريد منه جوابا ملائما .²

و (من) لكن هذا التّواصل القصدي المثالي لا يكون بصورة دائمة في عملية التّواصل اللّغوي و ذلك يرجع لعدّة عوامل ذكرها الشهري بشكل متفرّق أثناء حديثه عن القصد ، و هي كما يلي :

1- أن يقصد المتكلّم غرضا معينا و لكن المتكلّم لا يفهمه مثل : أن تقول الأم لطفلها الّذي يلعب حافي القدمين (أين حذاءك) فقصد الأم هو : (لماذا لم تلبس حذاءك؟) ، في حين أنّ جواب الطّفل على سؤال أمّه قد يتنوع مثل (في الخزانة ، لا أحب أن البسه) و ذلك حسب تأويله للسؤال.

2- أن تتعدّد معاني الخطاب الواحد بناء على قصد المتكلّم ، ليحمل بذلك أكثر من تأويل قصدي مثل قول المتكلّم (الأسعار خرافية) ، فهذا الخطاب قد يدلّ على أنّ الأسعار رخيصة ، فيكون التّريغيب في الشّراء هو قصد المتكلّم.

و قد يكون قصد المتكلّم أنّ الأسعار غاليّة فيكون المعنى هو عدم التّريغيب في الشّراء.

3- أن يتركب القصد من درجات بعضها أقوى من بعض، و المتكلّم قد يفصح عن قصده بإحدى الدرجات ليصبح بعضها أوضح من بعض ، فعندما يسأل المتكلّم (هل تحب أن تشتري سيّارة؟) ، فيكون جواب المتلقّي

¹ - حفناوي بعلي ، الشعريات و التداوليات (مقارنة في المفاهيم و الأقاليم و جماليات التلقّي) ، مجلة التبيين ، العدد 23 ، 2004 ، ص 57.

² - محمد مفتاح : تحليل النص الشعري إستراتيجية التناص ، ص 164 .

الفصل الرابع ————— تجليات القصدية في مجمع الأمثال

متفاوتا حسب رغبته في ذلك : (نعم بالتأكيد / سوف افعل - نعم - لا اعتقد ذلك . لا / لن افعل / لا بد ، لن افعل) فقصد المتكلم واضح جدا في إجابته الأولى و الأخيرة ، و اللتين تمثلان أقوى درجات القبول أو الرفض ، أما الإجابات الباقية فهي متدرجة في القصد بينهما.

4- أن يتحد القصد مع تعدد الخطابات التي ينتجها المتكلم للتعبير عنه ، و التي قد تختلف مع دلالة اللغة المنطقية أو تتفق معها كما في الخطاب : (أتذهب معي لتشاهد المباراة في الملعب ؟) فقد يجيب المتلقي بالرفض و لكن بأساليب خطابية مختلفة قد لا يفهمها المتلقي : (الجو بارد لدى ارتباط مسبق ، مشاهدة التلفاز أكثر راحة ... الخ).

5- أن يتغافل المتلقي عن مقاصد المتكلم ، و كأنه لم يفهمها بالرغم من أنها واضحة ، فعندما يقول الأستاذ لتلامذته ستنتهي المحاضرة عندما يكون عقرب الساعة الطويل على الرقم أحد عشر، و العقرب القصير على الرقم عشرة ، فالواضح أن قصد المتكلم هو أن المحاضرة ستنتهي عند الساعة العاشرة إلا خمس دقائق كما هو معروف لدى طرفي الخطاب ، إلا أن المتلقي رغم إدراكه لقصد المتكلم قد يستثمر الخطاب بمقاصد أخرى كالطرفة مثلا فيقول (ساعتي لا يوجد بها عقارب - لا توجد لدي ساعة : لأن عقاربها لدغني و هكذا).¹

من بين ما اشتهر به غرايس (Grice) هو القصد الذي طبقه على أفعال الكلام و ركّز فيه على مقاصد المتكلمين و يتخذ الصورة الآتية :

إنّ قول القائل لا يمكن أن يفيد شيئا إلا إذا قصد القائل الأمور الثلاثة الآتية :

1- أن يدفع قول المتكلم المتلقي النهوض بالجواب.

2- أن يتعرف المتلقي إلى القصد الذي يريده المرسل.

3- أن يكون نهوض المتلقي بالجواب مستندا إلى تعرفه على قصد المتكلم.²

إنّ ما قدمه غرايس (Grice) كان محل نقد العديد من الباحثين في مقدمتهم سيرل (Searle) الذي رفض الرأي المقترح أن قول شيء ما يكون لنية نهوض المتلقي بالجواب ، إذ صوّبه بأنه أمر يتعلّق بقصد إنجاز عمل متضمّن في القول و ذلك راجع لعدة أسباب نذكر بعضها منها :

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، ص 260 - 265 .

² - طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، ص 45 .

الفصل الرابع ————— تجليات القصدية في مجمع الأمثال

1- انه من المستحيل أن يكون التأثير المقصود مرتبط بالأقوال الحرفية، لأنّ عددا كبيرا من الجمل المستعملة لإنجاز الأعمال المضمنة في القول ليس لها أي تأثير بالقول فمثلا قول التحية : (هلا) ، لا تستدعي أي حدث أو حالة من قبل المتلقي ، عدا معرفته انه يلقي التحية ، و ليس لها أي تأثير أو ردة فعل إضافية.

2- إنّه بإمكان المتكلم قول شيء دون أن يقصد فعليا إحداث أي تأثير في المتلقي ، فقد يصوغ مثلا إثباتا و هو غير مبال بما إذا كان المتلقي مصدقا له أو غير مصدق ، لأنّ المتكلم قد يكون فعل ذلك مجرد أنّه شعر أنّ من واجبه فعل ذلك.

3- أنه حين يخاطب المتكلم أحدهم يقصد أخباره مثلا ، فإنه لا يتوقّع في العموم أن سبب تصديق المتلقي للخبر هو قصد المتكلم على حمله على التصديق.¹

هذا لا ينفي من استفادة جون سيرل (John Searl) من الآليات اللغوية التي تبناها غرايس من خلال إثارته " إشكالية القصد في التخاطب انطلاقا من تمييزه بين اختلاف المعنى في التخاطب الإنساني العادي ، و المعنى الدقيق المتعلّق بشروط صدق الكلام ، و في إطار التمييز حاول شرح الاختلاف الجوهرى بين (ما يقال) و (ما يقصد).²

و صفوة القول أنّ فهم مقاصد الكلام عبر تداولية أفعال الكلام يكمن في المفاهيم الثلاثة التالية³:

1- مفهوم القوة الإنجازية : و هو القصد الذي ينويه المتكلم أو يستلزمه خطابه مقاميا من خلال عملية الانجاز الحرفي أو الاستلزامي للكلام ، فمحدّدات الأعمال الإنجازية شكلا و وظيفة و تأويلا تتم عبر مؤشّرات القول و هما : القصد و الاستعمال.

2- مفهوم الملائمة : و هو إجراء يتحكم في الفعل الكلامي في صورته الإنجازية بحيث يعبر بالملائمة عن أغراض الخطاب القصدية ، و ذلك بواسطة التعبير عن الأفعال الإنجازية بالطريقة الملائمة مع العالم و الواقع ، أي أنّ نخرج الأفعال الكلامية من حيز العدم إلى الوجود حسب أوضاع الملائمة ، حتى تمتلك أثرها و مقاصدها في الواقع بالشكل المناسب.

¹ - جون سيرل ، الأعمال اللغوية ، بحث في فلسفة اللغة ، ترجمة : أميرة غنيم ، تونس ، دار سينا تر : (د ، ط) ، 2015 ، ص 86 - 87 - 88 .

² - أحمد كروم ، مقاصد اللغة و أثرها في فهم الخطاب الشرعي ، ص 156 .

³ - المرجع نفسه ، ص 135 - 136

الفصل الرابع _____ تجليات القصيدة في مجمع الأمثال

3- مفهوم تعدد الأثر الكلامي: وهو يعني أنّ الفعل الكلامي يحمل عدة انجازات ، و عليه فقد يجتمع في الجملة الواحدة أكثر من غرض أنجزي ، و تتنوع هذه الانجازات بحسب الدلالة القصيدة الانجازية ، و لهذا استدرك سيرل على أستاذه أوستين (الفعل القضوي) لأنه يعبر عن القضية المشتركة بين المخاطبين ، إذ يرى بأنّ الغرض الإنجزي ليس واحدا و أنّه قد يتعدد و يتنوع في القضية الواحدة.¹

4- علاقة الملفوظ بالقصد :

هناك علاقة وطيدة تجمع بين الملفوظ و القصد في خطاب المرسل أو المتكلم من إحدى الحالتين و هما :

4-1- الحالة الأولى :

أن يبدع دلالاته على القصد بتوليدها لغويا ، فيستعمل آليات معينة مثل المجاز بأنواعه ، إذ لا يحد قدرته أي حدّ، لأنه يتكأ على السمات الدلالية في المعجم الذّهني المشترك بينه و بين المرسل إليه لإيجاد العلاقة بين الملفوظ و القصد.

4-2- الحالة الثانية :

أن يستعمل القوالب اللغوية المأثورة مثل : التعبيرات الاصطلاحية المحفوظة عنده بشكلها اللغوي و معناها ، إذ أنّ لها معنى قارا في ذهنه و في ذهن المرسل إليه ، و يتفق معناها مع قصده ، و بهذا فهو يستعيز عن التصريح بالتلميح إلى ذلك المعنى ، و يبدو أن الحالة الأولى هي الأكثر دورانا لكثرة الآليات اللغوية المتاحة لأدائها ، و من ناحية أخرى فقد يتضمن الخطاب مؤشرا أو منبها يدل على قصد المرسل ، كما يدل على السبب الذي منع المرسل من استعمال الإستراتيجية المباشرة و قد يكون ذلك بأدوات لغوية مثل :

لو سمحت ، أريد أن أكمل حديثي.

فالعبرة : (لو سمحت) هي بمثابة المنبه الذي يدل على القصد.²

نفهم من خلال هذا العرض ارتباط الملفوظ بدلالات لغوية و مجازية لتحقيق الغاية المقصودة (القصد) على وجه التحديد أو ما يعرف بالتلميح كآليات كثيرة مثل (آليّة التعريض ، المجاز و أنواعه ... الخ).

¹ - أحمد كروم ، مقاصد اللغة و أثرها في فهم الخطاب الشرعي ، ص 138 - 139 .

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب (مقارنة لغوية تداولية) ، ص 381 .

5- أهمية المقاصد :

لقد عرّف الباحثون أهمية المقاصد في الخطاب ، فلا يمكننا الاستغناء عنها ، و بات العلم بمعرفتها ضرورة أساسية لتكوين الخطاب و تحقيق أغراضه التداولية ، و كذا بلوغ المرسل غايته من خلال إيصال مراده إلى المرسل إليه أو المتلقي ، فعليه فوجود أي تواصل يستدعي وجود قصدية أو مقاصد معينة تتجه عن هذا الفعل التواصلية ، انطلاقاً من أنّ المقاصد هي جوهر العملية التخاطبية، ذلك أنّ " لا وجود لأي تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصدية وراء فعل التواصل و دون وجود إبداع أو على الأقل دون وجود توليف للعلامات " ¹ . و عليه فإن غاية قصد المرسل هي إفهام المرسل إليه ، و يشترط ليعبر المرسل عن القصد الذي يوصل إليه أن يمتلك اللّغة في مستوياتها المعروفة و منها المستوى الدلالي ، و ذلك بمعرفته بالعلاقة بين الدوال و المدلولات ، و كذلك بمعرفته بقواعد تركيبها و سياقات استعمالها و على الإجمال معرفته بالمواضع التي تنظّم إنتاج الخطاب بها. ²

و على هذا الأساس نرى المرسل إليه في مواجهته لخطاب ما أنّه مجبر على ضرورة الوصول إلى المقاصد المرجوة منه حتى يتحقق الفعل التأويلي للخطاب.

من هنا يتضح ضرورة ارتباط القصد بالعلامة عند الاستعمال ، أيّا كان نوعها لينجح المرسل في خطابه ³ . و على هذا النحو يجدر بنا التذكير بفحوى و مغزى ما يدعو إليه أصحاب النظرية القصدية في التأويل إلى أنّ : "معرفة الدلالة تعدّ من قبيل المحال أن لم نرجع كما يقول " ستراوسون " إلى " ما ينويه المتكلمون من مقاصد معقدة موجهة نحو مستمعهم ، فالدلالة الخاصة للألفاظ العبارات تتعلق من دون شك بالقواعد و التوافقات المتواضع عليها تعلقاً كبيراً ، غير أنّ الطبيعة العامة لمثل هذه القواعد و التوافقات لا يمكن أن تفهم آخر الأمر إلاّ بالرجوع إلى مصطلح قصدية التواصل " ⁴ .

و لأنّ قانون القصد في المواضع أو التوافقات كما أشار إليها "ستراوسون" يسري على مستوى اللّغة الطبيعية فإنّه يسري أيضاً على العلامات الأخرى ، فالقصد يضطلع بدوره في تصنيف هذه العلامات ذات الدلالات الطبيعية و العلامات ذات الدلالة المقصودة ، و هو ما يصنّفه "جرايس" إلى المعنى الطبيعي و المعنى غير الطبيعي

¹ - جيرار دولودال ، التحليل السيميوطيقي للنص الشعري ، ترجمة : عبد الرحمن بوعلي ، مطبعة المعارف الجديدة ، ط 1 ، 1994 ، ص 25 .

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب (مقارنة لغوية تداولية) ، ص 183 .

³ - المرجع نفسه ، ص 185 .

⁴ - إدريس مقبول ، في تداوليات القصد ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) ، نابلس ، فلسطين ، مج28 ، ط05 ، 2014 ، ص1210

الفصل الرابع ————— تجليات القصدية في مجمع الأمثال

إجمالاً ، فالعلامات ذات المعنى الطبيعي ، رغم كونها تحمل معنى إلا أنّ القصد لا يتدخل في تحديده مثل : علامة الدخان التي تدل على وجود النار ، و البثور الحمراء التي تنتشر على الجلد فتدلّ على مرض الحصبة .

إذ لا يوجد هنا خطاب يتطلب مرسلًا وهذه العلامات هي ما اصطلح بعض السينمائيين على تسميتها بالمؤشر (index) ، و هناك صنف من العلامات لا يتحدد معناها إلا من خلال قصد المرسل مثل الرمز (Symbol) ، لذلك يذهب أنصار سيميائ التواصل إلى أنّ العلامة تتكوّن من وحدة ثلاثية المبنى ، و هذا ما يجعل معنى الخطاب يتعدد بتعدد السياقات التي ينتج فيها.¹

و تتجلى أيضا أهمية المقاصد من خلال ارتباطها بلغة الخطاب كون القصد معيارا في تصنيف العلامة ، و كذا لبّ العملية التواصلية ، و يتدخل القصد بوصفه معيارا في صلب تصنيف العلامة فينقلها من صنف إلى صنف آخر ، كما ينقلها من حيز الخلو من المعنى فتصبح ذات معنى ... و من ناحية أخرى فان للقصد دور في معرفة المعنى ، و هذا ما اشتهر عند علماء الأصول . و هذا ما يجعلنا نتجاوز أمر الاعتداد بالمقاصد من مجرد النظر إليها على أنّها تابع إلى اعتبارها هي الأساس في الخطاب.²

و نظرا لأهمية المقاصد فإنّ " سيرل " يرى أنّ لها أطرا معينة في ذهن المرسل يهدف منها إفهام المرسل إليه - المتلقي - و يتم توصيل القصد بين الطرفين عن طريق مراعاة اللغة في مستوياتها المعروفة و منها المستوى الدلالي ، و ذلك بمعرفة العلاقة بين الدوال و المدلولات ، و كذا بمعرفته بقواعد تركيبها و سياقات استعمالها و على الإجمال معرفته بالمواضع التي تنظم إنتاج الخطاب بها.³

و للقصد دور في تفنيد مسارات النقاش و الحجاج شرط أن يكون المرسل إليه قد فهمه كما يعينه المرسل ، حيث يجب عليه أن لا يتكلم على المقصود من كلامه و لا يتعرض لها كما لا يقصده مما يجري خلاله . فان الكلام على ما لم يقصده عدول عن الغرض المطلوب . إذ ينبغي على القصد المستلزم من الخطاب السابق مما يأتي بعده ، فيصبح هو أساس الخطاب التالي بين الطرفين و بالتالي فانه يتحتم اعتباره في مسار الحوار في إستراتيجية الإقناع مثلا أو في أي خطاب تناظري أو جدلي ، و تتبع أهمية فهمه من أنّه دون القصد لا يدرك المرسل إليه المعلومات على أنّها إشارة من لدن المرسل ، بل هي مؤشر.⁴

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب (مقارنة لغوية تداولية) ، ص 185 .

2- المرجع نفسه ، ص 186 .

3- المرجع نفسه ، ص 183 .

4- المرجع نفسه ، ص 187 .

الفصل الرابع _____ تجليات القصدية في مجمع الأمثال

و إذا كانت التداولية تهتم بدراسة اللغة في الاستعمال ، و هذا الاستعمال مرتبط بالتعبير عن المقاصد ، فالتداولية هي " دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم " .¹

مما يعني أنّ دراسة الخطاب هي الكشف عن خباياه حيث أنّ " التلّفظ بالخطاب ليس عملية تصويت فحسب فلا يمكن الحكم بوجود التلّفظ إلاّ بتوفر قصد المرسل و ذلك بتجاوز مجرد النطق بأصوات فقط " .²

مما يعني أنّ استعمال المتكلم بلغة بهدف التعبير عن الرغبات و التواصل مع غيره " و قد جعلت اللغة ترجمانا عما في الضمائر من تلك المقاصد فهي في المتعارف عبارة المتكلم عن مقصوده " .³

المقاصد عماد العملية التواصلية ، فلا تواصل دونها ، أي " لا كلام إلاّ مع وجود القصد " .⁴

و نفس الكلام عبّر عنه ابن خلدون في مقدمته بقوله :

" اعلم أنّ اللّغة في المتعارف عليه ، هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، و تلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام " .⁵

فمن المتعارف عليه أنّ اللّغة بوصفها ظاهرة اجتماعية أساس لبّها وجود تفاعل و تعاضد بين المتخاطبين ، و هذا ما تهدف إليه القصدية عموما لتحقيق النفع و الإفادة ، و التأثير ، و تحقيق الفهم و الإفهام .

"لأنّ مدار الأمر و الغاية التي إليها القائل و السّامع إنّما هو الفهم و الإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام أوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع " .⁶

و نوضّحها كما يلي :

¹ - جورج بول ، التداولية ، تر : قصي العتاي ، دار الأمان ، الرباط ، المغرب ، د.ط ، 2010 ، ص 19 .

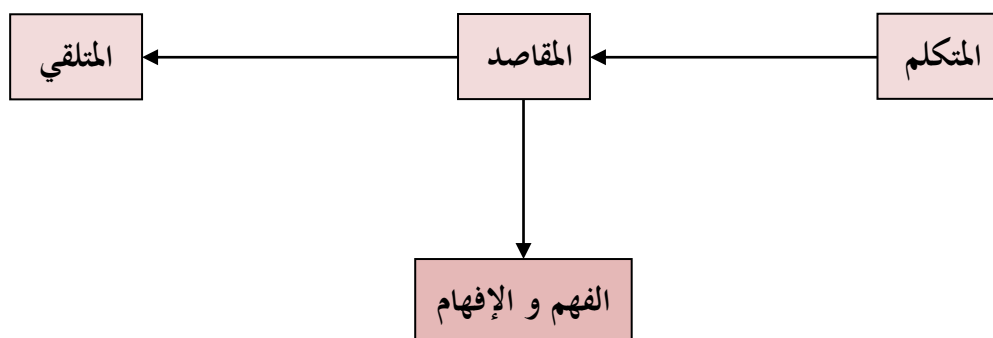
² - طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، ص 119 .

³ - المرجع نفسه ، ص 119 .

⁴ - المرجع نفسه ، ص 103 .

⁵ - عبد الرحمن خلدون ، المقدمة ، ص 753 .

⁶ - مصطفى ناصف ، محاورات مع الفكر العربي ، سلسلة عالم المعرفة ، د.ط ، 1997 ، ص 112 .



و جوهر ما ترمي إليه القصدية " الفهم و الإفهام " إذ : " تتجلى القصدية بالخصوص في الرّبط بين التّراكيب اللّغوية و مراعاة غرض المتكلم و المقصد العامّ من الخطاب ، و في شبكة مفاهيمية مستوفية للبعد التداولي للغة ، إذ هي المسلّمة الأساسية التي تحدّد شروط الحق في الكلام و الانخراط في أيّ مشروع تواصل لغوي " ¹ .

فالمقاصد هنا مرتبطة بعملية تغيير دلالات الألفاظ ، إذ تتغيّر بتغيّر و اختلاف سياقاتها ، فالمعنى السياقي هو ما يمنح للألفاظ دلالات جديدة حسب السياق الذي ترد فيه .

فالمقاصد لها دور كبير في العملية التخاطبية عموماً و التداولية خصوصاً لها قطبان أساسيان هما المتكلم و القارئ على حدّ سواء، فالتكلم يسعى إلى مقاصده و المتلقّي يسعى إلى فهمها و تأويلها و كشف خباياها.

المبحث الثاني : إستراتيجية المقاصد الموضوعية

1- الإستراتيجية التلميحية (المفهوم و الإجراء) :

1-1 - التلميح لغة و اصطلاحاً :

قبل الولوج إلى مفهوم التلميح في المجال التخاطبي و التداولي تحديداً علينا التّطرق إلى شواهد المعجمية أولاً ، إذ جاء في لسان العرب لابن منظور : "لَمَحَ إِلَيْهِ يَلْمَحُ لَمَحًا وَ أَلْمَحَ : إختلس النظر [...] اللّمحة : النظرة بالعجلة ... و لمح البصر و لمح ببصره ، لمح البرق ، و النّجم يَلْمَحُ لَمَحًا وَ لَمَحَانًا : كلمحٍ وَ بَرَقَ لامح و لموح و لماح [...] و قيل لا يكون اللّمح إلّا من بعيد " ² .

وَ مَا وَرَدَ فِي أُسَاسِ الْبَلَاغَةِ لِلزُّمَخْشَرِيِّ :

¹ - مسعود صحراوي ، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر و التراث العربي (رسالة دكتوراه) ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2003 - 2004 ، ص 50 - 51 .

² - ابن منظور ، لسان العرب ، ص 4098

الفصل الرابع _____ تجليات القصيدة في مجمع الأمثال

" لَمَحَ البرقُ و النّجم : لَمَحَ مِنْ بعيد ... و رأيتُهُ لُمحة البرق و لمحتَه ببصري ، اختلستُ النظر إليه و هو أسرع من لمح البصر ... " ¹

و غيرها من أمهات المعاجم العربية ، و ما يُمكن استخلاصه من خلال التعريفين السّابقين حول دلالة التلميح إرتباطه بسرّعة النظر بشدة و تمعّن و التّركيز عن بُعد ، بحيث لا وجود للتفاصيل الدقيقة للأشياء المرئية و ذلك راجع لسرّعة النظر و قصر مُدَّتِهِ .

* مفهوم التلميح في التخاطب :

مَا نلاحظه أنّ العديد من السياقات تفرض على المتكلمين إرسال مقاصدهم بلغة واضحة كصيغ عقود البيع و الشراء أو توجيه الأوامر ، فهذه الأمور تتطلب وجود لغة صريحة لبلوغ الغاية المرجوة ، لكن هذا لا يعني أنّ التعبير المباشر الصريح لائق في جميع حالات التخاطب ، إذ توجد حالات يشكل فيها التصريح خطرًا على المتخاطبين في كيفية توصيل أهدافهم و مقاصدهم و بالتالي لا يتحقق الهدف التخاطبي ، هذا يتوجب اختيار التلميح غير المباشر .

و لا يمكن الجزم في هذه القضية ، فليس كلّ ما هو غير معلن أو غير مصرّح به هو من صُلب الإستراتيجية التلميحية - إستراتيجية تداولية - إذ لا بُدّ من التمييز بين المعنى الضمني الدلالي و بين المعنى الضمني التداولي المرتبط بالسياق و هذا ما نجده عند دومينيك مانغونو **Dominique Mainguenu** في قوله :

" بين الضمنيات الدلالية ، و الضمنيات التداولية فالأولى لها إرتباط بالمادة اللغوية الملفوظة ليس إلّا ، و لاستخراج الثانية يعمد المتلفظ المشارك إلى ربط الملفوظ بسياقه باستدعاء قوانين الخطاب أساسًا ، فمن الملفوظ التالي : " لم يُعدُّ بُول يعيش في لندن بل في باريس " يُمكننا أنّ نستنبط مثلًا هذين الضمنين الدلاليين :

(يعيش بول حاليًا في فرنسا ، و قبل ذلك كان بول يعيش في لندن) في سياق مُعين يمكن للمتلفظ المشارك كذلك استنباط ضمنيات تداولية من ذلك مثلًا : " لا يُمكن لبول أن يُليّ دعوتنا أو لم يَسْتَطِع بول استلام دعوتك " ² .

1 - الزمخشري ، أساس البلاغة ، ج 2 ، ص 179

2 - دومينيك مانغونو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، تر : محمد يحياتن ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2008 ، ص 71

الفصل الرابع _____ تجليات القصديّة في مجمع الأمثال

وضّح دومينيك مانغونو من خلال المثال الذي قدّمه ، أنّ المقاصد الحقيقية من الخطاب مرتبطة بالضمنيات التداولية من خلال عجز بول الحضور و ذلك بسبب البُعد .

" و باختصار إنّ الإستراتيجية التلميحية تتمثل في تلك الأقوال الخارجة في دلالتها عن مقتضى الظاهر ، و هي علامة سياقية لا يُدرك معناها إلّا من خلال القرائن اللسانية و الحالية أضرب الاستدلال العقلي " ¹ .

و أُطلق على هذا النوع من التعبير غير المباشر : الإستراتيجية التلميحية و التي عرّفها عبد الهادي بن ظافر الشّهري بقوله : " بأنّها الإستراتيجية التي يُعبّر بها المرسل عن القصد بها يُعاير معنى الخطاب الحرفي ، لينجز بها أكثر ممّا يقوله ، إذ يتجاوز قَصْدُهُ مُجَرّد المعنى الحرفي لخطابه ، فيعبّر عنه بغير ما عنده اللفظ مستثمرًا في ذلك عناصر السياق " ² .

بناءً على هذا التعريف ، فإنّ هذه الإستراتيجية التلميحية لا تقوم على المعنى الحرفي بل تتعداه إلى المعنى الخفي أو المضمّر الذي نستخرجه من البنية الحرفية .

" و يتحدد مجال الإستراتيجية التلميحية في إجابتها عن الأسئلة التالية :

كيف يمكن للمتكلّم أن يقول شيئًا ، و يُريد أن يقول هذا الشيء ، و يُريد كذلك قول شيء آخر ؟ و كيف يمكن لمستمع فهم فعل اللغة غير المباشرة بينما ما يقصده يدلّ على شيء آخر ؟ " ³

فاللغة غير المباشرة و تحديداً التلميح غير المباشر من أبرز اهتمامات الدّراسات التداولية إذ أنّ " هَدَفُ البَرَجَمَاتِيَّةِ اللّسانيَّةِ الرّئيسيِّ دراسة اللّغة في حيِّز الاستعمال مُتجاوزة حُدود الوضع الأصلي المباشر في بعض السياقات التي لا يقصد فيها المتكلّم الدّلالة المباشرة من الكلام ، بل يقصّد المعنى غير المباشر ، و هذه المعاني لا يمكن الوصول إليها إلّا من خلال فهم اللغة في سياق الاستعمال السياقي الذي يُحدّد قصد المتكلمين بالوضع اللّغوي وحده لا يكفي لتحقيق هذا المعنى " ⁴ . و هذا هو جوهر الدّرس التداولي و ما تحدّث عنه الباحث سيرل (Searl) في نظرية الأفعال اللغوية الجانب المضمّر أو المسكوت عنه . و تتجاوز الدلالة المباشرة إلى اللامباشرة . فالجانب

¹ - بوقرومة حكيمة ، الملتقي في الخطاب القرآني ، أطروحة دكتوراه ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، 2010 ، ص 173

² - عبد الهادي بن ظافر الشّهري ، استراتيجيات الخطاب (مقارنة لغوية تداولية) ، ص 370

³ - المرجع نفسه ، ص 370

⁴ - المرجع نفسه ، ص 370

الفصل الرابع ————— تجليات القصديّة في مجمع الأمثال

التلميحي ارتبط كذلك بالسياق ، فالبنية الحرفية للخطاب لا تُبيّن المقاصد ، لذا نحتاج إلى البنية الحفّية أو المضمّرة لتحقيق ما هو براغماتي .

1-2- مسوّغات استعمال الإستراتيجية التلميحية :

و يُمكن الإشارة إلى أهمّ المسوّغات التي ترجّح استعمال المرسل للإستراتيجية التلميحية ، و هي كما يلي :¹

أ- التّادّب في الخطاب : و هو من أهمّ الأسباب ، إذ يستعملها المرسل مراعاة لما تقتضيه بعض الأبعاد ، مثل البعد الشّرعي ، و ما يُملّيه إطراح فاحش القول ، و البعد الاجتماعي ، بضرورة احترام أذواق الآخرين و أسمائهم ، و البعد الذاتي و هو صيانة الذات عن التلفظ بما يُسيء إليها .

ب- إعلاء المرسل لذاته على حساب الآخرين و إضفاء التفوّق عليها ، يذكر معاييرهم أو الانتقاص من أقدارهم مثلا ، لأنّ التفوّق حاجة فردية و منزع إنساني ، و يمكن التلميح به عند التعريض بمؤلاء الناس و احتقارهم ، بل و بتصنيفهم في طبقة أدنى من خلال مفهوم الخطاب مثل قول المرسل : فلان لا يفقه في أمور الحياة شيئاّ إذ يستلزم : أنّه هو الذي يفقه الكثير في أمور الحياة ...

ج- رغبة المرسل ، أحيانا ، في التّملّص و التّهزّب من مسؤوليّة الخطاب ... و ذلك يجعل الخطاب يحتوي أكثر من تأويل ، منها القريب و منها البعيد ، فيختار المرسل إليه من التأويلات الممكنة ما يعتقد أنّه الأنسب للسياق . مع استبقاء الفرصة لدى المرسل لينكر و ينفي القصد الذي قد يوقعه في ورطة لو أقرّ بإنجاز فعل لغوي معين من خلال خطابه ، مثل إنكاره أنّه لم يعمد إلى اتّهام المرسل إليه أو أيّ طرف آخر ، إذ يمكنه باستعمال التلميح أن ينفي هذا القصد عن خطابه و يخرج الخطاب على أنّه ذو قصد آخر ، و يكون هذا التّملّص غالبا عند إدارة الأزمات ، أو وجود توتّر في العلاقة بين أطراف الخطاب .

د- استجابة للخوف ، لذلك يستعمل المرسل هذه الإستراتيجية لئلا يتخذ المرسل إليه خطابه دليلا عليه ، و لذلك فقد يجيبه المرسل إليه بخطاب تلميحي يشوّبه الحذر الحذر أيضا ، كي لا يتّهمه ، عندها ، بأنّه يستطيب الرّشوة و يطلبها من المرسل فيصبح كلامه عُرضة للمساومة .

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب (مقارنة لغوية تداولية) ، ص 371 ، 372 ، 373

الفصل الرابع _____ تجليات القصديّة في مجمع الأمثال

هـ- العُدُول عن محاولة إكراه المرسل إليه أو إحراجه لإنجاز فعل قد يكون غير راغب في إنجازه ، يمنحه فرصة للرفض أو المناورة باللّغة ، فلا يعتمد المرسل إلى إحراجه ، إن كان لا يرغب في تنفيذ ما يُريدُه منه ، و يحدث هذا عندما يمتلك المرسل السّلطة ، و لكنه يراعي مشاعر الآخرين ، و في هذا حفظ لماء الوجه و إعادة للاعتبار ، و لذلك يكثر استعمالها في التّصحح و توجيه المرسل إليه إلى الفعل الأصّح .

و- الاستغناء عن إنتاج عدد من الخطابات و الاكتفاء بإنتاج خطاب واحد ليؤدّي معنيين هما المعنى الحرفي و المعنى المستلزم في الآن نفسه ، مثل الخطابات التي سبق عرضها للإخبار عن سبب إعلان المحطّة و خطاب الاعتذار عن الإفراض ، إذ يعزّ المرسل عن قصد مباشر و آخر غير مباشر بخطاب واحد و يجسّد ذلك الخطاب الآتي :

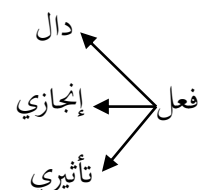
" يتمّ تعبئة خزّانات المياه المنزلية يومي السّبب و الثّلاثاء " .

فالمرسل يقصد معنيين أحدهما هو قصده المباشر الظّاهر في لغة الخطاب و الآخر هو قصده غير المباشر و هو (أنّها لا تُعبأ الخزّانات في بقية أيام الأسبوع) و في ذلك توفير للوقت و الجهد سواء في الإنتاج أو في التّأويل ، إذ استغنى بهذا الخطاب عن القول بأنّ الخزّانات لا تُعبأ في يوم الجمعة و الأحد و الاثنين و الأربعاء¹ .

1-3- أفعال الكلام غير المباشرة :

تُعدّ نظرية الأفعال الكلامية (language actes Les) من أهمّ النظريّات في الدّرس التّداولي الحديث و المعاصر ، إذ مرّت بمرحلتين أساسيتين هما : مرحلة التّأسيس و البناء ، عند أوستن (Austin) و تمثّلت في الفعل الكلامي المباشر ، أمّا المرحلة الثّانية تمثّلت في الفعل الكلامي غير المباشر عند سيرل في كتابة الأفعال اللغوية غير المباشرة و أعمال غرايس بعنوان المنطق و التّخاطب سنة 1975 .

و سبق الحديث عن تصوّر كلّ من أوستن و سيرل في الفصول السّابقة من خلال تصنيفات كلّ طرف من الطّرفين ، فأوستن ركّز على الفعل الكلامي المباشر و ميزاته الثّلاثة أنّه :



¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب (مقارنة لغوية تداولية) ، ص 373

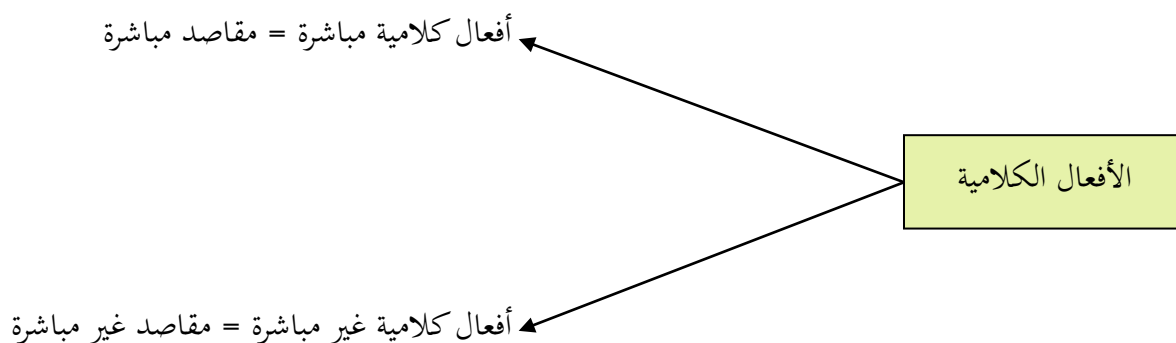
الفصل الرابع ————— تجليات القصيدة في مجمع الأمثال

فالبعد التأثيري يقتضي بالضرورة إيصال المقاصد للسامعين و التأثير فيهم ، و المقاصد نوعين : هناك مقاصد مباشرة متعلّقة بالبنية الحرفية الكلامية ، و هناك مقاصد غير مباشرة متعلّقة بما يسمّى بـ " متضمّنات القول " .
و هذا القسم تحديداً هو جوهر الإستراتيجية التلميحية و ما اهتمّ به سيرل في كتاباته و أطروحاته - الفعل المتضمّن في القول -

" وَ جَوْهَرُ الْأَفْعَالِ الْكَلَامِيَّةِ هُوَ الْقِسْمُ الْمُسَمَّى الْأَفْعَالِ الْمُتَضَمِّنَةِ فِي الْقَوْلِ وَ عَلَيْهِ فَهُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الدَّرَاسَةَ وَ التَّصْنِيفَ " 1 .

نلاحظ من خلال هذا الطّرح مغزى الفعل الكلامي و فحواه هو الفعل المتضمّن في القول أي الجانب الخفي غير الظاهر أو المسكوت عنه .

و يُمكن توضيح هذا الطّرح بالمخطط الآتي :



و نظرية الأفعال الكلامية تضرب بجذورها في تراثنا العربي القديم من خلال ما يعرف بالأساليب الخبرية و الإنشائية في كتب عمالقة الأدب العربي ، أمثال الجاحظ ، أبو هلال العسكري ، ابن قتيبة ... و غيرهم .

و من أمثلة الأفعال الكلامية غير المباشرة في مجمع الأمثال : " تَضَرَّعَ إِلَى الطَّيِّبِ قَبْلَ أَنْ تَمْرُضَ " 2
جاء في هذا المثل فعل كلامي بصيغة طلبية - الإنشاء - بصيغة الأمر - إِحْدَرُ مِنْ قِطِيعَةِ الرَّحْمِ - فالأمر هنا يتجاوز المعنى الحقيقي (على سبيل الاستعلاء) إلى معنى ضمني مسكوت عنه - و هو التذكير بصلة الأرحام و خاصة بين الأخوة ، و تفادي القطيعة نظراً للنتائج الوخيمة من وراء هذا الفعل و هو من قول لقمان عليه السلام لابنه .

1 - مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 222 - 223

2 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 195

الفصل الرابع _____ تجليات القصصية في مجمع الأمثال

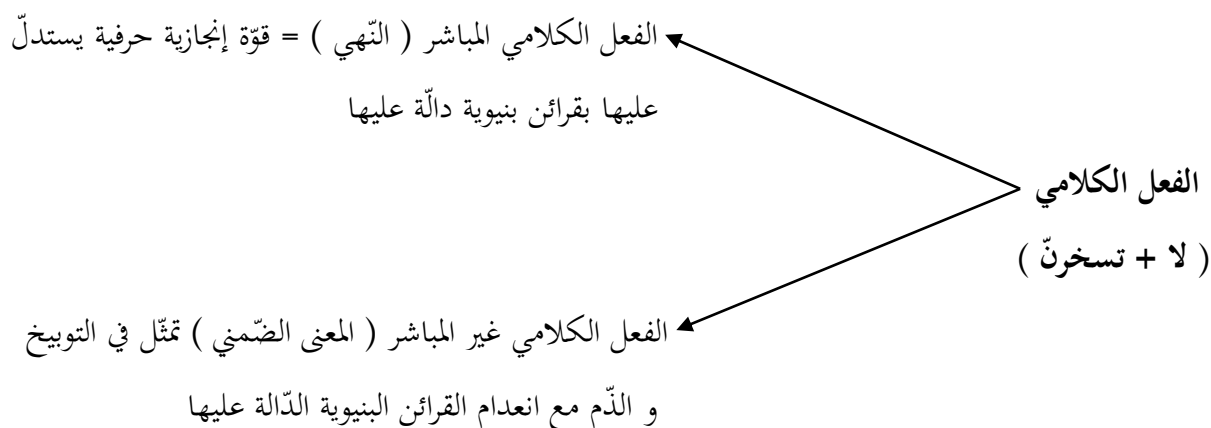
عندما نتمعن في المثل الآتي :

" إِذَا أَرْجَعَنَّ شَاصِيًّا فَارْفَعْ يَدًا " ¹

يتضمّن الفعل الكلامي الذي وَرَدَ بصيغة الأمر دلالة تنصرف إلى التّواضع التي جاءت مقرونة بالجواب بهدف الإقناع إذ صاغه المرسل بأسلوب تربوي هادف و بالتالي فإنّ القصصية التي تتجلى في هذا المثل تعزّز عن قيمة التواضع التي تحقق الفضيلة في المجتمع .

و المثل الآتي : " لَا تَسْخَرَنَّ مِنْ شَيْءٍ فَيَحْوَِرَ بِكَ " ² .

يضع المثل قاعدة أساسية في المعاملة بين الناس و هو عدم ممارسة السخرية أو التلّفظ بها أو بما يُجِيلُ إليها حتّى لا يخلت ميزان العلاقات الإنسانية و من ثمّ تتحقّق قصصية الإقناع بحمل الشّخص على الابتعاد عن هذه السلوكات المحتملة بالطّاقات السّلبية و ورد التّهيّ حاملاً قوّة إنجازية تستلزم مقولات التّوبيخ و الدّم و ما ينشأ في سياقات التخطاب من تحذير الآخر و تحييده عن الموبقات في المجتمع على نحو ما توضّحه التّرسّيمة الآتية :



و المثل القائل : " لَا تَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْ أَهْلِكَ " ³

دلالة المثل كما أورده الميداني : قال أبو عبيد : قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَرِدْ ضَرْبُهُمْ بِالْعَصَا ، إِنَّمَا هُوَ الْأَدَبُ أَرَادَ : لَا تَرْفَعْ أَدْبَكَ عَنْهُمْ ، و قيل أَرَادَ لَا تَغِبْ و لَا تَبْتَعِدْ عَنْهُمْ ، من قولهم (انشقت عصاهم) (إذ تباعدوا تفرّقوا و هذا تأويل حسن " ⁴

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 51

2 - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 279

3 - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 272

4 - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 272 - 273

الفصل الرابع _____ تجليات القصصية في مجمع الأمثال

تضمّن المثل بُعْدًا إقناعيًا من خلال دلالته القصصية ، و هي عدم التّقليل من احترام من رعاك و تكفّل بك ، و تحديداً الوالدين الكرميين ، فهما قبلة الإنسان الأولى ، جاء التّهيّ حاملا نتيجة ضمنية مفادها التّأديب و التّهديب من جهة ، و التّوييح و الدّم من جهة أخرى ، فغايتة القصصية إذن هي غاية إصلاحية تربية بالدرجة الأولى . و الجدول الآتي يقوم بتوضيح هذه الأطروحة :

| الفاعل | القوّة الإنجازيّة | مقصديّته |
|-----------|--|----------------------------------|
| لا + ترفع | التّوييح - التّصح - الإرشاد - التّهديب | طاعة الأهل |
| ... الخ | | عدم العصيان ، اظهار السلوك الحسن |

يتقارب المثل في دلالته مع الغاية الإقناعية التي يحملها في مضمونه إذ يجد دالّته الاجتماعية في الوصل و التآزر بين الأقارب و هي كفيّلة بضمان الفاعلية و التماسك الأسري على وجه الخصوص و من ثمّ فإنّ التّهيّ ينتظم في إطار التّوييح لمن ينتهك قواعد هذا الوصل و يخلّ بشروط الإنسانية و أرحامها و من ورائها يتعرّز مبدأ الإصلاح التّربوي و التّهديب التّفسي .

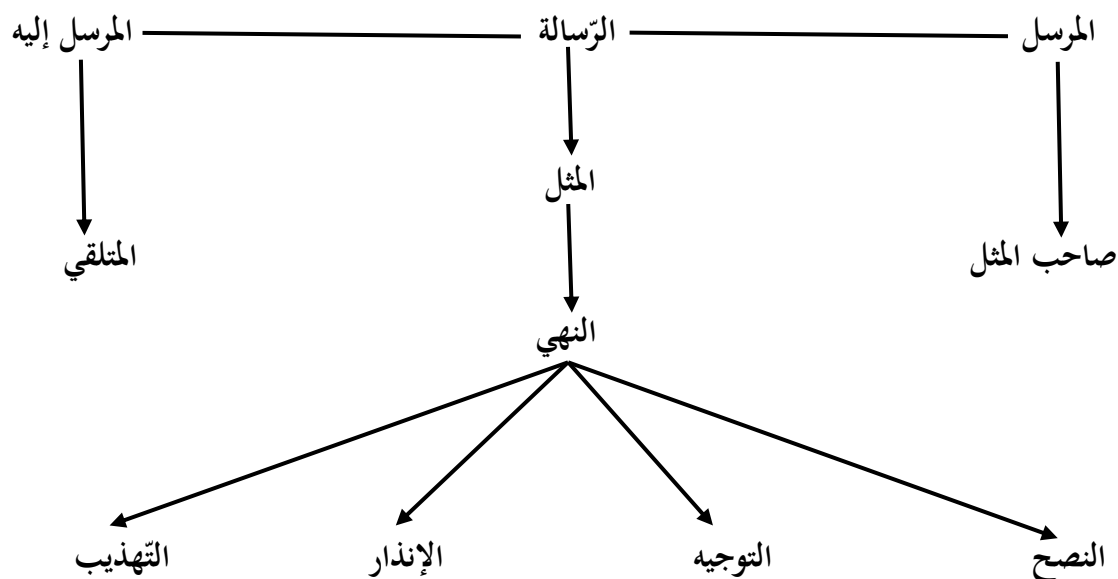
و التّهيّ في قولهم : " لا تَنْسُبُوهَا وَ انظُرُوا مَا نَارُهَا " ¹

يعد المثل العربي بمقتضاه التداولي تمرين متواصل بين التجارب القيمة و الحاضرة و المتواصل في سلسلة منتظمة يعززها التشاكل الإنساني في النشاط السلوكي الذي ينشأ في سياق علائقي بين الزمان و المكان ، و من ثمّ فإنّ منطوق المثل الذي بين أيدينا (لا تنسبوها و انظروا ما نارها) يعكس هذا البعد مثله كمثل غيره من الأمثال العربية التي فسرناها في سياقها على نحو يخلق في مساحة التّأويل بعدا موصولاً بتجربة العربي الأوّل في طرق القول المضمّر أو قوته المضمرة التي تتوازي بمبدأ الإبداع الذي يتجاوز القول المباشر و المنطق الصريح . فالمثل يضرب في شواهد الأمور الظاهرة على علم باطنها .

و يمكن توضيح رسالة المثل كالآتي :

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 259

الفصل الرابع ————— تجليات القصصية في مجمع الأمثال



و قد استوفت هذه الأفعال الكلامية التي جاءت بصيغة النهي شروطها (أي شروط الملاءمة) ، و المطلوب هو فعل شيء ما مستقبلاً يُنجزه المخاطب من خلال أفعال التَّرك في قوله : (لَأَتَرَفَعُ ، لَأَتَحَسَدُ ، لَأَ...) فالتكلم على دراية بقُدرة المتلقين على إنجاز هذه الأفعال لآته يترتب على تلك السلوكات كعصيان الأهل و الحسد ، و مصاحبة من يخالفك نتائج مزرية تضرّ بصاحبها في أمور كثيرات ، و بذلك يتحقق الشرط الأساسي في إرادة و رغبة المتكلم و هو التأثير في المتلقي ليقوم بفعل ما ، فإذا استجاب و انتهى عن العصيان و الحسد ، مثلاً ، فقد حدثت بذلك المطابقة ، فالتأديب ، و التهذيب ، و الإنذار من قبل المتكلم يؤثر في سلوك السامع و يخيفه ، و من ثمة يكون الفعل الكلامي قد أحدث تغييراً و أنجز فعلاً بالقول و تتحقق المقصدية المرجوة .

و فيما يلي جدول يوضّح لنا الغرض الإنجازي لفعل النهي :

| الغرض الإنجازي | الفعل الكلامي |
|---|-----------------|
| الحثّ على طاعة الأهل و الخضوع لهم ← (إيقاع النهي) | لا ترفع ... |
| الحثّ على ضرورة القناعة و التّهي عن الحسد ← (إيقاع النهي) | لأ تحسد ... |
| الحثّ على الحكم على الجوهر و ليس المظهر ← (إيقاع النهي) | لأ تنسبُوها ... |

و في قولهم : " تَرَكْتُهُ يَصْرِفُ عَلَيْكَ نَابَهُ " ¹

تضمنت الجملة الخبرية التقريرية تلميحاً مفادُهُ عدم ترك فرصة للآخرين للتّماذي و التّطاول عليك ، فالقوة الإنجازية المستلزمة ضمنياً هي التّويخ و التّحذير من هؤلاء الأشخاص و حثّ السامع على مراعاة ذلك.

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 181

الفصل الرابع ————— تجليات القصدية في مجمع الأمثال

و بنية الفعل الكلامي :

الفعل الكلامي ← الفعل الكلامي المباشر هو المعنى الصريح استدل عليه بقرائن بنيوية دالة عليه

الفعل الكلامي ← الفعل الكلامي غير المباشر أو المعنى الضمني (التوبيخ، الذم، التحذير... الخ)
فالجملية الخبرية السابقة - تَرَكْتَهُ يَصْرِفُ عَلَيْكَ نَابَهُ - تضمنت تلميحا آخر مفاده التناول صفة ذميمة و من سائر المتناول أصبح شبيها له .

1-4- التهكم :

يعتمد المثل عموما على إستراتيجية التلميح و تحديدا على آلية من آلياتها و هي " التهكم " فهو آلية لغوية تلميحية يظهر بعدها التلميح من حيث أنّ : " المرسل يستعملها ليقصد المعنى المضاد تماما ، و لهذا فالتعبير بها عن القصد لا يحتمل معان متفاوتة بتفاوت السياقات ، أو تعددها فمعناها ثابت في تمثيل قصد المرسل " ¹ و هذا هو مغزى و جوهر البعد التهكمي لتحقيق الغاية القصدية المرجوة . فالتهكم في معناه الاصطلاحي : " هو عبارة عن الإتيان بلفظ البشارة في موضع الإنذار ، و الوعد في مكان الوعيد ، و المدح في معرض الاستهزاء " ² فالتهكم هو الكلام الذي يذكر في غير سياق التواصل المتعارف عليه فينكسر بذلك تواتر مسار الحديث من المسار الجاد إلى مسار المعزل أو بمفهوم آخر و هو ما كان ظاهره عكس باطنه تماما .

ومن الومضات التهكمية التي نلتبسها في مجمع الأمثال المثل القائل: " لَأَتَحَسُدَ الضَّبَّ عَلَى مَا فِي حِجْرِهِ " ³ تتصرف الدلالة في خطاب المثل العربي إلى دلالة قصدية غاية المتكلم من ورائها تفويض العلاقات السالبة في المجتمع ، إذ إنّ استدعاء الضب على سبيل الاستنزام الحوارى محتمل بالتهكم و التعريض بمن يحسد الناس على الفضل و النعمة التي تصيب أفرامًا دون آخرين ، هذا من جانب ، ثم إنّ لها وجهًا آخر أنّ ما قد يحسد عليه إنسان لا يستحقّ كلّ هذا التقصيد السلبي في النظر إلى حال الدنيا و تقلباتها و زوال بجمتها و هو حال الضبّ الذي لا يصيبه من جحره سوى الغياب لمدة من الزمن بين التراب و غيابة الجبّ .

1 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب (مقارنة لغوية تداولية) ، ص 416

2 - أبو بكر بن علي بن عبد الله المعروف بابن حجة الحموي ، خزنة الأدب و غاية الأرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، مج 2 ، ط 1 ، 2005 ، ص 191

3 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 283

الفصل الرابع _____ تجليات القصصية في مجمع الأمثال

فالمثل العربي القائل : " تَسْأَلُنِي أُمُّ الْخَيْارِ جَمَالًا يَمْشِي رُوَيْدًا وَ يَكُونُ أَوْلًا " ¹

و دلالة المثل كما أورده الميداني " يُضْرَبُ فِي طَلْبِ مَا يَتَعَذَّرُ " ²

تضمن المثل تلميحًا عن الشَّخص الذي يُلحَّ على أمرين في نفس الوقت ، فالمرأة هنا ترغب الوصول إلى المكان المنشود بسرعة ، الأمر الذي يتطلَّب منها الإسراع ، و ترغب كذلك ركوب الجمل الذي يمشي متمهلاً بحيث يتعذَّر تحقيق الطلب الثَّاني بوجود المقدمة الأولى . فالقوة التي تضمنها المثل : التعجيز و التئيس ، و الفعل التآثري من وراء ذلك حتَّ المتلقي على طلب المعقول ، فالمثل إذن كسر أفق انتظار السامع من المتوقع إلى اللامتوقع ، من المعقول إلى اللامعقول ، إذ من حَوَاصِ الجَمَلِ السَّيرِ ببطءٍ لا بسرعةٍ .
بمشي رويدًا ≠ يكون أولًا

و تمثِّل بنية الفعل الكلامي :

القوة المستلزمة ضمناً = التعجيز ، التئيس

القوة الظاهرة أو المباشرة = التقرير

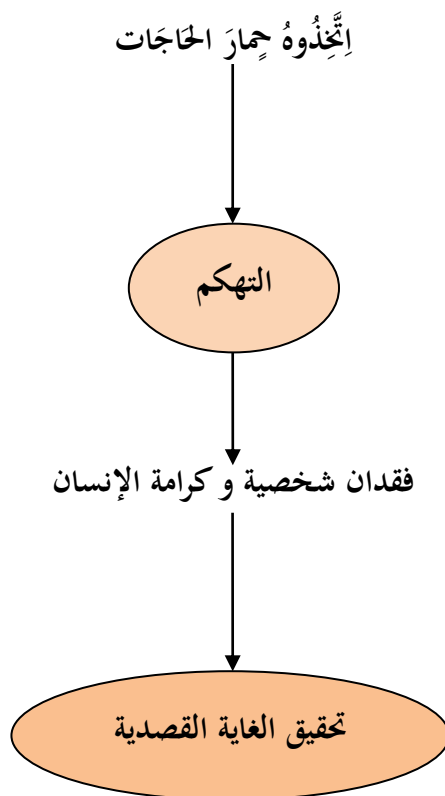
يأخذ التهكم و السخرية في المثل العربي مسارات و أنساقاً دالَّةً ، لها علاقة محكومة بالسياقات التي تولِّدها و تنشأ في رحابها و تحكم قبضتها في مقام الخطاب ، فمنها التهكم و التحقير ، و التوبيخ ، و العتاب ... الخ ، و من ذلك قول العرب " اِتَّخَذُوهُ حِمَارَ الْحَاجَاتِ " ³ في حالة استدعاء للغباء في صورة الحمار ، الذي يتحرك يميناً و شمالاً دون دراية أو وعي بما يحمل أو بما يجري عليه من الحمولة الثَّقيلة و الاتجاهات المختلفة دون اعتراض على نحو يغدو المثل في تصور التداولية فعلاً كلامياً معزَّزاً بسياقاته و قوَّة إنجازته التي تذهب إلى التوبيخ ، و منه تتولَّد حالة التوجيه الصَّحيح لما ينبغي أن يكون عليه المرسل و المستقبل من حالة الوعي و الفقه بالأشياء و أن لا يصبح مطيَّة لكل ما ينفعه أو يضره . و بالتَّالي تتحقق مقصديته و غايته في التأثير و الإقناع .

و يمكن توضيح ذلك في الترسيم الآتية :

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 191

2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 191

3 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 184



1-5-1 - السخرية :

تأخذ السخرية أبعادًا و دلالات مختلفة في شتى مجالات أنواع الخطاب ، و ذلك نظرًا للأهمية التي أخذتها و خاصة في مجال النثر العربي ، و نقصد بذلك الأمثال العربية القديمة ، و قبل التطرق إلى مظاهر السخرية و تجلياتها في المدونة ، علينا الوقوف وقفة متأتية حول مصطلح السخرية من الناحية اللغوية و الاصطلاحية.

1-5-1- السخرية لغة : تحمل السخرية في مجالها اللغوي دلالات شتى استنبطناها من المعاجم اللغوية ، أي في مادة (س - خ - ر) ، محتواها في مجمله يدور على الاحتقار و الاستدلال ، و التسخير ، و الاستهزاء ، و الاستخفاف أحيانًا إذ يقول ابن فارس في معجمه : " السّين و الخاء و الرّاء ، أصل مطرد مستقيم يدل على احتقار و استدلال " ¹

فمفهوم السخرية إذن من وجهة نظر مرتبطة ببعدها التحقيري و إلحاق الدّل و الهوان على المسخور له ، و هذا ما نجده في المعاجم العربية كمعجم ابن منظور ، و كتاب العين للفراهيدي و غيرهم من أمتهات الكتب إذ تلتقي جميعها على معنى واحد هو التذليل و القهر التي تلتقي بمعاني السخرية و الهزاء . و ما يدعم هذه المقولة تحديدًا

¹ - الحسن بن أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ص 144

الفصل الرابع — تجليات القصصية في مجمع الأمثال

قول أبي هلال العسكري صاحب الفروق في اللغة : " أصل سخرت منه التسخير و هو تذليل الشيء ، و جعلك إيّاه منقادًا ، فكأنك إذا سخرت منه جعلته كالمنقاد إليه " ¹ فهذا أنموذج من صور القهر أو الاستغلال .

1-5-2- السخرية اصطلاحًا :

نالت اهتمام العديد من كُتّاب اللغة و الأدب العربي إذ تعني السخرية إثارة التهكم و الاستهزاء ، التفكّه مما يثير الضحك عند الآخرين ، و السخّط ، و عدم الرضا عند المسخّر منه و قد تعدّدت الألفاظ الدالة على هذا المعنى، فأصبحت مرادفات لهذه اللفظة مع بينها من معاني دقيقة ²

فالسخرية تحمل تعاريف كثيرة منها : النقد ، الاستهزاء ، الضحك ، الفكاهة و غيرها ... و موضوعنا تجليات القصصية في الأمثال و اخترنا السخرية كنموذج في تحقيق مقصدية الكاتب أو المرسل ، و هذا هو أساس البحث . تحتل إذن السخرية مكانة متميّزة في المثل القديم ، إذ نكاد نحكم على أنّها الجنين الأوّل الذي يتخبط في رحم الأمثال العربية ، و الهدف منها أرقى و أسمى من هدف تزييني أو زخرفي بقدر ما هو هدف أخلاقي تربوي ، و إبراز الجوانب السلبية في المجتمع ، من غشّ ، و كره ، و حقد و لامبالاة ... الخ .

و أمثلتنا على ذلك كثيرة نختار بعضًا منها كالمثل الموسوم بـ :

" أَشَامُ مِنْ بَرَاقِشٍ " ³ أو " عَلَى أَهْلِهَا جَنَّتْ بَرَاقِشٌ "

و قصّة المثل كما يلي : يُقَالُ أَنَّ بَرَاقِشَ كَانَتْ كَلْبَةً لِقَبِيلَةِ مِنَ الْعَرَبِ أَيَّامَ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَ كَانَتْ تَحْرُسُ مَنَازِلَهُمْ وَ تَنْبُحُ عَلَى كُلِّ مَنْ هُوَ غَرِيبٌ يَدْخُلُ الْقَرْيَةَ ، وَ تَطْرُدُهُ بَعِيدًا ، وَ كَانَ إِنْ حَضَرَ لِلْقَرْيَةِ جَمَاعَةٌ مِنْ قُطَاعِ الطَّرِيقِ ، فَبَدَأَتْ بَرَاقِشُ بِالنَّبَاحِ لِتُنذِرَ أَهْلَ الْقَرْيَةِ ، وَ الْإِخْتِيَاءِ فِي إِحْدَى الْمَغَارَاتِ الْقَرْيَةِ فَافْتَقَدَ اللَّصُوصُ أَثَرَ أَهْلِ الْقَرْيَةِ ، وَ اخْتَلَطَتْ عَلَيْهِمُ السُّبُلُ ، وَ لَمْ يَعْرِفُوا أَيَّ وَجْهَةٍ فَصَدَّ الْهَارِبُونَ ، لَكِنَّ بَرَاقِشَ لَمْ تَكُفْ عَنِ النَّبَاحِ طِيلَةَ الْوَقْتِ ، وَ ظَلَّتْ تَنْبَحُ وَ تَنْبَحُ ، فَاهْتَدَى اللَّصُوصُ أُخِيرًا إِلَى الْمَغَارَةِ الَّتِي كَانَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ مُحْتَبِينَ فِيهَا بَعْدَ أَنْ تَعَقَّبُوا مَصْدَرَ النَّبَاحِ فَقَضُوا عَلَيْهِمْ جَمِيعًا بِمَا فِيهِمْ بَرَاقِشَ الَّتِي أَنْقَذَتْ الْقَوْمَ بِنَبَاحِهَا وَ قَتَلَتْهُمْ جَمِيعًا بِنَبَاحِهَا أَيضًا. و مثله المثل الذي قلناه سابقًا ، على أهلها جنت براقش .

1 - الحسين بن عبد الله بن سهل بن مهران العسكري أبو هلال ، الفروق في اللغة ، دار العلم و الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1991 ، ص 249

2 - آصف دريباري ، السخرية في شعر نديم محمد ، دار الجنان للنشر و التوزيع ، الأردن ط 1 ، 2016 ، ص 07

3 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 475

الفصل الرابع ————— تجليات القصيدة في مجمع الأمثال

تتجلى ملامح هذا الفعل المقاصدي بأبعاده التداولية من خلال السخرية التي يتهمك بها المرسل بمقتضى ما يقصد لا ما يقال إذ تتضاءل فرصة التمسك بفعل التلقظ لتتسع دلالاته عبر الوسيط المضمّر الذي يتحوّل بسياقه إلى فعل و قاعدة مظاهرها في الغباء و الحماقة ، و ممارسة الضلال إذ نلمس فيه سمة السخرية جرّاء الفعل الغبي الذي أدى إلى التهلكة و الضّرر على أهله ، من خلال جمالية التشبيه بصورة براقش و نماذج الصّوتيات الموجودة في الحروف ، الباء ، الرّاء و القاف ، و ما تحمله من صفات الانفجارات ، و الترعيد ، و التخويف ، إذ شكّلت هندسة صوتية إلى أبعد الحدود ، جعلت السخرية و مقصديتها تتشكّل و تتحقّق في أفقها الواسع .

و مثال آخر ، كالمثل الآتي : " إِنَّ الْبُغَاثَ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ " ¹

مضمون المثل واضح إذ تظهر ملامح مقصديته من خلال التشبيه بالطير الضعيف الذي لا حول له ولا قوّة له ، يريد أن يصير نسرًا قويًا و مسترجلاً بغير حق ، و في هذه الحال مدعاة للسخرية و الاستهزاء من جهة ، و التهكم من جهة أخرى و نمثله كالآتي :

إِنَّ الْبُغَاثَ

(الطير الضعيف)

بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ

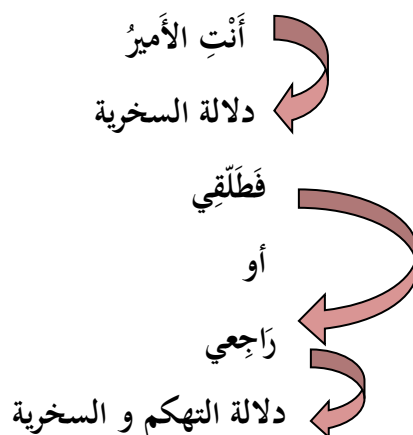
(النسر القوي)

تظهر السخرية بشكل مكثّف في مجمع الأمثال مثل قول العرب : " أَنْتِ الْأَمِيرُ فَطَلَّقِي أَوْ رَاجِعِي " ²

قصة المثل غير معروفة فلم يصرّح بها الميداني في كتابه في حين مضربه في تأكيد القدرة تحكّما و هزواً فمضرب المثل يحمل تحكّما و سخرية من خلال الإفصاح المباشر في قولهم (أَنْتِ الْأَمِيرُ) ، و قولهم أيضا (طَلَّقِي أَوْ رَاجِعِي) على سبيل التهكم و السخرية من المرسل للوصول إلى مقصدية المثل ، إذ يحتوي على بنية سطحية و أخرى عميقة ممزوجة بالسخرية من هذه المرأة الضعيفة التي لا حول و لا قوة لها فليس لها القدرة في حقيقة الأمر لا على الطلاق أو الرجوع ، فلفظة الأمير بالذات لا تنطبق على المرأة فاستعمل الضمير (أَنْتِ) للدلالة على السخرية التهكمية و نوضحها كما يلي :

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 38

2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 77



من الأمثال الساخرة أيضا قولهم : " أَبِي يَغْزُو وَ أُمِّي تُحَدِّثُ "1

و سبق الحديث عن قصة المثل بالتفصيل في الفصول السابقة ، إذ تظهر شخصية الأم شخصية ساخرة تحكمية حين تحدّثها عن شجاعة الأب و بطولاته كأنّها بطولاتها و أفعالها هي ، و طغيان الأنا القوي على الآخر الفعلي (الأب) فالأب يقوم بالأفعال التي نسبت إلى غيره من أقوال هذه الأم التي احتكرت أفعال زوجها و كأنّها أفعالها ، تجعلنا كقراء نسخر من هذه المواقف و بالتالي تحققت قصديتها على النحو الآتي :

الأب ← بُطُولَاتِهِ فِي الْغَزَاةِ ← تحقيق الفعل على أرض الواقع

الأم ← نُسِبَتْ بُطُولَاتُ الْغَزَاةِ إِلَيْهَا ← أقوال الأم دون أفعال

و من ذلك قولهم: " كُلُّ جِدَّةٍ سَتُبْلِيهَا عُدَّةٌ "2

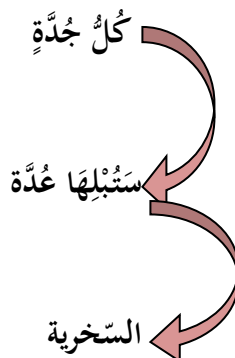
تظهر ملامح الفعل المقاصدي في منطوقه التداولي و أثره الوظيفي الذي يحمل في طياته ملامح السخرية المدعاة للضحك و الاستهزاء في آن واحد ، إذ كيف لجدة بلغت سنّ اليأس و جفت أمشاج رحمها من الاستجابة لنبت الأجنة أن تحمل و يمتلأ بطنها بجنين على نحو يعكس قسوة الزمن و تقدم العمر الذي يقوض خصوبة الحياة في القواعد من النساء رحمة بهنّ لا جوراً عليهنّ فتلك أسرار الحياة تجري على الأعمار و منها تستمد التّضارة في جديدها و تنأى بأنسها عن الطّاعنات في السنّ حتى تأخذ الحياة دورتها ، و يتحرك العمر في تروسه و بذلك ازدادت قوة الفعل الكلامي للتأثير لتكشف عن الدلالة الخفية المتمثلة في امتثال الجدة للعبادات و التقرب إلى الله

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 77

2 - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 164

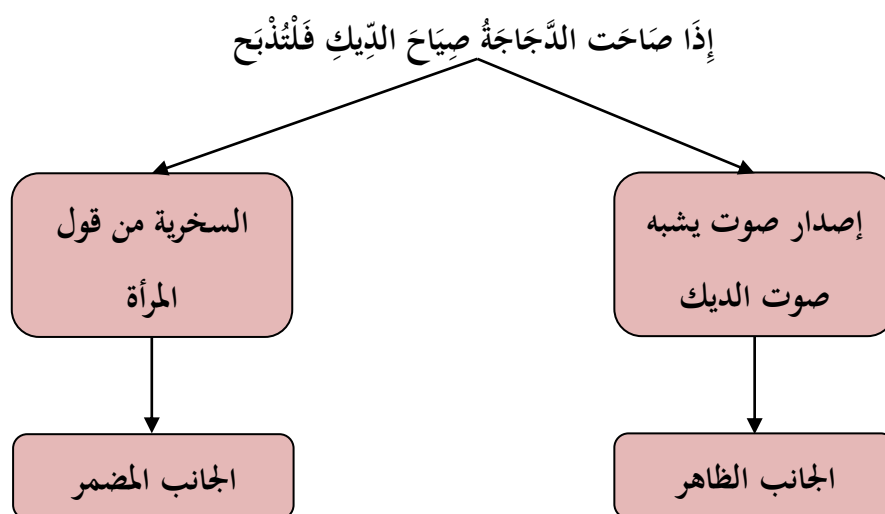
الفصل الرابع ————— تجليات القصيدة في مجمع الأمثال

عز و جل ، فجاء المثل مُشبعًا و محملاً بآلية السخرية و التحفيز على التصبر و التجمل في الشكوى إن هي أقبلت لتدبر من شعاع سنّها المتهالك حتى زادت من قصيدة الفعل الكلامي و تأثيره على السامعين .
و تمثلها كالآتي :



و قولهم : " إِذَا صَاَحَتِ الدَّجَاجَةُ صِيَاَحَ الدِّيكِ فَلْتُذْبِحْ " ¹

نتلمس في المثل بصمات للسخرية مستمدة في حقيقة الأمر من الواقع المعيش و التعبير عن موقف ما سواء كان اجتماعيا أو سياسيا أو ثقافيا و خاصة في الجانب المتعلق بالمرأة العربية و صوتها على وجه التحديد ، و تمثل المثل كما يلي :



و قول العرب : " أَحْمَقُ مِنْ دُغَّةٍ " ²

"فَقِيلَ فِي حُمُقِهَا : أَنَّهُمَا نَظَرَتْ إِلَى يَأْفُوخٍ وَلَدَهَا يَضْطَرِبُ ، وَ كَانَ قَلِيلَ النَّوْمِ كَثِيرُ الْبُكَاءِ فَقَالَتْ لِضُرَّتِهَا :
أَعْطِينِي سَكِينًا ، فَنَاوَلْتَهَا وَ هِيَ لَا تَعْلَمُ مَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ، فَمَضَتْ وَ شَقَّتْ بِهِ يَأْفُوخَ وَلَدَهَا فَأَخْرَجَتْ

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 97

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 283

الفصل الرابع _____ تجليات القصصية في مجمع الأمثال

دِمَاعُهُ، فَلَحِقَتْهَا الضَّرَّةُ فَقَالَتْ : مَا الَّذِي تَصْنَعِينَ ؟ فَقَالَتْ : أَخْرَجْتُ هَذِهِ الْمِدَّةَ مِنْ رَأْسِهِ لِيَأْخُذَهُ النَّوْمُ ، فَقَدْ نَامَ الْآنَ " ¹ فالمثل مزوج بالسخرية المفرطة و الخروج عن العرف و التقاليد و ذلك نظرا للبيئة العربية الصحراوية و قلة الخبرة في الحياة و الجهل الذي كان لصيقا في أغلب النساء في تلك الحقبة من الزمن .

1-6-6- الافتراض المسبق :

يُعدّ الافتراض المسبق من بين أهمّ الظواهر اللغوية التي تتكئ عليها التداولية في دراستها لأيّ خطاب تداولي ، و هو يُبنى على الخلفية الذهنية المشتركة بين المتخاطبين لتحقيق عملية التواصل ، و لأجل بيان أهميته جاءت هذه الدراسة لتبيان دوره [الافتراض المسبق] في نجاح العملية التواصلية و تجلياتها في مجمع الأمثال للميداني ، و نبداً التحليل بمفاهيم أولية عن الافتراض المسبق .

1-6-1- مفهوم الافتراض المسبق (Présupposition) :

يُعرّفه ديكر (Ducrot) " بأنه أحد العناصر الدلالية الخاصة بالقول ، فهو إحدى العلامات اللغوية التي يحتويها القول " ² . "فهو كلّ نشاط لغوي تواصلية ينطلق المتخاطبون من معطيات و افتراضات مسبقية متفق و متعارف عليها بينهم ، تشكل هذه الافتراضات الخلفية و المرجعية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل ، و هي محتواة ضمن السياقات و البنى التركيبية العامة ... " ³ .

فالافتراض المسبق بالغ الأهمية لنجاح العملية التواصلية ، و الكشف عن المعاني المختلفة في الخطاب ، و نستطيع تحديد هذه الافتراضات المسبقية من خلال مجموعة من المعطيات اللغوية اللسانية المتعارف عليها بين المتكلم و المتلقي [علاقة تعاضدية بين الطرفين] . إذ تكمن أهمية الافتراض المسبق بحسب رأي ديكر (Ducrot) في الطريقة التي يتواجد فيها " ... على المخاطب إطارا لاستمرار الخطاب : يجبره على الفعل و كأنّ محتوى الافتراض حقيقة مؤكدة لا يمكن أن يُعاد النظر فيها ... " ⁴ .

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 283

2 - Ducrot , dire et ne pas dire 2^{ème} Edition HERMANN , Paris , 1980 , P 81

3 - مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، ص 30 / 31

4 - جون سرفوني ، اللسانيات و التداولية ، تر : حمو الحاج ذهبية ، التبيين ، الجاحظية ، الجزائر ، العدد 19 ، 2002 ، ص 75

الفصل الرابع _____ تجليات القصدية في مجمع الأمثال

يتضح من خلال هذا الرأي العلاقة الوطيدة بين المرسل و المرسل إليه لنجاح الإستراتيجية التواصلية التخاطبية و تحقيق القصدية بجميع أهدافها و غاياتها ، فالافتراض المسبق عمومًا هو افتراض ضمني عن العالم ، مرتبط بقول معين لا يشك في صحته ، فهو عبارة عن افتراضات يقوم بها المتكلم قبل النطق بها .

كانت دراسة الافتراض المسبق مثار اهتمام الباحثين منذ أوائل العقد السابع من القرن العشرين 1970¹ .
و تعود المبتحث الأولى لدراسته " إلى أحد فلاسفة أكسفورد و هو (ستراوسن) (Strawson) الذي أعاد بلورة مفهوم متداول لدى الرياضي الألماني (فريجه) (Frege) " 2 .

نفهم من خلال هذه الجزئية أنّ الافتراض المسبق جزء لا يتجزأ من الدرس التداولي ، يرتكز أساسًا على الجوانب الضمنية المتعلقة بعبارات الخطاب التي تتم بين ركنين أساسيين هما المرسل و المرسل إليه ، أي المعرفة الحقيقية التي يفترضها المتكلم (المرسل) قبل النطق بها و هذا ما وضحناه سابقًا .

ففي الملفوظ (1) مثلا :

* أَعْلَقَ النافذة

و في الملفوظ (2) :

* لا تغلق النافذة

في الملفوظين كليهما خلفية " افتراض مسبق " مضمونها أنّ " النافذة مفتوحة " 3 .

تُعدّ الافتراضات المسبقة بمثابة المعلومات الخفية أو المسكوت عنها إذ ينطلق أصحاب نظرية التواصل من المعطيات الأساسية التي تنتقل من المتكلم إلى المتلقي و يفترض أن تكون معروفة ، و لكنها غير صريحة عند المتحدثين ، و تشكل ما يدعى بالخلفية التواصلية و الضرورية لنجاحها ، خلفية متضمنة في القول ذاته " 4 .
من الممكن وصف الافتراضات المسبقة على أنّها أفعال كلامية افتراضية Acte de parole présuppositionnels ، فهي في نفس درجة الأمر و الاستفهام ...

1 - نادية رمضان النجار ، الاتجاه التداولي و الوظيفي في الدرس اللغوي ، مؤسسة حورس الدولية ، الإسكندرية ، مصر ، ط 1 ، 2013 ، ص 68

2 - ليلي كادة ، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ، ظاهرة الاستلزام التخاطبي ، أطروحة دكتوراه في علوم اللسان ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، الجزائر ، د.ت ، ص 67

3 - مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 31

4 - ذهبية حمو الحاج ، لسانيات التلغظ و تداولية الخطاب ، الأمل ، تيزي وزو ، الجزائر ، ط 2 ، ص 136

الفصل الرابع ————— تجليات القصديّة في مجمع الأمثال

فلو تلفظ بـ " أغلق فمك " فلا بدّ أن يكون له تأثير في المستمع (المخاطب) ، و لهذا الأخير القدرة على الطاعة و تأويل القول ، بمعنى إغلاق الفم الذي هو مفتوح مُسَبِّقًا ، و لا تسند وظيفة الأمر إلا لمن وُجد في وضع يسمح له بإصدار الأوامر ...¹

فالافتراض المسبق ينبني على الخلفية الذهنية المشتركة بين طرفي الخطاب لنجاعة العمل التواصلي و تحقيق غايته القصديّة .

و بحسب (أوزفالد ديكرو) " فالافتراض جزء لا يتجزأ من معنى الجملة إذ لا أحد يمكن أن يتكلم دون أن يكون بكلامه افتراضًا إلى درجة أنّ الافتراض يشكل الفعل الأساسي للكلام ... " ²

إذًا فخصوصية الافتراض المسبق جعله ركن أساسي في الخطاب لا يمكن الاستغناء عنه ، و عن مضامينه الخفية و التواصلية و لعلّ الدكتور هشام صويلح قد أشار إلى ذلك من خلال اعتبار الافتراض المسبق الفعل الأساسي للكلام

1-6-2- أنواع الافتراض المسبق :

لقد ميّز الباحثون بين نوعين من الافتراضات المسبقة :

أ- الافتراض المسبق الدلالي : يستلزم أن يكون " مشروطاً بالصدق بين قضيتين فإذا كانت (أ) صادقة كان من اللازم أن تكون (ب) صادقة ، فإذا قلنا مثلاً : إنّ المرأة التي تزوجها زيد كانت أرملة ، و كان هذا القول صادقاً أي مطابق الواقع لزم أن يكون القول زيد تزوّج امرأة صادقة أيضاً ، إذ أنّه مفترض سلفاً " ³ .
نفهم من خلال هذا الطرح الافتراضي أنّه بني على معيار الصدق أو الكذب ، فإن طابقت عبارته الواقع قد صدق قائلها ، و إن عارضته فهو كاذب نذكر مثلاً المثال الآتي : " احتفلت الأمّ بختان ابنها " أي إذا طابقت الواقع لزم بالضرورة أن تكون الأمّ " قد حُتِنَ ابْنُهَا و احتفلت بختانه " و العكس صحيح .

1 - ذهبية حمو الحاج ، لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب ، ص 136

2 - هشام صويلح ، الافتراض المسبق في الدرس التداولي ، أنماطه و تطبيقاته ، مجلة المقال ، جامعة باجي مختار ، عنابة ، الجزائر ، ع 6 ، فيفري 2018 ، ص 141

3 - محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 28

الفصل الرابع _____ تجليات القصدية في مجمع الأمثال

ب- الافتراض المسبق التداولي : هذا النوع تحديداً " لا دخل له بالصدق والكذب ، فالقضية الأساسية يمكن أن تُنفى دون أن يؤثر ذلك في الافتراض السابق ، فإذا قلت : " سيارتي جديدة " ثم قلت سيارتي ليست جديدة فعلى الرغم من التناقض في القوانين فإن الافتراض المسبق هو أن لك سيارة " ¹ .

عند كل عملية من عمليات التبليغ ينطلق الأطراف (المتخاطبون) من معطيات أساسية معترف بها و معروفة ، و هذه الافتراضات المسبقة لا يصرح بها المتكلمون، و هي تشكل خلفية التبليغ الضرورية لنجاح العملية (التبليغية) و هي محتواة في القول سواء تلفظ بها القول إثباتاً أو نفيًا ² .

و هكذا لو قمنا باختبار قول ما - و يدعى هذا الاختبار اختبار النفي - فإن الافتراض المسبق يظل صحيحًا :
- إغلاق النافذة .

- لا تغلق النافذة .

يتمثل الافتراض المسبق ههنا في كون النافذة مفتوحة .

مثال آخر : لتتصور الحالة الثانية : يقول الطرف 1 إلى الطرف 2 :

- كيف حال زوجتك ؟ و أولادك ؟

إنّ هذا يفترض بأنّ العلاقات القائمة بين هذين الشخصين تسمح بطرح بمثل هذه الأسئلة ، يرّد الطرف الثاني قائلاً :

- هي بخير شكرًا .

- الأطفال في عطلة .

[...] و إذا كانت الخلفية الإخبارية غير مشتركة بين المتكلمين ، فإنّ الطرف 2 قد يتجاهل السؤال أو يدلي

بالخبر الضروري أو رفض الكل :

- أنا لا أعرفكم . (1)

- أنا لست متزوجًا . (2)

- لقد طلقت زوجتي . (3)

¹ - محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 29

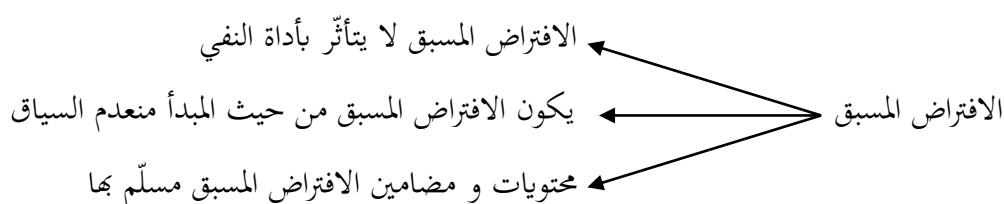
² - الجليلي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص 34

الفصل الرابع ————— تجليات القصديّة في مجمع الأمثال

إننا في الواقع نميز بين نوعين من الافتراضات المسبقة : الافتراضات المسبقة الدلالية و المنطقية و الافتراضات المسبقة التداولية¹ .

" الافتراضات المسبقة " كما يرى التداوليون ذات أهمية قصوى في عملية التواصل و الإبلاغ حيث تمّ الاعتراف بدورها منذ زمن طويل ، و لا يمكن تعليم الطفل معلومة إلّا بافتراض مسبق يتم الانطلاق منه و البناء عليه ، فمظاهر التواصل السيئ سببها الأصلي المشترك هو ضعف الافتراضات المسبقة " ² .

و من هنا يمكن رصد بعض خصائص الافتراض المسبق :

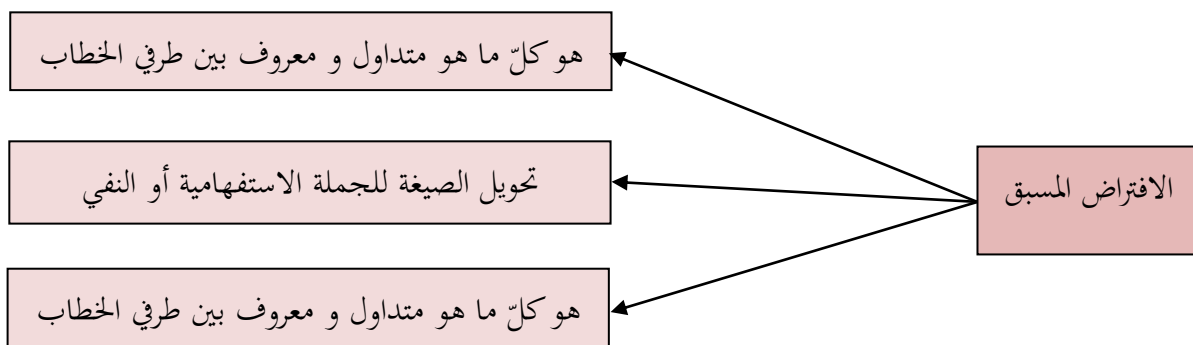


و تُوصف خاصية الافتراض المسبق هذه عمومًا " بالاطراد عند النفي **Contancy Under**

negation و تعني من حيث الأساس أنّ الافتراض المسبق لمقولة ما سيبقى ثابتًا (أي صحيحًا) حتى

عند نفي تلك المقولة " ³ .

و يمكن أن نلخص ما تمّ تناوله سالفًا حول مفاهيم و دلالات الافتراض المسبق وفق الخطاطة الآتية :



توضح الخطاطة أنّ الافتراض المسبق مفهوم تداولي ، من أهم مرتكزاته و لبناته الأولى عملية الشراكة بين المرسل و المرسل إليه مُرورًا إلى ضرورة تحويل الجملة أو الصيغة التداولية إلى استفهام أو النفي و مرتبط ارتباطًا تعاضديًا بالبنى التركيبية عكس القول المضمر تمامًا هذه من أبرز المحطّات التي تحدثت عنها الخطاطة السّالفة الذكر ، إذ لا

1 - الجليلي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص 34 - 35

2 - مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 32

3 - جورج يول ، التداولية ، ص 53

الفصل الرابع _____ تجليات القصيدة في مجمع الأمثال

يمكن الاستغناء عنه في المسائل التداولية و الخطابية تحديداً فهو إستراتيجية ضرورية في أي مسألة لغوية و تداولية على وجه التحديد ، فهو من المفاهيم الأساسية التي تدخل في إطار العلاقات التداولية من خلال ارتباطها بالسياق الذي أضفى عليها الطابع التداولي بامتياز .

و هذا ما تكشفه الأمثال الآتية :

- تَجُوعُ الْحَرَّةُ وَ لَا تَأْكُلُ بِئَدْيِيهَا ؛

- كُلُّ فِتَاةٍ بِأَبِيهَا مُعْجَبَةٌ ؛

- تَسْمَعُ بِالْمَعِيدِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ ؛

- أَوْفَى مِنَ السَّمْوَعِلِ ؛

- أَبْخَلُ مِنْ مَادِرِ ؛

- أَجْوَدُ مِنْ حَاتِمِ ؛

- أَوْفَى مِنْ أُمِّ جَمِيلٍ ... الخ .

عندما نأخذ المثل الآتي : " تَجُوعُ الْحَرَّةُ وَ لَا تَأْكُلُ بِئَدْيِيهَا " ¹ .

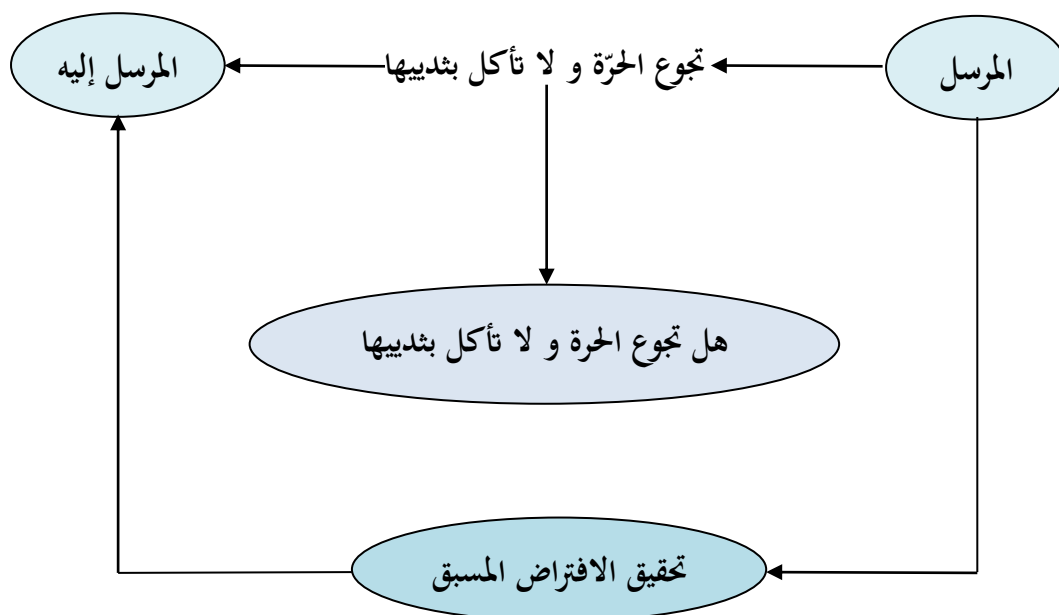
من خلال هذا النموذج الذي بدت صياغته على هذا النحو من كلام العرب للتعبير عن قيمة الكرامة العربية التي نصّت عليها عبارته ، و يمكننا أن نستشفّ من خلال حيثيات التمثيل الافتراضي المسبق ، الذي يرقد على تجربة عربية خالصة في سياق المساومة التي عبّر عنها المثل من خلال شخصيات أصلية و علاقتها بغيرها ، إذ تومئ من جهة بخصال المرأة و قيمتها في حياة الإنسان خاصّة و المجتمع العربي عامّة ، ممّا يكسبها حقّ الصدارة و التميّز بين النّساء وفق سمات و شروط معينة و نقصد بذلك العيش الكريم ، يدفعها أحياناً للبحث عن مصادر الحياة السليمة التي لا تشوّه سمعتها ، و لا تنتهك حرمتها ، و معنى ذلك أنّ ما يرصده المثل في سياق الافتراض المسبق يرفع منسوب التحرر و الإنعتاق من عبودية الشهوات و سلاسل الانفلات الأخلاقي ، و حماية نفسها من أغلال المستبدين للأحرار .

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1، ص 170

الفصل الرابع _____ تجليات القصصية في مجمع الأمثال

" كما أنّ اعتناق (الحرّة) قلادة المثالية يجعلها علامة دالة على النموذج (المثال) بوعي ما هو ثابت على المبادئ و ما هو متحوّل في مُتون الأزمنة إذ أضحت كائنًا ذات فعالية و جوهراً نفيساً بل أنموذجاً أمثلاً تتوخّد فيه الصفات و تتعزز تكوينها السلوكي قيم الحرية و التخلّص من براثن السوء التي قد تتلبّس الذات في لحظات معينة و لاسيما حينما تحضّها الحاجة أحياناً للتنازل و السقوط في الزلّات و الشهوات لذلك يعبّر المثل عن تحرر هذا النموذج من المرأة العربية ، من رقّ الشهوات و رقّ الهفوات ... و تتخذ من المروءة طريقاً للخلاص من موبقات الداخل التي تعتلج فيه الرغبة و تؤدّي بأصحابها و الناس عموماً إلى مغارات الضياع و نكوص الإنسانية " ¹ .

على هذا الأساس تغدو المرأة الحرّة وصفاً لقيم مثالية في تأسيس المرأة العربية التي لا يتسرّب إليها الذلّ مهما كانت العواطف ، و لا تنال الفأقة على نحو يعكس لنا البعد الافتراضي الذي استقام في وعي المتكلم ، و حفّزه ، بل و شجّعه لتصويره في هذا النص و مشاركة المتلقين في هذا التصوير الذي يحمل في طياته بذور الافتراض المسبق الناجع وفق منظومة تداولية ناجعة .



" فما تنصّ عليه الأمثال العربية و ما تقرّر فيها يدخل ضمن هذه الفرضية و يعني الكثير من قيم الوعي الافتراضي للمنجز الكلامي في البنية العميقة أو ما وراء الظاهرة اللغوية ... " ²

¹ - فوزي علي صويلح ، القوة التداولية في المثل العربي ، دار غيداء للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 1439هـ - 2018 ، ص 141

² - المرجع نفسه ، ص 149

الفصل الرابع _____ تجليات القصيدة في مجمع الأمثال

بمنحنا التأمل في قوا العرب " تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ " ¹ .

يُضْرَبُ لِمَنْ خَبَرُهُ خَيْرٌ مِنْ مَرَّاهُ .

و لِحَصِّ قِصَّةِ الْمَثَلِ كَمَا يَلِي : " ... أَنَّ الْمُنْذِرَ بِنِ مَاءِ السَّمَاءِ كَانَ يَسْمَعُ شِقَّةً وَ يُعْجِبُهُ مَا يَبْلُغُهُ عَنْهُ فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : " تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ ، فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا ، قَالَ شِقَّةٌ : أَيْتَ اللَّعْنِ وَ أَسْعَدَكَ إِلَهَكَ ، إِنَّ الْقَوْمَ لَيَسُؤُوا بِجُزْرِ ، يَعْنِي الشَّاءَ ، إِنَّمَا يَعِيشُ الرَّجُلُ بِأَصْغَرِيهِ ، لِسَانِهِ وَ قَلْبِهِ فَأَعْجَبَ الْمُنْذِرَ كَلَامَهُ ، وَ سَرَّهُ كُلَّ مَا رَأَى مِنْهُ ، قَالَ : فَسَمَّاهُ ضَمْرَةَ بِاسْمِ أَبِيهِ ، فَهَوُ ضَمْرَةَ بِنُ ضَمْرَةَ ... " ² .

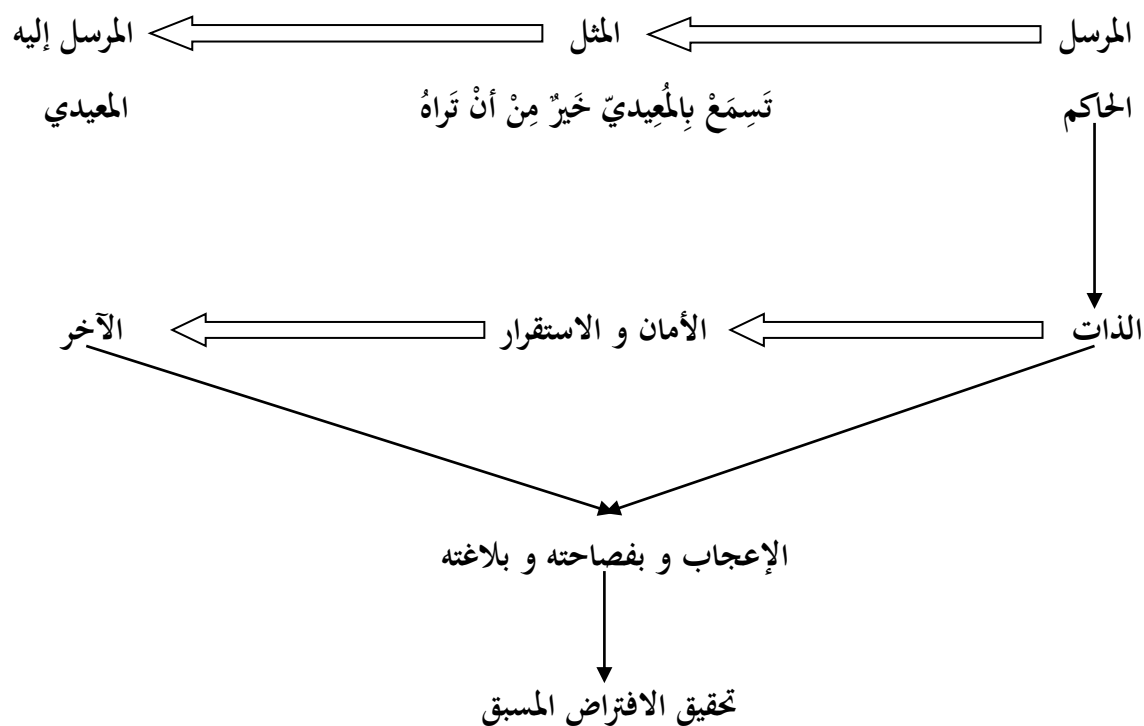
إذ يمنحنا المثل فرصة الاقتراب من البعد الثقافي و الوقوف على معرفية الوعي الإنساني الذي يتفاضل به ، و يغدو من معايير الحسن و الجمال ، و نقصدُ بلاغة الإنسان و طلاقة اللسان في المحافل فصاحة و براعة في تمثيل الأقوال و استلهاهم المواقف و إنتاجها القول بآليات متميزة عن الآخر ، و من ثمَّ فإنَّ السَّماع يقتضي بالتضامن الإحالة إلى الشهرة ، فقد استأنس المرسل بضرب هذا المثل متعاطفا مع المعيدي الذي لا يتمتع بجمال البشرة و لا بحسن الطلعة ز لا بجمال المنظر ، على نحو يُحيلنا في ذلك إلى أنَّ مقومات التمايز و التنافس تتوقف على ما يملكه الإنسان من فكر و سعة تأمل و سحر البيان و المعتبر في تصوّر المتكلم و هو يخاطب المستمع يتحدّد أو يُعلن موقعه ضمن قيم الوعي الافتراضي للمنجز الكلامي في البنية العميقة أو ما وراء الظاهرة اللغوية و ليس الوعي الذي نشغل به إلاّ حالة من صور الأمان و التنوير المعرفي التي اقتضت على الذات المتلفظة إيقاظها في نفسها أوّلاً ، بمقتضى ما يسكنها من إرشادات أو تعليمات الأمن و السّلامة و التحصين الوجودي للقيم الإنسانية الأصلية ، لعلّها تتأمل نفسها في مرآتها الخاصّة ، و لكنّها لا تكفّ عن تأملها في مرايا الآخرين . ذلك أنّ [الذات] في عملية خروجها إلى الآخر و الوعي به ، إنّما تُعيد اكتشاف نفسها وفق منظومة معرفية و رؤية قيمية و إستراتيجية خاصّة بها .

و نوضّح ما قلناه حول الافتراض المسبق وفق الترسّمة الآتية :

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 179 - 180

² - محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، مج 1 ، ص 179 - 180

الفصل الرابع ————— تجليات القصصية في مجمع الأمثال



كما تتعزّز صورة العرب بتلك النماذج الحية التي بقيت محفورة في الذاكرة الجماعية فهناك من عُرف بالوفاء فأضحى نموذجًا أمثلاً له كـ " أَوْفَى مِنْ فُكَيْهَةٍ " ¹ و " أَوْفَى مِنَ السَّمْوَعَل " ² . و غيرهم من النماذج الإنسانية الفريدة من نوعها . فالوفاء من أبرز القيم التي لاقت رواجًا كبيرًا في البيئة العربية آنذاك و منهم من عرف بالسّخاء و العطاء و الكرم ، فألصق فيه المثل " أَجْوَدُ مِنْ حَاتِم " ³ . فلقد تحوّلت هذه الأمثال في الذاكرة الجماعية إلى علامة و أيقونة لا تتكرّر على مرّ الأزمان ، و غيرهم كثير ممّا ضربت عنهم الأمثال . تحتوي هذه النماذج على أفعال إنجازية مباشرة ، و هو ما يفترض أن يكون للخطاب تأثير على المتلقي من جهة ، و من جهة أخرى يفترض أن يكون للمتلقي القدرة على التحلّي بهذه المواصفات التي ذكرناها في الشخصيات المذكورة سالفًا من وفاء و كرم ، و إخلاص ... الخ و تأويل الخطاب للوصول إلى المعاني الضمنية و العمل بها ، و تحديد مقصدية المتكلم و هدفه المباشر .

و يمكننا تمثيلها على النحو الآتي :

— أَوْفَى مِنَ السَّمْوَعَل — تحقيق مقصدية
الافتراض المسبق ← التحلّي بالوفاء .

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2، ص 445

2 - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 441

3 - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 240

الفصل الرابع ————— تجليات القصيدة في مجمع الأمثال

- تحقيق مقصديته
الافتراض المسبق
- ← التحلي بصفة الكرم .
- تحقيق مقصديته
الافتراض المسبق
- ← التحلي بقيم و وفاء هذه المرأة .

و لعلّ المثل الوارد في مجمع الأمثال : " كُلُّ فَتَاةٍ بِأَيِّهَا مُعْجَبَةٌ " ¹ .
فالمثل يحمل في جوهره و مضمونه صورة تبجيل الأب و تقديسه في مجتمع فرضته البيئة العربية القديمة ، و تبجيل الأب بالذات في نفوس البنات فهو رمز للأمان و الحبّ و الاستقرار على سبيل الافتراض المسبق .
فالمثل مسلّم به من قبل المتكلم و اشتراك المتلقي معه بخصوص هذه القضية . عندما نطبق الافتراض المسبق يكون كالآتي .

هلْ كُلُّ فَتَاةٍ بِأَيِّهَا مُعْجَبَةٌ ؟

الافتراض المسبق هنا ← الفتاة العربية تحت رعاية الأب
الأب يحنّ على أسرته و بناته

و عن قولنا : مَا كَلَّ فَتَاةٍ بِأَيِّهَا مُعْجَبَةٌ

فلم يتأثر المثل بإدخال أداة النفي فمن خصائص و سمات الافتراض المسبق أنّه لا يتأثر بأداة النفي بتاتاً .
فهي بصمات متوالية نسجتها خيوط الواقع الافتراضي المسبق و أنطقها الحدث الكلامي بمقتضى ما تضمّن في رؤى المتكلم و تثبيتها وفق المنظومة التداولية و السياقات المنبثقة منها جعلت المتلقي مشترك في تداوليتها و تحقيق مقصديتها و الرفع من شأن صورة الأب و جعله أيقونة سيميائية تداولية مستمدّة من البنية الباطنية في اللاوعي و إسقاطها على أرض الواقع .

و في ظلّ الصراعات و النزاعات الاجتماعية الدائمة في البيئة الجاهلية تحديداً كانت الأمثال الآتية :

" أَعْدَى مِنْ الشَّنْفَرَى " ² .

" أَعْدَى مِنْ السُّلَيْك " ³ .

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 184

2 - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 54

3 - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 55

الفصل الرابع — تجليات القصصية في مجمع الأمثال

نستشفّ من خلال هذان المثلان الافتراض المسبق التمثيلي الأمثل ، فالشَّنْفَرى على سبيل المثال كان أنموذجًا للصراع الطبقي الذي فرضته القبيلة من خلال عنصر التهميش و الاضطهاد الذي فرض على هذا النوع من الطبقة كان باعثها الأوّل الفقر و الجوع في زمن تمجيد الأقوى لا الأضعف محاولة منه استرجاع الأنا المقهورة مُرتديًا زيّ الكبرياء فلقد أسّس المنطوق التداولي في صيغ المثل لقيم و عادات و تقاليد البيئة الطبقيّة التي مارست العنف و القوّة على الضعفاء من خلال الربط بين الوعي و اللاوعي و تظهر صورة الافتراض المسبق في تجاوز المعقول إلى اللامعقول ، و الذات إلى اللاذات ، و يظهر ذلك جليًا في الذاكرة الشعريّة التي قدّمها الشَّنْفَرى — لامية العرب — من خلال إحياء الذات المهتمّشة الضائعة بانتهاج أسلوب جديد و هو القوّة و الضعف من خلال وصف بطولاته و شجاعته و وصفه للحروب و الغزوات التي قام بها الشعراء الصعاليك في حياتهم و عزّة نفوسهم .

و مضمون الافتراض المسبق الخفي ذيب الشكوى المغطّاة بقناع الكبرياء تارة و الألم و الأنين تارة أخرى و بالتالي تحققت مقصدية التأثير و التحدّي و اشتراك المتلقي في ذبذبات الصعاليك في مقابل ذلك يتراءى لنا الأنموذج المثل في بُعد السالب ممّا يعكس بشكل كبير على الافتراضات المسبقة التي تكتنّزها الأمثال العربيّة و ما تحمله من قيم و معارف إنسانية و صراعات إيديولوجية و نفسية ، و اجتماعية بحثة في قولهم على سبيل المثال :

— إِنَّ الْجَوَادَ قَدْ يَعْتُرُّ¹ .

— قَدْ اسْتَنَوَقَ الْجَمَلُ² .

— رَمْتَنِي بِدَائِهَا وَ انْسَلَّت³ .

ففي هذه العيّنات التّصية — من نصوص الأمثال — ومضات تومئ بالتصور الافتراضي غير موجب [السالب] ، و ذلك من خلال تعثر الجواد أحيانًا لسبب مفاجئ فالجواد هو رمز للحصان الكريم و ما يقابله [الإنسان الكريم] فأحيانًا تصدر منه عثرات و زلّات ، و علينا تفهّم ذلك و أخذ ذلك بعين الاعتبار ، في مجتمع المنافرات و الصراعات و الأزمت ، فالسقوط و الزلّات شيء مرعب نوعا ما في ظلّ منظومة العلاقات الإنسانية بين آدميين عبر الأزمان ، و قد يستنوق الجمال في منطوقه العقلي طبقًا لما ينشأ في الوعي الباطني من سلبيات

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 18

2 - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 114

3 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 367

الفصل الرابع _____ تجليات القصيدة في مجمع الأمثال

الأفعال و القيم الإنسانية إذ يتحول إلى فعل كلامي سالب الغرض منه هو الإطاحة بالآخر و القضاء عليه بأساليب و أدوات قمعية للنيل من خصائصه و وجوده الأنطولوجي و القيمي .

و هكذا يندمج المنطوق التداولي للغوي للأمثال العربية باعتبارها نصًّا تراثيا متبوع بأفقه الثقافية و المعرفة على حدّ سواء. " و بهذا المعطى ، فإنّ الافتراض المسبق هو ضرب من التمثيل الذهني و التّأويل التداولي لمعطيات لأفكار على وجه التضمّن و الاقتضاء"¹

ينبغي هذا التعريف على وجود متضمّنات لدى السّامع و المتكلم على حدّ سواء، و بالتالي يتحقق التواصل بين الاثنين ، محكوم بأنساق افتراضية ذهنية.

من بين النماذج التي شكّلت فيها الصراعات أحداثا مهمة المثلث المعرفي و الإيديولوجي ، و النفسي ، و الاجتماعي نجد هذه النماذج و ارتباطها بالافتراضات المسبقة انتقينا بعضاً منها :

- أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ .

- كَأَمْسُغِيثٍ مِنَ الرَّمْضَاءِ إِلَى النَّارِ .

- كَأَجْرَادٍ لَا يُبْقِي وَ لَا يَدْرُ .

- لَا نَعْدِمُ الْحُسْنَاءَ دَامَا .

- رَبِّ رُؤْيِيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ .

- رَبِّ أَكْلَةٍ مُنَعَتِ أَكْلَاتٍ .

من خلال الإيغال في دلالات هذه الأمثال و بُناها التركيبية و الدلالية و التداولية خصوصاً نُحيلنا إلى افتراضات و أقوال مُسبقة مبطنّة و إحالات ، و إرشادات محكومة بظروف ثقافية ، نفسية ، اجتماعية ، بين الأنا و الآخر [الذات و الآخر] فالمثل الأوّل على سبيل المثال " أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ " ² .

يشي بفضاعة هذا السلوك الذميمة بمنطق ذهني متجدّر في العقول الإنسانية التي تلهث وراء الماديات و الفحشاء للوصول إلى المبتغى المراد و ذلك مربوط بالبعد التداولي الدّهني عبر آفاق الافتراض التمثيلي المنبثق و كشف بواطن الصّراع الداخلي بين عقل الإنسان و مطامع و لذّات الحياة يستنتج منه المرسل و المتلقي إلى خلاصة ذهنية تعكس له قدرة الأطماع و جبروتها على استحواء العقول البشرية و النيل منها و إرضاء الكينونة الغريزية فهنا إثارة

¹ - فوزي صويلح ، القوة التداولية في المثل العربي ، ص 136

² - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 192

الفصل الرابع _____ تجليات القصيدة في مجمع الأمثال

ماسة إلى تحرير الذات من هذا الغزو الكياني و الحث على تحقيق الموازنات في الحياة لضمان العيش بأمن و سلام و بالتالي قد تحققت المنظومة التداولية في إطار الافتراض التمثيلي المسبق الذي اشترك فيه كل من [المتكلم و المستمع] . و هو ما باد في المثليين الآتيين :

" أَشْغَلُ مِنْ ذَاتِ النَّحْيَيْنِ " ¹ .

" مُصَيِّ مَصِيصًا " ² .

إنّ ما تمّ استنطاقه وفق الافتراض المسبق التمثيلي على وجه التحديد ، صراع القيم و الأخلاق في كثير من الأحيان و الخضوع لسطان المال و الجاه ، و الشّهوات من خلال تضحية المرأة بنفسها و أنوثتها من أجل ضمان قوت يومها . و من هنا يتجلّى قانون الصراع بين القرائن المكنونة و واقع الحياة المرير على نحو يعكس مدلولاتها الدلالية ، و الباطنية المحكومة بسجلّ العوامل الثقافية و الأنطولوجية لتنسج بتألق علاقات الحضور عبر أشكال الغياب و الصراع الداخلي بين الأنا و المجتمع أو الأنا و الآخر .

و هذا ما لمسنأه كذلك في الأمثال السابق ذكرها بدايةً :

- " كَالْمُسْتَعِيثِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ " ³ .

- كَا جَرَادٍ لَا يُبْقَى وَ لَا يَدْرُ " ⁴ .

- لَا تَعْدِمُ الْحَسَنَاءُ ذَامًا " ⁵ .

إذّ تحمّل في بعدها الافتراضي حالات التوتّر و الصّراع الدائم من منظور تداولي قصدي يكشف عن لثام الحياة العربية القديمة و الصّراعات المتشابكة و العنيفة و ما تتركه من تأثيرات و هموم على جميع الأصعدة نفسيًا ، و إيديولوجيًا ، و اجتماعيًا ... الخ .

و تظلّ ديناميكية الصّراعات قائمةً في معظم الأمثال العربية مرتبطة بالمستوى الظنيّ المبني أساسًا على إستراتيجية الافتراضات المسبقة من خلال حرف الجرّ الشبيه بالزائد [رَبٌّ] الذي رسم منطوقًا خاصًا به و تحوّل من منطوق

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 375

² - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 312

³ - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 179

⁴ - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 193

⁵ - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 252

الفصل الرابع _____ تجليات القصيدة في مجمع الأمثال

الحروف إلى منطوق تداولي افتراضي بيّن هذه المواجع و الإيديولوجيات المرتبطة بشئى مجالات الحياة الفكرية ، و الاجتماعية ، و النفسية ، و الثقافية و هذه النماذج خيرٌ مثال على ذلك :

- " رَبِّ زُمَيْةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ " ¹ .

- " رَبِّ حَمَقَاءٍ مُنْجِبَةٍ " ² .

- " رَبِّ فَرَحَةٍ تَعُودُ تَرَحَةً " ³ .

- " رَبِّ أُمْنِيَةٍ جَلَبَتْ مَنِيَّةً " ⁴ .

هذا بإيجاز سريع عن تجليات الافتراض المسبق في مجمع الأمثال الذي كان حافلاً بها و بألوانها المختلفة و مدى قدرتها على التأثير في السامعين و إقناعهم ، و تنوير بصائرهم و دغدغة مشاعرهم . و دليلها الافتراضي واضح في الأمثلة السابقة ، فَرَبِّ زُمَيْةٍ تُصِيبُ عَدُوَّ مِنْ غَيْرِ رَامٍ محترف و متمرس لفن الرُّماة ، و رَبِّ حَمَقَاءٍ تُنْجِبُ ابْنًا ذَكِيًّا و نجيباً لا يُشبهها في الحمق و الغباء ، و رَبِّ فَرَحَةٍ و سعادة يعيشها المرء تنقلب عليه و تُصْبِحُ تَرَحَةً ... و هذا ما وجدناه كذلك و ما حملته [رَبِّ] تحديداً ، فقد تغيرت بصمتها الحرفية إلى بصمة تداولية مُثْقَلَةٌ بالإيحاءات الماورائية . و نلمس ذلك في قول العرب قديماً :

- " رَبِّ أَكْلَةٍ تَمْنَعُ أَكْلَاتٍ " ⁵ .

- " رَبِّ مَمْلُولٍ لَا يُسْتَطَاعُ فِرَاقُهُ " ⁶ .

- " رَبِّ مُحْطِئَةٍ مِنَ الرَّامِي الدَّعَافِ " ⁷ .

فليس كلّ ما يأكله الإنسان من أطعمة و أشربة تعود عليه بالمنفعة فَرَبِّ أَكْلَةٍ ضَارَّةٍ لجهازه الهضمي و التنفسي و تُحدث خللاً في أعضائه العضوية ، و رَبِّ إِنْسَانٍ ثَقِيلٍ و مَمْلُولٍ لَا يُمَكِّنُنَا الاستغناء عنه في حياتنا ...

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 381

2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 391

3 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 387

4 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 387

5 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 379

6 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 389

7 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 381

الفصل الرابع _____ تجليات القصصية في مجمع الأمثال

و غيرها كثير في المدونة لما احتوته من إشارات و دلالات عبّرت عن سلوكات الإنسان على سجل الزمان (حضارياً ، فكرياً ، ثقافياً ، نفسياً ...) و ذلك من أجل تحقيق الأمان و نشر الطمأنينة التي كان يفتقر إليها العربي قديماً سواء أكان ذلك في المأكل أو الملبس ، أو المشرب ، أو المأوى ...

"بعد كلّ ما تقدّم، تشعر وكأنّ الأمثال اخترنت طاقة شعب تفجّرت ينابيع مواهبه في شرايين الكلام، فأينعتْ أسلوباً أخاذاً وإعجازاً لا يحدّ بوصف، كلّ ذلك عبر لغة أعطتها الحياة من إمكانيات بخلت بها على سواها، فجاد أصحابها بالاعتناء بها وتفنّنوا بذلك كلّ تفنّن، حتّى أضحت عالماً فنيّاً قائماً بذاته، و يطرح علينا نحن أبناء القرن العشرين، الكثير من الأسئلة التي نقف أمامها مغلوبي الألسن لا نُحسّن الإجابة"¹.

فالمثل العربي في حقيقة الأمر هو تشبيه ضمني في معظمه و كنايةات ومن ثمّ فإنّه يقوم على افتراض المواقف السياقية وقصص الأمثال والتجارب الواقعية التي بُني عليها وصار مثلاً متداولاً ومُنشراً في كافّة الأزمنة و العصور .

و هذا ما رأيناه في النموذج المثل من قول العرب " وَاَفَقَ شَنْ طَبَقَةَ " ² .

يتحوّل هذا المثل إلى كفاءة موضوعية ، و اجتماعية تتمزج بالتصوّرات الذهنية و المادية ، من خلال ما يتمتع به الطرفان [شَنْ و طبقة] و يتحصّل التطابق و التعاضد بين الشخصيتين في أمور الحياة الدنيوية .
فيتحقّق هنا الافتراض المسبق بايجابياته و بالتالي تتحقّق مقصدية الخطاب و الحدث المنجز في الفعل الكلامي و يخرج السامع بنتيجة تداولية لسانية مفادها التوافق على جميع الأصعدة لتحقيق الغاية المرجوة .

و كذا الحال في المثل القائل : " الْحَيْلُ أَعْلَمُ بِفُرْسَانِهَا " ³

قال أبو عبيد : " يَعْنِي أَنَّهَا قَدْ اخْتَبَرَتْ رُكَّابَهَا فَهِيَ تَعْرِفُ الْكُفْلَ مِنْ غَيْرِهِ " ⁴ .

يكمن الافتراض المسبق هنا فيما تعودت و تطبّعت عليه الخيل العربية و ما هو كامن وراء الاستعمال اللغوي من أساسات الدّكرة الذهنية الافتراضية و ارتباطها بصاحبها أو فارسها فتمتزج الأبعاد الحسيّة ، و التّفسيّة ، و

1 - توفيق أبو علي ، الأمثال العربية و العصر الجاهلي (دراسة تحليلية) ، ص 42

2 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 423

3 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 306

4 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 306

الفصل الرابع — تجليات القصصية في مجمع الأمثال

الاجتماعية فيما بينها لتُشكّل ذبذبات ذهنية و احتمالات مسبقة متواضع عليها في بيئة كان الخيل نبراسًا لها في مناسباتها و بطولاتها و أفراحها فيتداخل الوعي و اللاوعي ، المتوقع و اللامتوقع ليرسم منطوقًا تداوليًا ذهنيًا خاصًا به .

و بهذا المعطى فإنّ الافتراض المسبق هو ضرب من التمثيل الذهني و التأويل التداولي لمعطيات الأفكار على وجه التضمن و الاقتضاء ، و يعني ذلك وجود معلومات متضمنة لدى السامع كما هي لدى المتكلم و يبرز دورها في تمكين السامع من إدراك أو فهم أو معرفة مبتغى المتكلم على وجه التواصل بين الطرفين ، و لا يفهم ذلك دون استيعاب فحوى الخطاب ...¹

2- إستراتيجية قصد الإقناع :

إنّ الإستراتيجية الإقناعية هي إستراتيجية تداولية تكتسب اسمها من هدف الخطاب " وتستعمل من أجل تحقيق أهداف المرسل النفعية " ² من أجل إقناع المتلقي و حمله على التسليم بوجهة مقاصده بحيث أنّ : " تأثيرها التداولي في المرسل إليه أقوى ، و نتائجها أثبت و ديمومتها أبقى لأنها تنتج من حصول الإقناع عند المرسل إليه غالبًا و لا يشوبها فرض أو قوّة " ³

لذلك اخترنا مجموعة من الأمثال التي تحمل في حوزتها مقصدية الإقناع و المثل الآتي خير دليل على ذلك :

" رَجَعَ بِحُفَيِّ حُنَيْنٍ " ⁴

دلالة المثل و قصته كما ورد عند الميداني : " قال أبو عبيد : أصْلُهُ أَنَّ حُنَيْنًا كَانَ إِسْكَافًا مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ ، فَسَاوَمَهُ أَعْرَابِيٌّ بِحُفَيِّينَ فَاحْتَلَفَا حَتَّى أَغْضَبَهُ ، فَرَادَ غَيْظَ الْأَعْرَابِيِّ ، فَلَمَّ ارْتَحَلَ الْأَعْرَابِيُّ ، أَحَدَ حُنَيْنٍ أَحَدَ حُفَيْهِ وَ طَرَحَهُ فِي الطَّرِيقِ ، ثُمَّ أَلْقَى الْأَخْرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ ، فَلَمَّا مَرَّ الْأَعْرَابِيُّ بِأَحَدِهِمَا قَالَ : مَا أَشْبَهَ هَذَا الْحُفَّ بِحُفَيِّ حُنَيْنٍ وَلَوْ كَانَ مَعَهُ الْأَخْرَ لِأَخَذْتُهُ ، وَمَضَى ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْأَخْرَ نَدِمَ عَلَى تَرْكِهِ الْأَوَّلِ ، وَ قَدْ كَمِنَ لَهُ حُنَيْنٌ ، فَلَمَّا مَضَى الْأَعْرَابِيُّ فِي طَلَبِ الْأَوَّلِ عَمِدَ حُنَيْنٌ إِلَى رَاحِلَتِهِ وَ مَا عَلَيْهَا فَذَهَبَ بِهَا وَ أَقْبَلَ

1- فوزي علي صويلح ، القوة التداولية في المثل العربي ، ص 136

2 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) ، ص 445

3 - المرجع نفسه ، ص 445

4 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 378

الفصل الرابع _____ تجليات القصصية في مجمع الأمثال

الأعرابي ، وَ لَيْسَ مَعَهُ إِلَّا الْحَفَّانُ ، فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ : مَاذَا جِئْتَ بِهِ مِنْ سَفَرِكَ ؟ فَقَالَ جِئْتُكُمْ بِخُفْيِ حُنَيْنٍ فَذَهَبَ مِثْلًا " 1

يُضْرَبُ لِلنَّدَمِ وَ الْحَسْرَةِ الَّتِي يَصَابُ بِهَا الْمَرْءُ فِي حَيَاتِهِ حِينَ يَتَطَلَّعُ لِإِنْجَازِ فِعْلٍ مَا أَوْ إِصَابَةِ شَيْءٍ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا تِلْكَ هِيَ ثَمَرَةُ الْفِعْلِ الْكَلَامِيِّ فِي الْمَثَلِ وَ غَرَسَهُ .

وَأَوَّلُ تَمَظُّهِرٍ لِلْجَانِبِ الْإِقْنَاعِيِّ فِي الْمَثَلِ السَّالِفِ ذَكَرَهُ يَتَبَدَّى مِنْ خِلَالِ الطَّابِعِ الْقَصْدِيِّ ، الَّذِي يَحْرُكُ فِعْلَ الْإِنْتِاجِ وَ يُوَجِّهُهُ كَذَلِكَ فِعْلَ التَّأْوِيلِ نَحْوَ اسْتِنْبَاطِ مَقَاصِدِ الْخُطَابِ الْحَقِيقِيَّةِ فَصَاحِبُ الْمَثَلِ يَقْصِدُ تَمْرِيرَ خُطَابِهِ إِلَى الْمُتَلَقِّيِّ بِطَرِيقَةِ تَلْمِيحِيَّةٍ ، وَ التَّلْمِيحُ هُوَ فِعْلٌ مَقْصُودٌ يَهْدَفُ مِنْ وَرَاءِهِ إِلَى تَقْدِيمِ مَقَاصِدِ وَفَقِ رُؤْيَا مَقْنَعَةٍ كِإِفْرَارٍ مِنْهُ بِقَصْدِيَّةٍ مَا يَكْتُبُهُ ، وَ بِقَصْدِيَّةٍ الْقَارِئِ عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ فِي سِيَاقِ زَمَانِيٍّ وَ مَكَانِيٍّ مَعَيَّنٍ ، فَلَقَدْ تَمَّ إِقْنَاعُ الْمُتَلَقِّيِّ بِخِيبةِ الْأَمَلِ وَ الْيَأْسِ مِنَ الْوَصُولِ إِلَى الْمَرَادِ كَمِثْلِ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ السَّادِجِ الَّذِي لَاقَى نَتَائِجَ أَفْعَالِهِ وَ رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ بِهَذِهِ الْخِيبةِ ، فَالْفِعْلُ النَّاتِجُ هُوَ حَثُّ السَّمَاعِ عَلَى عَدَمِ التَّهَوُّنِ وَ الْاسْتِهْزَاءِ بِالْآخَرِينَ قِصْدِ إِغْضَابِهِمْ أَوْ التَّمَرُّدِ عَلَيْهِمْ إِذْ تَحَقَّقَتْ إِسْتِرَاطِيغِيَّةُ الْإِقْنَاعِ وَ تَعَالَقَ السِّيَاقَاتُ الْخَارِجِيَّةُ .

وَ نَمَثِّلُ تَرْسِيمَةَ الْفِعْلِ الْكَلَامِيِّ عَلَى النُّحُوِّ الْآتِيِّ :

القوة الإنجازية الظاهرة أو المباشرة هي الإعلان بخيبة الأمل ← الفعل الكلامي

القوة الإنجازية ضمنيًا أو مقاميًا هي الحسرة و التأسف تفهم مقاميًا أو سياقيًا ←

وَ مِنْ ثَمَّ فَإِنَّ الْقَصْدِيَّةَ طَبَقًا لِاسْتِعْمَالِهَا التَّدَاوِلِيَّ تُعَدُّ مَسْوُوعًا لِلْقَوْلِ فِي الْمَبْتَدَأِ وَ الْمُنْتَهَى إِذْ لَا يُمْكِنُ لِلْمَثَلِ بِوَصْفِهِ خَبْرًا أَنْ يَخْلُو مِنَ الْقَصْدِيَّةِ الَّتِي تَتَمَوَّضَعُ فِي مَسَارِ الطَّلَبِ ، وَ يَجْرِي عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْثَالِ ، وَ يَصِحُّ قِيَاسُهَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ .

3- الإستراتيجية التضامنية :

3-1- الأفعال اللغوية (الانجازية) : Speech actes

تُعَدُّ نَظْرِيَّةُ الْأَفْعَالِ اللَّغْوِيَّةِ (Les actes de langages) مِنْ أَهَمِّ النَّظْرِيَّاتِ الَّتِي شَهِدَتْ حَرَكَةَ نَوْعِيَّةٍ فِي التَّفَكِيرِ التَّدَاوِلِيِّ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ مِنْ خِلَالِ زَعَمَاءِ هَذِهِ النَّظْرِيَّةِ الْحَدِيثَةِ -أوستن- (Austin) وَ تَلْمِيذِهِ -

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 378

الفصل الرابع ————— تجليات القصدية في مجمع الأمثال

سيرل - (Searl) و ارتباطها بالقصدية و بالقوة الإنجازية ، و ذلك لأهميتها في الدراسات التداولية ، و تحليل الخطاب " كلّ كلام ينطوي على قصدٍ ، أو يُعبّر عن قصد تصوغه بالأحرى مقاصد متكلميه و أغراضهم " ¹ إذ " أنّ النص ليس بنية عشوائية ، و إنّما عمل مقصودٌ به أن يكون متناسقاً و مترابطاً لكي يُحقّق هدفاً مُعيّناً و بمعنى آخر هو عمل مخطط يستهدف به تحقيق غاية بعينها " ² .

و فقد النصّ هذا الشرط الأساسي فلا أساس للأقوال و الخطابات التي تصدر عن المتكلم ، و لا للسامع أو القارئ حاجة له بذلك . فيصبح النصّ عقيماً بدون وجود قصدية المتكلم و مدى تأثيرها على القراء . و يُعتبر الفعل اللغوي محور اهتمام الدراسات التداولية التي تُركّز على تأويل التصوُّص باعتبارها أفعال للغة ، أو مجموعة من المتتاليات لأفعال اللغة ، كالعود ، و التهديدات ، و الطلبات ... و بتعبير أدقّ فإنّ التداولية تقوم بتحويل مختلف الموضوعات إلى أفعال لغوية ، و للإشارة فإنّ الفعل اللغوي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقصد ³ و هذا ما ذكرناه سابقاً عن أهمية القصد في اللسانيات التداولية ، " و ترتبط الأفعال الإنجازية بمجموعة من الشروط ، من بينها شروط النجاح و الفشل ، فالفعل الذي لا يُحقّق نجاحاً لا يمكن عدّه فعلاً ، و بالتالي فهو ليس موجوداً كما يرتبط الفعل الإنجازي أيضاً بالغرض الذي يتخذ من الفعل حيّزاً له ، و لا يكون هذا الفعل مؤثراً إلاّ إذا تطابقت نتيجته مع هذا الغرض " ⁴ .

و ما يتوارى إلى أذهاننا من خلال هذه الآراء حول نجاعة الفعل اللغوي (Acte de langage) ليضمن لنفسه التأهيل و النجاح من خلال ارتباطه بالتأثير ، و الغرض من وراء إنجاز هذه الأفعال ، فهي لا تأتي هكذا من عدم أو فراغ و إنّما نتيجة قرائن و رموز معيّنة لذلك لا بدّ من أخذ نجاعة الفعل اللغوي بعين الاعتبار حتّى تتحقّق قوّته الإنجازية و تديع أهميته كما نلاحظ ارتباط الأفعال اللغوية بالقصدية ارتباطاً وثيقاً لا مناصّ منه .

حظيت الأمثال العربية في ظلّ هذا التصوّر القصدية مدار اهتمام العديد من النقاد و الدارسين لما يستحويه هذا الفعل الرّاقى و جمعه بين الواقع و المتخيل الذهني ، و بين ما هو ثابت و متحوّل ، في ظلّ مجموعة من التراكمات

¹ - عبد الواسع الحميري ، آفاق الكلام و تكلم النص ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، ط 1 ، 1431 هـ / 2010 ، ص 294

² - يوسف نور عوض ، نظرية النقد الأدبي الحديث ، دار الأمين ، القاهرة ، ط 1 ، 1994 م ، ص 102

³ - راضية بو بكرى ، نظرية الأفعال اللغوية و تحليل الخطاب ، ص 47 - 48

⁴ - المرجع نفسه ، ص 56

الفصل الرابع _____ تجليات القصيدة في مجمع الأمثال

التصية و ما تحمله من محتوى قضوي تجعل هذا الكيان المعرفي قوة إنجازية متجدرة في الأفعال اللغوية . لذلك يمكن استخراج نماذج من الأمثال تحتوي على المنجز اللغوي للأفعال القصدية و تعلق بها إلى دائرة الحدث اللساني ، ينطق فيها العمل الإبداعي [الفعل الكلامي] للمقاصد . و دليلنا على ذلك قول العرب قديماً :

- " أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ " ¹ .

- " لَا تَدْخُلُ بَيْنَ الْعَصَا وَ لِحَائِهَا " ² .

- " لَا تَعْجَلْ بِالْإِنْبَاصِ قَبْلَ التَّوْبِيرِ " ³ .

و غيرها من النماذج التي عبّرت بكل مصداقية عن الفعل القصدي و المتضمنات القولية و مدى نجاعتها لضمان سيرورة الخطابات الإبداعية و التداولية .

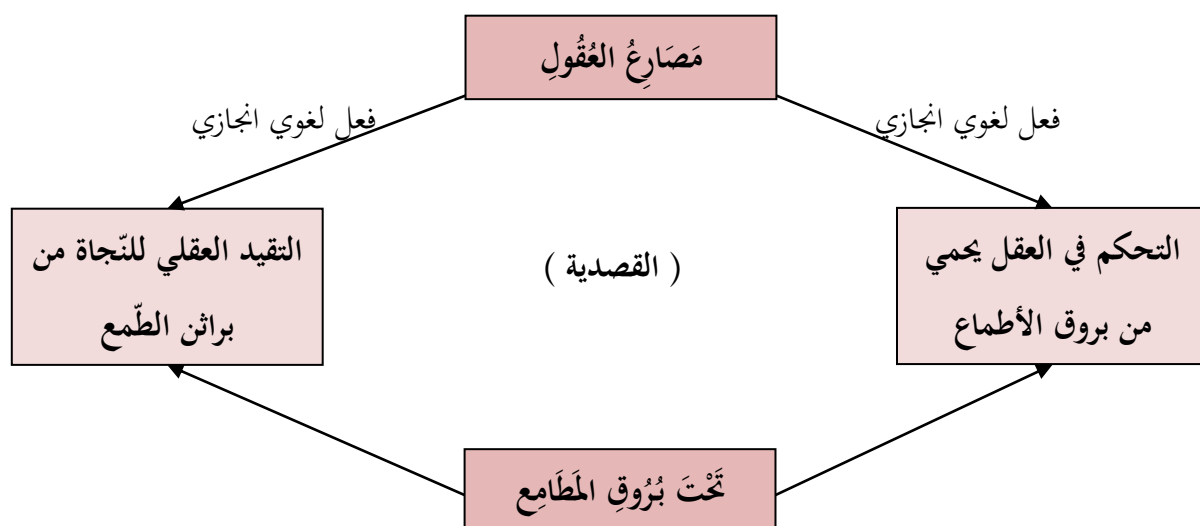
فالمنظور و المتصور الذهني في برائن المثل - أكثر مصارع العقول تحت برقوق المطامع - يحمل قيم قصدية في مكونات الخطاب حاملة من الصيغ الإنشائية المضمرة و المبطنة إلى أفعال قصدية إنجازية ، إذ يؤسس المقترض التداولي بصيغة الأمر المقرون بقرائن أخرى ، و يفتح في منطوقه النصي على فضاءات لسانية ، و تداولية تحرر مدلولاته الواقعية من حالات تقريرية مباشرة ، و من سلطان المعيارية في التخاطب الإنساني إلى فعل إنجازي دال ، من خلال ضربي الخبر و الإنشاء بصيغ الأمر و ما يحمله هذا الأخير من قوة إنجازية ، إذ تتداخل هنا عوالم متعاضدة بين الثنائيات المتشابهة تارة ، و الثنائيات الضدية تارة أخرى لتتسج بتألق حقائق و برائن المفسد المتجلية في الطمع و الجشع الذي غرس في العقول البشرية منذ الأزل البعيد و انعكاساته السلبية على حياة الأدميين بشكل عام .

من خلال ما تقدم يمكن استظهار خصائص و سمات الفعل الإنجازي القصدي لهذا المثل وفق النموذج الآتي :

1 - أبو الفضل احمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 192

2 - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 273

3 - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 272



و بالتّمعن في متون المثل العربي ، و الغوص في إحياءاته الباطنية لا جرم أنّه يحمل طابعًا و بُعدًا تداوليًا براغماتيًا خاصًا به . فتستنتق المخزون الذهني و الكفاءة الإنجازية للأفعال اللغوية ، و من بين هذه النماذج الراقية تداوليًا القول الشهير :

" إِنَّ الرّثيئة تَفْتَأُ الغَضَب " ¹ . و قصّة المثل التي لا مَنَاصَ من ذكرها : " زَعَمُوا أَنَّ رَجُلًا نَزَلَ بِقَوْمٍ ، وَ كَانَ سَاخِطًا عَلَيْهِمْ ، وَ كَانَ مَعَ سَخَطِهِ جَائِعًا فَسَقَوْهُ الرّثيئة ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ " ² .

إذُ يتضمن المثل رؤية إنسانية جديدة بالذكر ، و يعكس لنا فلسفة عميقة تستحق التأمّل من حيث التدفق التلقائي للأحاسيس و المشاعر الإنسانية باعتبارها مؤشرات ذهنية تضبط العلاقة بين الذات (المتلفظة) و الآخر (المستقبل) في سياق التماس الأعذار للآخرين و حسن التّوايا و هذا من منظور الثقافة الإسلامية العربية ، الذي يتمثل العذر هنا في هيئته الإيجابية بمنطوق الفعل القصدي [التمس لأخيك ألف عذر] ، كحال هذا الرّجل الذي كان ساخطًا و ناقمًا على هؤلاء القوم ، لكن في مقابل ذلك التمسوا له العذر و سقوه اللبن كهديّة له ، فتريّثَ و أسكن غضبه ، و هذا ما نجده في حديث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم [تَحَادُوا تَحَابُوا] .

فهذا الفعل الإنجازي القصدي المنبثق من العالم الاجتماعي بين الشعوب يكتسب وظيفته القصدية و الإبداعية التي يؤسّسها المتكلّم نحو المتلقين أو السّامعين فيسمو بذلك و يعلو فنّ الرّقي و التعامل بين الأفراد لضمان العيش بسلام و حُبّ و وئام .

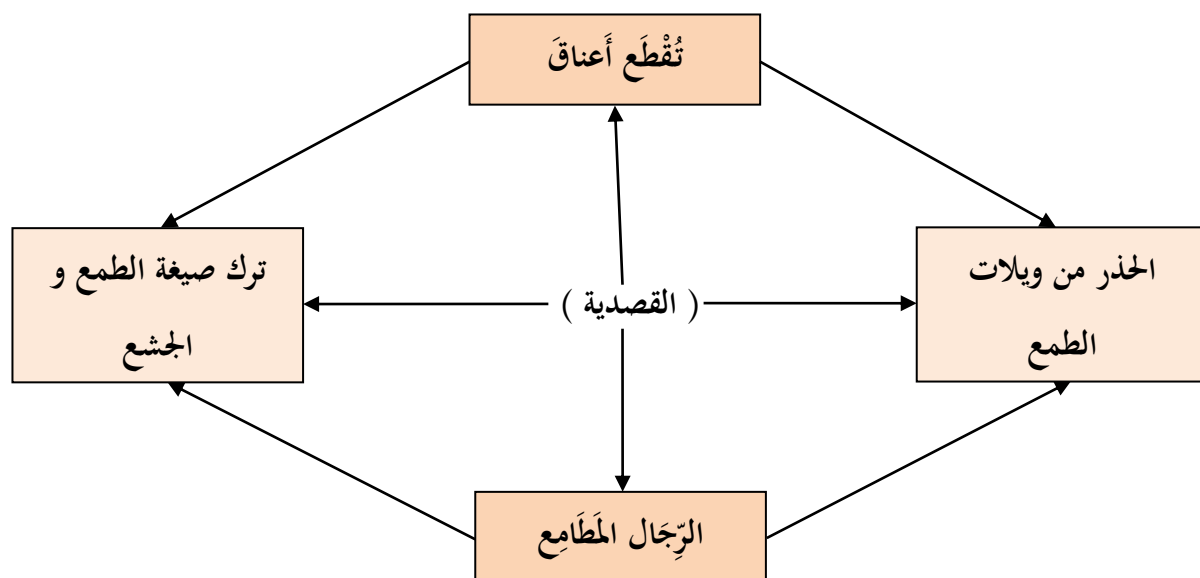
¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 38

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 38

الفصل الرابع _____ تجليات القصدية في مجمع الأمثال

و يُحِيلنا قولهم : " تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ المَطَامِعِ " ¹ .
" يُضْرَبُ فِي دَمِّ الطَّمَعِ وَ الجَشَعِ " ² .

يتمثل الحدث الكلامي الإنجازي الذي بُني على القصد في صورته الإنشائية المبطنة من خلال النهي عن سلوك الطمع الذميم عبر آفاق التمثيل الذهني لصراع العقول مع الماديات و اللهث ورائها ، فجاءت الصّور الإنشائية في محلّها الصّحيح من أجل الرّفْع عن هذه الصفات التي غزت عقول البشرية جمعاء . صاغه المتكلم في أسلوب تربوي إقناعي هادف ، و غايته المستلزمة ضمنيا و مقامياً تمثلت في التّويخ ، و الدّم و التّريغيب ، و التّخويف ، فالمثل ييوح فيما وراء اللغة بضرورة التحرر من سلاسل عبودية الطمع و إتباع الشّهوات على وجه من التّحفيز و التّريغيب و تحقيق نوعاً من التّوازن في الحياة الجماعية لضمان عيشة كريمة بعيدة عن أجواء الرغبات المكونة مادياً .
و من هنا تتحقق مقصدية المتكلم في الإقناع و التأثير على جميع الأصعدة و يُصبح المثل ككلّ حدث كلامي ذا بُعد إنجازي دالٍ . و يتمّ تمثيلها على النحو الآتي :



إنّ المتصوّر الذهني للحدث الكلامي المنجز قد جعل من " لَأ تَعْجَلْ بِالإِنْبَاضِ قَبْلَ التَّوْتِيرِ " ³ حدثاً كلامياً قسدياً بامتياز صوّر التّعجّل في الأمور بصورة سلبية [الاستعجال قبل الأوان] و ما يترتب عنه من آثار وخيمة

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 193

2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 193

3 - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 272

الفصل الرابع — تجليات القصدية في مجمع الأمثال

على الفرد خاصة ، فلا بد من التريث و التأني في اتخاذ القرارات مهما كان حجمها ، و بالتالي يأخذ الإنباض و التوتير في ثنائية متضادة متجددة في اللاوعي في سلوكات الإنسان النفسية منوطة بالفعل الإنجازي في سياق معرفي تواصلية حرّكت لدى المتلقين بضرورة عدم الاستعجال و الحرص على ضبط السلوك الإنساني في ظلّ الهفوات و الزلات فكلها معالم تداولية مسكونة بلوازم و قرائن دالة عليها مغزاها تداولي إقناعي .

و المتمنّ في الخطابات الدينية نجد قضية الاستعجال أنّها من فطرة و طبيعة النفس البشرية و دليلنا على ذلك قوله عزّ و جلّ " وَ كَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا " ¹ .

فالقوة الإنجازية التي حملها المثل السابق متمثلة في التحذير ، و التنبيه ، و النصّح ، و الإرشاد و النهي باعتبارها ركائز القوة الإنجازية المتضمنة في القول و يظهر ذلك من خلال الإشارات السالبة التي تضمنها المثل و ضرورة الترفع عن هذه السلوكات اليومية حتى لا يقع الفرد في بوتقة الندم .

و عبر مسارب التخيل الذهني و النشاط العقلي يُؤوّل النهي في المثل الآتي: " لَأَ يَصْلُحَ رَفِيقًا مَن لَمْ يَبْتَلَعْ رِيفًا " ² إلى حدث منجز للأفعال القصدية ، إذ يتحوّل الصديق هنا من صديق السعادة إلى صديق الضلال و التيه ، إذ يتحدّد المنطوق الإنجازي للفعل الكلامي عبر وسائط وقرائن بين المنطوق و المفهوم المتضمّن ، و المقصود بذلك تحوّل المثل من الصيغة الخبرية إلى الصيغة الإنشائية ، بما هو محمول عليه من دلالة (التحذير و الإنذار) بخصوص رفيق الدرب — الصديق — الذي لا يكظم الغيظ ساعة الغضب ، فالصديق الحقيقي هو الذي يبتلع كظمه و غيظه في المواقف الحرجة حتى لا يخسر أصدقائه ، فالدلالة المستلزمة تمثلت في اختيار الصديق الصحيح و المناسب حتى يضمن الإنسان حياته بصورة هادئة و مستقرّة ، كما أنّ له من الحلقة الفطرية ما يُثبت ذلك في قوله تعالى في سورة آل عمران : " الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " ³ . فالمثل يحمل قوّة إنجازية قصدية منوطة بالدلالات و الوسائط اللغوية الدالة عليها .

و هذا ما تمّ استنتاجه من قول العرب : " عَثْرَةُ الْقَدَمِ أَسْلَمٌ مِنْ عَثْرَةِ اللِّسَانِ " ⁴ .

يتحدّد المنطوق الإنجازي لهذا الفعل الكلامي من خلال ما يحمله من مكنونات متجددة في ثناياه و آلية التحذير من عثرات اللسان و عواقبها على الإنسان بصفة خاصة و المجتمع عامة .

1 - سورة الإسراء ، الآية (11)

2 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 286

3 - سورة آل عمران ، الآية (134)

4 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 305

الفصل الرابع — تجليات القصديّة في مجمع الأمثال

و النهي عن هاته الموبقات بقرائن و إحالات تُفهم من سياق المقام ، من خلال الثنائية المتضادة بين عثرة القدم و عثرة اللسان . فالأولى منحصرة على الذات في حين الثانية تتجاوز إلى (الآخر) .
و من هنا فقد تحدّدت الغاية القصديّة و المنجز الفعلي للحدث الكلامي ، و بمقاييس ذمّ البخل باعتباره ظاهرة امتدّت جذورها إلى يومنا هذا في قولهم : " لا يَكْسِبُ الحَمْدَ فَنِّي شَحِيحٌ " ¹ .
فالمثل في حدّ ذاته قوّة إنجازية غايتها الأساسية التحذير و الإنذار من [البخل و الشح] فلا حَمْدَ لِمَن يحمل هذه الصفة و ما زاد من قوّة المنطوق الكلامي الثنائيات اللامتوقعة بين دلالات الحمد و دلالات الشحّ فلا مجال للالتقاء بين الدالّتين ممّا يُؤلّد في نفسية المتلقين ضرورة الترفع عن هذه الموبقات اللإنسانية و ما يترتّب عنها جوانب ضارّة . يغدو الفعل الكلامي فعلاً إنجازياً تأثيرياً استطاع تحريك النفوس و تجاوز اللامعقول في إطار تداولي قصدي .

3-2- الإستراتيجية التضامنية و علاقتها بمقاصد الخطاب :

تتمحور هذه الإستراتيجية ، و تقوم أساساً على أدوات و أساليب لغوية معينة ، مبدأها التّضامن ، و التآزر مع المرسل إليه ، و يرتكز استعمال الإستراتيجية التضامنية بمقصديّة المتكلم و بهدف الخطاب و مدى سعي المرسل و محاولته التقرب من المرسل إليه ، و هكذا تتحقق للتضامن ميزته الغالبة من أنّه " يُقلّص المسافات ، و يُقلّل الدّرجات ، ممّا يضيق معه إطار الفرقة و تنتفي معه عوامل التشتّت ، حتّى تصبح العلاقة في نهاية الخطاب أفضل منها في بدايته " ² .

إذّ يتلفظ المرسل بخطابه الذي يبني على البعد التضامني و ذلك من خلال وضع نفسه مكان المتلقي في إطار العلاقة التخاطبية ، من خلال وجود صلة شراكة في إنشاء كلامه . " كما لو كان يسمع كلامه بإذن غيره ، و كأنّ الغير ينطق لسانه " ³ .

من شروط استخدام الإستراتيجية التضامنية الإخلاص ، فهي عمادها و أساسها من خلال التجرد من مبدأ الأنانية إذّ لا بدّ من توّدّد المرسل للغير و إضفاء الشّرعية المطلقة ، و يقتضي ذلك " بأنّ يقدم المتكلم حقوق المخاطب على حقوقه ، و ليس هذا التقديم حطّ من مكانة المتكلم و لا إضاعة لحقوقه " ⁴ .

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 292

2- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، ص 258

3 - طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، ص 50

4- المرجع نفسه ، ص 252

الفصل الرابع — تجليات القصدية في مجمع الأمثال

3-2-1- تعريف الإستراتيجية التضامنية :

و رغم هذا ، يمكن الحدس بمفهوم الإستراتيجية التضامنية تقريباً بأنها الإستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسّد بها درجة علاقته بالمرسل إليه و نوعها ، و أن يعبر عن مدى احترامه لها و رغبته في المحافظة عليها ، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما ، و إجمالاً هي محاولة التقرب من المرسل إليه و تقريبه ¹ .

و هي واحدة من الإمكانيات التعبيرية التي ينتجها المخاطب في سبيل تحقيق غاياته التّخاطبية المتعدّدة ² . هذا ما جعل الباحث " جورج يول " أن يربط هذه الإستراتيجية بالجانب التّأدّبي حيث قال : " يمكن اعتبار النزوع إلى استخدام صيغ التهذيب الإيجابية ، التي تؤكّد على التقارب بين المتكلّم و السّامع ، على أنّه لإستراتيجية تآزر Strategy Solidarity . و يمكن أن تكون هذه الإستراتيجية الأساس العاملة بين مجموعة برمتها أو أن تكون خياراً يستعمله متكلّم في ظرف مُعيّن " ³ .

و يمكن أن تتنوّع هذه الإستراتيجية بتنوّع العلاقة بين المرسل و المرسل إليه وفق معيار السلطة بحيث :

يتضامن المرسل مع المرسل إليه ← إذا كانت رتبته أقل من رتبة المرسل إليه

يتضامن المرسل مع المرسل إليه ← عندما تعلو سلطته ⁴ .

نفهم من خلال ما قلناه حول مفهوم الإستراتيجية التضامنية هو محاولة المتكلم السعي إلى التقرب من المتلقي و تقريبه إليه ، و هذا يعكس لا محاولة مدى التعاون و التهذيب الذي يمتلكه المرسل اتجاه المرسل إليه بالرغم من امتلاكه سلطة أعلى و أقوى ، فيجتهد في محاولته و بذلك يجلب إليه المخاطب على سماعه و قبول مقولاته و الحرص على العمل بها ، للوصول إلى المنفعة لنفسه و لمخاطبه على حدّ سواء .

3-2-2- مسوغات استعمال الإستراتيجية التضامنية :

تُعنى الإستراتيجية التضامنية بالتعامل الأخلاقي أولاً دون إغفال الاهتمام بتبليغ القصد و التعبير عنه و من مسوّغاتها : ⁵

1 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، ص 257

2 - المرجع نفسه ، ص 257

3 - جورج يول ، التداولية ، ص 106

4 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، ص 257

5 - طه عبد الرحمان ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، ص 243

الفصل الرابع ————— تجليات القصدية في مجمع الأمثال

أ- تأسيس الصداقة و الألفة بين طرفي الخطاب ، أو إعادتها بين طرفين فرق بينهما الزمن أو غيره فابتعدا كثيراً عن بعضهما البعض .

ب- تحسين صورة (المرسل) أمام الآخرين ، إذا كان معروفاً بالتشدد في آرائه ، أو التسلّط و توحّي الطريقة الرسمية الجامدة ، و الجفاء في خطابه .

ج- إشاعة التضامن في حياة الناس و تمتيته بما ينعكس على التفاعل الخطابي ، و تطوير حقهم في ممارسة الحياة بحرية مع تقليص دور السّلطة .

د- وُجوب استعمال التضامن في الحقول التعليمية و التربوية ، لأنّ التآدب و التخلّق و التعاون في الخطاب مع الطلبة وسيلة ناجحة و ناجعة ، تيسّر الفهم ، و تزرع الحبّ ، فتصبح طريقاً للعلم ، و سبيلاً للمعرفة .

هـ- كسب ولاء الناس في جميع المؤسسات ، و مجالات الحياة كافة : السياسية ، و الدينية ، و الثقافية ، و العلمية ...

و- استعمال الإستراتيجية التضامنية عند الاستعداد لخدمة الآخرين ، إذ يعزز المرسل ، بذلك الصداقة الحميمة معهم و لن يكون هناك إراقة لماء الوجه عندما يتضامن المرسل مع المرسل إليه بقوله : أبشر ، تفضّل ، اجلس ، أهلاً و سهلاً ، أرحّب بكم أجمل ترحيب ... إلى غير ذلك من عبارات الترحيب التي تتمّ عن روح التخلّق و التهذيب و التلطف ، بالتخلي عن السلطة المكتسبة و روح التعالي على الآخرين ، و عندئذ يلمح المرسل للمرسل إليه الذي هو دونه مرتبة بأن يستعمل الإستراتيجية التضامنية بدلاً من الإستراتيجية التّبجيلية (المذلة) و في ذلك تعليم و تهذيب لكلا الطرفين بأنّ الحياة الكريمة لا تقوم إلاّ على التعاون و التضامن و التواضع ، و نبذ سلوك الكبر و التعالي ¹ .

3-2-3- معوقات استعمال الإستراتيجية التضامنية :

هناك معوقات و موانع تحول دون استعمال الإستراتيجية التضامنية و هي : ²

أ- إذا أخلّ المرسل إليه بالعلاقة التراتبية بينه و بين المرسل ، أو حاول المساس بمقتضياتها الأصلية أو أراد أن يحوّل أثرها ؛

ب- عدم الحرص على إنجاز الأعمال في الوظائف الحكومية ، و غير الحكومية أو التراخي في إنجازها ؛

¹ - طه عبد الرحمان ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، ص 243

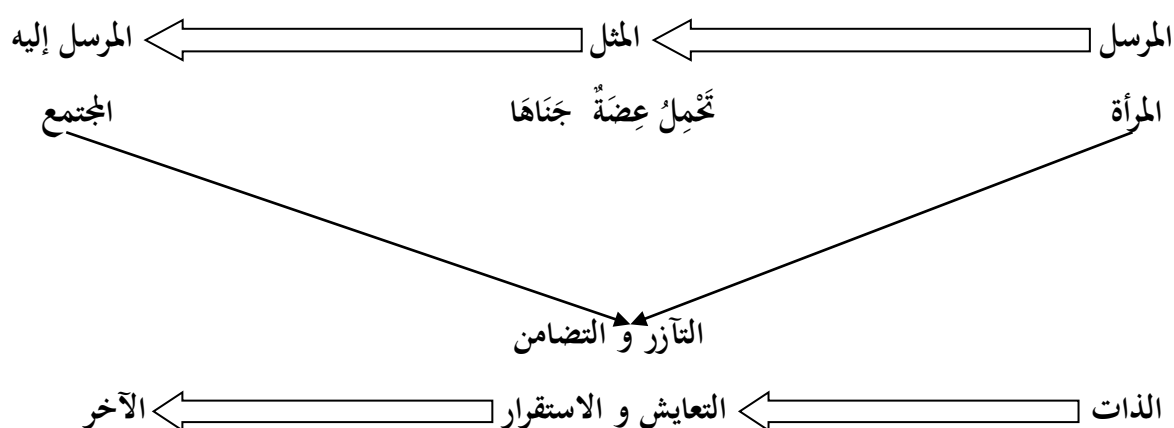
² - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب (مقارنة لغوية تداولية) ، ص 264

الفصل الرابع _____ تجليات القصصية في مجمع الأمثال

- ج- إهمال للواجبات باستغلال روح التضامن ، و خاصة في مجال التربية و التعليم ؛
د- عدم حفظ الحقوق الثابتة بين طرفي الخطاب ، مثل : الحقوق بين الوالد و ولده ، أو الأستاذ و طلابه ، أو الضابط و جنوده ، أو مدير الدائرة و موظفيه ؛
هـ- فهم الإستراتيجية التضامنية خطأ بأنها الحرية المطلقة ، و عدم الالتزام ، و مزج الجد بالفكاهة و الهزل و المزاح ... بما يُفضي إلى التلكؤ في انجاز الأعمال و شيوع الفوضى و غياب القانون و النظام .

و على غرار ما تقدّم في الأمثال السابقة يتراعى المرسل في قول العرب : **تَحْمِلُ عَصَةَ جَنَاهَا**¹ ، إذ يتأزر في إستراتيجيته التضامنية مع الأفق الاجتماعي و مناصرة الضعفاء المتمثل في المرأة و قصة المثل كما أورده الميداني : " أصل ذلك أنّ رجلاً كانت له امرأة ، و كانت لها ضرة ، فعمدت الضرة إلى قدهن مشتهين فجعلت في أحدهما سويقاً و في الآخر سماء ، و وضعت قده السويق عند رأسها و القده المسموم عند رأس ضرتها لتشربه ، ففطنت الضرة لذلك ، فلما نامت حوّلت القده المسموم إليها ، و رفعت قده السويق إلى نفسها فلما انتبهت أخذت قده السم على أنه السويق فشربته ، فماتت ، فيل : تحمل عصة جناها " ² .

... بما يؤطر العلاقة بين المرسل و المتلقي من جهة ، و يحكمها بين المرأة و المجتمع من جهة أخرى ضمن مسافات تحمي كرامتها و تحفظ حقها مع زوجها و ضرتها و تعزز موقعها الأسري و الاجتماعي بين هذه الأطراف . و تمثل دلالة المثل القصصية وفق الخطاطة الآتية :

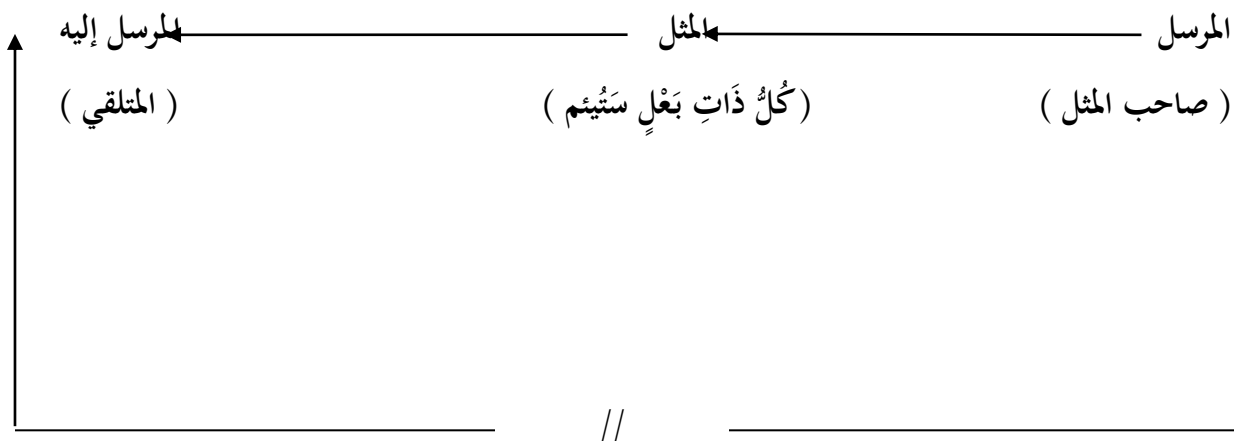


1 - أبو الفضل أحمد محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 165

2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 165

الفصل الرابع _____ تجليات القصصية في مجمع الأمثال

و في إطار الإستراتيجية التضامنية نجد المثل القائل : "كُلُّ ذَاتِ بَعْلِ سَتِيْمٍ" ¹ .
تظهر سمات هذه الإستراتيجية من خلال تضامن و تآزر المرسل مع المرسل إليه (المرأة) التي تفقد زوجها في يوم
ما ، و ذلك نظرًا لطبيعة البيئة الجاهلية و الحياة الاجتماعية التي كان يحياها الرجل العربي آنذاك ، إذ كان عرضة
للقتل و الفتك و الموت في أيّ وقت .
و نمثلها كما يلي :

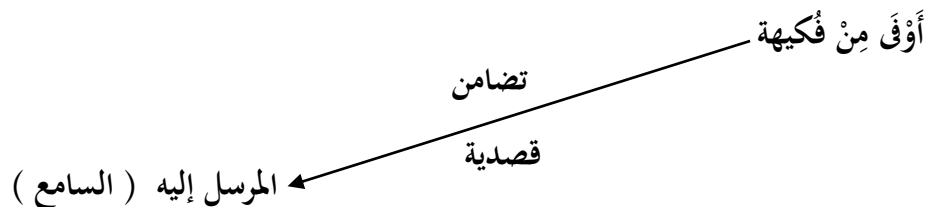


تضامن و تآزر = تحقيق الإستراتيجية التضامنية

" أَوْفَى مِنْ فُكِيهَةٍ " ² .

" ... هي امرأة من بني قيس بن ثعلبة و كان من وفائها أنّ السليلك بن سلعة غزا بكر بن وائل ، فأبطأ و لم
يجد غفلة يلتمسها فرأى القوم أثر قدم على الماء لم يعرفوها ، فكمنوا له و أمهلوه ، حتى ورد و شرب فامتلاً
فهاجموا به ، فغدا ، فأثقله بطنه ، فوَلج قبة فكيهة فاستجارها ... فأجارته ... " ³ .

يندرج المثل وفق منظور تضامني من خلال تصوير وفاء هذه المرأة و تضامن المتكلم مع هذه الشخصية الوفية دون
إغفال اسمها ، فذكرها يوحى بالمرتبة التي وصلت إليها ، بالمقارنة مع مسميات أخريات فالوفاء كما هو معلوم من
أبرز القوانين التي تحكم المنظومة الذهنية القديمة آنذاك . إذ تحقق شرط الإخلاص . الذي يعدّ من ركائز القصصية.



1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 159

2 - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 445

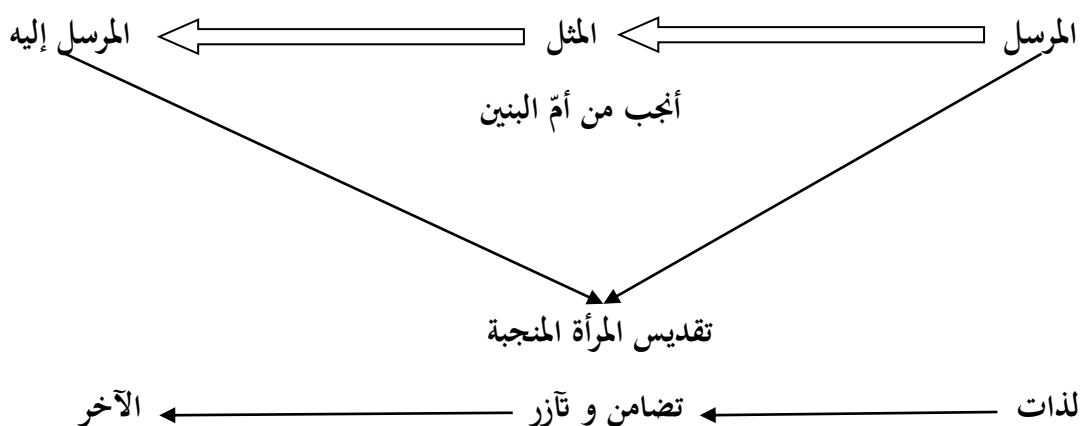
3 - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 445

الفصل الرابع — تجليات القصصية في مجمع الأمثال

من الأمثال التي تحمل صفة التضامن و التآزر المثل القائل :

" أَنْجَبُ مِنْ أُمِّ الْبَنِينِ " ¹ . و غيرها من أمثال العرب : أَنْجَبُ مِنْ فَاطِمَةَ - أَنْجَبُ مِنْ عَاتِكَةَ ... و غيرهم .

هنا إشارة للتضامن و الاحتراف بالمرأة المنجبة ، و منحها مكانة خاصة لما تتمتع به من امتيازات كثيرات ، مما يجعلها تتفوق على المرأة غير المنجبة و فيه انزياح و عدول عن تهميش المرأة في الذاكرة العربية القديمة و إعادة النظر إلى المرأة المنجبة لجماعة الذكور و تحديد العدد ثلاثة بالذات لما فيه من مكانة لدى العرب آنذاك في بيئة تقدس الجماعة و العدد بامتياز ، و من خصائص المجتمع الذكوري الجاهلي و نظرت له استطاع المثل - مرسل المثل تحديداً - بتحقيق الإستراتيجية التضامنية مع المرأة تحديداً و الرفع و السمو بمكانتها القدسية التي احتلتها في ظلّ المجتمع الذكوري الذي يهّمس المرأة و يعلو من الذكر ، إذ تحقق شرط الإخلاص و الصدق و النية و كلها مبادئ أساسية تنبني عليها القصصية و تتحقق في ظلّها .



و كذا الحال بالنسبة للمثل القائل : " التَّجَارِبُ لَيْسَتْ لَهَا نَهَايَةٌ ، وَ الْمَرْءُ مِنْهَا فِي زِيَادَةٍ " ² .

قال عمر رضي الله عنه : " يَحْتَلِمُ الْغُلَامُ لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ وَ يَنْتَهِي طَوْلُهُ لِإِحْدَى وَ عَشْرِينَ ، وَ عَقْلُهُ لِسَبْعِ وَ عَشْرِينَ ، إِلَّا التَّجَارِبَ ، فَجَعَلَ التَّجَارِبَ لَا غَايَةَ لَهَا وَ لَا نَهَايَةَ " ³ .

يندرج المثل ضمن الإستراتيجية التضامنية من خلال تضامن صاحب المثل بما يصيب الإنسان من زلّات و عثرات و خيبات أمل ، من خلال التجارب التي يواجهها في حياته بصورة عامّة ، منها يتعلم الشخص من عثراته ، و

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 412

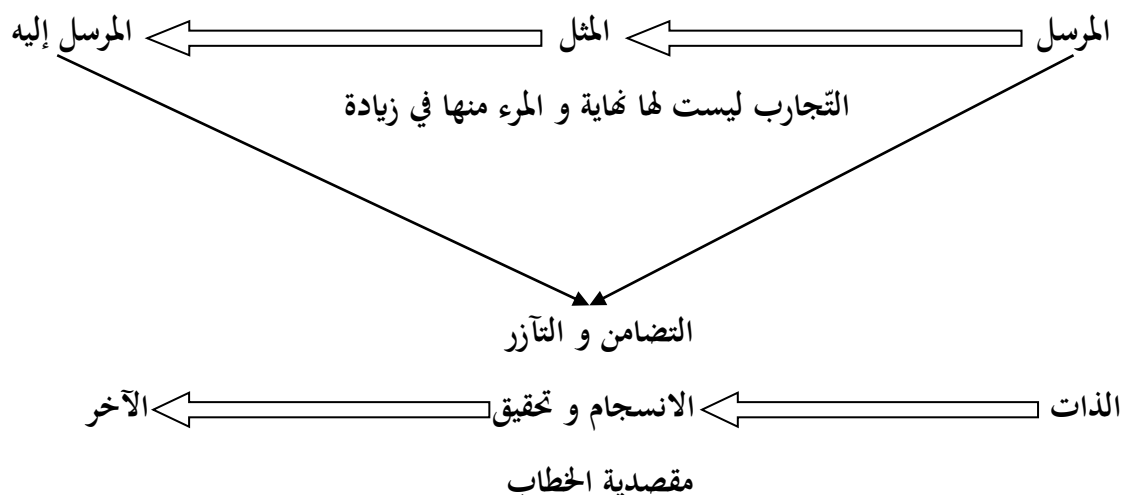
2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 197

3 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 197

الفصل الرابع ————— تجليات القصدية في مجمع الأمثال

خفقاته ، فالمرسل - عمر بن الخطاب رضي الله عنه - بالرغم من أنه أعلى مرتبة من المرسل إليه ، فالكلام موجه إلى عامة الناس دون استثناء .

و الخطاطة الآتية توضح ذلك بعمق :



4- السياق و علاقته بمقاصد الخطاب :

يضطلع السياق بأدوار و أساسيات كثيرة جداً و هامة ، و لقد أولى له القدماء اهتماماً بالغاً في إنتاجه للدلالة ، و قد عبّروا عنه بمصطلحات كثيرة ، و كلّها تلتقي في دلالة تكاد تكون واحدة ، إذ أصبح اليوم من الأسس القوية التي تركز عليها النظرية اللغوية في تحليل الخطاب عمومًا و التحليل التداولي خصوصاً ، و على هذا الأساس تنهض هذه الدراسة لتبيان أهميته و دوره في مقاصد الخطاب خاصّة .

4-1- تعريف السياق :

4-1-1- لغة :

جاء في لسان العرب لابن منظور (ت 392) : السّياق مأخوذ من : " ساق - يسوق - سَوْقًا - و سِياقًا) و هو سائق و سَوّاق ، و أصل السّياق و السّواق . و قد انسقت و تساوقت الإبل تساوفاً إذ تتابعت ، و السّياق : المهر ، و السّياق : نزع الرّوح ، كأنّ روحه تُساق لتخرج من بدنه ، و السّوق : موضع البياعات ، و سوق القتال و الحرب و سوقته : حومته ، و قد قيل : إنّ ذلك من سوق النَّاس إليها . و ساق الشّجرة : جذعها" ¹ .

¹ - ابن منظور ، لسان العرب ، ص 2180

الفصل الرابع _____ تجليات القصصية في مجمع الأمثال

و أما الزمخشري (ت 467 هـ) ، فقد ذكر سياق الكلام في معرض حديثه عن السياق فقال : " و هو يسوق الحديث أحسن سياق و إليك يُساق الحديث ، و هذا الكلام مساقه إلى كذا ، و جئتك بالحديث على سوقه : على سرده " ¹

و أما الفيروز أبادي (ت 817) ، ففي مادة (س ، و ، ق) يُورد من دلالتها الآتي : " السّاق ما بين الكعب و الركبة ، و ساقه الجيشُ مُؤخّرهُ ، و استقاها فهو سائق و سواق ، و المنساق : التّابع و القريب " ² .
و بالتّمعن بالألفاظ المعجمية التي ذكرها اللّغويون لمادة (س - و - ق) ، يمكن أن نستشفّ المعاني الآتية :

- السرد و الإيراد و التتابع .
- الاتّصال و عدم الانفصال .
- الإتيان و القرب و التقديم .
- الانقياد و الاستقامة .

و من هنا فإنّ استخدامنا لكلمة سياق في التعبير " سياق العبارة " ، " سياق الموضوع " ، " سياق الجملة " استخدام مجازي يعود إلى المعنى الأصلي من التتابع ، و السير و الانتظام ³ .

4-1-2- اصطلاحا :

من الأجدد بنا قبل التعرض لدلالة السّيق اصطلاحًا أن نبين أنّ للسّيق نوعين أساسيين هما :
السّيق اللّغوي و نقصد بذلك سياق التّص ، و السّيق غير اللّغوي (سياق الحال أو المقام) أو السّيق الخارجي فهناك فرق بين الاثنين .

فالسّيق اللّغوي : " إنّه حسب المعجم تلك الأجزاء من الخطاب التي تحف بالكلمة في المقطع و تساعد في الكشف عن معناها ... " ⁴ .

لذا يمكن القول أنّ السياق يتعلّق بمفهومين رئيسيين هما :

1 - الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص 314

2 - الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، ص 823-824

3 - عبد المنعم خليل ، نظرية السياق بين القدماء و المحدثين ، دار الوفاء بدنيا الطباعة و النشر ، الاسكندرية ، ط 1 ، 2007 ، ص 27

4 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، ص 40

الفصل الرابع — تجليات القصصية في مجمع الأمثال

الاستعمال الأول : و يتعلّق بالحيط اللّغوي الذي تنتظم من خلاله الكلمات و مجموع الألفاظ ، التي تسبق أو تلي كلمة أو عبارة أو جملة ، و في هذا الصّدّد بالتّحديد نرصد قول ستيف أولمان : " كلمة سياق قد استعملت حديثاً في عدّة معاني مختلفة و المعنى الوحيد الذي يهّم مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التقليدي ، أي النظم اللفظي للكلمة و موضعها من ذلك النظم بأوسع معاني هذه العبارة ، إنّ السّياق على هذا التّفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات و الجمل الحقيقية السّابقة فحسب ، بل و القطعة و الكتاب كله " ¹

الاستعمال الثاني : و الذي تحقّق ضمن الطرح التداولي ، و يضمّ الظروف و الملاسبات الثقافية و الاجتماعية و النفسية التي تحيط بالإنتاج الكلامي ، يقول في هذا الإطار جون ديوبوا (Jean Dubois) : " السياق هو مجمل الشروط الاجتماعية المتفق عليها ، و التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي و استعمال اللّغة ، و هي المعطيات المشتركة بين المرسل و المرسل إليه ، و الوضعية الثقافية و النّفسية و التّجارب و المعلومات الشّائعة بينهما " ². إذ تشكّل هذا التّعريف النقطة الرّئيسية في الدّراسات التداولية عمّامة. إنّ السّياق عنصر أساسي في التّحليل الدّلالي للتّصوص و الخطابات " إذ هو الإطار هو العام الذي يسهم في ترجيح أدوات بعينها ، و اختيار آليات مناسبة لعملية الفهم و الإفهام بين طرفي الخطاب ، و ذلك من خلال عدد من العناصر ، فمن عناصره العلاقة بين المتخاطبين سواء أكانت سلبية أم إيجابية ، و لذلك فعدم وجودها يعدّ توجيهاً للمرسل في اختياراته ، كما أنّ الرّمان و المكان اللّذين يتلفّظ فيهما المرسل بخطابه من عناصره الهامّة ، فما يصلح لزمان قد لا يصلح لزمان آخر ، و ما يناسب مكاناً قد لا يناسب مكاناً آخر ، فمعرفة عناصر السّياق تسهم في عملية التّعبير عن المقاصد و الاستدلال لإدراكها ، و عليه فإنّ اختيار الأدوات و الآليات اللّغوية يعدّ انعكاساً للعناصر التي تشكّل في مجموعها سياقاً معيّناً من خلاله لغة الخطاب و بمعرفته يمكن تفكيك هذه اللغة للوصول إلى المعنى المقصود أو الغرض المراد " ³.

¹ - ستيف أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، تر : كمال بشر ، مكتبة الشباب ، الجزيرة ، د ، ط ، د ، ت ، ص 60

² - دايد عبد القادر ، أثر السّياق في ترجيح دلالة النصّ لدى الرّمخشري ، الكشاف أنموذجاً ، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة و الأدب العربي ، كلية الآداب و اللّغات و الفنون ، 2017 / 2018 ، ص 35 ، نقلا عن Jean Dubois , dictionnaire de linguistique et des sciences du langage , Larousse , P 116

³ - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، المقدمة ، ص 28

الفصل الرابع ————— تجليات القصصية في مجمع الأمثال

و من هنا عدّ السياق " أحد أهم المرتكزات التي تسند إليها اللسانيات التداولية في دراستها للغة أثناء الاستعمال فهو أداة إجرائية بدأ الاهتمام بها و التنظير لها منذ القديم ، ثم عمّق البحث فيه علماء اللسانيات الاجتماعية و اللسانيات التداولية فأخذ مساراً أعمق في التحليل و يعدّ أكبر تجاوز فيه الجانب اللغوي المحض ، و اتسع ليشمل السياق الاجتماعي و النفسي و الثقافي " ¹ .

و إثر ذلك ظهر علماء يقسمون التداولية إلى ثلاث درجات تتحدّد على درجة تشغيلها [السياق] و بخاصّة تداولية الدّرجة التداولية [أفعال الكلام] التي تشغل على توظيف السياق بعمق في تحليلاتها ، بحيث يؤدي السياق دوراً هاماً في كشف مقاصد المتلفظ بالخطاب و توضيح نواياه الظاهرة و الخفية من أجل إعادة السامع معنى يتوخّاه من خطابه " ² .

و مع تعدّد هذه الميادين و اختلاف الاتجاهات النظرية لأصحابها فإنّها تتفق في أغلبها على أنّ السياق يفسّر الكثير من العمليات المصاحبة لأداء اللّغة في وظيفتها التواصلية الإبداعية و الإبلاغية لدى كلّ من منتج الكلام و الملتقى ، و أنّه ركن أساسي في فهم الرسالة اللغوية عامّة و التداولية بصفة خاصّة .

4-2- أنوع السياق :

4-2-1- السياق اللغوي :

و يتعلّق " بالجانب التركيبي للغة من حيث تحديد معنى الوحدات اللغوية انطلاقاً ممّا قبلها و ما بعدها " ³ إنّّه تجسيد لتلك التتابعات اللغوية في شكل الخطاب من وحدات صرفية أو صوتية أو معجمية ، و ما بينهما من ترتيب أو علاقات تركيبية داخلية تتحكم في دلالة النصّ أو الخطاب فكلّ إنتاج لغوي لا يمكن أن يكون محض رصف آلي للوحدات اللغوية المكوّنة له ، بل يجب مراعاة القوانين الدّاخلية التي تسهم كثيراً في تماسك هذه الوحدات و ترابطها ، و تعاضدها فيما بينها ، من أجل تحقيق أهدافها التّخاطبية و هي إيصال المعنى ، و لهذا فإنّ " المعنى و الدّلالة هما جانب من الارتباط بالسياق اللّغوي فنحن نلجأ دائماً إلى السياق في فكّ الغموض

1 - باديس لهوئيل ، السياق و مقتضى الحال في مفتاح العلوم - متابعة تداولية - 2013 ، ص 165

2 - المرجع نفسه ، ص 165

3 - المرجع نفسه ، ص 166

الفصل الرابع — تجليات القصصية في مجمع الأمثال

الذي يكنف أي منتج لغوي ، فأهمية السياق ليست مقصورة فقط على تحديد معنى الوحدات اللغوية إنّها أيضًا في تحديد معنى الكلمة الذي يؤدي إلى فهم دلالة الجمل التي تتماسك و ترتبط فيما بينها لبناء الشكل اللغوي " ¹ نفهم من خلال هذا القول أنّ السياق اللغوي عامّة هو حصيلة استعمال الكلمة الواحدة داخل نظام الجملة عندما تتساق و تنسجم مع كلمات أخرى ، ممّا يكسبها معنى خاص بها فالمعنى في السياق هو بخلاف المعنى المعجمي ، لأنّ هذا الأخير متعدّد في حين أنّ المعنى الذي يقدّمه السياق اللغوي هو معنى محدد تعاليمه واضحة و سماته محدّدة غير قابلة للتعميم .

4-2-2- السّياق المقامي :

و يُطلق عليه أيضًا : سياق الموقف / سياق التّلفظ / سياق الحال : و هو ما يعرف بالسياق غير اللّغوي و هو : " مجموع العلاقات الدّاخلية التي تتحكّم في دلالة النّص و تمنح وحداته معناها السّياقي " ² . و بالتّالي فهو يتضمّن أكثر العوامل غير اللسانية التي يردّ فيها القول و المتمثلة في الحالات النّفسية للمشاركين في الخطاب ، أو المنتج له ، و العوامل التاريخية و الاجتماعية و المخزون الثقافي ، و هو ما أطلق عليه كمال بشر " المسرح اللّغوي أو المقام أو مجريات الحال " و في ذلك إشارة إلى معطيات الموقف الحي التي تتأطر بالكلام ، يقول : " و المقام في نظرنا ليس مجرد مكان يلقي فيه الكلام ، و إنّما هو إطار اجتماعي ذو عناصر متكاملة أخذ بعضها ببعض ، فهناك الموقف كله بمن فيه من متكلّمين و سامعين و علاقتهم بعضهم ببعض و هناك أيضًا ما في المواقف من الأشياء و الموضوعات المختلفة التي تفيد فهم الكلام ، و الوقف على خواصه ، و هناك كذلك الكلام نفسه و هذا الكلام في حقيقة الأمر ليس إلّا عنصرًا واحدًا من عناصر المسرح اللّغوي بأكمله ، و لا يتمّ فهمه إلّا في الإطار العام بما فيه من شخوص و ديكور و عدد و آلات " ³ .

أمّا محمود السّعران فيسمّيه " الماجري " و في ذلك ربط مباشر للكلام بمجريات إنتاجه و تلقيه ، يقول : " إنّ سياق الحال أو الماجري هو جملة العناصر المكوّنة للموقف الكلامي أو للحال الكلامية " ⁴ .

¹ - نور الدين بوخيار ، الخطاب القصصي القرآني ، دراسة أسلوبية تداولية ، سورة يوسف أ نموذجًا ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، تخصص الدراسات اللغوية النظرية ، جامعة الجزائر ، 2003 / 2004 ، ص 133

² - باديس لهوئيل ، السياق و مقتضى الحال ، ص 166

³ - محمد بشير ، دراسات في علم اللّغة ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 1 ، 1986 ، ص 58 .

⁴ - محمود السّعران ، علم اللّغة مقدّمة القارئ العربي ، دار النهضة العربية للنشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ص 252

الفصل الرابع _____ تجليات القصصية في مجمع الأمثال

و يتجلى ممّا سبق أنّ السياق غير اللّغوي / سياق الحال مرتبط بكلّ المعطيات الخارجية ، و الملابس التي ينتج في رحابها الكلام ، و يكون لها تأثير في نوعية القول من جهة ، و في تبليغ مقاصده من جهة أخرى ، و التي تتمظهر في :

- شخصية المتكلم و المتلقي و تكوينهما الثقافي ، و طبيعة العلاقة التي تكون بينهما باعتبارها طرفي العملية الاتصالية .

- العوامل و الظواهر الاجتماعية و النفسية ذات العلاقة باللغة و السلوك اللّغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي ، كمكان الكلام و زمانه أو غير ذلك من المعطيات التي تؤثر في مجريات الكلام .

- كلّ ما يطرأ أثناء الإنتاج الكلامي من انفعال أو أي ضرب من ضروب الاستجابة ، و كلّ ما يتعلّق بالموقف الاتصالي أيّاً كانت درجة تعلّقه .

- الآثار الناتجة للحدث الكلامي عبر مسرح الكلام ، كالاقتناع أو الغضب أو الإغراء ، أو الابتهاج أو غير ذلك . و بهذا يتّضح أنّ جوهر سياق الحال يقوم على بيان أهمية العناصر غير اللّغوية و دورها الفعّال في إنتاج الكلام و تلقّيه باعتبار أنّ صور الكلام تختلف و تتنوّع من حال لآخر ¹ .

4-3- عناصر السياق :

إذا كان السياق يمتدّ ليشمل كلّ ملابسات الخطاب الخارجية ، فإنّ عناصره كثيرة متنوّعة لعلّ أهمّها " العنصر الشّخصي (....) و يمثّله طرفا الخطاب ، المرسل و المرسل إليه ، و ما بينهما من علاقة إضافة إلى مكان التلفظ و زمانه و ما فيه من شخوص و أشياء و ما يحيطهما من عوامل حياتية ، اجتماعية أو سياسية ، أو ثقافية ، أثر التبادل الخطابي في أطراف الخطاب الأخرى " ² .

لذلك نحاول استعراض أهمّ عناصر السياق :

4-3-1- المرسل : هو منشئ الخطاب و منتجه ، و بذلك فهو الذات المحورية فيه لأنّه هو الذي يتلقّظ به من

أجل التعبير عن مقاصد معينة ، و بغرض تحقيق هدف معين و يجسّد ذاته من خلال بناء خطابه باعتماده إستراتيجية خطابية تمتدّ من مرحلة تحليل السياق ذهنيّاً ، و الاستعداد له ، بما في ذلك اختيار العلامة اللّغوية الملائمة و بما يضمن تحقّق منفعته الذاتيّة بتوظيف كفاءاته للنجاح في نقل أفكاره بتنوّعات مناسبة و لا يمكن للغة

¹ - سامية بن يامنة ، سياق الحال في الفعل الكلامي ، مقارنة تداولية ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات التداولية ، قسم اللغة العربية و آدابها ، كلية الآداب و اللغات و الفنون ، جامعة وهران ، 2011 / 2012 ، ص 28

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، ص 45

الفصل الرابع _____ تجليات القصديّة في مجمع الأمثال

الطبيعية أن تتجسّد و تمارس دورها الحقيقي إلاّ من خلال المرسل فتصبح موجودة بالفعل بعد أن كان وجودها بالقوّة فقط كما يصبح وجودها ذو فعل مناسب للسياق ، فبدون المرسل لا يكون للغة فاعلية ¹ .

4-3-2- المرسل إليه : و هو الطرف المستقبل للخطاب ، و هو " حاضر في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب سواء أكان حضوراً عينياً أم استحضاراً ذهنياً ، و هذا الشّخص أو الاستحضار للمرسل إليه هو ما يسهم في حركية الخطاب بل يسهم في قدرة المرسل التنويعية و يمنحه أفقاً لممارسة اختيار إستراتيجية خطابه " ² .

4-3-3- العناصر المشتركة : بين طرفي الخطاب إذ " لا يقتصر الأمر على دور كلّ [منهما] بمعزل عن الطرف الآخر ، أو بمعزل عن محيطهما فهناك العلاقة بينهما و لمعرفة المشتركة و غير ذلك من العناصر المؤثرة [بحيث] تغدو العلاقة بين طرفي الخطاب من أبرز العناصر السياقية التي تؤثر في تحديد إستراتيجية الخطاب المناسبة، و اختيارها إذ يراعيها المرسل دومًا عند إنتاج خطابه ، فلا يغفلها ، و ذلك بوصفها محدّدًا سياقيًا له دوره في إنجاح عملية التواصل و تحقيق هدف المرسل من عدمه " ³ .

لذلك لا يمكننا القول إنّ أهمية السياق في الدّراسات التداولية تتأتّى ابتداءً من كون التّدولية وصفًا للعلاقات بين العلامات و مستعملها ، إضافة إلى كونها تعالج " قيودًا اصطلاحية ، لمنطوقات لغوية أو أفعال كلامية ، و قواعدها بالنسبة لسياق معين ، و بعبارة أكثر إيجازًا ، تدرس [التداولية] العلاقات بين النصّ و السياق " ⁴ .

5- تعالق السياقات و المقاصد الخارجية :

5-1- السياق الاجتماعي و علاقته بمقاصد الخطاب :

أي الاهتمام بالعلاقات القائمة بين السياق الاجتماعي و استعمال اللّغة ، كما أنّ هذه المواقف الاجتماعية التي تنتج فيها النّصوص فريدة بحدّ ذاتها لكن مع ذلك تتمتّع بخصائص ذات طابع أعمّ فهي مقامات خاضعة لمعايير معينة و تتكرّر باستمرار ، و هكذا فنمّة مقامات ذات طبيعة عامة أو خاصة تأخذ فيها الملفوظات قيمة فعل

1 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، ص 45

2 - المرجع نفسه ، ص 47 - 48

3 - المرجع نفسه ، ص 48

4 - تون أ ، فان دايك ، علم النصّ ، مدخل متداخل الاختصاصات ، تر : سعيد بحيري ، دار القاهرة ، ط 1 ، 2001 ، ص 116

الفصل الرابع ————— تجليات القصصية في مجمع الأمثال

كلامي ، فالتص كفعل كلامي لا يحدده المقام الاجتماعي فقط ، و إنما المقام الاجتماعي نفسه تحدده كيفية استعمال الّلغة ¹ .

و مثالنا على ذلك المثل الشهير : " وَافَقَ شَنَّ طَبَقَةً " ² و قصّته التي لاقت رواجًا كبيرًا كما أوردها الميداني التي لا مناص من ذكرها " كان رجلٌ مِنْ دُهَاقَةِ الْعَرَبِ يُقَالُ لَهُ شَنَّ فَقَالَ : وَ اللَّهُ لَأُطَوِّفَنَّ حَتَّى أَجِدَ إِفْرَاءً مِثْلِي أَتَزَوَّجُهَا ، فبينما هو في بعض مسيره ، إِذْ وَافَقَهُ رَجُلٌ فِي الطَّرِيقِ فَسَأَلَهُ شَنَّ : أَيْنَ تَرِيدُ ؟ فَقَالَ : مَوْضِعَ كَذَا ، يَرِيدُ الْقَرْيَةَ الَّتِي يَقْصِدُهَا شَنَّ فَوَافَقَهُ حَتَّى إِذَا أَخَذَا مَسِيرَهُمَا ، قَالَ لَهُ شَنَّ : أَتَحْمِلُنِي أَمْ أَحْمِلُكَ ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : يَا جَاهِلُ أَنَا رَاكِبٌ وَ أَنْتَ رَاكِبٌ ، فَكَيْفَ أَحْمِلُكَ أَوْ تَحْمِلُنِي ؟ فَسَكَتَ عَنْهُ شَنَّ وَ سَارَا حَتَّى إِذَا قَرُبَا مِنَ الْقَرْيَةِ إِذْ بَرَزَ قَدِ اسْتَحْصَدَ ، فَقَالَ شَنَّ : أَتَرَى هَذَا الزَّرْعَ أَكِيلٌ أَمْ لَا ؟ (...) فَسَكَتَ عَنْهُ شَنَّ ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ الْقَرْيَةَ لِقَيْتِهِمَا جِنَازَةً ، فَقَالَ شَنَّ أَتَرَى صَاحِبَ النَّعْشِ حَيًّا أَمْ مَيِّتًا ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : مَا رَأَيْتَ أَجْهَلَ مِنْكَ ، تَرَى جِنَازَةً تَسْأَلُ عَنْهَا أَمِيَّتَ صَاحِبِهَا أَمْ حَيٌّ ؟ فَسَكَتَ عَنْهُ شَنَّ ، فَأَرَادَ مُفَارَقَتَهُ فَأَبَى الرَّجُلُ أَنْ يَتْرَكَهُ حَتَّى يَصِيرَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَمَضَى مَعَهُ فَكَانَ لِلرَّجُلِ بِنْتُ يُقَالُ لَهَا طَبَقَةٌ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا أَبُوهَا سَأَلَتْهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَأَخْبَرَهَا بِمِرَافِقَتِهِ إِيَّاهُ ، وَ شَكَا إِلَيْهَا جَهْلَهُ (...) فَقَالَتْ : يَا أَبَتِ مَا هَذَا بِجَاهِلٍ ، أَمَا قَوْلُهُ (أَتَحْمِلُنِي أَمْ أَحْمِلُكَ) فَأَرَادَ (أَتَحْدِثُنِي أَمْ أَحْدِثُكَ) حَتَّى نَقْطَعَ طَرِيقَنَا ، وَ أَمَا قَوْلُهُ (أَتَرَى هَذَا الزَّرْعَ أَكَلٌ أَمْ لَا) فَأَرَادَ (هَلْ بَاعَهُ أَهْلُهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ أَمْ لَا) وَ أَمَا قَوْلُهُ فِي الْجِنَازَةِ ، فَأَرَادَ (هَلْ تَرَكَ عَقَبًا يَجِيءُ بِهِمْ ذَكَرَهُ أَمْ لَا) ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ وَ قَعَدَ مَعَ شَنَّ (...) ثُمَّ قَالَ :

أَتَحَبُّ أَنْ أَفْسِرَ لَكَ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ فَسِّرْهُ ، فَفَسَّرَهُ ، قَالَ شَنَّ : مَا هَذَا مِنْ كَلَامِكَ فَأَخْبَرَنِي عَنْ صَاحِبِهِ قَالَ : ابْنَةُ لِي ، فَخَطَبَهَا إِلَيْهِ فَزَوَّجَهُ إِيَّاهَا (...) فَقِيلَ وَافَقَ شَنَّ طَبَقَةً ، وَ يُضْرَبُ الْمَثَلُ لِلْمُتَوَافِقِينَ " ³ .

إذ يمكن تصنيفه في خانة التقاليد الاجتماعية المتعارف عليها ، و هي الزواج . فالإنسان دَوْمًا يَبْحَثُ عَنْ نِصْفِهِ الثَّانِي أَوْ الزَّوْجَةِ الَّتِي تُمَاطِلُهُ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ حَتَّى يَكُونَ الزَّوْاجُ نَاجِحًا فَالْفِعْلُ التَّأْثِيرِيُّ هُوَ حَثُّ الْمَتَلْقِي وَ تَشْجِيعُهُ عَلَى ضَرُورَةِ وَجُودِ تَوَافُقِ بَيْنِهِ وَ بَيْنِ الزَّوْجَةِ الْمُسْتَقْبَلِيَةِ لِضَمَانِ حَيَاةٍ سَعِيدَةٍ .

وعلى الرغم من قصصية الفعل الكلامي وخصوصيته في المثل السابق إلا أنه يؤسس لقاعدة في المجتمع ، حين يقرب الأمر بين التماثلات والأضداد في التجربة الإنسانية من حيث الطبائع و التقارب النفسي و البدني أو القيم الأخلاقية و ما يتعاقد في مساحة الأعمال و الأفعال ، على نحو يتحوّل المثل بقوته الإنجازية إلى أساس صالح

1 - علي آيت أوشان ، السياق و التص الشعري من البنية إلى القراءة ، ص 72

2 - أبو الفضل بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 423

3 - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 424

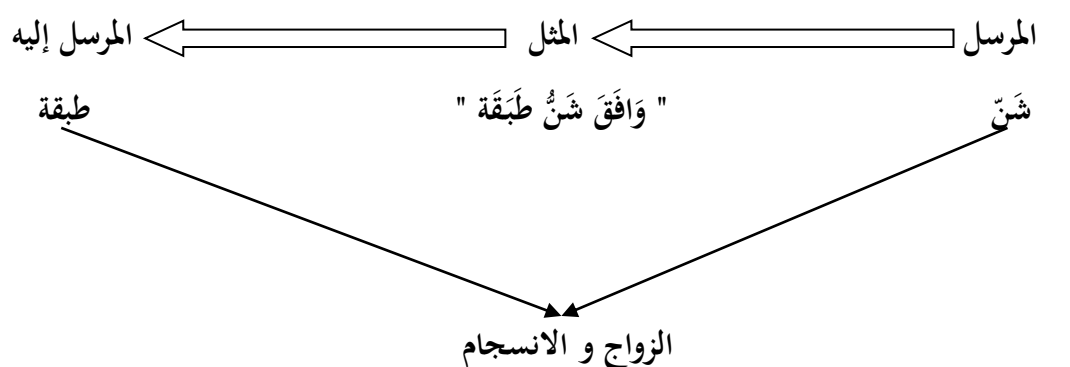
الفصل الرابع _____ تجليات القصيدة في مجمع الأمثال

للقياس و اختبار النماذج و الشخصيات ، و الأطماع ، و الرغبات و غير ذلك مما له تعلق بخصوص بالكفاءة و القدرة المؤهلة لخوض غمار الحياة بطروفيها المختلفة ، و من ثم فليست شخصية شنّ إلا صورة أو مرآة لشخصية طبقة اقتضاها المقام في سياق التعجب المحفّر على الانسجام و الملاءمة في التعايش و الاستقرار بين الشخصيتين ، و اختبار النماذج البشرية و الشخصيات في علاقتها بالأطماع و الرغبات .

فمرسل المثل هنا بصدد إلقاء خطاب تلميحي مشحون بمقاصد تغييرية من خلال آليات إقناعية لتجعل منه فعلاً كلامياً حجاجياً يسعى إلى تغيير قناعات القارئ وفق سلطة خفية .

"فالإقناع سلطة عند المرسل في خطابه و لكنّها سلطة مقبولة إذا استطاعت أن تقنع المرسل إليه ، إذ لا تحقق إستراتيجية الإقناع نجاحها إلا عند التسليم بمقتضاها " ¹

و يُمكن تبيان العلاقة التخاطبية في المثل السابق كما يلي :



الذات ← التعايش و الاستقرار ← الآخر

= تحقيق الغاية القصدية في المثل

عندما نتمعن في قول العرب : " أَطْمَعُ مِنْ شُعَيْبٍ " ² .

و القصّة كما أوردها الميداني :

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب (مقارنة لغوية تداولية) ، ص 446

² - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1، ص 550

الفصل الرابع — تجليات القصدية في مجمع الأمثال

" ... اجتمع عليه يوماً غلمان المدينة يعاتبونه ، و كان مَرَّاحًا ظريفًا ، فأذاه الغلّمة ، فقال لهم : إنّ في دار بني فلان عُرسًا ، فانطَلِقُوا إلى ثمّ فهو أنفع لكم فانطلقوا و تركوه ، فلما مَضُوا قال : لعلّ الذي قلت من ذلك حق ، فمضى في أثرهم نحوّ الموضع ، فلم يجد شيئًا ، و ظفّر به الغلمان فأذوه ... " ¹ .

يرتكز الفعل الكلامي على اسم التفضيل و اعتماد الشخصية المحورية " شعيب " يندرج ضمن النموذج العلم في تصوّر المجتمع الموبقات التي تؤذيه إذ ليس القصد هنا الإخبار في حدّ ذاته ، و إنّما يستقيم بقصدية التي تَرَأب الصّدع و تعالج الأطماع المنبوذة في سياقها الاجتماعي ، و القصد أن يبلغ المتكلم حالة من الضمان الاجتماعي لدى المتلقي لنبذ هذه الظاهرة المتفشية في المجتمع العربي آنذاك .

فالتلميح إذن إستراتيجية تداولية بحثية تجري على معظم الأمثال العربية و ليس على مثل بعينه .

من بين الأمثال التي تحمل طابعًا اجتماعيًا المثل القائل :

" أَسَاءَ رَعِيًّا فَسَقَى " ² .

و أصله كما أورده الميداني في كتابه : " أنّ يُسِيءَ الرَّاعِي رَعِيَّ الإِبِلِ نَهَارَهُ حَتَّى إِذَا أَنْ يَرِيحَهَا إِلَى أَهْلِهِ كَرِهَ أَنْ يُظْهِرَ لَهُمْ سُوءَ أَثَرِهِ عَلَيْهَا فَيَسْقِيهَا الْمَاءَ لَتَمْتَلِئَ مِنْهُ أَجْوَفُهَا يَضْرِبُ لِلرَّجُلِ لَا يَحْكُمُ الْأَمْرَ ثُمَّ يَرِيدُ إِصْلَاحَهُ فَيَزِيدُهُ فَسَادًا ... " ³ .

إذ يُصنّف — المثل — في قصدية السياقات الاجتماعية و عادات العرب و تقاليدهم و طبيعة البيئة الجاهلية ، الصّحراوية ، إذ يحاول الرّاعي إخفاء سُوء رعيه فيزيده سوءًا لأنّه أوهم النَّاسَ بسقيه الإِبِلِ أنّها شبعَت فيقع ضحيّة ذكائه في بيئة يدرك أهلها جيّدًا طبائع حيواناتهم و معاشاتهم ، و ما يتوسّم به العربي في سياقات كثيرة تعكس فطنته و كياسته أنّجاه ما يرعى أو يسوسه من أمور حياته .

و تنسحب قصدية المثل المضمرة على سياق خارجي يصيب منه ما يتحدلق به المرء بجهل مفترى على ذوي الخبرة و التجربة و الممارسة الفتيّة في اختبار صحّة الأشياء و يلامة القضايا من الدّخن و الادّعاء الفاسد على نحو يعكس فقه العربي عمومًا بأمر حياته و معاشه جيّدًا . و بالتّالي يتحقق الهدف المراد و الغاية القصدية المرجوة من هذا المثل .

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 550

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 425

³ - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 425

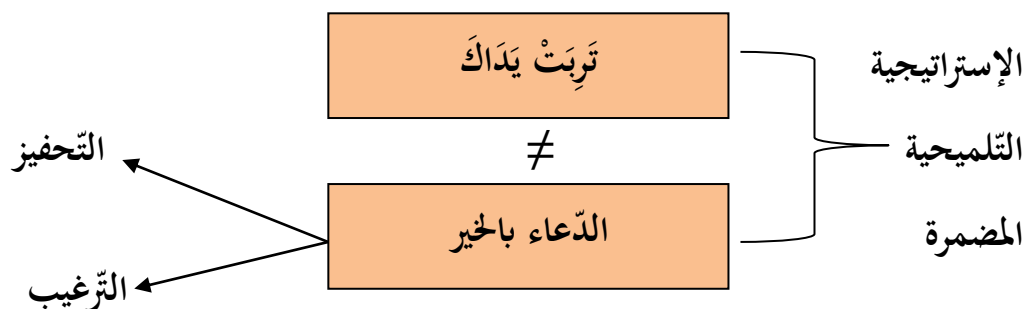
الفصل الرابع _____ تجليات القصيدة في مجمع الأمثال

و هذا ما نلاحظه في المثل القائل :

" تَرَبَّتْ يَدَاكَ " ¹ . و شرحه كالاتي :

" قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا قَلَّ مَالُهُ قَدْ تَرَبَّ أَيُّ افْتَقَرَ حَتَّى لَصِقَ بِالتَّرَابِ وَ هَذِهِ كَلِمَةٌ جَارِيَةٌ عَلَى أَلْسِنَةِ الْعَرَبِ يَقُولُونَهَا وَ لَا يُرِيدُونَ وَفُوعَ الْأَمْرِ ، أَلَا تَرَاهُمْ يَقُولُونَ لَا أَرْضَ لَكَ وَ لَا أُمَّ لَكَ وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ لَهُ أَرْضًا وَ أُمَّا ... " ² .

من المفارقات الإبداعية في بنية المثل العربي أن تتولد مقاصده من الضدية التي يحملها في بنيته التآوية وراء السياق الاجتماعي ذلك أنّ صيغة المثل في منطوقها الخبري مسكوكة بدلالة الفقر لكن الدعاء له بهذه الصيغة تذهب بعيداً نحو إحراز الخير و رفع منسوب الحظ عن طريق التحفيز و الترغيب لما اكتسب من الفضل و هو فقير و هذه عمدة الإستراتيجية التلميحية المضمرة لما يقال و ما يقصد و ما بينهما تتجلى المقاصد و يتحصّل المراد .



و دليلنا على ذلك المثل الآتي : " الْقَرْنِي فِي عَيْنِ أُمِّهَا حَسَنَةٌ " ³ .

في بنيته و منطوقه التداولي و سياقه الإستعمالي التواصلي من العلاقة بين الأهل و الأحباب على نحو يعكس التجانس العائلي و الودّ الذي ينشأ بين الأقران بميثاق نفسي مضمّر ترسم ملامحه و حيثياته الوثيقة الأسرية و العقد الاجتماعي و من ثمّ فما يراه المرء قبيحاً هو في عين الآخر جميل ، و ما تراه شنيعاً يراه غيره محموداً ، و هكذا تنشأ العلاقة بين الكائنات و آدميين و نظيره في أمثالنا العربية القديمة :

- كلّ فتاة بأبيها مُعجبة - و ما يمدّح العروس غير أهلها - و القرءُ بعين أمّه غزال . إذن فالمثل العربي في قصديته يعيدُ رسم الخارطة النفسية بين الناس التي لها مقاييسها من حيث الجمال و القبح ، و النجاعة ، و ضعف الأثر .

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 162

2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 162

3 - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 118

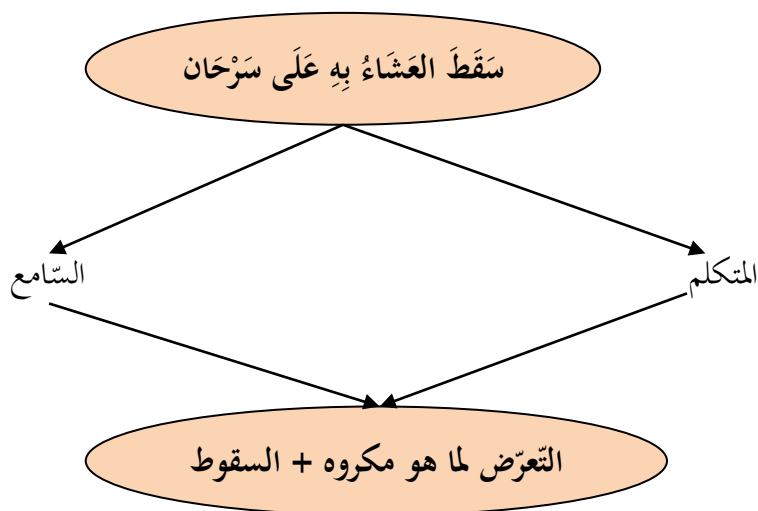
الفصل الرابع _____ تجليات القصيدة في مجمع الأمثال

و المثل القائل : " سَقَطَ العِشَاءُ بِهٍ عَلَي سَرْحَانَ " ¹ .

قال أبو عبيد : " أَصْلُهُ أَنَّ رَجُلًا خَرَجَ يَلْتَمِسُ العِشَاءَ فَوَقَعَ عَلَي ذَنْبٍ فَأَكَلَهُ " ² .

من المضحكات المبكيات و سوء الحظّ و قلة التدبير الذي يستجمعها قول العرب - سَقَطَ العِشَاءُ بِهٍ عَلَي سَرْحَانَ - أن يتحوّل من يبحث عن العشاء و يلتمس الرّاد لسدّ رمق الجوع إلى وَجبة عشاء لغيره و في ذلك ما يتعزّز به النّظر و يجرسه التأمّل لإنتاج دلالة قصدية و توليد الفعل الكلامي المعني بالمغامرة و عدم الاحتراز مكن التّوائب و مكاره الدهر التي تجعل الشّجاع أحياناً صيداً ثميناً لغيره .

و بالتالي تحققت مقصدية هذا المثل في إطار السّياق الاجتماعي و نوضحها على النّحو الآتي لإيضاح الفكرة أكثر .



و المثل الشهير : " تَبَاعَدَتِ العَمَّةُ عَنِ الحَالَةِ " ³ .

" ... و ذلك أنّ العمة خير للولد من الخالة يُقال في المثل : أتيْتُ خالاتي فأضحكنني و أفرخني ، و أتيت عمّاتي فأبكيني و أحزني ... " ⁴ .

نلاحظ جلياً من خلال المثل كيف تجلّت القصدية من منظور اجتماعي إذ تتصاعد تقارباً و مفارقة بين العمة و الخالة ، و ما يتوسّطهما من الدّرجات في الودّ و المنزلة في الاحتفاء و بين العمة و الخالة تنشأ قيم القرابة من جهة

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 432

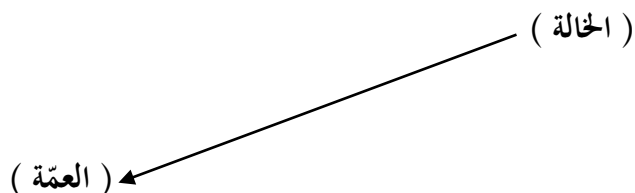
2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 432

3 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 180

4 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 180

الفصل الرابع _____ تجليات القصيدة في مجمع الأمثال

الأب و الأم ، ممّا يجعل المستقبل في تأمله موصولاً بأواصر القرى ، و لا مشاحة في الحضانة ما دامت القرابة من الطرفين تسعى لحماية الولد و تنسّد الرعاية الأسرية أو تأخذ في حضورها أو تغطي بالأصح مساحة الغياب و فقدان الذي تركته الأم . و نوضّحها كما يلي :



عندما تتمعن في المثل الآتي : " تُكَلِّ أَرَأَمَهَا وَلَدًا " ¹ .

و قصّة المثل كما أوردها الميداني في كتابه :

" قال المفضّل : كان من حديث بيهس أنّه كان رجلاً من نبي فزاره بن ذبيان بن بغيض ، و كان سابع سبعة إخوة ، فأغار عليهم ناس من أشجع بينهم و بينهم حرب و هم في إبلهم ، فقتلوا منهم ستّة و بقي بيّهس و كان يحمّئ ، و كان أصغرهم ، فأرادوا قتله ، فقالوا : و ما تريدون من قتل هذا ؟ يُحسبُ عليكم برجل و لا خير فيه فتركوه ، فأتى أمّه فأخبرها الخبر ، فقالت : فما جاءني بك من بين إخوتك ؟ فقال بيّهس : لو خيّرت لاخترت فذهبت مثلاً ، ثمّ إنّ أمّه عطفّت عليه و رقت له فقال الناس : لقد أحببت أمّ بيّهس بيّهساً ، فقال بيّهس : تُكَلِّ أَرَأَمَهَا وَلَدًا ، أي عطفها على ولدها ... " ² .

إنّ ما تلقيه العواطف و تفيض به النفوس تستحوذ نفس الأثني و الأمّ خاصّة على نصيب وافر منه باعتبار أنّ هذا المؤثر النفسي له ما يؤطره في الصّدور و ما يتخلّق أمشاجه الأذهان و من ثمّ فإنّ المثل يعكس أو يكشف التعويض النفسي للحرمان الذي تلود به الأمّ و تلجأ إلى فعله من خلال ابنها الوحيد و هي مكلومة ثكلى . تلك هي خاصية الفعل الكلامي بمنطوقه اللفظي و ما يتعزّز بمقصديته نحو القهر و الحرمان و الشعور بالتصدّع النفسي و الألم الغائر ، فقصديته نفسية بالدرجة الأولى .

و قولهم : " لَنْ يَزَالَ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا تَبَايَنُوا ، فَإِذَا تَسَاوَوْا هَلَكُوا " ³

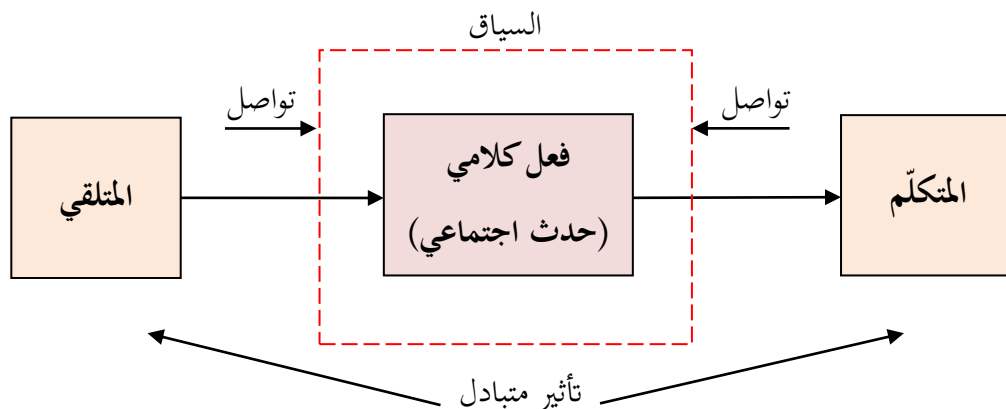
1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 203

2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 203

3 - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 246

الفصل الرابع ————— تجليات القصيدة في مجمع الأمثال

يحمل المثل معادلة موضوعية بين (الأنا) و (الآخر) أو بين (الذات) و (الآخر) ، في سياق التجارب البراجماتية و الاجتماعية الموجودة في وعي المتكلم و تفاعل المتلقي معها ، ذلك أنّ الأمثال ظاهرة اجتماعية تقوم في الأساس على ترسيخ الوعي الأخلاقي ، و الإنساني ، و الاجتماعي ، إذ يكشف عن معدن آدميين فأغلبيتهم يمارسون الشّر بكلّ حيثياته ، و عمل الخير للنّادر منهم ، و إذا كان التساوي وقع الهلاك . و نمثله كالاتي :



و قولهم : " لَا يَكُنْ حُبُّكَ كَلْفًا وَ لَا بُغْضُكَ تَلْفًا " ¹

يندرج المثل ضمن العلاقات الاجتماعية بين البشر و التي تستلزم بالضرورة وجود تواصل بين الأنا و الآخر ، فالمثل هو توجيه و تنبيه للمتلقين بعدم الإسراف في الإخاء ، و الإكثار من السخاء و العطاء فلا بدّ أن يكون الإنسان واعياً و مدبّراً ، هذا ما نتلمّسه في قولهم : أَحِبِّ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا ، عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا ... وَ أَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا .

" و على هذا الأساس لا يمكن التوصل إلى المنطوق التداولي للأمثال إلاّ بمعرفة السياق الاجتماعي الذي وردت فيه و تأويل منطوقاته العميقة في ضوء موجّهات الذاكرة الجمعية للتخاطب بين المتكلم و السامع " ²

و قول العرب : " هُوَ حَيَاءٌ مَارِحَةٌ " ³

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 258

2 - فوزي صويلح ، القوة التداولية في المثل العربي ، ص 132

3 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 459

الفصل الرابع — تجليات القصدية في مجمع الأمثال

يندرج المثل ضمن السياق الاجتماعي الهادف ، لما تحمله المرأة العربية من مكانة عالية في المجتمعات العربية و خاصة المجتمع العربي القديم " فهم يذمّون أن تُظهر المرأة الحياء و تُبطن الصّفة النقيض ، و لعلّ ذكر اسم المرأة هنا بمثابة عقاب لها يتمثّل في فضح اسمها و انتشاره"¹ فالمثل هنا بمثابة قانون اجتماعي على المرأة أن تحصّن نفسها في مجتمع ذكوري يسيء الظنّ بها ، فالحيطة و الحذر طريق لضمان العيش في أمان و سلام.

5-2- السّياق السّياسي و علاقته بمقاصد الخطاب :

يظهر السّياق السّياسي في خطاب الأمثال العربية ، من خلال ذلك الإيجاء الصّمني لمقاصد الخطاب على الراهن السّياسي العربي ، ثمّ من خلال قصد الكاتب أو مرسل المثل إلى إنتاج هذا الخطاب و توجيهه إلى القراء أو القارئ العربي تحديداً و في هذا العصر تحديدا ، حيث يشكّل كلّ من الزّمان و المكان و خصوصيات المرسل إليه تحديات مهمّة في توجيه فعل القراء و تأويل المقاصد .

فالخطاب كما يبدو لنا موجّه أولاً إلى القارئ العربي المعاصر الذي يعيش خصوصيات الراهن السّياسي العربي بما يحمله من أبعاد خطيرة تقود الأُمّة إلى مزالق التّخلف و الخضوع و التّبعية ، و ذلك نتيجة إبعاد الرّؤية الإسلامية عن مضمار الحكم و إحلال الرّؤية الغربية محلها : " إذ تركز النّظرية السّياسية في الإسلام على تحقيق الأعمال السّياسية النّافعة و المؤدّية إلى تحقيق سعادة الإنسان في الدّين و الدّنيا ، و جعلت من الدّين و الأخلاق رقيباً على العمل السّياسي و السّيادة في الحكم تنبع من ارتباط الحكم بالشّريعة الإسلامية و تطبيقه لها ، بينما تركت السّادة في الغرب إمّا في يد الشّعب باسم الدّيمقراطية ، أو بيد الحكم أو رئيس الدّولة باسم الدكتاتورية "² .

و مثالنا على ذلك : " سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ " ³ .

يُضرب المثل العربي المشهور للتّسرّع المذموم في ممارسة الأفعال ، و كأنّه يفيد النّدم و الحسرة في سياق العتاب و التّأنيب الذي لاقاه المرسل من قبل المستقبل ، و لا شك أنّ ما يُضمره المثل في قصديته يذهب نحو التّحذير من

1 - أماني سليمان داود ، الأمثال العربية القديمة ، دراسة أسلوبيّة سردية حضارية ، ص 311

2 - محمد خليفة حسن أحمد ، آثار الفكر الإستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، عين الدّراسات و البحوث الإنسانيّة و الاجتماعيّة ، ط 1 ، 1997 ، ص 52

3 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 417

الفصل الرابع _____ تجليات القصدية في مجمع الأمثال

الموبقات التي تنذر بانحيار الأخلاق الإنسانية و انتشار الجريمة أو الإسهام بتفويض العزف الاجتماعي الذي تعارفت عليه العرب في معالجة مشاكلها و نبذ الثأر الذي يهدد أمنها و سلامتها ، إذ يؤسس في حقيقة الأمر لمبدأ سياسي بالدرجة الأولى يستقيم في تصوّر المتلقين من خلال معطيات الشرع في تنفيذ الأحكام و ينبثق من هذا المعطى مبدأ الحكم الرّشيد الذي يتوخّى الأحداث و تبعاتها و ما يمكن اتّخاذه من قرارات و ما ينبغي فعله لمواجهة التّحديات السياسية و ما قد يلحق الذات و الآخر من الأذى و الأضرار خاصة حينما يكون الحكم صادر من زعيم قبيلة كما هو حال ضبة في المثل السابق ذكره .

مصدر إنتاج المثل أو قائد معركة أو رئيس دولة و هكذا يجري بالتّسلسل الهيكلي للمسؤولين مع اختلاف المسميات على مرّ العصور و اختلاف الآلة بين السّيف و الأسلحة المتطورة و الجدول الآتي يوضّح ذلك :

| المثل | نوعه | دلالتة القصدية |
|---------------------------|------------|--------------------------------|
| سَبَقَ السَّيْفُ العَدْلَ | سياق سياسي | التّحذير التّأنيب العتاب |

و المثل القائل : " إِذَا حَكَّكَتْ قَرْحَةً أَدْمَيْتُهَا " ¹ .

و قصّته حسب ما أوردها الميداني : " يُحْكِي هذا عن عمرو بن العاص و قد كان اعتزل النَّاسَ في آخر خلافة عثمان بن عفّان رضي الله عنه فلمّا بلغه حصره ثمّ قتله قال أنا أبو عبد الله إذا " حَكَّكَتْ قَرْحَةً أَدْمَيْتُهَا " ² .
يجري المثل ضمن موارد السّياقية التي باتت في تشجره السّياسي و المعرفي و من ذلك أنّ البحث عن المجهول في سياق السّتر و إعادة الكشف عن الحضور و محاولة الظّهور مرّة أخرى بعد تعاقب الأحداث و الأزمان قد يكلفك الكثير و من ذلك أنّ مناوشة الخصم ، و التذكير بالأفعال الماضية ، و فتح الملفات السياسية في ظل سكوت الآخر عن الفعل السّردى المنصرم قد يفتح أبواباً من السّتر لأنّ التعبير المجازي يحك القرحة يقترّب من المعالجة الخاطئة للمشكلات و ذهاب الحكمة و البصيرة في تحقيق التّوافق و الانسجام مع الآخر و عدم الصّبر على الألم الذي إن تركته سيلتئم و سيراً من الجروح و إنّ تحكيك الجروح دون السّماح للإلتئام سيظلّ موجعاً و هكذا هي العلاقات الدولية و العلاقة مع الخصوم على وجه التحديد ، و من جهة أخرى قد تكون ، مفارقة كبيرة

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 61

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 61

الفصل الرابع — تجليات القصديّة في مجمع الأمثال

حين يفتح المثل على بعد من الأبعاد التداولية المنوطة بسياق استعمال التّواصل بين المرسل و المستقبل إذ يقترّب المتكلّم في إبراز هذه القيمة في تاء "حككت" المعنية بالحركة التّاهضة بالبحث الدّؤوب عن المغيّب و إن كان دماً على سبيل المجاز ، و نقصد المنطوق المؤلّ في تصوّره للتّفوّق و الحصول على المعرفة عبر البحث و التّنقيب ، فقول العرب - إذ حَكَّكَتْ قَرْحَةً أَدْمَيْتَهَا - بمعنى حَكَّ القرحه و إخراج الدّم منها ، لكنّه يحمل بعداً إشارياً عبر تاء المتكلّم لإصابة الهدف و تحقيق الغاية و فيه أيضاً مؤشّر على بلوغ منتهى الرّأي و بالتّالي تحققت قصديّة المثل. إنّ ما توارثه العرب عن بعضهم و ما تناقله العرب المعاصرون عن آباءهم من التجارب و الخبرات في سياقها المعرفي عبر الأمثال يؤسس في مسيرة التّفد لمعيار متماسك بين البنية و الدّلالات ، و حين يتعلّق الأمر بالاستعمال التّواصلية بين المرسل و المستقبل في إطار التداولية يجعلنا أمام سياق سياسي في تصوّرنّا للمثل العربي القائل :

" أَبْصِرْ مِنْ زَرْقَاءِ الْيَمَامَةِ " ¹ .

و هو في إرسالته عن اسم التّفصيل يقربنا من القدرات الفائقة في استكشاف الآفاق و ما يحيط بها من الأخطار، ذلك أنّ بصيرة اليمامة و بصرها متحققة في كل عصر ، إذ إنّ هناك من العيون القادرة على دفع الخطر، و الإشارة الحكيمة لما يمكن تداركه من موبقات الدّهر و ظروفه العصيبة ، و من ثمّ ليس البصر وسيلة النّور و الهداية و إنّما للبصيرة أثرها كذلك في تسيير شؤون الحرب و السّلم ، و تعزيز مداميك و الدّول و تحقيق إنفراجات الأزمنة المعقّدة في تفاصيل الإدارة و خارطة الأحداث و كما أنّ للسياسة مجالها و ميدانها المتعامد على الواقع فإنّ للثقافة نورها و هدايتها الفضيلة عبر البصر و البصيرة و التّنقيب عن الجواهر ، و جوهريات الأشياء و أسرار الظّواهر كلّ ذلك يشي بالتلميح و ما يتحوصل به المثل من المعرفة و الاستعمال القصديّ نحو المستقبل لبناء الثّقة بين الطرفين في سياقاته القديمة و المعاصرة و ما هو قريب من هذا الفهم للمستقبل .

" جَاءَ بِصَحِيفَةِ الْمُتَلَمَّسِ " ² .

و ملخص هذا المثل حتّى نستشفّ قصديته كما يلي :

يُضْرَبُ لِمَنْ يَجْمَلُ كِتَابًا فِيهِ حَتْفُهُ وَ نَهَائِيَّتُهُ، كَانَ طَرْفَةُ بِنِ الْعَبْدِ وَ خَالَهُ جَرِيرِ بِنِ عَبْدِ الْمَسِيحِ الْمَعْرُوفِ بِالْمُتَلَمَّسِ يَنَادِمَانِ عَمْرُو بِنِ هِنْدِ الْمَلِكِ ، فَبَلَّغَهُ أَهْمَا هَجَوَاهُ، فَكَتَبَ لَهُمَا إِلَى عَامِلِهِ بِالْبَحْرِ بَيْنَ كِتَابَيْنِ أَوْ هَمَهُمَا أَنَّهُ أَمْرٌ لَهُمَا

¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 158

² - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 231

الفصل الرابع _____ تجليات القصيدة في مجمع الأمثال

فيهما بجوائز و قد كان أمره بقتلهما فخرجا حتى إذا كانا بالنجف إذ هما بشيخ في الطريق ، يحدث ، و يأكل من خبز في يده ، و يتناول القمل من ثيابه فيقصعه ، فقال له المتلمس : ما رأيت كالיום شيخاً أحقق فقال له الشيخ : و ما رأيت من حمقى يحتمل حتفه بيده ؟ فاستراب المتلمس بقوله ، و طلع عليه غلام من أهل الحيرة ، فقال له : أتقرأ يا غلام ؟ قال : نعم ففكّ صحيفته و دفعها إليه ، فإذا فيها : (أمّا بعد فإذا أتاك المتلمس بكتابتنا هذا ، فاقطع يديه و رجله و ادفنه حيّاً) ، فأخذها المتلمس و قذفها في نهر الحيرة ، ثمّ قال لطفة : إنّ في صحيفتك و الله ما في صفيحتي ، فقال لطفة : كلاً لم يكن ليحتريّ علي ، ثمّ أخذ المتلمس نحو الشّام فنجأ برأسه ، و توجه لطفة نحو البحرين ، و أوصل الكتاب إلى عاملها و لما قرأه قال : إنّ الملك قد أمرني بقتلك ، فاختر أيّ قتلة تريدها فسقط في يده ، و قال : إن كان لا بدّ من القتل ، فقطع الأكل ، فأمر به ففصد من الأكل ، و لم تشدّ يده حتى نزل دمّه فمات ...

حملت صحيفة المتلمس في طياتها مصرع حاملها ، و في هذا السّياق الذي يتداخل و يتخارج بمقصديته بين الماضي و الحاضر يلمح أنّ الإنسان قد يسعى إلى حتفه بنفسه كما جرى على لطفة بن العبد مع ملك الحيرة و كذلك مع المتلمس ، و معنى ذلك أنّ حامل الصّحيفة أو ناقل الرّسالة حينما يكون أميناً على ما يحمل و شريفاً في الحياة أو يتقلب مع الأحداث بنبل و مروءة في سياقات سياسية مع الحكام لا جرم أنّه ينفق من أخلاقه الفاضلة و يبذل من التضحية ما يقرب نفسه قرباناً لتحيا القيم الإنسانية و تشيع بين الأدميين بدماء هؤلاء الشّرفاء و هذا طبعاً في أخلاق العرب من النّماذج الإنسانية الفريدة و تضحياتهم .

5-3- السياق النّفسي و علاقته بمقاصد الخطاب :

إنّ اعتبار الخطاب فعلاً ، و أنّ الفعل اللّغوي قصد مشروط ، يقود إلى دمج الحالات الدّهنية و النّفسية في نظرية تداولية اللّغة ، لتصبح المقاصد و الرّغبات حالات ذهنية مسؤولة عن برنامج الفعل و التفاعل ، و هذه الحالات هي مناط اهتمام الوصف و التّفسير التّداولي ، بوصفها السّياق النّفسي لإنتاج اللّغة و فهمها ، كما تقتضي صلتها بالتداولية ، من خلال الاقتصار على ذلك الجزء من النّشاط الذي يجسّد ذاته فقط من خلال الأنظمة النحوية المحدّدة في إنتاج التّسلسلات اللّغوية و فهمها ، و اجتناب الحالات الكثيرة التي لا تنتمي إلى المنهج التداولي مثل اكتساب اللّغة ، فالسّياق هو دليل المرسل في اختيار إستراتيجيته الخطابية ، فقد يضيق مرّة و

الفصل الرابع — تجليات القصيدة في مجمع الأمثال

يَتَّسَع مَرَّةً أُخْرَى ، كما في خطاب الولد مع والده أو العكس ، و عندها يصبح هذا التراوح هو المدخل في الاختيار¹ .

فالمقصود به المفعول الذي تُحدثه النصوص على مستعملي اللغة سواء فرديًا أو جماعيًا ، فالأمر لم يعد متعلقًا بالتساؤل عن ماذا يفعل القارئ أو المستمع بالنص ؟ و إنما ما هي العوامل الاجتماعية التي تلعب دورًا في فهم النص ؟ أو ما هي مظاهر فهم النص التي تحتوي على إجابات اجتماعية ؟² .

و المثال الأقرب إلى ذلك المثل الآتي :

" رُبَّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ ؟ " ³ .

عبارة موجزة تشكلت بحكمة فائقة في هذا المثل ، و من ثمّ يمكن التماس دلالته و مقصديته ، و الظفر بمقتضاه من دون مرجعية تسنده إذ تُقَرِّبنا الظروف و المواجه من نماذج إنسانية تتبوأ بأخلاقها و مناشطها القديرة منازل في القلوب و مواقع في الأذهان ، ذلك أنّ من يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ أفواه الآخرين لا يحتاج لتقريب موقعه و التزلّف من الناس بل إنّ أخلاقه الجديرة بالاحترام هي التي تجعله أحمًا نفسيًا و صديقًا مخلصًا من البؤساء و الموجوعين أكثر بكثير من الأخ البيولوجي ، و من هذا المنطلق بالذات فإنّ ما يُضمّره نص المثل من المقاصد و الأبعاد النفسية التداولية و موثيق الصداقة المخلصة أكثر بكثير ممّا يظهر في منطوقه الصياغي و بنيته الشكلية بمعنى ما في أعطافه أقوى و أرسخ من لفظه و سياق تشكّله .

" مُحْرَسِي يَا نَفْسُ لَا مُحْرَسَ لَكَ " ⁴

يحتوي المثل على الجانب النفسي من خلال حيثيات السياق ، فدلالة المثل كما أورده الميداني : " أيّ اصنعي لنفسك الخرسة و هي طعام النفساء نفسها ، قالت امرأة وكدت و لم يكن لها من يهتم بها " ⁵ . ساعدَ السياق النفسي في تصوير نفسية المرأة العربية آنذاك و خاصة المرأة النافس حين لا تجد من يرهاها و يتكفل بها ، فالقوة الإنجازية الظاهرة تمثّلت في التقرير لحقيقة نتلمّسها في أرض الواقع ، في حين القوة الإنجازية المستلزمة

1 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، (مقاربة لغوية تداولية) ، ص 44

2 - فان ديك ، النصّ بنيته و وظائفه ، مدخل أولي إلى علم النصّ ، من نظرية الأدب في القرن العشرين ، تر : د / محمد العمري ، إفريقيا ، الشرق ، المغرب ، الدار البيضاء ، ت . ط . ، 1997 ، ص 72

3 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 384

4 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 173 .

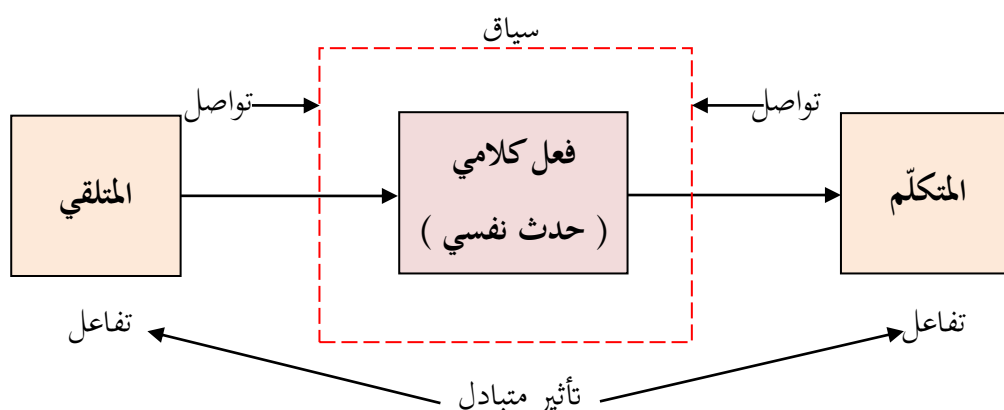
5 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 173

الفصل الرابع ————— تجليات القصصية في مجمع الأمثال

ضمنيًا أو مقاميًا هي الدّم و التّوبخ لهذا السّلك اللّإنساني ، و لعلّ التّنبه كان مؤشّرًا و داعمًا قويًا لتقوية الدّلالة و إيصال المراد من وراء هذا المثل إذ " يُعدّ أسلوب النّداء واحدًا من الأساليب الإنشائية التي تُظهر بوضوح في الأمثال بوصفه وسيلة لعقد الصّلة بين المرسل و المتلقي " ¹ .

يهتدي المتلقي في هذا المثل العربي إلى قناعة يقينية بأنّ هذه الأقوال و ما تحرسه في باطنها من الدلالات مبنية على تجارب و مواقف عزيزة ، تحمل في طياتها مقاصد و غلال خصيبة ، إذ يذهب المثل في تصوّره لحالة الإعياء و الإنجاز الذي حققته المرأة النفاس و الأم التي فرضت عليها المشقة حالة المكابدة للحمل و الولادة ما يُبصرُ القارئ بالتفاصيل الدقيقة التي شهدها البيت الاجتماعي العربي في عائلة ، أو أسرة لها من القواعد ما يحفظ حقّ المرأة في أيّام المكاره ، و في ذلك مدرج ضمن الحثّ و التّحريض للاهتمام بالنفس الإنسانية ساعة المخاطر و الأهوال .

و يظهر لنا الفعل التّأثيري في حثّ السّامع على ضرورة الاهتمام بالمرأة النّافس ، هذا السّلك الأخلاقي يؤدي لا محالة إلى الأجر و الثّواب عليه . و المخطط الآتي يوضّح ما قلناه سابقًا :



4-5- السياق الثقافي و علاقته بالمقاصد :

الثّقافة في كلّ أمة من الأمم هي ذلك المزيج المتراكب من عناصر شتى : الدّين ، اللّغة ، التّاريخ ، العادات و التقاليد ، و السياسة ، و الفنون ، و الآداب ، لذلك فهي تعني : " في إطارها العام آفاقًا و مستويات تتعلّق بالفكر و السّلك و النّظم ، و العلائق الإنسانية و نحوها " ² و من ثمّ فهي تعكس لا محالة حقيقة الأمة و تجلّي

¹ - أماني سليمان داود ، الأمثال العربية القديمة ، (دراسة أسلوبية سردية حضارية) ، ص 108 .

² - عمر عودة الخطيب ، لمحات في الثّقافة الإسلامية ، مؤسسة الرّسالة ، بيروت ، ط 3 ، 1979 ، ص 22

الفصل الرابع ————— تجليات القصصية في مجمع الأمثال

جوهرها ، و تميّزها عن غيرها ، و تبين مكانتها في مضمار الحضارة الإنسانية ، و لأجل هذا كان ضرورياً أن نستحضر السياق الثقافي في الأمثال العربية القديمة .

إضافة إلى كون النص أحد عناصر التفاعل الاجتماعي فإنه يمثل ظاهرة ثقافية أيضاً ، يمكن أن نستخلص منها بعض الاستنتاجات حول البنية الاجتماعية للجماعات الثقافية و غالباً ما يمكن أن نستخرج من النصوص و الحوارات المستعملة في المقامات دور أعضاء المجتمع و حقوقهم ، و واجباتهم ، و القواعد ، و الأعراف السائدة بينهم ...¹

بناءً على ما سبق ذكره يتضح أنّ النص ظاهرة ثقافية ، إذ لا يمكن فصل الثقافة عن النص و خاصة في المجال التطبيقي و التحليلي لفهم النصوص الأدبية و الولوج إلى أغوارها و هذا ما نلاحظه جلياً في تطبيقاتنا حول المثل العربي القديم ، و أيّ محاولة لفصل النص عن محيطه تعتبر عزلاً للنص عن أسسه الفكرية ، و السياسية ، و الاجتماعية " و من ثمّ دراسة أي لغة بمعزل عن المحيط الثقافي الذي نشأت فيه ، هي دراسة فاشلة بحسب تعبير ماليوفيسكي ، و لا يمكننا أن نصل إلى نتائج حقيقية من خلالها " ² .

و مثال ذلك المثل الآتي : " أَبْلَغُ مِنْ قُسِّ " ³ .

و قصّة المثل كما أوردها الميداني :

هو قسّ بن ساعدة الإباضي ... هل فيكم أحد يعرف قسّ بن ساعدة ، قالوا : كلنا نعرفه قال : فماذا فعل ؟ فقالوا : هلك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كأني به على جمل أحمر بعكاظ يقول : أيها الناس اجتمعوا و استمعوا و عُوا ، كلّ من عاش مات ، و كلّ من مات فات ، كلّ ما هو آتٍ آتٍ ، إنّ لفي السماء لخبراً و إنّ في الأرض لعبيراً مهاده موضوع و سقف مرفوع و بحارٍ تموج ، و تجارةٍ تروج ، و ليلٍ داج ، و سماءٍ ذات أبراج ، أقسم قسّ حقاً إنّ كان في الأرض رضا ليكوننّ بعده سخط و إنّ الله عزت قدرته دينا هو أحبُّ إليه من دينكم الذي أنتم عليه مالي أرى الناس يذهبون و لا يرجعون ارضوا فأقاموا أم تركوا فناموا ثمّ أنشد أبو بكر رضي الله عنه شعراً حفظه له ...⁴

¹ - علي آيت أوشان ، السياق و النص الشعري من البنية إلى القراءة ، ص 88

² - عرفات فيصل المناع ، السياق و المعنى ، دراسة في أساليب النحو العربي ، مؤسسة السياب ، لندن ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، منشورات ضفاف لبنان ، ط 1 ، 2013 ، ص 27

³ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 155

⁴ - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 155

الفصل الرابع — تجليات القصصية في مجمع الأمثال

لقد اشتهر قسّ بلاغته و فصاحته بين العرب ، فالمثل يتكئ لا محالة على الخلفية الثقافية أو الذاكرة الجماعية ، و اتكأ على ما لهذا الاسم من ذاكرة شديدة في الوجدان الجماعي ، و بالتالي فقد تحققت مقصديته في التأثير و الإقناع حيناً و في إحياء النموذج الثقافي و الاحتفاظ به حيناً آخر ، و غيرها من الأسماء الخالدة في مجمع الأمثال التي اشتهرت بصفات كثيرة جعلتها تتوج بنصيب وافر من الثقافة الجماعية في أذهان الجماعة ، هذا ما نلاحظه في المثل الذي سبق الحديث عنه في الفصل السابق "أَجُودُ مِنْ حَاتِمٍ"¹ ، فحاتم كما هو معروف شخصية مشهورة في الثقافة العربية بالجود ، و العطاء ، و الكرم ... الخ .

فإذا سمع المتلقي بهذا الاسم فإنه يتجه مباشرة بذاكرته الثقافية و الجماعية إلى هذه الشخصية الفريدة من نوعها و التي لا تتكرر ، إذ استطاع المثل العربي القديم أن يرسم وظيفته ، و إذا لم تحضر هذه الأسماء في الذهنية الثقافية لأضحت الأمثال قاصرة عن تلبية أدوارها و أهدافها و بالتالي لا تتحقق مقصدية الإقناع و التأثير .

"أَحْمَقُ مِنْ رَبِيعَةَ الْبَكَاءِ"²

هو ربيعة بن عامر بن ربيعة ... و من حمقه أنّ أمّه كانت تزوّجت رجلاً من بَعْدِ أبيه فدخل يوماً عليها الخباء و هو رجل قد التّخى فرأى أمّه تحت زوجها يُباضعها ، فتوهم أنّه يريد قتلها ، فرفع صوته بالبكاء ، و هتّك عنهما الخباء ، و قال : وا أمّاه ، فلحقه أهل الحبيّ و قالوا : ما ورائك ؟ قال : دخلت الخباء فصادفت فلانا على بطن أمي يريد قتلها ، فقالوا : أهوّن مقتول أم تحت زوج ، فذهبت مثلاً ، و سمي ربيعة البكاء ، فضُرب بحمقه المثل.³

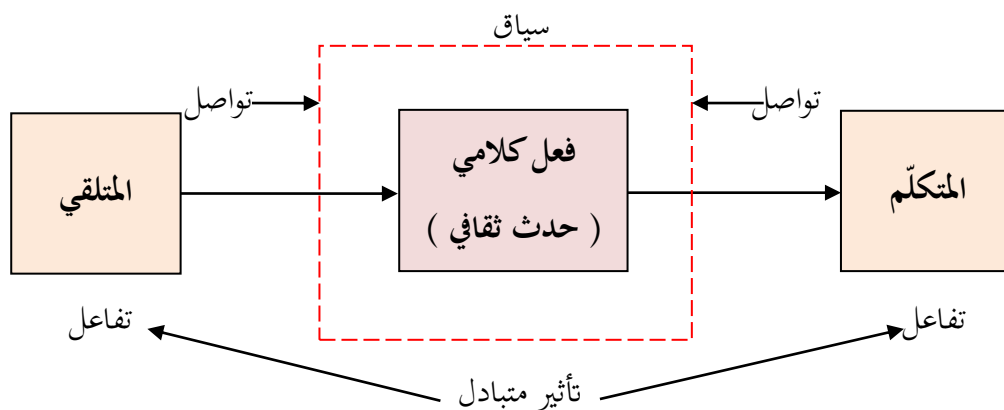
يندرج المثل العربي ضمن السياق الثقافي القائم على استبطان الظواهر و الغوص في أعماقها على نحو يجعلنا تلقاء فرصة إجرائية لتفكيك المثل العربي و إضاءة منطوقه و الحقّ فيها نطق به يكشف مدى التّصور القائم في بنية العقل العربي حين تحجب معطيات التفكير و تغيب موارده القياسية كما ذهبت عقل الأحمق الذي فقد عقله بوصلة التمييز بين الواقعة المستحقة بين الزوجين و جريمة القتل ، و هو بهذا يقربنا من مرايا الجهل و الحمق وفق أنّ البصيرة في مواضع الهداية و الضلال و الشفاء و البلوى بالعلل العقلية و سوء التصرف و داء الغباء .

و نوضّحها وفق الشكل الآتي :

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 240

2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 289

3 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 289

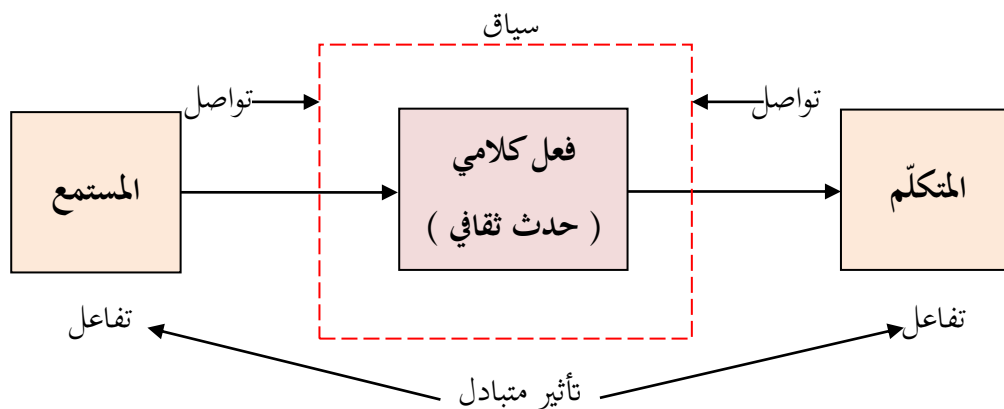


و هذا ما نجده في المثل العربي " أَتَجَرُّ مِنْ عَقْرَبٍ " ¹

و كذا قولهم : " التَّمَرُ بِالسَّوِيقِ " ²

و غيرها من الأمثال التي صوّرت الأنموذج الثقافي في البيئة العربية آنذاك إذ نلمح العمل بالتجارة ، و تدفع الناس إليها بما فيها من فائدة عظيمة ، كيف و لا و سيّد الخلق الرسول صلى الله عليه وسلم كان من أحسن التّجار ، إذ رَغِبَ في التجارة بما فيها من خصال حميدة .

و نمتلها كالآتي :



و نأخذ على سبيل المثال قول العرب قديما : " أَكْفَرُ مِنْ حِمَارٍ " ³

1 - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 1 ، ص 289

2 - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 289

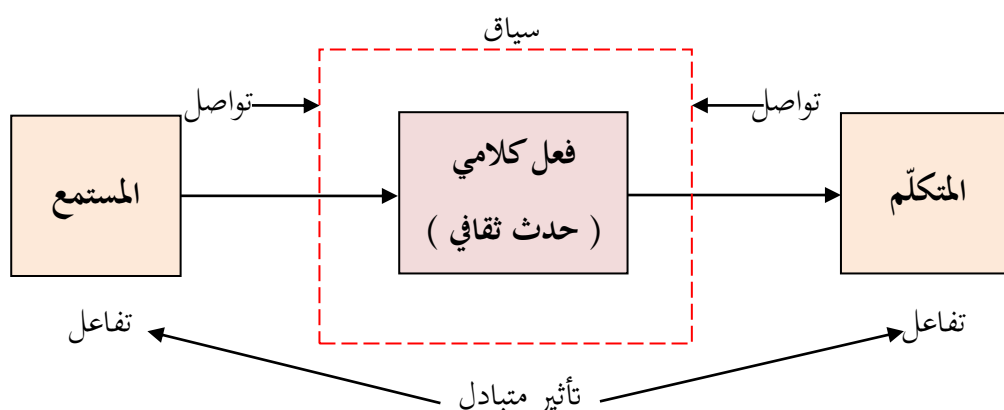
3 - المصدر نفسه ، مج 2 ، ص 200

الفصل الرابع _____ تجليات القصصية في مجمع الأمثال

قد يختلط الأمر لدى القارئ و يتبادر إلى ذهنه أنّ الحمار شخص كافر فلا تتحقق المنظومة التداولية ، إلاّ من خلال ربطه بالسياق الذي أنتجه المثل و قصته كما يلي :

" هو رجل من عاد يُقال له جَمَارُ بَنُ مُؤَيْلِعَ ، ... كان له واد طوله ميسرة يوم في عرض أربعة فراسخ لم يكن ببلاد العرب أخصب منه ، فيه من كلّ الثمار ، فخرج بنوه يتصيدون فأصابتهم صاعقة فهلكوا فكفر ، و قال " : لا أعبد من فعل هذا بني و دعا قومه إلى الكفر فمن عصاه قتله فأهلكه الله تعالى و أخرب واديه ، فضرب فيه العرب في الكفر " ¹

من خلال المثل نلاحظ جليا بذور الصراع الموجود منذ الأزل من جهة و من جهة أخرى يتسم المثل بالمنظومة الثقافية و يظهر ذلك من خلال تصرّف هذا الشخص المستهتر و المتسرع في إصداره للحكم ، أدى ذلك إلى هلاكه ببعده عن الوازع الديني إذ قرّب المثل صورة ثقافية ألا و هي صورة الجهل التي كانت لصيقة بالعربي قديما و سوء التصرّف في إصدار الأحكام عجل بنتائج وخيمة على الفرد أولا و المجتمع ثانيا ، و نمثل هذا المثل وفق المخطط الآتي :



¹ - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، مج 2 ، ص 200

خاتمة

الخاتمة :

بعد رحلة البحث عن الأبعاد التداولية في مجمع الأمثال للميداني يمكن أن نُشير إلى أهمّ النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث و نُجملها في النقاط الآتية :

أولاً: المثل جنس أدبي وجيز يقوم على مبدأ الاقتصاد اللغوي، و التخزين النشط للأفكار والبيانات والحوادث والظروف التاريخية وما له تعلق مخصوص بالقيم والعلاقات الإنسانية..

ثانياً: يعد كتاب مجمع الأمثال للميداني أحد المصادر الوثيقة في التراث العربي، وأحد الذخائر النفيسة التي تستحق الدراسة والمقاربة النقدية، بما اشتمل عليه من استراتيجيات تداولية، وطرائق حجاجية، تعكس في بنائها قدرة العقل العربي على تمثل الأحداث وتمثيلها بهذه الأشكال الوجيهة

ثالثاً: يعد مجمع الأمثال للميداني شكلاً من أشكال التواصل الإنساني، باعتبار أن المثل العربي القديم من الوسائل التواصلية بين المتخاطبين، (المرسل والمستقبل)، ويحمل من القضايا ما يسعف به المتكلم لرسم معالم معينة ينشدها من السامع، ويقدم أجوبة سريعة لأسئلة عميقة تخص العقل العربي الثقافي من جهة، ويقدم جسوراً قوية بين الأجيال على مر العصور.

رابعاً: يحمل المثل العربي طاقة حجاجية عالية، إذ يبيّن في سياق التخاطب على قضايا وحجج كثيرة، والنظر في قصص الأمثال يدعم ما ذهبت إليه الدراسة، ذلك أن الإقناع منوط بالنتيجة التي يحملها، فضلاً عن قدرة المثل على التجاوب مع الأحداث في كل عصر، نظراً لحالة التشاكل بين الظروف الإنسانية. ومن ثمّ فإن صيغته ومنطوقه التداولي يتأسس على علاقات الواقع ويؤسس لها في آن.

خامساً: تعد التداولية في اصطلاحنا الإجرائي (مجموعة من الآليات اللغوية الكاشفة عن سياقات التخاطب ومقاصد المتكلمين في ظروف القول

سادساً: كشفت الدراسة عن استجابة بليغة في الاستعمال التداولي بين المثل العربي والآراء التي طرحها سيرل في نظرية أفعال الكلام، وخاصة ما يتعلق بالفعل الكلامي غير المباشر (المتضمن في القول) بحيث وضح لنا كيفية انتقال الدلالة من الدلالة الحرفية المباشرة إلى دلالة مستلزمة (غير مباشرة) التي تُفهم مقامياً أو سياقياً .

سابعاً: كشفت الدراسة عن القدرة الهائلة التي يمتلكها المثل العربي القديم في الأفعال الإخبارية، إذ له القدرة على نقل الأحداث وتقديم صياغة تاريخية مضمرة للمناسبات التي ساقها في علاقات الإنسان مع الكون المحيط به، وتحقيق خاصية الإقناع في أجلى صورها

ثامناً: أفلحت الدراسة إلى حد كبير في رصد مظاهر التكثيف التداولي الذي حمله المثل في مضامينه وبنياته الصياغية، إذ تبينت الأفعال التعبيرية (الشكوى، الفرح، الحزن، المواساة، الدعاء) وكلها أسهمت بناء استراتيجية إقناعية تحسب للعقل العربي المنتج، وسيرورة ما انتهى إليه في التعبير اللغوي والمشروع الحضاري..

تاسعاً: يعد المثل العربي القديم حجة شاملة، وسياق قصدي موجه نحو بناء الذات العربية في علاقتها مع الآخر، وتحسين شروط التلقي الثقافي.

عاشراً: تعد القصيدة من أهم الركائز التداولية و الحجاجية في مجمع الأمثال، إذ تتضافر في إنتاجها شبكة من العلاقات اللغوية الإبداعية، واللغة التداولية التواصلية، وهذه الثنائية الماثلة في بنية الأمثال العربية أسهمت إلى حد كبير في توليد طاقة واسعة من التأثير والإقناع بتلفاظاتها عبر العصور. إذ تبين للدراسة أن القصيدة تتحكم في الخطاب النثري القديم و تحديدا في قطبي العملية التواصلية مرسل و مرسل إليه اللذين يحتكمان إلى ميثاق تواصلية محكوم على مستوى سياق التلقي على وجه التحديد . تحكمتها اللغة الإبداعية التي تأبى التوقع على معنى ثابت

الحادي عشر: يُعدّ الافتراض المسبق أحد الآليات التداولية والأبعاد التي اختصت الذهن العربي بطاقة إقناعية في تمثيل خطابه الوجيز، وأفضت في مسارات التفسير الذهني للمضمرات القولية إلى تعدد وجوه التأويل، وبدت محكمة في انفتاحها السياقي على ظروف التواصل والرصيد النفسي والاجتماعي والأخلاقي الذي هيمن على صياغتها، وشفرائها الوجيزة.

الثاني عشر: تظهر القصيدة في مجمع الأمثال بصور مكثفة تتجلى في مختلف السياقات الخارجية التي أسهمت في إنتاج خطاب المثل كالسياق النفسي ، الاجتماعي ، الثقافي غايته الأساسية الإقناع و حمل المتلقي على التغيير و التأثير فيه كما أنها القصيدة مرتبطة ارتباطا وثيقا بنظرية الأفعال الكلامية ، فكل فعل كلامي نستنبط من ورائه قصيدة ما فلا يأتي هكذا من فراغ أو عدم .

الثالث عشر: تعدّ الإستراتيجية التلميحية و التضامنية و إستراتيجية قصد الإقناع من أهم أنواع الإستراتيجيات التخاطبية التي يتوخاها المتكلم بغية تحقيق أهدافه ، و غاياته التواصلية ليُنجز بها أكثر ممّا يتلفظ به مستثمرا في ذلك عناصر السياق.

و الحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر و

المراجع

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع :

* القرآن الكريم

1- المصادر :

* أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، علق عليه : نعيم حسين زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ط 3 ، 2010

2- المراجع :

أ- العربية :

1- ابن الأثير (ضياء الدين)، المثل السائر في أدب الشعر والكتاب، مج01، تحقيق: الشيخ كامل عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1998.

2- ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، تحقيق: محمد النجار، دار الهدى، بيروت، لبنان، ط 2 ، د.ت .

3- ابن رشيق القيرواني (أبي علي الحسن)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق: صلاح الدين الهواري، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان ، ج 1 ، ط 1، 1416 هـ / 1996م.

4- ابن سينا الشفاء (كتاب العبارة) ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، 1970.

5- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، منتديات سور الازبكية، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2006.

6- _____، الخطاب والحجاج مؤسسة الرحاب الحديثة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2010

7- أبو عبيد القاسم بن سلام ، كتاب الأمثال ، تج : محمد عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ط 1، 1374 هـ

8- أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله)، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب الغربية، سوريا، 1952

9- _____، جمهرة الأمثال ، ضبطه : احمد عبد السلام ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ج 1 ، ط 1 ، 1988

10- _____، الفروق اللغوية ، تحقيق : محمد إبراهيم سليم ، دار العلم و الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط 1، 1992

قائمة المصادر و المراجع

- 11- أبي بكر بن علي بن عبد الله المعروف بابن حجة الحموي ، خزانة الأدب و غاية الأرب ، دار صادر ، بيروت، لبنان ، مج2 ، ط1 ، 2005
- 12- أبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري ، قطر الندى و بلّ الصدى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط4 ، 2004
- 13- أحمد كروم ، مقاصد اللغة و أثرها في فهم الخطاب الشرعي ، دار كنوز المعرفة ، الأردن ، (د ، ط) ، 2015
- 14- إسماعيل صلاح ، النظرية القصدية في المعنى عند جرایس (حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية) ، مجلد25 ، الرسالة ، 2030 ، الكويت ، دار المنظومة ، 2018 .
- 15- اصف دريبارتي ، السخرية في شعر نديم محمد ، دار الجنان للنشر و التوزيع ، الأردن ط 1 ، 2016
- 16- أماني سليمان داود ، الأمثال العربية القديمة ، (دراسة أسلوية سردية حضارية) ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت، ط1 ، 2009
- 17- الهام أوغزالة علي خليل ، مدخل إلى علم لغة النص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط 2 ، 1999
- 18- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعرفة، بيروت، ج2، ط2
- 19- بن عيسى بالطاهر، البلاغة العربية، مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الجديد، ط1، 2008 .
- 20- بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر (بيروت) ، ج 2 ، ط1 ، 2003.
- 21- بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية - من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 2010 .
- 22- توفيق أبو علي ، الأمثال العربية و العصر الجاهلي (دراسة تحليلية) ، دار النقاش ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1408 هـ / 1911 م
- 23- جلال الدين عبد الرحمان السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ج 1 ، (د،ط) ، (د،ت،ط)
- 24- جماعة من المؤلفين، مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط3، 2006

قائمة المصادر و المراجع

- 25- الجيلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ترجمة محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن
عكنون ، الجزائر ، 1992
- 26- حافظ اسماعيل علوي، الحجاج مفهومه و مجالاته : دراسة نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة الحجاج
مدارس وإعلام، ج 2، ج 4 ، د.ط، د.ت .
- 27- حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري ضمن كتاب الحجاج مفهومه
ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة، مجموعة من المؤلفين، إشراف: حافظ اسماعيلي
علوي، دار الروافد الثقافية، لبنان، منشورات ابن النديم، الجزائر، ج 2 ، ط1، 2013
- 28- حسان الباهي ، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (د.ط)، 2004
- 29- حسن بدوح، المحاوره- مقارنة تداولية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، أريد، الأردن، ط1، 2012
- 30- حسن مغنية ، نهج الحكم و الأمثال ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، د ط ، 2005 م
- 31- الحسن اليوسي، زهر الأكم في الأمثال و الحكم ، تحقيق و شرح : قصي الحسين ، دار و مكتبة الهلال،
بيروت ، لبنان، ج 1 ، ط1، 2003
- 32- الحسين بن عبد الله بن سهل بن مهران العسكري أبو هلال ، الفروق في اللغة ، دار العلم و الثقافة للنشر
و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1991
- 33- حمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام النص، دار المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1،
1991
- 34- حمدي منصور جودي، الحجاج في كلية و دمنة لابن المقفع، عمان، ط1، 2018
- 35- حميد ادم اثويني، البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، دار النشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2007،
- 36- الخطيب القزويني(جلال الدين)، التلخيص في علوم البلاغة، شرح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي،
القاهرة، ط 1 ، 1904
- 37- _____، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبديع والبيان، تحقيق: ابراهيم شمس
الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2003
- 38- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر
والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2009

قائمة المصادر و المراجع

- 39- _____، في اللسانيات التداولية مقارنة بين التداولية والشعر-دراسة تطبيقية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2012 .
- 40- خولة طالب الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات ، دار القصة ، حيدرة ، الجزائر ، ط 2 ، 2006
- 41- ذهبية حمو الحاج ، لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب ، الأمل ، تيزي وزو ، الجزائر ، ط2، د.ت
- 42- رجاء عيد ، فلسفة البلاغة بين التقنية و التطور ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، ط 2 ، د،ت
- 43- الريفي ، الحجاج عند أرسطو، د ط، د ت
- 44- الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة،(د.ط)، 2006
- 45- الزواوي بغورة ، الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2005
- 46- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، الأردن، ط1، 2008
- 47- سعيد توفيق ، الخبرة الجمالية (دراسة في فلسفة الجمال الظاهرية) ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ط 1 ، 1992
- 48- السكاكي ، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي ، مفتاح العلوم ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط1، 2000
- 49- سميح عاطف الزين ، الأمثال والمثل والتمثيل و المثالات في القرآن الكريم ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 2000 م
- 50- السيد احمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، إشراف صدي محمد جيل، دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،2005
- 51- الشريف بن علي الجرجاني ، التعريفات ، تحقيق : ابراهيم الاياري ، دار الريان للتراث ، د ط ، د ت
- 52- شكري المبخوت، نظرية الأعمال اللغوية، دار مسكيلياي للنشر والتوزيع، زغوان، تونس، ط1، ديسمبر 2008
- 53- _____، دائرة الأعمال اللغوية-مراجعات ومقترحات-، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2010

قائمة المصادر و المراجع

- 54- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط9، (د.ت)
- 55- صابر الحباشة، التداولية والحجاج- مداخل ونصوص-، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سورية (د ط)، 2008
- 56- _____ ، مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية ، قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني ، دار صفحات للنشر والتوزيع ، سورية ، دمشق، (د. ط) ، 2011
- 57- صلاح اسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة اوكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993
- 58- _____ ، فلسفة العقل ، دراسة في فلسفة سيرل ، د.ط، دار قباء الحديثة ، القاهرة ، 2007 .
- 59- صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، مصر، ط1 ، 1997
- 60- ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج3 ، (د.ت)
- 61- طاوس قاسمي ، ترجمة أفعال الكلام من الانجليزية إلى العربية في الخطاب السياسي دراسة تحليلية ، قسم الترجمة ، جامعة الجزائر، 2005-2006
- 62- طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الرباط ، المغرب ، ط2، 2000
- 63- _____ ، تجديد المنهج في تقويم التراث ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط2 ، 2005
- 64- عادل بن علي الغامدي ، الحجاج في قصص الأمثال القديمة ، مقارنة سردية تداولية، المملكة الأردنية الهاشمية ، الأردن ، ط1 ، 2015
- 65- عباس حسن، النحو الوافي ، دار المعارف، مصر، ط3 ، ج3 ، (د.ت)
- 66- عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي ، عالم الكتب الحديث ، اربد ، الأردن ، ط1 ، 2014
- 67- عبد الرحمان ابن خلدون : المقدمة ، تحقيق : خليل شحادة ، مراجعة سهيل زكارة ، ط1 ، 2001

قائمة المصادر و المراجع

- 68- عبد الرحمن حسن، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم والدار الشامية، دمشق، بيروت، ج2، ط1، 1996.
- 69- عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2001
- 70- عبد العتيق عزيز، علم المعاني، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، (د،ط)، 2004
- 71- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، اعتنى به محمد الفاشلي، أبحاث للنشر و الترجمة و التوزيع، ط1، 2007
- 72- _____، أسرار البلاغة في علم البيان، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط2، (د،ت)
- 73- _____، دلائل الإعجاز، علّق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)
- 74- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات، مسكيلباني للنشر ط1، تونس، 2011
- 75- عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000
- 76- عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية، دراسة تاريخية تحليلية، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1988
- 77- عبد المنعم خليل، نظرية السياق بين القدماء و المحدثين، دار الوفاء بدنيا الطباعة و النشر، الاسكندرية، ط1، 2007
- 78- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، لبنان، ط1، 2004
- 79- عبد الواسع الحميري، آفاق الكلام و تكلم النص، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، ط1، 1431 هـ / 2010
- 80- عز العرب، الحكيم بناني، الظاهراتية و فلسفة اللغة، تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية، المغرب، افريقيا الشرق، (د، ط)، 2003
- 81- عصام شرتح، الشعر وتأنيث العالم، قراءة في تجربة الشاعر شوقي بزيع، دار الخليج للصحافة و النشر و التوزيع، الأردن، ط1، 2013.
- 82- علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000

قائمة المصادر و المراجع

- 83- علي بن محمد الجرجاني ، التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط2، 1992
- 84- عمر عودة الخطيب ، لمحات في الثقافة الإسلامية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 2 ، 1979
- 85- العياشي ادراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الامان، بيروت، لبنان، ط1، 2011
- 86- فايز الداية ، علم الدلالة العربية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت و دمشق ، ط 2 ، 1996 .
- 87- فريدة لعبيدي، لغة الخطاب الإداري-دراسة لسانية تداولية-،الوسام العربي للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، ط1، 2001
- 88- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفانها، دار العرفان للنشر والتوزيع، ط10، 2005
- 89- فوزي علي صويلح ، القوة التداولية في المثل العربي ، دار غيداء للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 1439هـ - 2018م
- 90- فؤاد كمال ، إعلام الفكر الفلسفي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1993
- 91- قدامى بن جعفر (ابي الفرج)، نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط، 1995
- 92- قدور عمران، البعد التداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل ، ، عالم الكتب الحديث، إربد ، الأردن ، ط1، 2012
- 93- مجدي الكيلاني، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور معاصر، دار التنوير، ط1، 2008
- 94- محمد بشير ، دراسات في علم اللّغة ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 1 ، 1986
- 95- محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير ، الدار التونسية ، الدار الجماهيرية للنشر ، تونس ، ج 3 ، (د،ت)
- 96- محمد الولي، مدخل إلى الحجاج أفلاطون و أرسطو وشايم بيرلمان، عالم الفكر، ج2، مجلد40، أكتوبر ديسمبر 2011
- 97- محمد توفيق أبو علي ، الأمثال العربية و العصر الجاهلي(دراسة تحليلية) ، دار النقاش بيروت ، لبنان ، ط1، 1988
- 98- محمد جابر فياض العلواني ، الأمثال في الحديث النبوي الشريف، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، سلسلة الرسائل الجامعية ، ط 3 ، 1990

قائمة المصادر و المراجع

- 99- محمد حسين العزة ، قصص الأمثال و روائع الأشعار العربية ، دار عالم الثقافة ، للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2010
- 100- محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام النص، دار المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991
- 101- محمد خليفة حسن أحمد ، آثار الفكر الإستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، عين الدّراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، ط 1 ، 1997
- 102- محمد ديب الحاجي، النسق القرآني دراسة أسلوبية، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، السعودية، ط1، 2010
- 103- محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر ، دار الكتاب الجديد، ط1، 2008
- 104- محمد طروس خلال الدراسات البلاغية المنطقية و اللسانية ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 2005
- 105- محمد عابد الجابري ، بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظام المعرفة في الثقافة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، ط 7 ، 2004
- 106- محمد العمري ، البلاغة العربية و أصولها و امتدادها ، دار إفريقيا الشرق ، المغرب ، 1996
- 107- محمد محي الدين عبد الحميد شرح قطر و بل الصدى لابن هشام، مكتبة السعادة، مفترض ، ط 11 ، 1963
- 108- محمد مفتاح ، دينامية النص ، (تنظير و إنجاز) ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1987
- 109- _____ ، في سيمياء اشعر القديم ، دراسة نظرية تطبيقية ، المركز الثقافي العربي ، د.ط ، 1989
- 110- _____ ، تحليل النص الشعري (إستراتيجية التناص) ، المغرب ، المركز الثقافي العربي ، ط 3 ، 1992
- 111- محمد محمد يونس علي ، مقدمة في علمي الدلالة و التخاطب ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2004
- 112- محمود احمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر (د.ط) ، 2002

قائمة المصادر و المراجع

- 113- محمود السعران ، علم اللّغة مقدمة القارئ العربي ، دار النهضة العربية للنشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، (د،ت)
- 114- محمود فهمي زيدان ، في فلسفة اللغة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان، د ط ، 1984
- 115- مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب " دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية ، دار التنوير للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1، 2008
- 116- مصطفى أمين علي الجازم، البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبديع، دار المعارف، القاهرة، ط1 ، 1979
- 117- مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، (د.ط)(د.ت)
- 118- مصطفى ناصف ، محاورات مع الفكر العربي ، سلسلة عالم المعرفة ، د.ط ، 1997.
- 119- المفضل الضبي ، أمثال العرب ، تحقيق وشرح وفهرسة د: قصي الحسين ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2003 .
- 120- مؤيد ال صويلت، التداولية قراءة في النشأة والمفهوم، (التداولية في البحث اللغوي والنقدي)، جمع وإعداد: بشرى البستاني، مؤسسة السياب للنشر والتوزيع، لندن، ط1، 2012
- 121- نادية رمضان النجار ، الاتجاه التداولي و الوظيفي في الدرس اللغوي ، مؤسسة حورس الدولية ، الإسكندرية ، مصر ، ط 1 ، 2013
- 122- نعمان بوقرة ، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة ، جدار للكتاب العالمي للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2009
- 123- _____ ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب-دراسة معجمية-، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط1، 2009
- 124- _____ ، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، (د-ط)(د.ت.ط)
- 125- نوارى سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي (المبادئ والإجراء)، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، ط1، 2009
- 126- هشام عبد الله خليفة ، نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث و المباحث اللغوية في التراث العربي الاسلامي ، مكتبة لبنان ناشرون ، لبنان ، ط1 ، 2007

قائمة المصادر و المراجع

127- يحيى بعبطيش ، الفعل اللغوي بين الفلاسفة والنحو ، عرض وتاصيل لمفهوم الفعل اللغوي لدى فلاسفة اللغة ونظرية النحو الوظيفي ، (التداوليات عالم استخدام اللغة) تقديم وتنسيق حافظ اسماعيلي علوي ، عالم الكتاب الحديث ، أريد، الأردن ، ط2 ، 2011

128- يوسف نور عوض ، نظرية النقد الأدبي الحديث ، دار الأمين ، القاهرة ، ط 1 ، 1994 م

ب - المترجمة :

1- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ، تر : سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني، مراجعة : لطيف زيتوني ، دار الطليعة للنشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2003

2- أوليفي روبول ، مدخل إلى الخطابة ، المطابع الجامعية الفرنسية ، طبعة منفتحة ، 1994

3- _____ : هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي، نقلا عن سامية الدريدي، الحجاج في الشعر القديم من الجاهلية إلى القرن الثالث الهجري، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2007

4- ايكوامبرتو ، القارئ في الحكاية ، التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية ، تر: انطوان ابو زيد ، بيروت ، المركز الثقافي العربي، ط2 ، (د،ت)

5- برلمان و تيتيكا، مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة، المطابع الجامعية، ليون، فرنسا، ج1، 1981

6- بول ريكو ، التواصل و الخطاب ، تر : عز الدين الخطابي ، مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث ، البحرين، 2017.

7- تون أ ، فان دايك ، علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات ، تر : سعيد مجيري ، دار القاهرة ، ط 1 ، 2001

8- جورج يول ، التداولية ، تر : قصي العتايي ، دار الأمان ، الرباط ، المغرب ، 2010

9- جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع- الفلسفة في العالم الواقعي-، ترجمة: سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2006

10- _____ ، الأعمال اللغوية ، بحث في فلسفة اللغة ، ترجمة : أميرة غنيم ، تونس ، دار سينا تر : (د ، ط) ، 2015

قائمة المصادر و المراجع

- 11- جون لانكشو أوستين ، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام ، ترجمة: عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، ط2 ، 2008 .
- 12- جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987
- 13- _____، الصيغة والقوة الالاقولية، (لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية)، جمع وإعداد: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، 2010
- 14- جيرار دولودال ، التحليل السيميوطيقي للنص الشعري ، ترجمة : عبد الرحمن بوعلي ، مطبعة المعارف الجديدة ، ط 1 ، 1994
- 15- رودلف زهايم ، الأمثال العربية القديمة ، ترجمه وحققه وعلق عليه: د.رمضان عبد التواب ، دار الأمانة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1971
- 16- ستيف أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، تر : كمال بشر ، مكتبة الشباب ، الجيزة ، د ، ط ، د ، ت ،
- 17- فان ديك ، النص بنيته و وظائفه ، مدخل أولي إلى علم النص ، من نظرية الأدب في القرن العشرين ، تر: د / محمد العمري ، إفريقيا ، الشرق ، المغرب ، الدار البيضاء ، ت . ط ، 1997
- 18- _____ ، النص والسياق - استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 2000
- 19- فرانسواز ارمينكو، المقاربة التداولية ، ترجمة : سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، لبنان ، (د.ط)، 1986
- 20- فردينان دوسوسير، علم اللغة العام ، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز ، دار الكتب للطباعة والنشر ، بيت الموصل، بغداد ، العراق ، د . ط ، 1988
- 21- فيليب بروتون، حبيب جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، تر : محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، ط1، 2011
- 22- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين الى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، 2007

قائمة المصادر و المراجع

- 23- كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص - مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة: حسن بحري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2010
- 24- مورو فرانسوا، البلاغة، المدخل لدراسة الصور البيانية، تر: محمد الولي وعائشة جرير، إفريقيا، الشرق، المغرب، (د. ط)، 2003 م

ج- المراجع الأجنبية :

- 1- Ducrot , dire et ne pas dire 2^{ème} Edition HERMANN , Paris , 1980
- 2- Jean Dubois et autres , Larousse , dictionnaire , dictionnaire de linguistique et des science de langue , paris , 1999
- 3- John searl , consciousness and language , Combridge university press , 2002
- 4- Gilles Siouffi et Dan van Raemdonck, 100 Fiches pour comprendre la linguistique, Bréal éditions, 1999
- 5- Michael Ashby : Oxford advanced learner's dictionary of current english , sixth edition : sally Wehmeier , oxford university press , 2000
- 6- Patrick Charoudeau ,Dominique Mainguenu ,dictionnaire d'analyse du discours du seuil , 2002
- 7 -Walfang Iser , l'acte de la lecture , théorie de l'effet esthétique , traduit poue evalque scerycer, pierre , 1éré édition , paris ,1985
- 8- Cambrige advenced learners,Dictionnaire,cambrge university, press, 2nd pub,2004
- 9- Le grand robert,Dictionnaire de la langue francais 1^{er} rédaction ,paris 1989

3- الرسائل الجامعية :

قائمة المصادر و المراجع

- 1- أحمد جاسر عبد الله العبد الله ، مجمع الأمثال للميداني ، دراسة لغوية دلالية ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية و آدابها ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، جامعة الشرق الأوسط ، عمان ، الأردن ، 2010- 2011
- 2- آمنة لعور ، الأفعال الكلامية في سورة الكهف ، مذكرة مكتملة لنيل درجة الماجستير في الآداب ، شعبة الدراسات اللغوية ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2010 - 2011
- 3- أمين عبد الله محمد يزيد ، الخصائص الفنية في الحكم و الأمثال العربية ، دراسة تحليلية تطبيقية على كتاب مجمع الأمثال للميداني ، بحث مقدّم لنيل درجة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية و آدابها ، كلية الآداب ، جامعة النيلين ، 2005 م
- 4- أودينة سليم، فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند بورغن هايرماس، مذكرة لنيل درجة الماجستير في الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009
- 5- بوقرومة حكيمة ، الملتقي في الخطاب القرآني ، أطروحة دكتوراه ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، 2010
- 6- حسين بو بلوطة ، الحجاج في الإمتاع و المؤانسة لأبي حيان التوحيد ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية (تخصص لسانيات الخطاب) ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2009 - 2010
- 7- حليلة بو الريش ، أفعال الكلام في الخطاب القرآني ، سورة البقرة أمودجا - دراسة تداولية - مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات العامة ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، 2011 - 2012
- 8- دايد عبد القادر ، أثر السياق في ترجيح دلالة النص لدى الزمخشري ، الكشاف أ نموذجاً ، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة و الأدب العربي ، كلية الآداب و اللغات و الفنون ، 2017 / 2018 .
- 9- سارة قطاف ، الخطاب السردى في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع - مقارنة تداولية، قسم اللغة العربية وآدابها، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة الحاج لخضر، باتنة 2012 - 2013
- 10- سامية بن يامنة ، سياق الحال في الفعل الكلامي ، مقارنة تداولية ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات التداولية ، قسم اللغة العربية و آدابها ، كلية الآداب و اللغات و الفنون ، جامعة وهران ، 2011 / 2012

قائمة المصادر و المراجع

- 11- طاوس قاسمي ، ترجمة أفعال الكلام من الانجليزية إلى العربية في الخطاب السياسي دراسة تحليلية ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الترجمة ، فرع عربي - انجليزي ، كلية الآداب و اللغات ، قسم الترجمة ، جامعة الجزائر ، 2006- 2005
- 12- عبد الرحمن بشلاغم، تحليلات مفاهيم التداولية في التراث العربي ، تفسير فخر الدين الرازي لسورة المؤمنين ا نموذجاً، قسم اللغة والأدب العربي ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات العامة بين النظرية والتطبيق ، جامعة ابي بكر بلقايد ، تلمسان 2013 - 2014
- 13- عبد الرحمن دحماني، أفعال الكلام في ديوان لزوم مالا يلزم لأبي العلاء المعري- دراسة تداولية-، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013-2014
- 14- ليلي كادة ، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ، ظاهرة الاستلزام التخاطبي ، أطروحة دكتوراه في علوم اللسان ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، الجزائر ، د.ت
- 15- محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) ، دراسة تداولية ، قسم اللغة العربية وآدابها ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم جامعة الحاج لخضر، باتنة 2013 - 2014
- 16- مسعود صحراوي ، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر و التراث العربي (رسالة دكتوراه) ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2003 - 2004
- 17- نعيمة يعمران، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، رسالة ماجستير، إشراف عمر بلخير، جامعة مولود معمري 2011، 2012
- 18- نور الدين بوخيار ، الخطاب القصصي القرآني ، دراسة أسلوبية تداولية ، سورة يوسف أ نموذجاً ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، تخصص الدراسات اللغوية النظرية ، جامعة الجزائر ، 2003 / 2004
- 19- واضح احمد، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات، كلية الآداب، جامعة وهران، 2011-2012
- 20- وشن دلال ، القصصية في الموروث اللساني العربي (دراسة في الأسس النظرية و الإجرائية للبلاغة العربية) ، رسالة دكتوراه ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، 2015 - 2016
- 21- ياسة ظريفة، الوظائف التداولية في المسرح مسرحية" صاحب الجلالة" لتوفيق الحكيم نموذجاً، قسم اللغة العربية وأدابها، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010

قائمة المصادر و المراجع

4- المجلات :

- 1- أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي ضمن كتاب التحاجج، طبيعته ومجالاته ووظيفته، تنسيق حمو النقاوي، منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم134، المغرب، ط1، 2006 .
- 2- إدريس مقبول ، في تداوليات القصد ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) ، نابلس ،فلسطين ، مج28، ط05، 2014.
- 3- إسماعيل صلاح ، النظرية القصديّة في المعنى عند جريس (حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية) ، دار المنظومة الكويت ، مجلد25 ، الرسالة ، 230 ، 2005 .
- 4- بدر بن علي العبد القادر ، حجاجية المثل عند أكنم بن صيفي -دراسة تحليلية- ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، العدد 19 ، جوان 2016 .
- 5- بن زروق سامية ، بين البلاغة العربية و التداولية ، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية و اللغوية ، العدد 17 ، الجزائر ، 2013 .
- 6- حفناوي بعلي ، الشعريات و التداوليات (مقارنة في المفاهيم و الأقاليم و جماليات التلقي) ، مجلة التبيين ، العدد 23 ، 2004 .
- 7- دفة بلقاسم ، إستراتيجية الخطاب الحجاجي ، دراسة تداولية في الإرسالية الإشهارية العربية ، مجلة المخبر، العدد 10 ، جامعة باتنة ، الجزائر ، 2014 .
- 8- ديكرو، نظرية الأفعال الكلامية من سوسور إلى فلسفة اللغة، تر: فريق م.ا.ف، مجلة العرب والفكر العالمي، دمشق، 1990، ج10،
- 9- ذيب بلخير، تجليات الفعل الكلامي عند جلال الدين القزويني، مجلة مقاليد، العدد5، ديسمبر2013 .
- 10- راضية بوبكري ، نظرية الأفعال اللغوية وتحليل الخطاب، التواصل الأدبي ، مجلة نصف سنوية تعني بقضايا الأدب والنقد، جامعة باجي مختار ، عنابة العدد3 ، ديسمبر 2008 .
- 11- رتيمي عمر، التيار التداولي في ظل المناهج النقدية المعاصرة(نشأته واهم مفاهيمه)، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات ، جامعة عمار ثليجي، الاغواط، الجزائر ، العدد2 ، جوان2011 .
- 12- رضوان الرقي ، الاستدلال الحجاجي التداولي و اليات اشتغاله ، مجلة عالم الفكر ، ج 2 ، م 40 ، أكتوبر، ديسمبر، 2011 .

قائمة المصادر و المراجع

- 13- سليمة دالي، التحليل التداولي للخطاب، مجلة اللسانيات واللغة العربية، جامعة عنابة، الجزائر، العدد 05، سبتمبر 2008.
- 14- عبد القادر عوّاد، آليات التداولية في تحليل الخطاب (الخطاب الأدبي نموذجاً)، البيان، مجلة أدبية ثقافية، العدد 491، تصدر عن رابطة الأدباء الكويت، يونيو 2011.
- 15- عبد الله صولة، الحجاج وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج بالخطابة الجديدة لبيبرمان وتيتيكا ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس، 1998.
- 16- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفراي، منشورات كلية الآداب والفنون، تونس، منوبة، ط 1، 2001.
- 17- عفيف عبد الرحمن، الأمثال العربية القديمة، مجلة العلوم الإنسانية، الكويت، 1983.
- 18- عقيلة مصيطفي، مالكة بلقاسم، آليات التواصل الأدبي و مقصدية الخطاب عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ع 24، مارس 2016.
- 19- عيد بلبع، التداولية، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، فصول، مجلة النقد الأدبي، العدد 63، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ربيع 2005.
- 20- كمال الزماني، حجاجية السجع و الجناس في الخطاب المقدماتي، مقدمة المقدمة لابن خلدون أنموذجاً، كلية اللغة العربية، مراكش، المغرب، العدد 3، المجلد 7، ديسمبر، 2018.
- 21- لطيف حاتم عبد الصاحب الزاملي، الكلام عملاً- مقارنة تداولية-، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد 16، العدد 1، جامعة القادسية، 2013.
- 22- هاجر مدقن، آليات تشكّل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان و نظرية البرهان، مجلة الآداب و اللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ع 5، مارس، 2006.
- 23- وسام مرزوقي، فوتال فضيلة، القصصية و أثرها في توجيه الخطاب الشعري، مجلة إشكالات في اللغة و الأدب، العدد 1، تمنغاست، الجزائر، 2019.
- 24- وشن دلال، القصصية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة، كلية الآداب و اللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية، العدد 6، جانفي 2010.

قائمة المصادر و المراجع

- 25- ياسين سرايية ، إستراتيجية القراءة وتوليد الدلالة في الخطاب الشعري عند احمد عبد المعطي حجازي ، مجلة العلوم الإنسانية ، المركز الجامعي سوق اهراس ، جامعة الجزائر ، العدد 42 ، جويلية 2009 .
- 26- Andersen jerry.Doverpoul:Reading in argumentation نقلا عن محمد العيد: النص الحجاجي العربي (دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، ج60، صيف2002).

5- المعاجم و الموسوعات :

- 1- أبو الحسين احمد بن فارس زكريا ، مقاييس اللّغة، دار الجليل ، بيروت ، لبنان ، مج 2 ، ط 1 ، 1991
- 2- أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، أساس البلاغة، علق عليه محمد احمد قاسم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، د.ط ، 2005
- 3- أحمد بن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها ، المكتبة السلفية ، مطبعة المؤيد ، القاهرة ، مصر ، (د،ط) ، 1910
- 4- إميل يعقوب وآخرون ، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العالم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987
- 5- _____، موسوعة أمثال العرب، دار الجليل، بيروت، لبنان، (د.ط)، ج1.
- 6- باتريك شارودو ، دومنيك مانغونو ، معجم تحليل الخطاب ، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود ، دار سيناترا ، تونس ، 2008
- 7- جاك موشلر وان ريبول ، القاموس الموسوعي للتداولية ، تر: مجموعة من الأساتذة ، دار سيناترا ، تونس، 2010
- 8- جمال الدين أبي فضل ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، ط 2 ، (د.ت)
- 9- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985
- 10- كولنج وآخرون، الموسوعة اللغوية، ترجمة: محي الدين حميدي، عبد الله حميدات، النشر العلمي، 1999
- 11- مجد الدين بن يعقوب الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر ، 2008

فهرس الموضوعات

| | |
|---|------|
| المقدمة | أ-هـ |
| توطئة | 7 |
| 1- مفهوم المثل | 7 |
| 1-1 لغة | 7 |
| 1-2 - اصطلاحا | 8 |
| 2- أنواع المثل | 10 |
| 2-1 المثل السائر | 10 |
| 2-2 المثل القياسي | 10 |
| 2-3 المثل الخرافي | 11 |
| 3- أهمية المثل | 12 |
| 4- الفرق بين المثل والحكمة | 16 |
| أ- الشيوخ | 16 |
| ب - صدق النظرة و صواب المضمون | 17 |
| ج - المضمون الفكري | 17 |
| المبحث الأول : التداولية (النشأة و التطور) : | 20 |
| أولاً : التداولية | 20 |
| 1- مفهوم التداولية | 20 |

| | |
|----|---|
| 26 | ثانيا : نشأة التداولية و تطورها..... |
| 31 | ثالثا : التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى |
| 31 | 1- التداولية وعلاقتها بالبنوية: « Structuralisme » |
| 32 | 2 - التداولية وعلاقتها بعلم الدلالة « Sémantique » |
| 33 | 3 - التداولية وعلاقتها بالبلاغة العربية |
| 34 | 4- التداولية وعلاقتها بعلم اللّغة الاجتماعي « sociolinguistiques » |
| 34 | 5- التداولية وعلاقتها بعلم اللغة النفسي |
| 34 | 6- التداولية وعلاقتها بتعليمية اللّغة « La didactique » |
| 35 | 7- التداولية وعلاقتها بتحليل الخطاب « L'analyse du discours » |
| 35 | رابعا : أهم المفاهيم التداوئية..... |
| 36 | 1- نظرية الملاءمة « théorie de la pertinence » : |
| 36 | 2- مبدأ القصدية « intentionnalité » : |
| 36 | 3- الاستلزام الحوارى « implication conversationnelle » : |
| 37 | 4- متضمنات القول « Les implicites » |
| 38 | خامسا : عناصر التّداولية |
| 38 | 1- المرسل |
| 38 | 2- المرسل إليه |
| 39 | 3- السّيّاق |
| 39 | 4- الخطاب |

| | |
|----|---|
| 39 | سادسا : أهمية التداولية |
| 41 | المبحث الثاني : تطور نظرية الأفعال الكلامية (مفاهيم أولية) |
| 41 | أولا : ماهية الفعل الكلامي |
| 43 | ثانيا : نظرية الأفعال الكلامية حسب نموذج أوستين (Austin) |
| 50 | 1- تصنيف أوستين (Austin) |
| 52 | ثالثا : الأفعال الكلامية حسب نموذج (Searle) |
| 55 | 1- تصور سيرل للفعل المتضمن في القول |
| 56 | 2- تصنيف سيرل للأفعال الكلامية |
| | رابعا : الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي من خلال التركيز على ظاهرة الخبر و |
| 61 | الإنشاء عند بعض العلماء العرب |
| | 1- التمييز بين الأسلوب الخبري و الأسلوب الإنشائي و آراء بعض العلماء العرب في |
| 62 | ذلك |
| 63 | 2- الخبر |
| 65 | 3- أقسام الخبر |
| 66 | 4- المعاني التي يحملها لفظ الخبر |
| 66 | 5- الإنشاء |
| 71 | الفصل الثاني : مجمع الأمثال للميداني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية |
| 72 | توطئة |
| 72 | أولا : الإخباريات (Assertives) |

| | | |
|-----|-------|--|
| 90 | | ثانيا : التوجيهات (Directives) |
| 109 | | ثالثا : التعبيرات (Expressives) |
| 111 | | 1-2- أفعال الشكوى |
| 114 | | 2-2- أفعال الفرح |
| 116 | | 2-3- أفعال الحزن والتحسر |
| 117 | | 2-4- أفعال التحيّة |
| 118 | | 2-5- أفعال الشكر |
| 119 | | 2-6- أفعال المواساة |
| 121 | | 2-7- أفعال التهنة |
| 123 | | 2-8- أفعال التميّي |
| 127 | | رابعا : الإعلانيّات (Déclaratives) |
| 139 | | خامسا : الإلزاميات (commissives) |
| 152 | | المبحث الأوّل : مقارنة نظرية في مفهوم الحجاج : |
| 152 | | أولا : الحجاج |
| 152 | | 1- مفهوم الحجاج |
| 156 | | 2- الحجاج و البرهان |
| 160 | | 3- ضوابط النصّ الحجاجي وخصائصه |
| 161 | | 4- أصناف الحجاج |
| 163 | | ثانيا : الحجاج في الفكر العربي |

| | |
|-----|--|
| 163 | 1- قديماً |
| 165 | 2- حديثاً |
| 167 | ثالثاً : الحجاج عند الغرب |
| 167 | 1- قديماً |
| 171 | 2- حديثاً |
| 175 | رابعاً : أنواع الحجاج |
| 177 | خامساً : تقنيّات ووسائل الحجاج |
| 177 | 1- الوسائل اللّسانية |
| 178 | 2- الوسائل الأصولية والفلسفية |
| 179 | 3- الوسائل البلاغيّة |
| 180 | سادساً : مراتب الحجاج |
| 180 | 1- الحجاج والبرهنة |
| 181 | 2- الإفحام و الإقناع |
| 182 | سابعاً : آليّات الحجاج |
| 183 | 1- الآليّات البلاغيّة |
| 192 | 2- الآليّات اللّغوية |
| 200 | المبحث الثاني: تقنيات الحجاج في قصص الأمثال للميداني |
| 200 | توطئة |
| 200 | أولاً : الحجج شبه منطقية |

- 1- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات المنطقية..... 201
- 2- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية..... 213
- ثانيا : الحجج المؤسسة على بنية الواقع..... 215
- 1- الحجة السببية..... 216
- 2- الحجة البرغماتية **The pragmatic Argument**..... 218
- 3- حجة التبذير **(The argument of waste)**..... 219
- 4- حجة الشخص و أعماله **(The person and his acts)**..... 220
- 5- حجة السّلطة **(Argument from Authority)**..... 223
- ثالثا : الحجج المؤسسة لبنية الواقع..... 226
- 1- تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة..... 226
- 2- الاستدلال بواسطة التمثيل **Analogie**..... 229
- رابعا : الحجج التي تستدعي القيم **(Arguments basé sur les valeurs)**..... 233
- خامسا : الآليات البلاغية في مجمع الأمثال :..... 236
- 1- حجاجية الاستعارة :..... 236
- 2- الآليات البلاغية :..... 241
- 3- الآليات اللغوية :..... 241
- 4- الآليات المنطقية :..... 241
- 5- الآليات البديعية :..... 255
- سادسا : الآليات اللغوية في مجمع الأمثال :..... 271

| | |
|-----|---|
| 271 | 1- الروابط و العوامل الحجاجية : |
| 280 | 2- العوامل الحجاجية |
| 282 | 3- السُّلم الحجاجي |
| 292 | الفصل الرابع : تجليات القصدية في مجمع الأمثال |
| 293 | المبحث الأوّل : القصدية (مفاهيم أولية) |
| 293 | توطئة |
| 294 | 1- مفهوم القصدية |
| 294 | 1-1- لغة : |
| 294 | 1-2- اصطلاحا : |
| 299 | 2- أنواع القصدية : |
| 302 | 3- القصدية و أفعال الكلام : |
| 304 | 3-1- القصد : |
| 304 | 3-2- المقصدية : |
| 311 | 4- علاقة الملفوظ بالقصد : |
| 311 | 4-1- الحالة الأولى |
| 311 | 4-2- الحالة الثانية |
| 312 | 5- أهمية المقاصد : |
| 315 | المبحث الثاني : إستراتيجية المقاصد الموضوعية |
| 315 | 1- الإستراتيجية التلميحية (المفهوم و الإجراء) : |

- 315 1-1 - التلميح لغة و اصطلاحا :
- 318 1-2 - مسوّغات استعمال الإستراتيجية التلميحية :
- 319 1-3 - أفعال الكلام غير المباشرة :
- 324 1-4 - التهكم :
- 326 1-5 - السخرية :
- 331 1-6 - الافتراض المسبق :
- 346 2- إستراتيجية قصد الإقناع :
- 347 3- الإستراتيجية التضامنية
- 347 3-1- الأفعال اللغوية (الانجازية) **Speech actes**
- 353 3-2- الإستراتيجية التضامنية و علاقتها بمقاصد الخطاب
- 359 4- السياق و علاقتة بمقاصد الخطاب
- 359 4-1- تعريف السياق
- 362 4-2- أنواع السّياق
- 364 4-3- عناصر السياق
- 365 5- تعالق السياقات و المقاصد الخارجية.....
- 365 5-1- السياق الاجتماعي و علاقتة بمقاصد الخطاب.....
- 373 5-2- السّياق السّياسي و علاقتة بمقاصد الخطاب
- 376 5-3- السياق النّفسي و علاقتة بمقاصد الخطاب
- 378 5-4- السياق الثقافي و علاقتة بالمقاصد.....

384 الخاتمة

387 قائمة المصادر و المراجع :

405 فهرس الموضوعات :

ملخص الرسالة

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة الأبعاد التداولية في الأمثال العربية القديمة ، و وقع اختيارنا على مجمع الأمثال للميداني باعتباره عينة من عينات تراثنا العربي القديم ، و أرضية خصبة للدراسة التداولية لاحتوائه على قضايا لغوية ، و لسانية ، و تداولية في ثلاثيته الهرمية (أفعال الكلام ، و الحجاج ، و القصدية ...) و محاولة منا لإثراء و معالجة هذه القضايا التداولية ، ارتأينا أن نقسم هذا البحث إلى أربعة فصول تتصدّره مقدّمة و مدخل . تناولنا في المدخل : المثل (قراءة في الماهية و المفهوم) ، أما الفصل الأول فضّلنا أن نعالج فيه النظرية التداولية من ناحية النشأة و التطور ، و أهم المحطّات المرتبطة بالدرس التداولي .

أما الفصل الثاني فقد كان تطبيقيا خصّصناه لنظرية الأفعال الكلامية في مجمع الأمثال ، و تمّ التّركيز على تصنيفات جون سيرل للأفعال الكلامية (Les actes de langages) المتمثلة في التّوجيهيات ، الإخباريات ، التعبيرات ، الإعلانات ، و الإلتزاميات .

ثمّ انتقلنا بعدها إلى الفصل الثالث : و تمّ التّركيز على أهم آليات الحجاج المنطقية و البلاغية الموجودة في المدوّنة بانتقاء نماذج مختارة ، في حين الفصل الرابع وسّمناه بـ : " تجليات القصدية في مجمع الأمثال " و قسّمناه إلى مبحثين ، تضمن المبحث الأوّل الجانب النظري حول القصدية ، أما المبحث الثاني فكان تطبيقيا تمثّل في الإستراتيجية التلميحية و التضامنية ، و أثر السياقات في توجيه مقاصد الخطاب .

و المنهج الذي اعتمدناه في هذه الدّراسة هو المنهج التداولي و إجراءاته بهدف الوقوف على المقاصد المباشرة التي تضمّنتها المدوّنة . و أنهيّا البحث بخاتمة تضمّنت ما توصلنا إليه من نتائج ، و قائمة للمصادر و المراجع ، و فهرس للموضوعات .

Cette recherche vise à étudier les aspects pragmatiques dans les anciens proverbes , notre choix est tombé sur «Majmeaa Elaamthal d'Almaidani » comme un échantillon de notre patrimoine arabe , et un terrain fertile pour cette étude vu ce qu'il contient comme problèmes linguistiques et pragmatiques dans sa triple hiérarchique (actes de langage , l'argumentation et l'intention...)

Pour une tentative de notre part d'enrichir et d'aborder ces questions pragmatiques , nous avons jugé bon de diviser cette recherche en quatre chapitres dont une introduction , Dans laquelle on a étudié : le proverbe (une lecture dans la définition et dans le concept).

En ce qui concerne le premier chapitre, nous avons préféré de traiter la théorie pragmatique du côté de la naissance et du développement, ainsi que les plus importantes stations liée à la leçon pragmatique .

Pour ce qui est du deuxième chapitre, c'était de la pratique dédiée à la théorie des actes de langage dans « Majmeaa Elaamthal » , et l'accent a été mis sur les classifications des actes de langage de John Searle représentées par les directives , les Assertives , les Expressives , les Déclaratives et les Commitives .

Par la suite, nous sommes passés au troisième chapitre dans lequel en c'est concentré sur les plus importants mécanismes de l'argumentation rhétorique et logique présente dans le recueil.

Alors que le quatrième chapitre nous l'avons nommé : " les manifestations intentionnelle dans Majmeaa Elaamthal" et nous l'avons divisé en deux sections. La première section comprend l'aspect théorique de l'intentionnalité , tandis que la deuxième section était de la pratique, représentée par la stratégie allusive et solidaire de l'impact des contextes dans l'orientation des but du discours.

La méthode que nous avons adoptée dans cette étude est la méthode pragmatique et ses procédures dans le but de mettre l'accent sur les fins directes incluses dans le recueil . Nous avons finalisé la recherche par une conclusion portant sur les résultats obtenus et une liste des sources , des références et index des sujets.

This research aims to study the pragmatic dimensions in the ancient Arabic proverbs. And we chose « Majmeaa Elaamthal of Almaidani » as a sample of our ancient arab heritage , and a fertil ground for pragmatic study because it contains linguistic and pragmatic issues in its hierarchical triple (speech acts , argumentation and intention ...).

In an attempt to enrich and address these pragmatic issues, we decided to divide this research into four chapters headed by an entrance and an introduction. In the entrance , we dealt with : the proverb (a reading in the definition and the concept), and for the first chapter, we preferred to deal with the pragmatic theory in terms of its origin and development, and the most important stations associated with the pragmatic lesson.

As for the second chapter, it was pratical dedicated to the theory of speech acts in « Majmeaa Elaamthal », and it focused on John Searle's classifications of speech acts represented in directives, informatives, expressions, declarations, and commitments.

Then we moved to the third chapter : The focus was on the most important logical and rhetorical mechanisms of arguments found in the blog by selecting selected models , while the fourth chapter we called: “Manifestations of Intention in Majmeaa Elaamthal ” and we divided it into two sections. The first section included the theoretical aspect about intentionality, As for the second section , it was pratical , represented in the allusive and solidarity strategy , and the impact of contexts in directing the purposes of the discourse.

The approach that we have adopted in this study is the pragmatic approach and its procedures with the aim of identifying the direct purposes included in the blog. We ended the research with a conclusion that included our findings and list of sources , references and subject index .